

مُعَيِّنُ الْخُطَبَاءِ

مُعَيِّنُ الْخُطْبَاءِ

مُحَاضِرَاتٌ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ

تَأليف

الشيخ كاظم آلنبهاري

الجزء الأول

مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية
الشارع الحشمي الشوون الفكري في العتبة الحسينية المقدسة



جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

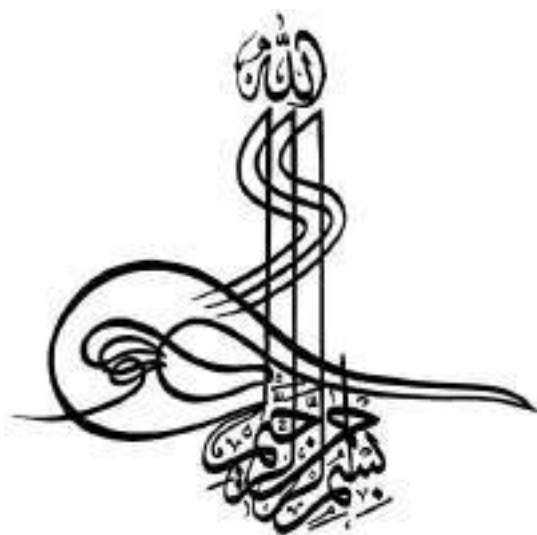
الطبعة الاولى

1435 هـ . 2014 م

إصدار

مركز الدراسات والبحوث في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية



الإهداء

- إليكِ يا مُتَحَنَّةُ، إِيَّاكِ يا صَابِرَةً. ❁
- إِيَّاكِ يا أُمَّةَ اللَّهِ وَسَيِّدَةَ النِّسَاءِ. ❁
- إِيَّاكِ يَا بَضْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَأُمَّ الْأَوْصِيَاءِ. ❁
- إِيَّاكِ أَيُّهَا الْمَهْضُومَةُ الْمَظْلُومَةُ، الْمَنْعُوعَةُ حَقِّهَا. ❁
- إِيَّاكِ أَيُّهَا الصَّدِيقَةُ الشَّهِيدَةُ. ❁
- إِيَّاكِ أَيُّهَا الْمَعْصُومَةُ الشَّافِعَةُ. ❁
- إِيَّاكِ يَا رُوحَ رَسُولِ اللَّهِ الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْهِ، وَرِيحَانَتِهِ مِنَ الدُّنْيَا. ❁
- إِيَّاكِ يَا سَيِّدَتِي يَا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، أَقْدَمَ هَذِهِ الْبُضَاعَةَ الْمَرْجَاةَ فَتَفْضَلِي
عَلَيَّ بِالْقَبُولِ وَالْإِحْسَانِ وَاشْفَعِي لِي عِنْدَ رَبِّكَ وَرَبِّي فَإِنَّهُ أَكْرَمُ مَسْئُولٍ
وَأَعْظَمُ مَأْمُولٍ. ❁

الراجي شفاعتكم
كاظم

مقدمة المركز

العلم والقراءة والكتابة بالقلم، قواعد المجد، ومفاتيح التنزيل، وديباجة الوحي، ومشرق القرآن الكريم، بها يقوم الدين، وتُدوّن الشرائع، وتحْيى الأمم، وتُبنى الحضارات، ويُكتب التاريخ، ويُرسم الحاضر والمستقبل، وبها تتمايز المجتمعات، وتختلف الثقافات، ويُوزن الإنسان، ويتفاضل الناس، ويزهو ويفتخر بعضهم على البعض الآخر.

في ضوء هذه القيم والمبادئ السامية، ومن منطلق الشعور بالمسؤولية، وبالتوكل على الله تبارك وتعالى، بذلت الأمانة العام للعتبة الحسينية المقدسة جهوداً كبيرة واهتمامات واسعة لدعم الحركة العلمية والفكرية والثقافية، وتطوير جوانب الكتابة والتأليف والتحقيق والمطالعة، وذلك عن طريق الاهتمام بالشؤون الفكرية، وافتتاح المؤسسات ومراكز الدراسات العلمية، وبناء المكتبات التخصصية، والتواصل مع الأساتذة والعلماء والمفكرين، وتشجيع النّخب والكفاءات والطاقات القادرة على بناء صروح العلم والمعرفة.

ويُعد مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدسة، امتداداً لتلك الجهود المباركة، وقد عمل منذ تأسيسه وبأقسامه ووحداته المتنوعة على إثراء الواقع العلمي والفكري، وذلك من خلال تدوين البحوث، وتأليف الكتب وتحقيقها ونشرها، وإصدار المجالات المتخصصة، والمشاركة الفاعلة مع شبكة التواصل العالمية، وإعداد الكوادر العلمية القادرة على مواصلة المسيرة.

ومن تلك الأمور المهمة التي تصدّى مركزنا المبارك للقيام بها وتفعيلها بشكل واسع، في إطار وحدة التأليف والتحقيق، هي الاهتمام بنشر التراث العلمي والنتاج الفكري

والكتابات التخصصية للعلماء والمحققين والباحثين، وذلك بهدف فسخ المجال وفتح الأبواب والنوافذ أمام قراء الفكر، وطلاب العلم والحقيقة.

ومن تلك النتاجات العلمية والقيّمة، هذا السفر الماثل بين يديك عزيزي القارئ، وهو كتاب (معين الخطباء.. محاضرات في العقيدة والأخلاق) للخطيب الأملعي فضيلة الشيخ كاظم البهادلي، والذي سلط الضوء فيه على مجموعة كبيرة من المسائل العقائدية والأخلاقية وكذا الفقهية والتاريخية من خلال مئة مجلس حسيني قيّم، والتي تعد عملاً جاهزاً لرواد المنبر الحسيني خصوصاً الخطباء الذين هم في سلم الصعود والرقى، وقد ابتدأت أكثر المجالس في هذا الكتاب بالشعر القريض، ثم اتبعه بالشعر الدارج، ثم بعد ذلك يتبدأ المجلس بآية أو رواية، ثم يتم تسليط الضوء على أحد المفاهيم الإسلامية المستوحاة من تلك الآية أو الرواية، فيتناولها من جوانب عديدة، بأسلوب واضح وفق منهجة علمية خطابية، داعماً ذلك بالقصة والشواهد التاريخية، ثم يتطرق إلى المصيبة والأبيات الشعرية المناسبة لها.

ويعتبر هذا العمل من الأعمال المهمة في الأوساط العلمية والثقافية وذلك بتبع ما للمنبر الشريف من أهمية قصوى في هذا الميدان، إذ أن للمنبر الدور الأكبر في صياغة الثقافة العامة عند المجتمع، وهذا العمل يعتبر رافداً صافياً ومعيناً أميناً لخطباء المنبر الحسيني أيدهم الله تعالى وسدد خطاهم.

وفي الختام تمنى للمؤلف دوام التوفيق في خدمة القضية الحسينية، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا إنه سميع مجيب.

اللجنة العلمية

في مركز الدراسات التخصصية

في النهضة الحسينية

المقدمة

الحمد لله الذي تفرّد بالوحدانية، وارتفع عن وصف المخلوقين له بالإنية، وحارت العقول عن كنه معرفته، وتلكأت الألسن عن إدراك صفته، الواحد بلا شريك، والملك بلا تمليك.

والصلاة والسلام على خير الأنام، خاتم الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، لا سيما بقيّة الله في الأرضين، مولاي وولي نعمتي، صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن عليه السلام، واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد، فلا يخفى على ذي لبّ ما للخطابة من أهمية في هداية الناس وتثبيت ما اهتدوا إليه، ولا يشكّ ذو مسكة بأنّها من وظائف الأنبياء والمرسلين والأوصياء والصّالحين، وأنّ ثوابها جسيم ومقامها عظيم.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «لئن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

فهداية إنسان واحد خيراً من أفضل النعم وأنفسها! فكيف إذا كانت الهداية لمئات البشر ولمرّ العصور!!

والهداية هذه تارة تكون بالفعل وأخرى بالقول، وكلّما كان القول تابعاً لإخلاص

(١) محضات الصحابة، ص ١.

القائل وصدق نيته وعمله كان التأثير أكبر والنفع أوسع، وقد قيل في القِدَم: «ما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، وما خرج من القلب دخل في القلب».

فينبغي لنا - معاشر الخطباء - الالتفات إلى ذلك جيداً؛ لأنَّ التوفيق كلَّ التوفيق في الإخلاص ومتابعة القول للعمل، فالخلاص في الإخلاص.

ومن جهة أخرى، ينبغي لسائر المؤمنين أيضاً أن ينظروا للخطيب بعين الإنصاف، وأن لا يتبعوا عثراته وزلاته وسقطاته، فنحن معاشر البشر عُرضَةٌ للخطأ والنسيان إلا من خصَّه الله وحباه؛ ومن هنا جاء النهي والتحذير عن تتبُّع العثرات على لسان النبي الأكرم ﷺ حيث قال: «لا تطلبوا عثرات المؤمنين؛ فإنَّ مَنْ تتبَّع عثرات أخيه تتبَّع الله عثراته، ومَنْ تتبَّع الله عثراته يفضحه ولو في جوف بيته»^(١).

والخطيب الجيد هو مَنْ يبدل قُصارى جهده في إنجاح منبره، فإن وُفق فيها ونعمت، وإن أخفق فنعين بعضنا البعض لتسديده وبيان ما يمكن له أن يتلافى به ما أخفق بسببه، فمنه ومنا السعي ومن الله التوفيق، قال الشاعر:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده وليس عليه أن يكونَ موفقاً

وفي هذا السياق جاءت هذه المحاولة المتواضعة في هذا الكتاب - مُعين الخطباء - لتعين مَنْ يحتاج الإعانة، وتكون تذكرةً لمن لم تُسغه الذاكرة، ونافلةً لأساتذة الفنّ وكبار الخطباء، وهي عبارة عن مجموعة محاضرات ومجالس عزائية أُلقيتْ أكثرها - إذا لم أقل: كُلَّها - وقد نالت إعجاب ثلَّةٍ من إخواني الخطباء، فالتمستي بعض إخوتي من الخطباء الفضلاء نُشرها؛ لتعمَّ الفائدة، فنزلتُ عند رغبتهم، شاكراً لهم حُسن ظنِّهم بي وبها، وهي نافعة إن شاء الله تعالى لمن نظر فيها نظرةً فاحصةً، ومن محاسنها أنَّها اشتملت على المصادر التي استقيت منها المادَّة، وقد أرجعت ما فيها إلى مصدره ومرجعه، وهي مائة مجلس ومحاضرة، اشتمل الجزء

الأول على أربعين منها؛ تيمناً بهذا العدد المبارك، وثلاثين في الجزء الثاني، وثلاثين في الجزء الثالث أيضاً، واشتمل الكتاب - بأجزائه الثلاثة - على مجالس شهر محرم الحرام وبعض مناسبات شهر صفر والأيام الفاطمية وشهر رمضان المبارك، وغير ذلك من مجالس ومحاضرات متفرقة، والطابع الغالب على الجميع هو العقائدي والأخلاقي.

وسمّيته (معين الخطباء) اسماً على مُسمّاه إن شاء الله تعالى؛ ليعينني وإخوتي أولاً، ولأجل أن يشملنا قول الرسول الأكرم ﷺ: «مَنْ حَفِظَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيهًا عَالِمًا»^(١).

فقلت - في نفسي -: وأربعين مجلساً إنشاءً لله، خصوصاً مع الالتفات إلى قوله ﷺ: «مِمَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ» أو الالتفات إلى الحديث الآخر المُشتمل على سؤال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، أخبرني ما هذه الأحاديث؟».

فقال ﷺ: «أَنْ تَوْمَنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَعْبُدَهُ وَلَا تَعْبُدَ غَيْرَهُ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ بِوُضوءٍ سَابِغٍ فِي مَوَاقِيتِهَا وَلَا تُؤَخِّرُهَا فَإِنَّ فِي تَأْخِيرِهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ غَضَبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَتَحْجَّ الْبَيْتَ إِذَا كَانَ لَكَ مَالٌ وَكَنتَ مُسْتَطِيعًا، وَأَنْ لَا تَعْقَ والدَيْكَ، وَلَا تَأْكُلَ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا، وَلَا تَأْكُلَ الرِّبَا، وَلَا تَشْرَبَ الْخَمْرَ... وَأَنْ تَصْبِرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَالْمُصِيبَةِ، وَأَنْ تَشْكُرَ نِعَمَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ... وَأَنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذُنُوبِكَ فَإِنَّ التَّائِبَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ... وَأَنْ تُكْثِرَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَعْمَلَ فِيهِ... فَهَذِهِ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا مَنْ اسْتَقَامَ عَلَيْهَا وَحَفِظَهَا عَنِّي مِنْ أُمَّتِي دَخَلَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا»^(٢).

ومحاضراتنا ومجالسنا المائة المبثوثة في هذا الجزء وبقية المحاضرات والمجالس في

(١) الحاصل: ص ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) الحاصل: ص ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩.

الجزئين الآخرين لا تعدو هذا المعنى، وكرم الله أكبر من أن نصِفَه أو نتصوَّره، فنسأله تبارك وتعالى أن يشملنا بعفوه وكرمه.

وفي الختام أتقدم بجزيل شكري وامتناني للإخوة الأساتذة والخطباء، الذين وازروني في هذا العمل، وأخص بالذكر منهم: سماحة السيد علي الموسوي، والشيخ محمد صالح الحلفي، والشيخ سعد الغري، والشيخ محمد الساعدي، سائلاً المولى عز وجلّ لهم جميعاً دوام التوفيق، كما أقدم شكري للأخوة العاملين في مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية الذين أخذوا على عاتقهم مراجعة الكتاب ونشره، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منّا جميعاً هذه المحاضرات بأحسن القبول، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا، وذخراً لنا يوم نلقاه، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن تكون من العلم الذي يُنتفع به بعد حياتنا، وأن يغفر لنا ولوالدينا.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.

كاظم البهادلي

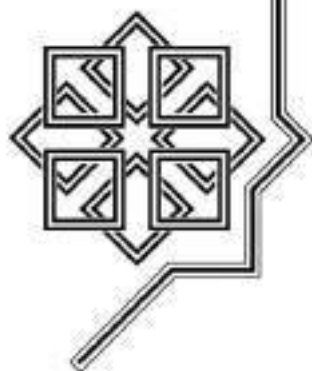
قم المقدّسة/ أيام شهادة السيدة الزهراء عليها السلام

١٤٣٤ هـ

الحاضرة الأولى



تعظيم الشَّعَائِرِ



أَطْلَّ عَلَيْنَا بِالْحُطُوبِ مُحَرَّمٌ
هُوَ هَيْكَلُ التَّوْحِيدِ فِيهِ عَلَى الثَّرَى
تَزَلَزَلْ عَرْشُ اللَّهِ وَارْتَجَّتِ السَّمَاءُ
لَقَدْ أَتَكَلْتُ أُمَّ الْمُعَالِي وَأُيِّمْتُ
فَلَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ حَامِيَ ذِمَارِهَا
أُعْزِيكَ يَا خَيْرَ الْوَرَى فِي الَّذِي جَرَى
بِمَاذَا تُعْزِي وَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ
فَأُطْفَأُ طُهْرٍ فِي حُجُورِ طَوَاهِرٍ
سِوَى أُنْهَامٍ مِنْ قَبْلِ حَلِّ تَمَائِمٍ
أَمْ الذَّبْحُ لِلذَّبْحِ الْعَظِيمِ عَلَى الظَّامِ
أَمْ الْهَتَكُ لِلخَدْرِ الَّذِي لِاحْتِرَامِهِ
أَصَابَتْ سَهَامُ الطَّفِّ حَبَّةَ قَلْبِهَا
فَخَلَعُ شَعَارِ الْحُزْنِ فِيهِ مُحَرَّمٌ
غَدَاةَ هَوَى الْقَصْرِ الْمَشِيدِ الْمُعْظَمِ
عَشِيَّةَ صَدْرِ الْعِلْمِ بِالْخَيْلِ يُحْطَمُ
غَدَاةَ نِسَاءِ الطَّفِّ ثَكْلَى وَأُيِّمُ
يُشَاهِدُهَا وَالنَّارُ بِالْخَدْرِ تُضْرَمُ
عَلَى ابْنِكَ يَوْمَ الطَّفِّ وَالرُّزْءُ أَعْظَمُ
لَأَذْنَى رَزَايَاهَا الشَّدَادُ تَهْدَمُ
وَلَيْسَ لَهَا ذَنْبٌ هُنَاكَ يُعْلَمُ
لَهَا السَّيْفُ وَالْخَطِيئَةُ سِوَارٌ وَمَعْصَمُ
لِتَغْسِيلِهِ مِنْ نَحْرِهِ قَدْ جَرَى الدَّمُ
مَلَائِكَةُ الْجَبَّارِ بِالذَّلِّ تَخْدُمُ
فَأَحْشَاؤُهَا مِنْهُمْ ثَوْبٌ مُقَسَّمٌ^(١)

(فائزي)

هَلَّتِ الشَّيْعَةُ بِالْحُزْنِ يَهْلِلُ عَاشُورَ

أَوْ نَصَبَتْ مِيَاتِمَ لِلْعَزِيَّةِ وَتَلَطَّمِ أَصْدُورَ

(١) الرياض: ١٠٠، ص ٧٢٩ - ٧٣٠. ولم نسب لأحد، ولم أعتز عن نسخها، فلهذا ذكرته على وجه التحريم.

اهلال المحرّم ليش أشوفك كاسف اللون
 لابس سوادك ليش گلي اشصار بالكون
 ونّ اهلال او گال سيد الرّسل محزون
 او كلّ العوالم محزنة والدين مقهور
 من حين هلّ الشهر هلّ ابكل الأحزان
 اوجدد مُصاب الّلي گظه بالطفّ حيران
 ناحت عليه املاكها والأنس والجان
 على قتيل الي گظه بالطفّ منحور
 وأعظم مصيبة ذوّبت مُهجة أفّادي
 أهل المدينة سمعوا الزهره تنادي
 عاشور جاني اوزاد حزني على أولادي
 نصبت مياتم يا خلگ في وسط الاگبور
 صاحت أو منها الدمع فوگ الخد مسجوم
 ما ظنّتي من هلسفر يرجع المظلوم
 هلّ المحرم وامتلأ گلبي بالهموم
 من حين شفت الشهر صار الغلب مكسور
 (مجاريد)
 نارك ابگلبي دوم تسري واعليك أونّ وأنه ابگبري
 او عيني دمعها اعليك يچري تدري ييو السجّاد تدري
 ابضلعي اوبعد بصواب صدري واصبرت لمن فات عمري
 لاچن ابچتلك ضاع صبري

(أبودية)

اهلال الكدر والأحزان هَلَّيتِ اودمه عين الموالي بيك هَلَّيتِ
يشهر النوح عالسلام هَلَّيتِ لا تظهر او تفرح بيك أَمِيَّة

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١).

الشعائر واحدها الشعيرة، والشعيرة: هي كل ما له دخل في إحياء معالم الدين التي ندب الله إليها عباده^(٢). وهي لغة: العلامة.

ولقد تناول القرآن الكريم موضوع الشعائر بصريح اللفظ في آيات أربع:
الآية الأولى: في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾^(٣).
والآية الثانية: في سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾^(٤).

والآية الثالثة: في سورة الحج، وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٥).

والآية الرابعة: في سورة الحج أيضاً، وهي قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حُكْمٌ﴾^(٦).

(١) الحج: ٢٠.

(٢) أنظر: تاج المعرف: ج ٢، ص ٢٠٤، كتاب تعويذ: ج ١، ص ٢٠٤، لسان العرب: ج ٤، ص ٦٤٥.

(٣) البقرة: ١٢٥.

(٤) المائدة: ٢٧.

(٥) الحج: ٢٠.

(٦) الحج: ٢٠.

والآية محل البحث ندبت إلى تعظيم الشعائر التي لها صلة بالله تبارك وتعالى، ولها دخل في إحياء معالم الدين على ما جاء في بعض كلمات أهل اللغة في بيان الاصطلاح منها.

والآية فيها دلالة واضحة على محبوبة التعظيم لشعائر الله، حيث عدّها الباري عز وجل من تقوى القلوب.

وقد فسر بعض علماء العامة الآية المباركة بأن المقصود من الشعائر فيها: جميع ما أمر الله به وعفا عنه، أي جميع فرائضه.

وحكي عن القرطبي في أحكام القرآن: أنّ المقصود من الشعائر هي جميع العبادات.. التي أشعرها الله، أي جعلها أعلاماً للناس.

والخلاصة: أنّ المراد من الشعيرة والشعائر نشر الدين، وبث نور الله سبحانه وتعالى وعدم إطفائه، ورفع الدين، وطلب سموه وعلوه^(١).

والآية محل البحث فيها ثلاثة محاور:

المحور الأول: هو طلب التعظيم.

المحور الثاني: موضوع التعظيم هو شعائر الله.

المحور الثالث: نتيجة التعظيم وهي التقوى الناشئة من صفاء القلب، والنابعة عن الإحساس بإدراك الواجب المطلوب امتثاله في المحور الأول.

فبمقتضى المحور الأول يكون كلّ إنسان مسؤولاً عن إفشاء طلب الباري عز وجل، أو قل: ندب الباري وترغيبه في إقامة وامتثال ما أحبه عز وجل، فيكون حال هذا الامتثال حال امتثال بقية الأوامر الإلهية، كالصوم والصلاة وما شابه ذلك، فكما أنّ الإنسان يؤجر ويُثاب على امتثال صيام شهر رمضان، ويُعاقب بأشدّ العقوبات وأصرمها في حالة

(١) الشعائر الحسينية بين الصلاة والتعبد، ص ٥٨، ٥٩، بتصرف.

المخالفة، كذلك الحال في إقامة وتعظيم هذه الشعائر عند ملاحظة أن الطلب والترغيب تعلّق في تعظيمها أو عدم خذلانها، في الآيات الباقية المتناولة لنفس الموضوع، مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾^(١) الناهية عن هتك وخرم شعائر الله تبارك وتعالى.

والآيات وإن كان بعضها وارداً في سياق آيات الحجّ إلا أن هذا لا يمنع من التعميم، كما هو مقتضى الحال في بقية آيات القرآن الكريم بالنسبة إلى الموضوعات الأخرى؛ لأنّ القرآن يجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر، كما ورد في ألسنة الروايات^(٢). بعد ملاحظة أن الشعائر وإقامتها ليست أمراً توقيفياً، بل تركه الشارع بيد العرف ما لم يرد نهي عن مسير العرف الذي يريده الشارع الأقدس^(٣).

ولأجل ذلك توسّع العلماء (قدس الله أسرارهم) في إطلاق لفظة الشعائر. قال المقدّس الأردبيلي في مجمع الفائدة والبرهان: «نقل أن تجديد قبور الأئمة عليهم السلام مستثنى من كراهة تجديد القبر بعد الاندراس؛ لأنّ تجديد قبور الأئمة عليهم السلام فيه تعظيم لشعائر الله، وبقاء الرسم لتحصيل الزيادة الموجبة للشواب العظيم»^(٤). بل إنّ بعض الفقهاء أوجب الهجرة على من يضعف عن إظهار شعائر الإسلام^(٥)، من دون تحديدها بمصداق أبداً، وإنّما ترك ذلك للعرف. فيمكن أن يكون الضعف في إظهار الشعائر متمثلاً بمنع الحاكم الجائر عن إقامة صلاة الجمعة والجماعة، أو يكون عن طريق منع المؤمنين من أداء زكاتهم، إلى غير ذلك من الأمثلة.

(١) المفاد: ٢٤٢.

(٢) تيسير العيسى: ج ٢، ص ٢٠٣.

(٣) انظر: المدارك الحسينية بين الأسئلة والتجديد، ص ١٢.

(٤) مجمع الفائدة والبرهان: ج ١، ص ٥٠١.

(٥) انظر: مفتي الطلب: ج ٢، ص ٢٥٤، ابصار العوائد: ج ١، ص ٣٢٢، جامع الخاضع: ج ٣، ص ٣٢٢.

إقامة المراسم الخاصة عند الشيعة:

البحث هنا في ماهية المراسم التي يقيمها الشيعة على أئمتهم، خصوصاً على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فهل هي داخلة في جملة الشعائر التي أمر الله تبارك وتعالى بتعظيمها وحُرمة هتكها وخذلانها أم لا؟

والجواب واضح بعد ما قدّمنا من التعريف اللغوي والتفسير القرآني للشعائر عند المسلمين، وأنَّ المقصود بها كلّ معالم الدين التي ندب الله إليها عباده، والتي يجب على المسلم مهاجرة وطنه وبلاده فيما لو ضعفت فيها إلى بلاد يتمكن من إقامتها وإظهارها فيها. فبعد معرفة أنَّ تجديد قبور الأئمة عليهم السلام هو من شعائر الله التي ندب إليها - كما تقدّم - فلا إشكال في أنَّ إحياء ذكرى أئمة أهل البيت عليهم السلام أولى وأجلى.

فإنَّ البكاء ولبس السواد والرثاء وإقامة المآتم على الأئمة عليهم السلام من أجلى وأوضح الشعائر الإلهية؛ لأنَّ تعظيمهم تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله. وبما أنَّ الكلام في الليلة الأولى من محرّم الحرام فلنعطف البحث على خصوص قضية الإمام الحسين عليه السلام.

إقامة مراسم الحزاء على سيد الشهداء عليه السلام من شعائر الله:

ثمَّ إنَّه بعد التسالم على دخول إقامة المراسم على الأئمة عليهم السلام في الشعائر الإسلامية، وآتاه من صُغريات كبرى شعائر الله، نعطف البحث على خصوص شعائر الإمام الحسين عليه السلام، فإنَّه من الموضوعات التي أثّر حولها التشكيك من هنا وهناك، حتّى أصبح البعض - وللأسف الشديد - يسخر من الشيعة بكلمات نابية وساخرة ومستصغرة لمقامهم، مع ارتكاب هؤلاء المهرّجين لأكبر الكبائر من دون حياءٍ ولا ورع.

وبكلمة مختصرة نُجيب هؤلاء ضُعاف النفوس بما حدّث به رسول الله صلى الله عليه وآله حبيب أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال له: «وإنَّ حُثالةَ مِنَ النَّاسِ يُعَيِّرُونَ رُؤُوسَ قُبُورِكُمْ كَمَا تُعَيِّرُ الزَّانِيَةُ

بزناها، أولئك شرارُ أمتي لا أنا لهم الله شفاعتي يوم القيامة»^(١).

ولكن ما ضرَّ الذين يقيمون شعائر دينهم أن يسخر منهم الجاهلون ما داموا يعلمون أنهم على حقٍّ، وأن أعداءهم على باطلٍ، ولقد شكوا عند الإمام الصادق عليه السلام استهزاء الأعداء بهم، فقال عليه السلام مهدّئاً روعهم: «والله لحظهم أخطأوا، وعن ثواب الله زاغوا، وعن جوار محمدٍ تباعدوا»^(٢).

وقال له ذريح المحاربي: إنِّي إذا ذكرتُ فضل زيارة أبي عبد الله عليه السلام هزأ بي ولدي وأقاربي. فقال عليه السلام: «يا ذريح، دَعِ النَّاسَ يذهبونَ حيثُ شاءوا»^(٣).

وما قيمة الاستهزاء حتّى يميل الإنسان عن خطّه الصائب بسببه؟ وما قيمة المستهزئين أنفسهم حتّى يعير لهم الإنسان اهتماماً؟

ولو كانت لهم قيمة لعملوا ما ينفعهم وينفع الناس، ولكن حيث لا قيمة لهم ولا هدف، تواضعوا بأنفسهم، فرضوا أن يكونوا مستهزئين، فحسبهم هذا الاعتراف العملي بفشلهم، وبطلان اتجاههم^(٤).

مع أنّه يكفي في المقام عدم وجود دليل مانع من إقامة مراسم عزاء سيّد الشهداء عليه السلام، بل وعزاء سائر الأئمة عليهم السلام، فالأصل في مثل هكذا موارد هو الإباحة، مضافاً لما ورد عنهم وعن جدّهم الأكرم صلّى الله عليه وآله من الحثّ الأكيد على إقامة العزاء، وكيفيك ما كان يصنعه النبيّ وأهل بيته عليهم السلام في أيام المحرم، حتّى روي أنّ الإمام الكاظم عليه السلام لم يُر ضاحكاً في تلك الأيام^(٥).

(١) المنار لسبح السيد، ص ٢٢٨، فرجة العربي، ص ١٠٥، وسائل الشيعية، ج ١، ص ٢٨٣، فاضل ج ١.

(٢) كامل زيارات، ص ٦٦، ص ٦٣، ج ١، المنار لتفسيح السيد، ص ٢٢٥، ج ٧، تهذيب الأحكام، ج ٦،

ص ٢٠٢، ج ١، اندرود نواقية، ص ٢٢، وسائل الشيعية، ج ١، ص ٢٢٥، ج ٢، بحار الأنوار، ج ١٠،

ص ١٤، ج ١، ص كامل زيارات.

(٣) كامل زيارات، ص ٢٢٢، ج ٥، ص بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٠٦، ج ٢.

(٤) أنظر: انفعالات الحسينية لسيد حسن السيرافي، ص ٢٢، ٢٤.

(٥) أنظر: أمالي السبح الحسنوقي، ص ١٦، ص ١٦، ج ٢، ص اقبال الأعشى، ج ٣، ص ٢٠، روضة

لواظنين، ص ١٠٢، وسائل الشيعية، ج ١، ص ٥٠٥، ص ١٥٥، ج ٨، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢٨٣.

٢٨٥، ج ١٧، عن الأمالي.

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين عليه السلام وهو مقبل، فأجلسه في حجره، وقال: إنَّ لقتل الحسين عليه السلام حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً. ثمَّ قال أبو جعفر: بأبي قتيل كلُّ عبرة. قيل: وما قتيل كلِّ عبرة؟ قال: لا يذكره مؤمن إلا بكى»^(١). وفي كامل الزيارات عن أبي حمزة، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلِّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي، فإنَّه مأجور»^(٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ تذكَّر مُصَابِنَا وبكى لما ارتكب فينا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، وَمَنْ ذكَّر بِمُصَابِنَا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، وَمَنْ جلس مجلساً يحجي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»^(٣).

وللبكاء على أهل البيت عليهم السلام جميعاً، وعلى الحسين عليه السلام بصورة خاصّة جوانب دنيوية، قد يكون أبرزها الجانب التربوي؛ لأنَّ البكاء على أيِّ شيء لا يكون إلّا بعد انفعال الباكي بالحادث الأليم الذي اكتنف ذلك الشيء، ولكلِّ حادث مجرّم وضحيّة، ومن الطبيعي أن يؤدّي الانفعال إلى تمييز الباكي للضحية ومعاداة المجرم، فهيج فيه الثورة على الظالم والإشفاق على المظلوم، وحيث إنَّ الإمام الحسين عليه السلام ويزيد لم يكونا بطلين وفقاً على طرفي نقيض فاشتبكت مصالحيهما، وتصارعا على حكم مثل كرة الطراد، وإنَّما كان كلُّ واحدٍ منهما يمثل جهةً بلغ فيها الذروة، فتوفّر في معركتهما من المعاني الحيويّة ما لم تتوفر في أيّة

(١) مستدرک الوسائل: ج ١٠ ص ٣١٤.

(٢) كامل الزيارات: ص ٢٠١، ج ٢، عند رسائل ضعيفة: ج ١ ص ٥١ - ٥٧، ج ١٢، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ج ٢ ص ١٣، ج ٢، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٦، ج ٣، عن كامل الزيارات أيضاً.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٢٠٥، ج ١، أمالي الشيخ الصوفي: ص ١٢، ج ٤، رسائل السيف: ج ١ ص ٥٢، ج ٤، عن عيون والأمالي: بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٠١، ج ٦، عن عيون: ج ٥، ص ٢٦٨، ج ١، عن الأمالي.

معركةٍ أخرى، كان البكاء على الإمام الحسين عليه السلام يعني توجيه الباكي نحو جميع الفضائل وإثارته ضدّ جميع الرذائل، ومثل هذه الفائدة السخية لا يمكن أن تحصل من البكاء على أيّ شهيدٍ آخر، ولا من أيّ شيءٍ آخر، سوى البكاء على الإمام الشهيد، كان حريّاً بتأكيدات الأئمة الأطهار عليهم السلام، والمكافأة بذلك الثواب العظيم (الجنة)؛ لأنّه يدفع إلى انتزاع صفات أهل النار وتقمّص صفات أهل الجنة، ولو بعد حين، حين يُتاح للبكاء أن يتفاعل مع الباطن ويخلق فيه أثره التربوي.

وهكذا لا تبدوا الأحاديث السابقة مبالغة في تكثير ثواب البكاء على الإمام الشهيد، ولا تكشف عن مجازفة في جعل الثواب إزاء البكاء عليه، وإنّما تُعبّر عن ثواب البكاء بمقتضى أثر البكاء^(١).

وهكذا داوم الشيعة في كلّ زمانٍ ومكانٍ على إقامة الشعائر الحسينية، يُنقل أن شاباً مؤالياً لأهل البيت عليهم السلام من أهل البحرين، كان مقيماً في بريطانيا لأجل الدراسة، اطلع في يوم من الأيام على كتاب في مذكرات لأحد الضباط البريطانيين كان لها الأثر الكبير في حياته. والحادثة هي أن هذا الضابط حصلت له علاقة مع عائلة عراقية في بغداد من المتدينين، وكان يزورهم بين آونة وأخرى، وهم في المقابل يُحسنون إليه ويضيّقونه في بيتهم، فلما انقضت مدّته ورجع إلى بريطانيا طلب منهم أن يزوروه هناك، وبالفعل ما مرّت الأيام حتّى سافروا إلى بريطانيا، وبعد وصولهم توجّهوا إلى دار الضابط، وكانت واسعة، واقعة في إحدى ضواحي العاصمة، فأفرد لهم بيتاً مستقلاً كان موصولاً بداره، وعيّن لهم خادماً يخدمهم، وكانوا لا يغيبون عن نظره وتفقّده، وفي صباح أحد الأيام استيقظت الزوجة وقالت لزوجها: يا أبا فلان، أشعر بضيق واحتباسٍ صدرٍ وهمٍّ، لا أعلم لماذا؟ فقال الزوج: وأنا كذلك أشعر بهمٍّ وحُزن!!

(١) انظر: انشعاب الحسينية نسيب حسن السيرافي، ص ٥٦ - ٥٧.

فقالت: لعلَّ أحد الأولاد أصابه مكروه، أو أحد الأقارب، أو أحد الأصدقاء. فبينما هم في هذا وأمثاله، إذ صرخت المرأة قائلةً: أبا فلان، عرفت السَّبب!! فقال لها الرجل: وما هو بالله عليك؟ فقالت - وقد ترقرت دموعُها -: دخل علينا شهر محرم كما اعتقد. فقام الرجل مسرعاً ونظر في تقويم الأيام، فعرف أنَّ ما تقوله زوجته صحيح، وأنَّهم في بداية شهر مُحَرَّم الحرام. فقالت: أسفي على وصول هذا الشهر ونحن في هذا المكان البعيد، حيث لا نسمع قراءة ولا نستطيع الذهاب إلى المآتم، وبدأت بالبكاء والنحيب، فقال لها الرَّجُل: لا عليك أنا أقرأ لك شيئاً، ولبس الرجل زيَّ العربي وجلس على مرتفع، وبدأ يقرأ ويندب الإمام الغريب أبا عبد الله الحسين عليه السلام ويكي والمرأة تسمع وتبكي وتندب وتُعزي فاطمة الزهراء عليها السلام حتى انتهى المجلس، فجلسا على الأرض فرحين؛ حيث أديا حقَّ ذلك اليوم من الأيام العشرة الأولى من المحرم، فما مضت مدة حتى طُرِق الباب وإذا بصديقهم يقول لهم: لماذا لم تخبروني بقدوم الضيوف إليكم حتى أقوم بالواجب؟! فقال له الرجل: مَنْ يعرفنا هنا حتى يأتي لزيارتنا؟ فقال له: أنا رأيتُ بعيني النَّاس يدخلون هذا المكان، وهم يلبسون الملابس العربية، ورأيتُ معهم امرأة محتشمة. فبكى الرَّجُل حتى سالت دموعه كُلَّ مسيل، وأخبره أنَّهم أقاموا مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام كما كانوا يفعلون ذلك في العراق، وأنَّ أمثال هذه المجالس يرعاها أهل البيت عليهم السلام، في حياتهم وبعد مماتهم. ورحم الله الأصفهاني، حيث يقول في الأرجوزة نادياً صاحب العصر والزمان عليه السلام في مثل هذه الأيام:

يا غائباً مثأله عيأنه	انهض على اسم الله جلَّ شأنه
يا كعبةَ التوحيد من جور العدى	تهدّمت والله أركانُ الهدى
يا صاحبَ البيتِ ومستجاره	ألا ترى قد هتكوا أستاره
يا شرفَ المشاعر العظام	عطفاً على شعائر الإسلام

يادوحهَ المجدِ العظيمِ شأئُها لهفي لها تقطّعت أغصانُها^(١)
ولا شكَّ أنَّ روحَ فاطمة الزهراء عليها السلام ترفرف في هكذا مجالس، فهي بنظر الرسول
وأهل بيته الأطهار عليهم السلام؛ ولذا نقرأ عزائنا لأُمِّ الزبيح، لأُمِّ المظلوم، نقرأه لأُمِّ الأئمة فاطمة
الزهراء عليها السلام:

كلّ الأهلة تهلّ عليه بفرح وسرور
ودون الأهلة بحزن هلّ هلال عاشور
عاشور هلّ وصارت الضجّة بالأكوان
وناحت جميع الأنبياء والإنس والجان
والمصطفى لأجل الزبيح احسين حزنان
من لاح بأفاق السمه هلالك يعاشور
صارت جميع الناس في ضجّة وحيرة
غالوا انذبح في كربلا شيخ العشيرة
واخته إلى ابن زياد ودّوها أسيره

وسفه على زينب يا وبلي تركب الكور

(أبو ذية)

يا ناعي لو شفت شيعة وساده أخبرهم بالجره عليه وساده
احسين الرمل صايرله وساده ثلث تيام مرّمي على الوطيّة

ياناعياً إن جئت طيبةً مُقبلاً
 عرج على مكسورة الضلع معولاً
 وحدّث بما مضى الفؤاد مفصلاً
 أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً
 وقد مات عطشاناً بشطّ فرات

الحاضرة الثانية

ثَوَابُ الْبُكَاءِ عَلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



خُذْ بِالْبُكَاءِ فَقَدْ أَتَاكَ مُحَرَّمٌ
إِنِّي أَلْفْتُ وَمَا سَمِئْتُ مِنَ الْبُكَاءِ
فَوْقَ الْبَسِيطَةِ لِلْأَنَامِ وَتَحْتَهَا
وَالْحِجْرُ أَعُولَ وَالْمَشَاعِرُ كُلُّهَا
وَتَجَاوَبَتْ بِالنُّوحِ أُنْدِيَّةُ الْعُلَا
وَتَعَاظَمَ الرَّسُلُ الْعَظِيمُ مُصَابِهِمْ
وَالْمُرْتَضَى صَهْرُ النَّبِيِّ وَفَاطِمُ
شَهْرٍ بِهِ شَهْرَتْ أُمِّيَّةٌ مَخْذَمًا
فَعَجِبْتُ حَتَّى قُلْتُ لَمْ لَا حَلَّهْمُ
وَبِعَيْنِهِ زَمَرُ الضَّلَالَةِ أَقْبَلْتُ
لَمْ يَبْقَ لَا بَقِيَتْ عُلُوجُ أُمِيَّةٍ
غَلَّوْا يَدِيهِ وَقَيَّدُوا رِجْلِيهِ وَازَّ
فَلَكُمْ رَأْيَ طِفْلٍ لَا يَنْتُ وَحُرَّةً

وَاعْلَمَ بِأَنَّهُ السَّلَوُ مُحَرَّمٌ
سَمِئْتَنِي الْعِلْيَاءُ إِنَّ أَنَا أَسَمُّ
لِلْجَنِّ فِيهِ لِلنِّاحَةِ مَوْسَمٌ
وَالرُّكْنُ ضُعُضَعٌ وَالْحَطِيمُ وَزَمَزَمٌ
وَالْمُكْرَمَاتُ وَكُلُّ نَادٍ مَائِمٌ
يَوْمٌ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ
وَالْمُجْتَبَى الْحَسَنُ الزَّكِيُّ الْأَشِيمُ
فَتَكَّتْ بِهِ فِي الدِّينِ فَهُوَ مُحَرَّمٌ
غَضِبُ الْإِلَهِ وَكَيْفَ عَنْهُمْ يَحْلُمُ
عَدَوًّا عَلَى حَرَمِ الْإِمَامَةِ تَهْجِمُ
مَنْ أَهْلَ بَيْتِ الْوَحْيِ إِلَّا مُسْقَمٌ
دَحَمُوا عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ
تُسَبَّى وَزَاكِيَّةٌ تُسَبُّ وَتُسْتَمُّ^(١)

(١) القصيدة من نظم العنكب الأديب ترحيم الشيخ كاظم السبتي رحمته الله. قال عنه السيد محمد
الأمير رحمته الله: في أخبار النبوة ج ٩، ص ٥٠. شيخنا كاظم بن عزير علي سبتي البغدادي سجن
المعروف بالشيخ كاظم السبتي، زل في حدود سنة (١٢٥٦ هـ)، وتوفي سنة (١٢٦٦ هـ) في السجن ونهر بهاء
عالم، فاض. أديب، ماهر، خطيب ماهر. وهو خطيب الدارين حسين الحسيني رحمته الله في عصره،
ومقدمهم لا يدان له أحد منهم. يكون الظاهر في مجلس ذكره أقل من ساعة، يصلي فيه فيها
لمستمون بكنهم وبغير مثل، ويستقيرون ويخبر منهم بعبود... عالم الغيبة، ينظم في حياته
باللغة الفصحى فلا يلحق... وأنه يراى شعر كثير في المراتي الإمامية وأيده في المحف الأنوار
بحفظ بعض أولاده...

عزّاؤنا لإمامنا المهدي عليه السلام في هذه الليلة وللموالين:

يا ابن العسكري حاله	كلبك هالمسيه شلون
بين بالسّمه هلاله	ابعينك من شفت عاشور
كلبك ما جزع صبره	يالبلواك بلوه أيوب
لاچن تسچب بعبره	عين الثار تترباك
يغايب عينك اتظره	اشلون اهلال المحرم
ابنحره فتك سهم البين	بيه اشچم طفل حسين

مثلك من صبر عالدين

لو صبرك على المسكون هده وزلزل أجاله

إنّا لله وإنّا إليه راجعون

عن سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين علي بن الحسين السّجاد عليه السلام، قال: «أيها مؤمن دَمِعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دَمْعَةً حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدَيْهِ بَوَّاهُ اللهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا»^(١).

العجبُ كُلُّ العجبِ ممّن يزعم أنّ المعصوم عليه السلام لا يبكي، أو أنّ البكاء لا يليق به وليس من شأنه، فإذا خطر مثل هذا في البال فهو وهمٌ صرف؛ إذ إنّ البكاء والرقّة من صفات المعصوم، كما أنّ الرحمة والرقّة مودعة في قلب كُلِّ نبيٍّ وكلِّ معصوم، بل وكلِّ مؤمنٍ، فضلاً عن خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله، وقد دلّت الأخبار على أنّه صلّى الله عليه وآله بكى في مواطن كثيرة: منها: يوم أحد، وذلك عندما رأى عمّه حمزة قتيلاً، ورأى ما مثّل به شهق.

(١) كامن الزيارات، ص ٢٠١، ثوب الأعمال، ص ٨٢، تيسير نفسي، ج ٢، ص ٢٩١، عند بحار الأنوار:

قال ابن أبي الحديد: إنَّ النبي ﷺ كان يومئذٍ إذا بكت عَمَّتُهُ صفية يبكي، وإذا نشجت ينشج، وكذلك لما رأى ابنته فاطمة تبكي على عَمِّها بكى^(١). وروى أيضاً: أنَّ النبي ﷺ لما رجع من أحد فجعلت نساء الأنصار يبكين على مَنْ قُتِل من أزواجهن، فقال ﷺ: «ولكن [عمي] حمزة لا بواكي له»، ثُمَّ نام وانتبه وهُنَّ يبكين، قال: «فَهُنَّ اليوم إذا بكين يندبن حمزة»^(٢).

ومنها: بكاءه على جعفر بن أبي طالب عليه السلام يوم مُؤْتَةَ لما قُتِل^(٣).

ومنها: لما أُصِيبَ زيد بن حارثة انطلق النبي ﷺ إلى منزله، فلما رآته ابنةُ زيد أجهشت بالبكاء، فسالت دمعته^(٤).

ومنها: بكاءه عند موت ولده إبراهيم، فقيل له: أتبكي وأنت رسول الله؟ فقال ﷺ: «إنَّها أنا بشرٌ مثلكم، تدمع العين ويحزن القلب، ولا أقول ما يُغضب الربَّ، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم، لمحزونون»^(٥).

ومن أهمِّ هذه المواطن بكاءه على الإمام الحسين عليه السلام، فقد بكى على الإمام الحسين عليه السلام عدَّة مرات:

منها: قبل ولادته، وذلك لما هبط عليه جبرائيل عليه السلام قال: يا مُحَمَّدُ، يُولد لك ولد تقتله شرارُ أُمَّتِكَ، فبكى، وقال: «لا حاجة لي فيه»، فقال جبرائيل: يا رسولَ الله، إنَّ الإمامة تكون فيه وفي ولده، فسكت ﷺ^(٦).

ومنها: بكاءه عند ولادته، وذلك لما جاءت به صفية بنت عبد المطلب تحمله، أخذه وشمَّه ثُمَّ بكى، فقالت له صفية: يا رسولَ الله، وما هذا البكاء؟! فقال لها ﷺ: «إنَّ ولدي

(١) انظر: شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٧.

(٢) البداية والنهاية، ج ٤، ص ٥٤. السيرة النبوية (ابن كثير)، ج ٣، ص ٢٢. ونفوس الأسد الفداء، ج ٢، ص ٥٤.

(٣) تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٩.

(٥) مسحح البخاري، ج ٢، ص ٨٦. تفسير، ج ٢، ص ١١. المحلى، ج ٥، ص ١١.

(٦) انظر: الإمامة والتبصرة، ص ٥٢. كامل الزيارات، ص ١٢٣ - ١٢٤، ج ٥.

هذا تقتله شرارُ أُمّتي، لا تخبري ابنتي فاطمة فإنّها جديدة عهد بولادته»^(١).

ومنها: بكاؤه ﷺ لما دخل على فاطمة ورأى الحسين ﷺ يبكي في المهد، فقال ﷺ: «بُنية سكتيه، فإنّ بكاءه يؤذيني»، ثمّ بكاه، وكان ﷺ كلّمًا نظر إليه يبكي، وإذا رآه في يوم عيد يبكي، وإذا رآه يلعب يبكي، وكان ﷺ يقول: «طمئنيتي حسين، روعي التي بين جنبي، حسينٌ مِنّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً»^(٢).

وروي أنّه دخل الحسن وأخوه الحسين على النبي ﷺ يوماً فشَمَّ الحسن ﷺ في فمه وشَمَّ الحسين ﷺ في نحره، فقام الحسين ﷺ وأقبل إلى أمّه، فقال لها: «أماه شَمّي فومي هل تجددين فيه رائحة يكرهها جدّي رسول الله ﷺ؟» فشَمّته في فمه، فإذا هو أطيب من المسك، ثمّ جاءت به إلى أبيها، فقالت: «أبه، لم كسرت قلب ولدي الحسين ﷺ؟».

فقال ﷺ: «مم؟» يعني كيف إنّي كسرتُ قلب الحسين ﷺ؟، قالت: «تشَمَّ أخاه في فمه، وتشَمّه في نحره؟!» فلمّا سمع قولها ﷺ بكى، وقال: «بُنية، أما ولدي الحسن فإنّي شَمّته في فمه؛ لأنّه يُسقى السّم فيموتُ مسموماً، وأما الحسين ﷺ فإنّي شَمّته في نحره؛ لأنّه يذبح من الوريد إلى الوريد»، فلمّا سمعت فاطمة بكت بكاءً شديداً، وقالت: «أبه، متى يكون ذلك؟» فقال: «بُنية في زمانٍ خالٍ مِنّي ومنك ومن أبيه وأخيه»، فاشتدّ بكاؤها، ثمّ قالت: «أبه، فمن يبكي عليه ومن يلتزم بإقامة العزاء عليه؟» فقال لها: «بُنية فاطمة، إنّ نساء أُمّتي يكون على نساء أهل بيتي، ورجاهم يكون على ولدي الحسين ﷺ وأهل بيته، ويُجدّدون عليه العزاء جيلاً بعد جيل، فإذا كان يومُ القيامة أنت تشفعين للنساء وأنا أشفع للرجال، وكلّ من يبكي على ولدك الحسين ﷺ أخذنا بيده وأدخلناه الجنة»^(٣).

(١) أنظر: أمالي نضيف تصديق: ص ١٩٤، ج ٦.

(٢) أنظر: نزهة الأخبار: ج ٢، ص ٥٠ - ٥١، ج ١٠، ص ١٠٦، مناقب أبي طالب: ج ٢، ص ٢٢٠، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ٢٠١، المعجم الكبير: ج ٢، ص ١١٠، ج ٢٥٧، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠، ص ١٠١، سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٥٤، بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٢٦٥ - ٢٦٦، ج ٥، أنظر: بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٢٦٦ - ٢٦٧، النور (الامام الحسين)، ص ٥٢، ج ٩، الأسرار العظيمة: ص ٥٢.

وقال عليه السلام: «ألا وصلّى الله على الباكين على الحسين بن علي عليه السلام»^(١).

فرسول الله ﷺ تراه تارة يدعو للباكي على الحسين عليه السلام، وأخرى يُخبرُ بفضل الباكي عليه وما له يوم القيامة من الأجر؛ لقوله عليه السلام: «كُلَّ عَيْنٍ بَاكِيةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنَ بَكْتِ عَلِيٍّ وَلَدِي الْحُسَيْنِ، فَإِنَّهَا ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ»^(٢)، وروى العلامة المجلسي عليه السلام قال: حكى السيد علي الحسيني قال: كُنْتُ مُجَاوِرًا فِي مَشْهَدِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرضا مع جماعة من المؤمنين، فلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ مِنَ الْمَحْرَمِ عَقَدْنَا مَأْتَمًا لِلْحُسَيْنِ عليه السلام، فابتدأ رجلٌ مِنَّا يقرأ مقتل الحسين عليه السلام، فقرأ روايةً عن الإمام الباقر عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ بِالْدمِوعِ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ وَلَوْ كَانَ مِثْلَ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ غُفِرَ اللَّهُ ذَنْبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٣)، وكان في المجلس معنا رجل يدّعي العلم ولا يعرفه، فقال: ليس هذا صحيحاً وإنَّ العقل لا يقبله. قال: وكثر البحث بيننا، ثُمَّ افترقنا وهو مُصَّرٌّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا نَامَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ رَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ وَحُشِرَ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَامْتَدَّ الصِّرَاطُ وَوُضِعَ لِلْحِسَابِ، وَنُشِرَتِ الْكُتُبُ، وَأُسْعِرَتِ النَّيرانُ، وَزُخِرَتِ الْجَنَانُ، وَاشْتَدَّ الْحَرُّ عَلَيْهِ وَعَطَشَ عَطَشًا شَدِيدًا، فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْمَاءَ فَلَا يَجِدُهُ، فَالْتَفَتَ هُنَاكَ وَإِذَا بِحَوْضٍ عَظِيمٍ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَذَا الْكُوْثَرُ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَإِذَا عَلَيْهِ رَجُلَانِ وَامْرَأَةٌ، أَنْوَارُهُمْ مَشْرِقَةٌ، لَابِسِينَ السَّوَادَ، قَالَ: فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ، فَقِيلَ لِي: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَذَا عَلِيُّ ﷺ، وَهَذِهِ فَاطِمَةُ ﷺ، فَقُلْتُ: إِذَا لِمَاذَا لَابَسِينَ السَّوَادَ؟

فَقِيلَ لِي أَلَيْسَ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمُ قُتْلِ فِيهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام؟!!

قال: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِمْ، وَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ: سَيِّدَتِي إِنِّي لِعَطْشَانٌ، فَنَظَرَتْ إِلَيَّ شَرًّا^(٤) وَقَالَتْ

(١) تيسير الامام العسكري عليه السلام: ص ٣٠٩، بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٣٠٩، ج ١٧، نزهة المجالس: ص ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٢٦٣، مجمع: ص ٣٧، العوالم (الإمام الحسين): ص ٥٢، ج ٩.

(٣) أنظر كتاب الزيارات: ص ٢٠٧، ج ٩.

(٤) تيسير: نظرت فيه اعتراض. كذا في المعاني: تيسير: ص ٢٦١، ج ٢٣.

لي: أنت الذي تُنكر فضل البكاء على الحسين، والله لن تذوق منه قطرة واحدة حتى تتوب مما أنت عليه. يُقال: فانتبه من نومته فزعاً مرعوباً، وجاء إلى أصحابه وقصَّ عليهم رؤياه، وقال: والله يا أصحابي، أنا ندمتُ مما صدر مني، وأنا تائبٌ عما كنتُ عليه^(١).

أقول: إخواني المؤمنين الحذر الحذر من أن يكون الإنسان يتعرض لرفض الروايات التي لا تناسب ذوقه، فانظر إلى موقف الزهراء عليها السلام مع هذا المدعي للعلم كيف كان؟! فإن إقامة العزاء والمآتم والبكاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام مما هو مندوبٌ إليه في الشريعة الإسلامية، وقد ذكرتُ جملةً من المواطن التي بكى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام، وفي هذه الليلة ليلة الأول من شهر محرم الحرام هي ليلة تجدد الحزن والبكاء على سيد الشهداء عند الأئمة عليهم السلام. وهناك مواقف في غاية الحزن لأهل البيت عليهم السلام عندما كان يحل شهر محرم الحرام.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلبُ عليه حتى تمضي عشرة أيام منه، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين^(٢)»، وكان عليه السلام يطلبُ من الشعراء أن يرثوا الحسين عليه السلام بما جادت قرائحهم، وكان يأمرهم أن ينشدوا بصوتٍ حزينٍ، فإذا حضر الراثي ضربَ لعياله سِترًا وأجلسهم خلفه^(٣)، وكان الإمام الصادق عليه السلام يُشجّع الشعراء على نظم الشعر في الحسين عليه السلام بأقواله الكثيرة، كقوله عليه السلام: «ما من أحدٍ قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة، وغفر له^(٤)».

(١) أنظر: بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٦٣، ج ٥٤.

(٢) أماني نقيب الصوفى: ص ١٦، ج ٢. روضة الواعظين: ص ١٠٦، اقبال الأعفان: ج ٢ ص ٢٨، بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٨٣، ج ١٧، عن الأماني، معزاليم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢٨، ج ١، وسائل الشيعة: ج ١ ص ٥١، ج ٤.

(٣) أنظر: بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٥٧، ج ١٤.

(٤) أنظر: كامل الزيارات: ص ٢٧، الباب (٣٢) وهو الباب المسمى بـ (من قال في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى)، وذكر هذا الحديث سبعة.

دخل عليه ذات يوم السيد الحميري عليه السلام^(١)، فقال له الإمام: أنشدني في الحسين شعراً. وقام الإمام وضرب ستراً لنسائه وأطفاله، وأجلسهم خلف الستر، وجلس هو وأصحابه حزيناً باكياً على مصيبة جدّه الحسين عليه السلام.

يقول السيد الحميري فأنشأت:

أمرُّ على جدِّ الحُسَيْن	فقل لأعظمه الزكيه
يا أعظماً لازلّت من	وظفَاء ساكبةً رويّه
وإذا مررت بقربره	فأطل به وقف المطيّه
وابك المطهر للمطهر	والمطهره التقيّه
كبكاء معلّية أتت	يوماً لواحدِها المنّيّه

يقول الحميري عليه السلام: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدّروا على خديه، وارتفع الصّراخ من داره حتّى أمرني بالإمساك.

وكان الإمام الصادق عليه السلام إذا مرّت عليه مصيبة يتذكّر مصيبة جدّه الحسين عليه السلام، ويذكرُ بها أصحابه، من ذلك: لما أمر المنصور الدوانيقي عامله على المدينة أن يحرق على أبي عبدالله الصادق عليه السلام داره، فجاءوا بالخطب فوضعه على باب دار الإمام وأضرموا فيه النار، فلمّا أخذت النار ما في الدهليز تصايحت العلويّات داخل الدار، وارتفعت أصواتهنّ، فخرج الإمام عليه السلام وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان، فجعل يُحمدُ النار ويُطفئ الحريق حتّى قضى عليها، فلمّا كان الغدّ دخل عليه بعضُ شيعته يسألونه فوجدوه حزيناً باكياً، فقالوا: ممّن هذا التّأثر والبكاء؟ أمّن الجرأة عليكم أهل البيت، وليس منهم بأول مرّة؟!

(١) الحميري: «هو السّعيد بن محمد بن يزيد بن زبيدة، ولد سنة ١٠٥ هـ ببغداد، ونشأ في نخبة في حضرة زائدة الجبّيين: إلى أن قتل وسر، فخرجهما حتّى مات والداه. ثمّ عاد بنصرته إلى كعبة، وتوفي في الرميّة ببغداد في جمادى سنة ١٦٣ هـ. الخلب معروف في تاريخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأنّه بينه لعصوين عليه السلام» أنظر: هامس الدّر السّعيد، ص ٣٢٧.

فقال الإمام عليه السلام: لا، ولكن لما أخذت النار ما في الدهليز نظرتُ إلى نسائي وبناتي يتراكن في صحن الدار من حجرة إلى حجرة، ومن مكانٍ إلى مكانٍ، هذا وأنا معهنَّ في الدار، فتذكرتُ فرار عيال جدِّي الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، من خيمةٍ إلى خيمةٍ، ومن خباءٍ إلى خباءٍ، والمنادي يُنادي: أحرقوا بيوت الظالمين^(١).

نادى ابن سعد جرَّوها الخيام	ولترحمون هل النسوة واليتام
ولكم كل أهل هلييت ظلام	اويزيد اليوم منهم ياخذ الدين
غدت زينب تنادي الغوث يا ياب	عليه الحگ يحيدر داحي الباب
يبويه گوم طفي نار الأطناب	يبويه أنت غياث المستغيثين
عجيبه اشلون ظلت بيهن أرواح	بواجي وخوف دگ ولطم وصياح
بجت زينب وصفگت راح بالراح	صاحت آه يا روعي اشحملين

(بحراني)

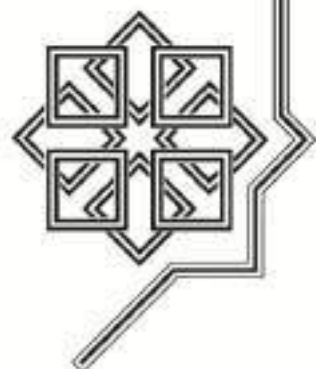
من شبَّوا النيران فَرَّتْ كُلُّ الْعِيَالِ
 بس العقيلة اتحيَّرت والدمع همَّال
 نادى عدوها اشحيرج يربات الادلال
 نادى ومثل المطر يهمل مدمع العين
 عدنه عليل إمن المرض ما يگدر ايگوم
 نايم طريح وسادته بالخيم يا گوم
 هوَّه البجيه من نسل هاشم ومخزوم
 وهو الشريدة الي بگت من نسل الحسين

(١) مجمع مصنفات أهل البيت عليه السلام: ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧١.

ألا يا كرامَ الحي غبتم جميعكم وخلفتموا بالطفّ تبكي نساؤكم
حواسر بين القوم تدعوا وراءكم أحباي لو غير الحمام أصابكم
عتبت ولكن ما على الموت معتب

الحاضرة العالمة

نكت العبد



يا وَفَعَةَ الطِّفِّ كَمْ أوقدتِ في كبدي
وَطيسَ حُزنٍ ليومِ الحشرِ مسجورا
كأنَّ كُلَّ مكانٍ كربلاءُ لدى
عيني وكُلَّ زمانٍ يومُ عاشورا
لهفي لظامٍ على شاطي الفراتِ قضى
ظمانَ يرنو لعذبِ الماءِ مقررورا
لا غرو إن كسفت شمس الضُّحى حُزنا
على من اقتبست من نوره نورا
يا ليتَ عينَ رسولِ الله ناظرةً
رأسَ الحسينِ على العسالِ مشهورا
وجسمه نسجت هوجُ الرياح له
ثوباً بقاني دمِ الأوداجِ مزرورا
إن يبقَ ملقى بلا دفنٍ فإنَّ له
قبراً بأحشاءِ مَنْ والاّه محفورا
لم يشفِ أعداءه مثلَ القتلِ فابتدرتُ
تجري على جسمه الجُرْدُ المحاضيرا
ويل ابن أكلة الأكبادِ كم جلبت
يدها للدين كَسراً ليسَ مجبورورا
لم يكفه قتله أبناءُ فاطمةٍ
حتَّى سبا الفاطمياتِ المقاصيرا
لهفي على خفراتِ المصطفى هُتكتُ
أستارُها بعد ما عُوِّدُن تحديرا
ينظرون رؤوسَ قتلاهنَّ سائرةً
إمامُها بينها السجَّادُ مأسورا
مَنْ بلغ المرتضى أنَّ العدى صدعت
أهليه نصفين مقتولاً ومقهورا^(١)

(١) القصيدة لسبح عبد الحسين الأسدي رحمه الله. جاء في ترجمته: «هو الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد علي بن الحسين بن محمد الأعظم الزيدي الحلي. عالم فقيه، أصلي، محقق، مؤلف، أديب، شاعر، مُنقِّح مشهور. وقد ولد سنة (١٢٧٧ هـ) وتوفي سنة (١٣٢٧ هـ) بأطباعٍ العام في النجف الأشرف. له كتاب (ذريعة الإلهام إلى أحكام شرائع الإسلام)، وله مراثي في سيدنا محمد - أبي عبد الله الحسين عليه السلام مشهورة بماتة وله «أغنية هاشم النور العتيق» ص ١٧.

(هجري)

شيعتي نصبوا المآثم والعزا المصيّتي
 واذكروا التعفير خدّي بالتراب اودبحتي
 لو شربتوا الماي اذكروني العطش فتّ مهجتي
 واكصدوني الكربله والكلّ يسحب عبرته
 لو تشوفوني يشيعه اعله الثره مرمي طريق
 خدّي متوسّد ترايب والدمه منّي يسبح
 شيعتي وليّ قطع ظهري اونحل مني الكوه
 وحدتي من طاح يم النهر شيال اللوه
 شيعتي كثروا البچه حگي عليكم والنحيب
 شفتوا مثلي بالخلگ مذبح عطشان او غريب
 والچفن سافي يشيعه اوبالدمه شيبّي خضيب
 والحرير نصب عيني من خدرها امشته

(مجاريد)

بحسين يخبرها اويگلها	وين الذي الهاشم يصلها
او حريمه حرگت كوفان ظلها	بالطفّ بگه اشبيح النبها
ذليّات محّد يرحم إلهها	سيّات ما واحد يجلها
مصيبة فلا صارت مثلها	اعرضوهن على البلدان كلّها

(أبو ذية)

صدغ زينب ييو الحسنين تنساب عغب عزها يحامي الجار تنساب
هاي أم الحزن بالحسب تنساب الجدها المصطفى سيد البرية

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلِنْ تَكُونُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(١).

لقد كانت سيرة رسول الله ﷺ قبل نزول سورة براءة (التوبة) أن لا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه.

ولكن لما نزلت عليه سورة التوبة، وأمره تعالى بقتل المشركين، من اعتزله ومن لم يعتزله، إلا الذين عاهدكم ﷺ يوم فتح مكة إلى مدة، منهم: صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، فقال الله عز وجل: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر *، ثم يقتلون أينما وجدوا بعد أشهر السياحة، وهي: عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرة من ربيع الآخر.

فلما نزلت الآيات من سورة براءة دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة ويقراها على الناس بمنى يوم النحر، فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: «يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك».

فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علياً في طلب أبي بكر، فلحقه بالروحاء^(٢) وأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أنزل الله في شيئاً فقال: لا، إن الله أمرني أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني^(٣).

(١) تنبيه: ينفذ.

(٢) قال الحميني (في معجم البلدان) ج ٢ ص ١٠: «الروحاء من الكبي. قال: لما رجع علي من فدان أهل المدينة يريد مكة نزل بالروحاء. فقام بها وإراج حسنها الرجاء».

(٣) «التفسير الصافي» ج ٢ ص ٣١٦ - ٣١١. نهاية السراج: ج ٥ ص ١٠٠. بحار الأنوار: ج ٣ ص ٢٦٢.

وَرُوِيَ عَنْ حَرِيزٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ مَعَ بَرَاءَةَ عَلَى الْمَوْسِمِ لِيَقْرَأَهَا عَلَى النَّاسِ، فَنَزَلَ جَبْرِئِيلُ فَقَالَ: لَا يَبْلُغُ عَنْكَ إِلَّا عَلِيٌّ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيًّا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ نَاقَتَهُ الْعُضْبَاءَ وَيَلْحَقَ أَبَا بَكْرٍ فَيَأْخُذَ مِنْهُ بَرَاءَةَ، وَيَقْرَأَهَا عَلَى النَّاسِ بِمَكَّةَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَسْخَطُ؟ فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ إِلَّا رَجُلٌ مِنْكَ. وَفِي رَوَايَةٍ: وَلَمَّا رَجَعَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله جَزَعُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَهْلَتَنِي لِأَمْرِ طَالَتِ الْأَعْنَاقُ فِيهِ، فَلَمَّا تَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ رَدَدْتَنِي مِنْهُ؟ فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «الْأَمِينُ هَبَطَ إِلَيَّ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُ لَا يُوَدِّي عَنْكَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ، وَعَلِيٌّ مَنِّي وَلَا يُوَدِّي عَنِّي إِلَّا عَلِيٌّ»^(١).

وَعَزَّلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لِأَبِي بَكْرٍ وَبَعَثَهُ لِعَلِيِّ عليه السلام إِنَّمَا كَانَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ نَزَلَ بِهِ جَبْرِئِيلُ عليه السلام، مِمَّا يَكْشِفُ عَنِ الْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمَفْسُرُونَ فِي عَدَدِ الْآيَاتِ الَّتِي بَعَثَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بِيَدِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقِيلَ ثَلَاثِينَ آيَةً، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ، وَقِيلَ ثَلَاثَ عَشْرَةِ آيَةٍ^(٢).

وَكَيْفَ كَانَ، فَإِنَّ الْآيَةَ مَحَلَّ الْبَحْثِ (وَهِيَ آيَةُ ١٢) مِنَ السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ كَانَتْ مِنْ ضَمَنِ الْآيَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِقَرَاءَتِهَا عَلَى الْحَجَّاجِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجْرَةِ، إِلَّا عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْآيَاتَ الْعَشْرَ الْأُولَى فَقَطْ هِيَ الَّتِي كَانَتْ مَوْرِدَ التَّبْلِيغِ وَالْإِعْلَامِ^(٣).

وَالْآيَةُ مَحَلَّ الْبَحْثِ جَاءَتْ ضَمْنَ آيَاتٍ عَرْضَهَا الْبَارِي عز وجل فِي السُّورَةِ الْمُبَارَكَةِ، حَيْثُ جَاءَتْ الْآيَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي مُقَابَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾، أَيْ لَا يَخْلُو الْأَمْرُ مِنْ أَحَدٍ وَجْهَيْنِ:

فَإِمَّا أَنْ يَتَوَبَّعُوا وَيَعْرِضُوا عَنِ الشَّرْكِ، وَيَتَّجِهُوا نَحْوَ اللَّهِ.

وَإِمَّا أَنْ يَسْتَمَرُّوا عَلَى طَرِيقِهِمْ وَنَكَثَ أَيْمَانَهُمْ. فَفِي الصُّورَةِ الْأُولَى هُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي

(١) تفسير مجمع البيان: ج ٥، ص ٦ - ٧. تفسير الميزان: ج ٩، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) أنظر: التفسير الكبير (مفتاح الغيب): ج ١٥، ص ٢١٩.

(٣) أحكام في ميزان من مدرك المتن البيهقي: أنصار الميزان: ج ٩، ص ١٠٣.

الدين، وفي الصورة الثانية ينبغي مقاتلتهم^(١).

والأمر بالمقاتلة جاء بعد الجملة الشرطية (النكث) و(الطعن)، بمعنى متى ما رأيت يا رسول الله هؤلاء الجماعة - من المخالفين لكم في العقيدة والمبدأ - قد نكثوا الأيمان والعهود، وطعنوا في دينكم، فلا مانع من قتالهم؛ لأنهم هم الذين بدؤوا باختيار طريق الحرب والقتل، بسوء اختيارهم وإرادتهم.

ما هو النكث والطعن في الدين؟

النكث في اللغة: هو نفس النقض، تقول: فلان نكث عهده إذا نقضه بعد إحكامه، كما ينكث خيط الصوف بعد إبرامه، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ قُوَّةٍ أَنْكَثَ﴾. والأيمان جمع يمين بمعنى الحلف والقسم^(٢).

وأما الطعن: فهو يأتي بمعانٍ متعددة، ولكن بما أنه أضيف إلى الدين فمعناه الإيقاع في الدين بالقول والقدح فيه^(٣).

ومما يسترعي الانتباه أن الآيات محل البحث لا تقول: (قاتلوا الكفار) بل تقول: ﴿فَقَتِّلُوا آيْمَةً الْكُفْرِ﴾، وهي إشارة إلى أن القاعدة الجماهيرية وعامة الناس تبع لزعمائهم ورؤسائهم، فينبغي أن يكون الهدف القضاء على رؤسائهم وأئمتهم؛ لأنهم أساس الضلال والتضليل والظلم والغدر، فاستأصلوا شجرة الكفر من جذورها وأحرقوها، فمواجهة الكفار لا تجدي نفعاً ما دام أئمتهم في الوجود، أضف إلى ذلك أن هذا التعبير يُعدُّ ضرباً من ضروب النظرة البعيدة المدى، وعلو الهمة، وتشجيع المسلمين؛ إذ عدُّ أئمة الكفر في مقابل المسلمين، ليوажوهم فذلك أجدر من مواجهة من دونهم من الكفار.

(١) انظر: تفسير "المعجم" ج ٥ ص ٤٠٥.

(٢) انظر: تفسير "الكبير" (مفاتيح الغيب) ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) انظر: مجمع "البحرين" ج ٦ ص ٢٢٧.

والعجيب أنَّ بعضَ المفسِّرين يرى أنَّ هذا التعبير يراد به أبو سفيان وأمثاله من زعماء قريش، مع أنَّ جماعةً منهم قُتلوا في معركة بدر، وأسلم الباقي منهم، كأبي سفيان بعد فتح مكة - بحسب الظاهر - وكانوا عند نزول الآية في صفوف المسلمين، فمقاتلتهم لا مفهوم لها. واليوم ما يزال هذا الدستور القرآني المهم باقياً على قوّته (ساري المفعول)، فلكي نزيل الاستعمار والفساد والظلم لا بدّ من مواجهة الرؤساء والمتكبِّرين وأئمّة الانحراف، وإلا فلا جدوى من مواجهة مَنْ دونهم من الأفراد^(١).

من هم الناكثون؟

لقد اختلف المفسرون في تحقيق المراد من الناكثين في الآية المباركة، فذهب البعض إلى أنَّ المقصود هو أبو سفيان وأمثاله من زعماء قريش، وذهب البعض الآخر إلى أنَّ المراد اليهود والنصارى، وقال بعضهم إنَّ المراد الفرس والروم.

أمّا كون المراد هو أبو سفيان وأمثاله، فقد تقدّم بيان تأخّر الآية عن وقت إسلامهم الظاهري، فلا يمكن أن تكون الآية ناطرة إليهم على وجه التحديد؛ لعدم شمول اللفظ لهم، ونزول الآية في السنة التاسعة للهجرة.

وأما كونهم الفرس أو الروم فهو بعيد جدّاً عن مفهوم الآية أو الآيات؛ لأنَّ الآية تتكلّم عن مواجهة فعلية لا على مواجهات مستقبلية. أضف إلى ذلك أنَّ الفرس أو الروم لم يهّموا بإخراج الرسول من وطنه، كما أنَّ الاحتمال بأنَّ المراد هم المرتدّون بعد الإسلام بعيدٌ غاية البعد؛ لأنَّ التاريخ لم يتحدث عن مرتدّين أقوياء واجهوا الرسول ذلك الحين؛ ليقاتلهم بمن معه من المسلمين.

ثمَّ إنَّ كلمة (أيان) - جمع (يمين) - وكلمة (عهد) يشيران إلى المعاهدة بين المشركين والرسول على عدم المخاصمة لا إلى قبول الإسلام^(٢).

(١) انظر: تفسير المفسر: ج ٥ - ص ٤٠٥.

(٢) انظر: المصدر السابق: ج ٥ - ص ٤٠٧.

وهناك روايات عديدة طُبِّقَت الآية المباركة على أصحاب الجمل من الناكثين وأمثال ذلك.

منها: ما عن حنان بن سدير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «دخل عليَّ أناسٌ من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير، فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر، إنَّ علياً عليه السلام يومَ البصرة لما صفَّ الخيل، قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أَعذر فيما بيني وبين الله عز وجل وبينهم، فقام إليهم، فقال: يا أهل البصرة، هل تجدون عليَّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا. قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم عليَّ فنكشتم بيعتي؟ قالوا: لا. قال: فأقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟ قالوا: لا. قال: فما بال بيعتي تُنكث وبيعة غيري لا تُنكث، إنِّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف.

ثمَّ ثنى إلى أصحابه، فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، واصطفي محمدًا عليه السلام بالنبوة، إنَّهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا مُذْ نزلت»^(١).

وفي مضمونها هناك روايات أخرى تشير إلى نفس المعنى المذكور^(٢)، ومجرّد تطبيق هذه الرواية وغيرها على الآية على أصحاب الجمل لا يعني أنَّها نزلت فيهم؛ لوضوح تقدّم الآية على الحادثة، بل المقصود أنَّ روحها وحكمها يصدقان في شأن الناكثين، ومن هم على شاكلتهم، ممَّن سيأتون في المستقبل، وإنَّها المقصود من الذين نزلت فيهم الآية المباركة هم

(١) قرب الإسناد، ج ٢، ص ٢٧٧، ج ٣، ص ٣٦٦، تفسير العباسي، ج ٢،

ص ٦٧، ج ٥، ص ٢٢٠، مسهب التفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٢٠، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ١٠٨، ١٠٩،

ج ١٠، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٨٨، ج ١٢٣، ص ١٢٣، تفسير العباسي.

(٢) انظر: تفسير البيهقي، ج ٣، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

المشركون، الَّذِينَ نقضوا عهودهم الَّتِي أبرموها مع الرسول الأكرم ﷺ.
فالمقصود هم المشركون الَّذِينَ عاهدوا النَّبِيَّ ﷺ في الحُدُيبية ونقضوا، بأنَّ أظهرُوا بني بكر على خزاعة، وقد كانت خزاعة في عهد النَّبِيِّ ﷺ وبنو بكر في عهد قريش^(١).
ولكن مع بيان أنَّ المقصود هؤلاء فهذا لا ينافي تطبيق الآية على كُلِّ مَنْ تمثَّل بهم، ونهج منهجهم، كما طَبَّقَ ذلك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة والزبير، أو الناكثين بصورة عامَّة، وروي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام.

وكذلك طَبَّقَ الإمام الحسين عليه السلام مضمون الآية على يزيد لعنه الله وحزبه الظالمين المخالفين الناكثين، وذلك عندما انطلق نحو العراق، ونزل بمكان يسمَّى (بيضة) وخطب بأصحابه وأصحاب الحرِّ خُطبةً قال فيها: «أيُّها الناس، إنَّ رسول الله ﷺ قال: مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لحرام الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغَيِّرْ عليه بفعل ولا قول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشَّيْطَان، وتركوا طاعة الرَّحْمَنِ، وأظهروا الفساد وعطَّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلُّوا حرام الله وحرَّموا حلاله وأنا أحقُّ من غيري»^(٢).

فالإمام يرى يزيد - لعنه الله - ومَنْ شابهه من أئمة الكفر الَّذِينَ لا أيمانَ لهم وأنَّ قتالهم واجبٌ، فالإمام عليه السلام ترك مدينة جدّه المصطفى ﷺ بهذه الصورة الواضحة عنده.

ولقد كان يوم خروج الإمام الحسين عليه السلام من مدينة جدّه ﷺ أعظم يوم على الهاشميين والهاشميات؛ إذ إنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان سلوةً لهم عن جدّه رسول الله ﷺ وعن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وعن أخيه الحسين عليه السلام، فأقبلت الهاشميات ونساء بني عبد المطلب إلى دار الحسين عليه السلام؛ لوداعه والتزوُّد منه ووداع عيالاته وأطفاله، فجعلن يكيّن ويندبن، فمشى فيهنَّ الحسين عليه السلام وقال: «أُنشِدُكُنَّ الله، لا تبدين هذا الأمر لأنَّه معصية الله

(١) أنظر: تفسير ليزان: ج ٩، ص ١٥٣.

(٢) سيرة الأئمة: ص ١٠٣ - ١٠٤.

ولرسوله. فقلن: يا أبا عبد الله، فعلى من تبقى النياحة والبكاء بعدك؟ وهذا اليوم عندنا
 كيوم مات فيه رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن ﷺ، جعلنا الله فداك يا حبيب
 الأبرار». وبعد ذلك توجه الإمام الحسين ﷺ إلى أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها)
 وأخبرها بقتله، وقال لها: «يا أمّاه، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدّ، وإني والله،
 لأعرف اليوم الذي أقتل فيه وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وأعرف
 من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أمّاه، أريك حفرتي ومضجعي». ^(١)
 يُقال: ثم أشار بيده الشريفة إلى جهة كربلاء، فانخفضت الأرض بإذن الله حتى أراها
 مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، فعند ذلك بكت أم سلمة، وسلّمت أمرها إلى الله.
 فقال لها الحسين ﷺ: «يا أمّاه، قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبحاً ظلماً وعدواناً، وحرّمي
 ورهطي ونسائي مسبين وأطفالي مشرّدين».

ثم عرج على قبر جدّه المصطفى ﷺ؛ ليوّدعه ويتزوّد منه ويطلب منه أن يأخذه معه
 إلى اللحد، وكأني بالشاعر يصف ذلك، فيقول:

لمن راد أبو السجّاد	يرحل عن وطن جدّه
راح الحضرته يزوره	اويشجي من الهظم عنده
تعتّاله بظلام الليل	يشجي الهظم ويودعه
يجدي اشتدت الشدة	علينه من عگب عيناك
اوصارت تنقم منه	يجدي أهل الدواهي عداك
يو إبراهيم يا جدي	خذي للحد وياك
تراني من الهظم خلصان	كلبي اوبيه تشب نيران

يجدي اوبالحزن غرگان

(١) انظر: الهداية النخبة، ص ٢٠٣.

واخلص لورحت وياك

يگلّه اودمعتّه بخدّه^(١)

وصل ويلي الكبر جدّه اوبچه حسين

يودّعه والدمع يهمل من العين

هوه فوگ الضريح وصاح صوتين

يجدّي امفارجك غصبن عليّ

يجدّي ابوسط لحدك ضمّني وياك

تراني الضيم شفّته عگب عيناك

يگلّه يا حبيبي وعدك اهنّاك

تروح او تنذبح بالغازية

تروح وتنذبح يحسين عطشان

وتبگه اعلى الأرض مطروح عريان

ويظل جسمك لعند الخيل ميدان

ولا تبگه امن اضلوعك بجيه

أَيَقْتُلُ السَّبْطَ ظَمَانًا وَمَنْ دَمِهِ

تروى الصوارم والعسّالة الذُّبْلُ

لهفي لزينب تسعى نحوّه ولها

قلب تزايد فيه الوجد والوجلُّ

الحاضنة للربيع

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ



هذه دارُهم تُهيجُ شجوني	كيف حبسُ الدُموعَ بينَ الجُفونِ
جُودي بالدمعِ فوقَ خَدَيَّ جُودي	هذه دارُ صَحْبنا يا عَيوني
رَحَلوا والفراقُ صعبٌ ومُرٌّ	وبما لا أُطيقُـه حَمَلوني
واصلوني دهرًا وما كنتُ أدري	بعدَ وصلٍ ورحمةٍ يَهجروني
ودَّعوني وأودَّعوا الهَمَّ قلبي	ليتنى مَتَّ قَبْلَ ما ودَّعوني
فَدَعوني أَحنُّ طَوْرًا وطَوْرًا	أَسْكِبُ الدَمعَ في الرُّبوعِ دَعوني
أَيُّها اللائِمونَ كُفُّوا ولكن	بِمُصابِ ابنِ فاطمٍ ذَكِّروني
تلكَ ذكري بها تهونُ الرِّزايا	وهي مِن أُمِّها رَيِّبِ المنونِ
تَرَكْتُ (زينباً) تُنادي حُسِيناً	يا بنَ أُمِّي ووالدي رَوَّعوني
غَيَّرَتنِي مصائبُ الدَّهرِ حتَّى	أَصبَحَ العارِفونَ بي يُنكَروني
فإذا ما نَدَبْتُ جدًّا وعمًّا	وأبأ بسياطِهم ضَرَبوني ^(١)

(١) قصيدة لأستاذنا العفيف نبارك المرحوم الشيخ محمد سعيد الموسوي رحمه الله وهو العفيف الكبير شيخنا وأستاذنا محمد سعيد بن الشيخ موسى الموسوي. ولد في نجف لأخرف عام ١٢٥٠ هـ ق (في حدود ١٨٦١م). درس مقدمات والمنطق في مسقط رأسه النجف الأشرف. ثم هاجر إلى إيران في حدود الستينيات. وسكن مدينة عبادان. وبقي يقتل بها ويبرئ نصرة وبضعة محافظات العراق إلى زمن مجيء ثورة البعثين المجرمة. ثم انتقل إلى مدينة قم المقدسة في سنة ١٣٥٠ م. قصد على يد مجموعة من طغافل الخطابة أمثال أستاذ المرحوم سعيد محمد سعيد "العدواني الفريسي" لأستاذنا الموسوي حسن سمري واقم، وخفاعة حبيبة هريدي، وخفاعة حزين ساذرة وعمرات وأنعام تكي سم "الصغير قبل زخاتق الطوبى".

انتقل إلى رحمة الله وإلى جوار من أحبهم وتبهم ورفاعهم وبكى عليهم ليلاً ونهاراً، إلى حوزة رسول الله وآله الأطهار من عاد الله تعالى. وذلك يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى عام ١٤٠٨ هـ ق. فخرج تلميذاً مهيباً من قبل علماء وطالباً للعلم وطالباً، وتوفي في منزله الأخير. إلى حب وبه العفيف المرحوم الشيخ عبد الحسين الموسوي الذي سبقه إلى القضاء وتركه بحوزة شديدة وأنتم لطالما قرأتم نشر صفحاته مجيئة. وذلك في قم المقدسة في مقبرة (باغ بهشت). ←

(موشح)

تَعْتَبُ وَالْعَتَبُ نَارُ أَوْ سَنَاها النُّوحُ
 أَوْ سَيْفُ الْعَتَبِ يَتْرِكُ بِالْغُلُوبِ أَجْرُوحُ
 الْجَسَدُ لَوْ فُكِدَ رُوحُهُ يَنْسِلِي أَعْلَى الرُّوحِ
 وَتَرَابُ الْبَلْكَهْ يُغَيِّرُ مَعَانِيَهُ
 الْمَعَانِيُ اتَّغَيَّرَتْ وَاخْتَلَفَ وَضْعُ الْحَالِ
 وَكَهْ زَيْنَبُ الْمَنِيِّ مَا يَلُوحُ أَخْيَالُ
 چَنْتِ أَخْجَدْرَهُ وَالْيَوْمُ خَدْرِي شَالُ
 وَعَاشِ أَخْجَدْرَهُ بِأَسْتَارِ مَاضِيهِ
 أَعِيشِ أَخْجَدْرَهُ بِأَسْتَارِ خَدْرِي الْفَاتِ
 لَوْ مَاتَ الْأَمَلُ عَزَّ الْإِبْهَ مَا مَاتَ
 هَدَمَ أَرْكَانَ بَيْتِي هَادِمُ اللَّذَاتِ
 نَحَرْتَهُ بِالصَّبْرِ وَشَكَّفَ مَوَاضِيَهُ
 شَشَاكَفَ آهَ مَنْ دُنْيَايَ حَيْرَتَنِي
 مَرَامِيهَا أَبْغَدَ وَلِيَايَ صَابَتَنِي
 لَوْ أَشَكَّفَ إِسْطِاطَ الْوَسْمَنِ مَتَنِي
 لَوْ چَلَمَةُ چَچِي الْيَكْلُونُ مَسِيَّةُ



→ لنبيخ نصوري رحمه الله أنظار تبينة في غنى مقام معالم الإسلام في عهد ساهر إلى الكويت وإنجدين وخطر
 وسمان والإمارات وسوريا ولبنان فضلا عن العراق وإيران وغيرها من الدول الأخرى.
 ترك أنارا حادثة ومسندات جازية منها ترويض قلة من الخطباء وخدمة سبيل الحسيني وترك
 مؤلفات قيمة في الشعر والأدب منها: مفاتيح الدعوة، وميراث المير، ومصابيح سبيل، ونيران
 السعيد، وخفة الخن، وخلاصة مقتل الحسين.
 سلام عيد يوم ولد ويوم مات يلهم بذكر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويوم يبعث حيا.

(أبودية)

علامة الدهر فرگنه علامة
سوّه السوط بمتوني علامة
بجيت اوصاحت الوادم علامة
وَنَه ذیچ العزیزة الهاشمية

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بمكارم الأخلاق، فإن الله عز وجل بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق: أن يعفو الرجل عمن ظلمه، ويُعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعود»^(١).

في هذا الحديث يحث النبي الأكرم على أربع خصال لو اجتمعت في إنسان أصبح هذا الإنسان حاوياً لمكارم الأخلاق، وهذه المكارم - التي جاء بها الحديث - كلها اجتمعت في الحسين بن علي عليه السلام، وهي:

١ - أن يعفو الرجل عمن ظلمه.

٢ - ويُعطي من حرمه.

٣ - ويصل من قطعه.

٤ - وأن يعود من لا يعود.

والإمام الحسين عليه السلام هو الملبّي لنداء الله تعالى في كلّ دعوة إلى خُلُقٍ فاضل حميد، وهو أتقى الناس وأولى منهم بالفضائل، ومن هذه الفضائل العفو، حتّى أنّه عفا عمن ظلمه لما كان قادراً على العقوبة فعفا، كجده المصطفى ﷺ حين قال لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٢) من بعد ما آذوه أشد الإيذاء، وصدّر عفوه عن مقدرة، فكان أحسن العافين.

(١) أماني الشيخ الخطيب، ص ٥٦٩، ج ١١، سعد رسائل منيفة، ج ١٢، ص ١٢٣ - ١٢٤، وبحار الأنوار، ج ١، ص ٣٦٥، ج ٢٠.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٥١٢، ج ٢، الاستبصار، ج ٢، ص ٢٤ - ٢١، ج ١، تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٣٩، ج ٤، وسائل الشريعة، ج ٩، ص ١٢٢، ج ١، بحار الأنوار، ج ١٩، ص ١٨ - ١٨١، ج ٢٩، عن الكافي.

روى ابن الصَّبَّاح المالكى: جنى بعض غلمان الحسين عليه السلام «جنايةً توجب التأديب فأمر بتأديبه، فقال: يا مولاي، قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، قال عليه السلام: «خلو عنه فقد كظمتُ غيظي»، فقال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال عليه السلام: «قد عفوت عنك»، فقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: «أنت حرُّ لوجه الله تعالى». وأجازه بجائزة سنّية^(١). فكان عفو الحسين عليه السلام:

١ - مكافئة هنيئة على ذلك الغلام، فإنّه استعان بالقرآن الكريم وخاطب به سيد الأخلاق مُعْتَمِداً على كرمه وعفوه، فلم يُجَيِّبه الإمام الحسين عليه السلام، بل صفح عنه، ثمّ قدّم له هديتين:

الأولى: هي العتق، وأيّ هدية كانت! والثانية: جائزة سنّية يستعين بها على العيش الحرّ الكريم.

فجمع الإمام الحسين عليه السلام أكثر من خلُق: العفو، والتعليم، والكرم... وتلك هي أخلاقه سلام الله عليه متعدّدة في الموقف الواحد.

٢ - أنّه أكثر من عفوّ، فليس هو مجرّد إسقاط حقّه من قصاص، بل كان إضافة إلى ذلك صفحاً جميلاً، والصفح الجميل في قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٢) هو: العفو من غير عتاب، كما قال الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

هذا عفو الحسين عليه السلام الذي ورثه من جدّه المصطفى صلّى الله عليه وآله.

وتعال الآن إلى النقطة الثانية في الحديث، وهي: «يُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ»؛ لأنّ الذي يعطي مَنْ أعطاه لافضل فيه، فهو كالذي يُعْطِي مَنْ سألَه؛ ولذا روي عن الإمام أمير

(١) الفضول، نسخة: ج ٢، ص ٧٠٩. والآية ١٢٥ من سورة آل عمران.

(٢) المعجزة: ٨٤٤.

(٣) أنظر: ميزان أخبار نوح: ج ٢، ص ٣٠٥. ج ٥، أمالي الشيخ الصدوق، ص ١٢١. ج ٦، أمالي الأخبار: ص ٣٦٥. ج ١، عهد رسالتي السيّد: ج ١٤، ص ١٢١. ج ٦، ر. ص ١٢١. ج ٧، ص ١٢١. وبعار التواريخ: ج ١، ص ٢٠٢. ج ٥.

المؤمنين عليه السلام أنه قال: «السَّخَاءُ مَا كَانَ عَنْ إِبْتِدَاءٍ، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ»^(١) يعني الإنسان عندما يُعْطَى المحتاج يعطيه قبل أن يسأله، فالحسين عليه السلام مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْقَاصِي والداني في رحمته، العدو والصديق، المخالف والمؤلف، فهو لا يمنع كرمه، ولا يقفُ كرمه عند حدٍّ مُعَيَّن (سلام الله عليه).

وكذلك كان عليه السلام: «يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ». زيارة المؤمنين مُسْتَحَبَّةٌ، حتى إنه جاء في الرواية استحباب التجلُّل والخروج لزيارة المؤمنين^(٢)، خاصَّةً إذا كان في الزيارة نفع يعود على الزائر وعلى المزور، يعني أن يكون المجلس خالي من المُحَرَّمات، كالغيبَةِ الَّتِي تَكْثُرُ فِي الْمَجَالِسِ - نستجير بالله - والحسين عليه السلام الَّذِي تُعْقَدُ عَلَيْهِ الْمَجَالِسُ وَالْمَأْتَمُ، ونلطم عليه الصدور لا يقبل لأحد بأن يغتاب أخاه المؤمن؛ لأنَّ الغيبةَ عند الله أشدُّ من الزنا، كما روي عن النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣). ولكن أحياناً نجد بعض المؤمنين أنت تزوره وهو يقطعك، ولعلَّكَ تُكْرِّرُ عَلَيْهِ الزيارات مراتٍ، وهو إمَّا قد يَأْتِيكَ مَرَّةً واحدةً حياءً منك، أو حتى لا يأتي مرةً واحدة. في هذه الرواية الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّكَ لَا تَقَاطِعُهُ خَاصَّةً فِي الْأَرْحَامِ، الله في الرَّحِمِ، الله في الْأَبْوِينَ، رفقا بإخوانكم وأخواتكم، رفقا بنسائككم؛ فإنَّ الزوجةَ عند زوجها كالأمة^(٤) لا تستطيع أن تقوم بأي شيء. فلنقتدي بأخلاق الحسين وآل الحسين عليهم السلام. دعونا نستفيد من أيام عاشوراء، أيام عاشوراء ليست عِبْرَةً فَقَطْ، بل فيها عِبَرٌ لَأَنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام كما أَنَّهُ عِبْرَةٌ كُلِّ مُؤْمِنٍ فَإِنَّهُ عِبْرَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ أَيْضاً، يعني نستغلُّ هذه الأيام (عشرة مُحَرَّم) نستمع إلى سيرة أهل البيت عليهم السلام، نستفيد من الحسين عليه السلام الغيرة على الدين وعلى العِرض، نستفيد منه السخاء، نستفيد منه التواضع،

(١) نهج البلاغة: ج ٤ ص ١٠١، ج ٥٢ ص ٥٥٧، مسند الإمام أبي حمزة الثمالی: ج ٤ ص ٢٠٧، ج ٢١٠.

(٢) أنظر: وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٠١، باب استحباب تزئین المسموع للمسلم، والتفريق والأفهام والاستحباب.

(٣) أنظر: العروة الوثقى: ص ١٠٢، ج ٢، طبع السراي: ج ٢ ص ٥٦٧، ج ١ الاختصاص: ص ٢٢٠، تنقيح الطبري: ص ٥٢٧، مكارم الأخلاق: ص ٥٦١، بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٢٢٢.

(٤) أنظر: وسائل الشيعة: ج ٢ ص ١٠٢، ج ٤.

نستفيد منه الشجاعة، وما إلى ذلك من الفضائل الحسينية القدسية. ولنرجع إلى النقطة الثالثة وهي: (أن يصل مَنْ قطعه) فإذا قاطع أحد الحسين عليه السلام تراه لا يقطعه، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفين مع معاوية، فالماء كان عند أصحاب الإمام عليه السلام فبعث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية عليه السلام قائلاً: «إِنَّا لَا نَكْفِيكَ بِصُنْعِكَ، هَلْهَمَّ إِلَى الْمَاءِ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ»^(١) ولكن أعداء الإمام وهم معاوية وجيشه لما ملكوا الماء في بداية الأمر لم يستقوا الإمام وأصحابه منه^(٢).

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً وَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالٍ بِالْدمِ أَبْطَحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا وَكُلَّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ^(٣)

«وَأَنْ يَعُودَ مَنْ لَا يَعُودُهُ»، العيادة: تعني زيارة المريض التي هي من الأمور الأخلاقية السامية، وزيارة المريض وما فيها من الأجر والثواب، مما لا يعلمه إلا الله، ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام^(٤)، فعلى الإنسان أن لا يقاطع أخاه الإنسان الذي كان لا يعود في مرضه، يعني: عندما كنتَ أمرض لا يزورني، فعندما يمرض هو فلا يصح أن أفعل كفعله أيضاً، أي: لا أزوره.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليكم بمكارم الأخلاق»، وواحدة من مكارم الأخلاق هي عيادة المريض حتى ولو كان قد قاطعك ولم يعدك في مرضك، أنت مؤمن تقصد وجه الله تبارك وتعالى ولم تقصد وجه الناس، أقبل إلى ذلك الوجه الكريم الذي يكفيك وجوه الناس كلها، فإذا كان الأمر كذلك - أي: تقصد وجه الله تبارك وتعالى - فلا يهملك الأمر،

(١) روضة صفين: ابن مراحمة: ص ١٩٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٣١٤.

(٣) من أبيات زائدة لابن الصفي (العصر حسن) نسخة (١٥٧٤)، انظر: الوافي بالوفيات: ج ١، ص ١١١.

(٤) زوني عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «كَانَ هَيْبَةُ نَاجِرٍ بِدَمِيسَ رَجُلًا قَاتِلًا يَا زَيْدُ! مَا بَدَا مِنْ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ مِنَ الْإِجْرَةِ فَضَرَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ! أَدْخَلَ لَهُ مَلَكًا يَعُودُهُ فِي قَبْرِهِ إِلَى مَحَبَّتِهِ». الخاقاني.

ج ٣، ص ١٩١، ج ٩.

فأنت لا بد أن تعود لله بنية صادقة وتدخل على قلبه السرور.

وهناك عيادة حصلت للحسين عليه السلام - لأن الحسين كان مريضاً في يوم عاشوراء من سهام القوم وطعنات الأعداء - وهي عيادة أمه الزهراء عليها السلام فلم تكن السيدة الزهراء عليها السلام غائبة عن مأساة كربلاء، بل كانت حاضرة بروحها يوم العاشر من المحرم، وشاهدت تلك المشاهد المروعة من عطش الأطفال، وذبحهم، وقتل الحسين عليه السلام وأصحابه، إلى سبي النساء، وفصل الرؤوس عن الأجساد، وكانت تنتقل مع رأس الحسين عليه السلام من مكان إلى مكان، ومن بلدة إلى بلدة، ولهذا يروى: أن سكينه بنت الحسين عليه السلام قالت: «لما كان اليوم الرابع من مقامنا بدمشق (في الخربة)، رأيت في المنام امرأة راكبة في هودج، ويدها موضوعة على رأسها، فسألت عنها، فقيل لي: هذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله أم أبيك. فقلت: والله، لأنطلقن إليها ولأخبرنها ما صنع بنا، فسعيت مبادرة نحوها حتى ألحقت بها، فوقفت بين يديها أبكي وأقول: يا أمه جحدوا حقنا، يا أمه، بددوا والله شملنا، يا أمه، إستباحوا والله حرمنا يا أمه قتلوا والله الحسين أبانا. فقالت: كفي صوتك يا سكينه، فقد قطعت نياط قلبي، هذا قميص أبيك الحسين لا يفارقني حتى ألقى الله به»^(١)، ورحم الله شاعر أهل البيت عليه السلام حيث يقول:

لا بُدَّ أن ترد القيامة فاطمٌ وقيصها بدم الحسين ملطخٌ
ويل لمن شفعأوه خصأوه والصُّور في يوم القيامة يُنفخُ^(٢)

ولذا يقول الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل: «ثم إن فاطمة تأخذ قميص الحسين ملطخاً بالدم، وتقول: إلهي، احكم بيني وبين من قتل ولدي، ثم يقال لها: أنظري في قلب القيامة فترى الحسين عليه السلام قائماً مقطوع الرأس، فإذا رأيته صرخت وولولت: وا ثمة فؤاده،

(١) مشير الأخبار: ص ٨٢. وسيد البحار الأخبار: ج ٤، ص ١١١. نعيان الإمام الحسين عليه السلام: ص ١١١.

(٢) نيل مسعود بن عبد الله النخعي. كما في مصابح أبي طالب: ج ٣، ص ١٠٠.

فُتْصَعِقُ الْمَلَائِكَةُ لَصِيحَتِهَا، وَيُنَادِي أَهْلُ الْمَوْقِفِ: قَتَلَ اللَّهُ قَاتِلَ وَلَدِكَ»^(١).

أقول: يا شيعي، يا موالي، يا مُحِبَّ الْحُسَيْنِ هذا القميص الذي تأتي به الزهراء يوم القيامة هو ذلك القميص الذي «صار كالقنفذ من شدة السهام».

ثُغْلٌ مَا يَنْدِرُهُ ابْنُ شَابَهَا مَنِينٌ	يُجِيهْ أَوْزَانَهَا يُخْطِفُ عَلَى أَحْسِينِ
سَهْمٌ بِيَدِهِ أَوْ سَهْمٌ ابْحَاجِبِ الْعَيْنِ	يُؤِيلِي وَرَوْحَتَ رُوحِهِ أَمِنْ الْحَرِّ
صَارَ أَشْيَحَ بِهِ أَمِنْ الْمَنِيَّةِ	أَلْفَ نَبْلَةٍ يُولِي وَتَسْعَ مِئَةٍ
وَكَفَّ تَبَّةً نَبْلٍ بِالْغَاضِرِيَّةِ	زُورَ أَرْمَاحِ شَابِجٍ عَيْبٍ يَنْظُرُ

الله أكبر، الله أكبر...

قد يتعجب البعض كيف يكون الحسين قد أصابه من الجروح هذا العدد الكبير؟! لا تعجبوا؛ لأنَّ أكثر من خمسمائة رامٍ قد وجَّهوا سهامهم نحو الحسين، وهو مُلقًى على الأرض يجود بنفسه متقرِّبين بذلك إلى عُبيد الله بن زياد.

وَهُوَ يُفَكِّرُ بِحَالَةِ ذِيحِ الْعِيَالِ	شَلُونِ اتَّظَلَّ يَسَارَهُ يَبِيدُ الْأَنْذَالَ
وَلَنْ الْحَجَرَ جَالَهُ وَالِدِمَهُ سَالٍ	الْوَجْهَهُ أَوْ لِلثَّرَةِ خَرَّ الْبَجِيهَ

(أبوذية)

دَلِيلِي إِمَصُوبٍ أَوْ مُحْتَارٍ بِلَهَامٍ	بَرْزِيَّةٍ كَرْبَلَا مَارِكِنٍ بِلَهَامٍ
أَخُوِي أَحْسِينِ صَابَهُ الْحَجَرِ بِلَهَامٍ	وَطَاحِ أَمِنْ الْمَهْرِ فَوْكَ الْوُطِيهِ ^(٢)

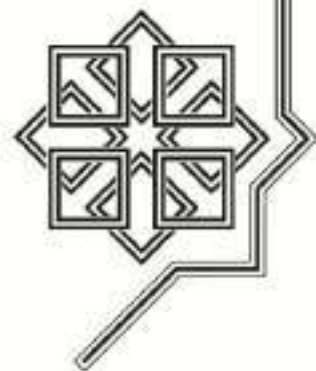
هُوَ هَيْكَلُ التَّوْحِيدِ فِيهِ عَلَى الثَّرَى	غَدَاةُ هَوَى الْقَصْرِ الْمَشِيدِ الْمُعْظَمِ
---	--

(١) أنظر: جواب الأعشى: ص ٢١٦، عنه بحار الأنوار: ج ٢٢: ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ج ٩.

(٢) أنظر: مجمع مصنفات أبي البيت (عليه السلام): ج ١٠: ص ١٠٧.

الحاضرة الخيرية

علماء الأمازيغ



كم يا هلالاً مُحَرَّمٌ تُشجينا
كُلَّ المصائبِ قد تهونَ سوى التي
يومٌ به ازدلفت طُغاةُ أُمِّيَّةٍ
نادى ألا هل من مُعينٍ لم يجد
فهوى على وجهِ الصَّعيدِ مُبْضَعاً
وسروا بنسوته على عُجْفِ المطا
أو مثلُ زينبَ وهي بنتُ مُحَمَّدٍ
فغدا بمحضرها يُقَلَّبُ مَبْسَماً
نشرت عقيقَ دُموعها لما غدا

ما زال قوسك نبأه يرَ مِننا
تركتُ فؤادَ مُحَمَّدٍ حَزوننا
كَي تَشْفِينَ من الحُسَيْنِ ضُغُوننا
إِلَّا المُحَدَّدةَ الرِّقَاقِ مُعِيننا
مَنا لَ تَغْسِيلاً ولا تَكْفِيننا
تطوي سُهولاً بالفلأ وحزونا
بَرَزْتُ مُخاطِبُ شامِئاً ملعوننا
كَانَ النَّبِيُّ بِرِشْفِهِ مَفْتُوننا
بَعْصاه يَنْكُتُ لَوْلُؤاً مَكْنُوننا^(١)

(١) قصيدة لسيد جعفر الحلي عليه السلام، قال عنه السيد جواد تبريزي في أدب الطف: «السيد جعفر كمال الدين الحلي الحلي، اُخرقت هذه الأُثرُة بالانتماء الى ائمة السُّنن لصاحب هذه الترجمة. وفي السب كمال الدين بن منصور، فهو جد الأُثرُة تكاملية المنشرة في النحلة وضواحيها والسجع والكوفة وقد كتب عنها مفسراً الخطيب يعقوبي في (الايابات)، كما اقام الشاهد على ساعيته وسرعة البديهة عدمه، وديوانه اُصدق شاهد على سمو سبزه، وكان من حقه أن يطلق اسم (اسحر بابل) ومجم البلاطين) على ديوانه قبل أن يجمع، والذي جمعه أخوه السيد هاشم بك وفاة الشاعر، توفي فجأة في شعبان سنة ١٢١٥ هـ)، وهو في وادي الملوك بالمحيط لأشرف عند قبر والده عن مغربة من مقام الامام المهدي عليه السلام، سما السيد جعفر فاستلطف قدر حاجته من شيائين، وهو العترة والعتق والماني والبيان، وعاد يخلص الى مدارج نعماء وجود نهج السعادة بانفسه، وهو في كل ذلك على الحاضرة، سريع البديهة، حسن الجواب، بيه نظير، متوفد الفريضة جري السان، مري في نظم شعر وهو ذو انشائين، وأصبح من الشعراء المبدعين الذين تيج الألسن بذكرهم وتكثر شعرهم... اسهر قصيدة له زنته التي مطلعها:

وجه انصاح علي لبل مصلم وزيم أيامي علي محرم

وهذه القصيدة التي تزيد على السبعين بيتا كلها من الشعر المسجوم...»، أدب الطف، ج ١، ص ٩٦، ١١٠.

وَكَاَنِّي بِأُمِّهِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَسْأَلُهُ عَنِ الَّذِي صَنَعَ بِهِ مَا صَنَعَ فَتَقُولُ:

(بحراني)

تَنَادِيهِ بَيْنِي مِنْ كَطْعِ رَاسِكَ وَالْجَفُوفِ

مِنْ كَسَرِ إِضْلُوعِكَ يَعْقِلِي بِأَرْضِ الطُّفُوفِ

وَمِنْ كَطْعِ أَوْصَالِكَ يَعِينِي ابْضَرْبِ السَّيْفِ

يَا مُهْجَتِي مَذْبُوحٌ لَا مَطْلَبَ وَلَا دِينَ

يَحْسِينُ غَلِيٍّ مِنْ كَطْعِ بِالسَّيْفِ نَحْرِكَ

يَا نُورَ عَيْنِي مِنْ وَطَا بِالْخَيْلِ صَدْرِكَ

وَمِنْ سَلْبِ أَيْتَامِكَ أَوْ يَاهُو حَرْكَ خَدْرِكَ

وَيَاهُو الَّذِي شَتَّتَ بَنَاتِي شِمَالِ وَيَمِينِ

أَنَا الْوَالِدَةُ وَالْكَلْبُ لَهْفَانِ أَدُورُ عِزَّهُ ابْنِي وَيَنْ مَا چَانِ

جِسْمُهُ سَلِيبٌ وَلَا لَهُ أَجْفَانِ وَلَعَبْتُ عَلَيْهِ الْخَيْلَ مِيدَانِ

قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

معناه أَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَكَمَ بِأَنْ يُظْهَرَ هَذَا التَّمْيِيزُ، يَعْنِي الْآيَةَ الَّتِي قَبْلَ هَذَا الْمَقْطَعِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَهُوَ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ إِلَى أَنْ يَصِلَ الدُّورُ إِلَى هَذَا الْمَقْطَعِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْصَلَ ذَلِكَ التَّمْيِيزُ - بَيْنَ الْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ - بِأَنْ يُطْلَعَ كُمْ اللَّهُ عَلَى غَيْبِهِ، فَيَقُولُ: إِنَّ فُلَانًا مُنَافِقٌ، وَفُلَانًا مُؤْمِنٌ، وَفُلَانًا

من أهل الجنة، وفلاناً من أهل النار، فإنَّ سنَّة الله جارية بأن لا يطلع عوام الناس على غيبه، بل لا سبيلَ لكم إلى معرفة ذلك إلا بالامتحانات، مثل وقوع المحن والآفات حتَّى يتميَّز عندها الموافق من المنافق، فأما معرفة ذلك على سبيل الاطِّلاع على الغيب فمن خواصَّ الأنبياء؛ لهذا قال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، أي: ولكنَّ الله يصطفي من رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فيخصَّهم بإعلامهم أنَّ هذا مؤمن وهذا منافق^(٢).

هذا معنى. وهناك معنى آخر: وهو وما كان الله ليؤتي أحداً منكم على الغيب، فلا تتوهموا عند إخبار الرسول ﷺ بنفاق الرُّجل وإخلاص الآخر، أنَّه يطلع على ما في القلوب اطلع الله تعالى، فيخبر عن كُفرها وإيمانها، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ﴾ يرسلُ الرسول فيوحي إليه ويخبره بأنَّ في الغيب كذا، وأنَّ فلاناً في قلبه النفاق، وفلاناً في قلبه الإخلاص، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله، لا من جهة اطلعاه على المغيَّبات^(٣).

إذن كان الاطِّلاع على الغيب إخبار من الله تبارك وتعالى للرُّسل، ومنهم - بل في طليعتهم - النبي الأكرم ﷺ.

ثمَّ يسجِّل التدليل عليه بقوله كلِّما كان لرسول الله ﷺ فلنا مثله، إلا النبوة والأزواج، ولا غلَوَّ في ذلك بعد قابلية تلك الذوات المُطهَّرة بنصِّ الذكر الحكيم في ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٤) لتحمل الفيض الأقدس وعدم الشخِّ في المبدأ الأعلى، تعالت آلاؤه، والمغلاة في شخصٍ عبارة عن إثبات صفة له، إمَّا أن يتحمَّلها العقل أو لا؛ لعدم القابلية لها، والعقل لا يمنع الكرم الإلهي، كيف؟! والجليل عزَّ لطفه يدرِّ النعم على المتهادين في الطغيان والمتمردين على قدس جلاله، حتَّى كأنَّ المنَّة لهم

(١) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٩ ص ١١١.

(٢) تفسير الكشاف: ج ١ ص ١٢٩.

(٣) الأعراب: ٣٣.

عليه، فلم يمنعه ذلك من الرحمة بهم والإحسان إليهم والتفضل عليهم؟!^(١)، ولا تنفذ خزائنه ولا يفوته من طلبه، وهذا من القضايا التي قياساتها معها، وإذا كان حال المهيمن سبحانه كما وصفناه مع أولئك الطُغاة، فكيف به ﷻ مع مَنْ اشتقَّهم من الحقيقة الأحمديَّة التي هي من الشُّعاع الأقدس جلَّ شأنه، فالتقى مبدأ فيّاض وذوات قابلة للإفاضة، فلا يدع في كُلِّ موردٍ في حقِّهم ﷻ من علم الغيب، والتفوق على أعمال العباد، وما يحدث في البُلدان ممَّا كان وما يكون.

فالغيب المدَّعى فيهم ﷻ غير المختصَّ بالباري تعالى؛ لاستحالته في حقِّهم ﷻ، فإنَّه بالنسبة لله تعالى شأنه ذاتي، وأمَّا بالنسبة للأئمة ﷻ فهو مجعول من الله سبحانه وتعالى، فبواسطة فيضه تعالى ولطفه كانوا يتمكنون من استعلام خواص الطَّبائع والأحداث.

فأذن الغيب على قسمين: منه ما هو عين واجب الوجود بحيث لم يكن صادراً عن علَّةٍ غير ذات فاطر السَّموات والأرضين، ومنه ما كان صادراً عن علَّةٍ ومتوقفاً على وجود الفيض الإلهي، وهو ما كان موجوداً لدى الأنبياء والأوصياء. وإلى هذا يشهد ما جاء عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، فإنَّه لما أخبر أمَّ الفضل بنت المأمون بما يجري على النساء عند الحيض قالت له: لا يعلم الغيب إلَّا الله، قال عليه السلام: «وأنا أعلمُ من علم الله تعالى»^(٢)، وهناك شواهد كثيرة على هذا المعنى.

وأما ما ورد عنهم ﷻ من نفي علمهم بالغيب، كقول أبي عبد الله عليه السلام: «يا عجباً، لأقوام يزعمون إنَّا نعلمُ الغيب، ما يعلم الغيب إلَّا الله، لقد هممتُ بضرب جاريّتي

(١) اختيار من سند الاحتجاج: «أنت تدعوني هؤلاء سنة، وتحجبني فانقضت عليك، وتدعوني إلى هذا أقبلت سنة، كأنَّ لي التعلُّق عليك، فلم يسمعك ذلك من نرجعة في الإحسان التي والتفتل عليَّ بجديفك وكركمك...». انظر: المصباح (القصي)، ص ٢٢٣، تهذيب الأحكام ج ٣، ص ١٠٩.

(٢) حقيقه عم آق محمد وجهانه، ص ١٠١، عن كتاب الارصاد الى ولاية الفقيه، ص ٢٠٥، لكن لم أنشر بعد.

فهربت مني ما علمتُ في أيِّ بيوت الدار^(١)، فهو محمول على التقيّة، لحضور بعض النفر ممن لم تكن لهم القابلية على تحمّل غامض علم أهل البيت عليهم السلام، فأراد أبو عبد الله عليه السلام أن ينفي علم الغيب عنهم عليهم السلام؛ تثبيتاً لعقيدة هؤلاء.

ويؤيِّده أن سديراً الراوي لهذا الحديث دخل عليه في وقتٍ آخر، وذكر له استغراب ما سمعه منه من نفي العلم بالغيب، فطمأنه بأنّه كيّعلم ما هو أرفع من ذلك وأرقى، وهو العلم بالكتاب كلّّه وما حواه من فنون المعارف وأسرارها.

وأما الحكاية عن النبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْمَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾^(٢) فلا يفيد إلّا كونه مفتقراً إلى الله تعالى في التعليم، وأنّه لم يكن عالماً بالغيب من تلقاء نفسه، وهذا لا ريب فيه.

إذن المنفي في الآيات اطلاعه على الغيب من غير واسطة، وأمّا علمه بالغيب بإعلام الله تعالى فتأبّت ومتحقّق؛ لقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٣).

نعم لقد أثر الله تبارك وتعالى بعض العلوم لنفسه، ولم يُطلع عليها أحداً أبداً، كالعلم بالساعة.

فلقد تجلّى بما ذكرناه وبَيَّنَّاهُ أنّ العقل والشرع يجوزان للمعصوم أن يعلم الغيب. ومن موارد علمهم عليهم السلام بالغيب علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته وما سيجري عليه وعلى عيالاته وأطفاله، من محن ومصائب تنهدُّ منها الجبال وتكاد الأرض أن تنشق

(١) بصائر الدرجات: ج ٢، ص ٢٤١. الكافي: ج ١، ص ٢٤٧. ج ٢، ص ٢٤٧. جامع المساجد: ج ١، ص ١٢. نهاية المراد:

ج ٤، ص ٥٩. ج ٢، ص ٢٤١. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٥٢٦. ج ٢، ص ٢٠٩. عن الكافي: المصنوع المهيّج في أسرار

الأنبياء: ج ١، ص ٣٥٥. بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ٣٢٢. زاد معصرا عن الكافي: ج ٢، ص ١٦٩.

ج ٤، زاد كلاماً عن الجواهر.

(٢) الأنبياء: آية ١٠٤.

(٣) الحجر: آية ٢، ص ٢٧.

لعظمتها، حيث أخبر عليه السلام وقال: «والله، ليجتمعنَّ على قتلي طُغاةُ بني أُمية ويقدمهم عُمر بن سعد»^(١)، وليس في إقدامهم عليه السلام على الشهادة إعانة على إزهاق نفوسهم القدسيَّة وإلقائها في التهلكة المحظورة والمنهي عنها بنصِّ الذكر الحكيم؛ فإنَّ الإبقاء والحفاظ على النفس والحذر عن إيرادها مورد الهلكة إنَّما يجب إذا كان مقدوراً لصاحبها، أو لم يُقابل بمصلحةٍ أهمَّ من حفظها، وأمَّا إذا وجدت هنالك مصلحةٌ تكافئ تعريض النفس للهلاك، كما في الجهاد والدفاع عن النفس، فهنا يرتفع محذور الهلكة. فالهلكة التي ذكرها القرآن الكريم هي من الأحكام المُختصة بما إذا لم تكن هنالك مصلحة أقوى من مفسدة الإقدام على التَّلف، ومع وجود المصلحة اللازمة لا يتأتَّى الحُكم بالحرمة أصلاً، كما في الدِّفاع عن بيضة الإسلام، الذي أفتى بعض الفقهاء في وجوبه، كما هو ظاهر لمن راجع أقوالهم وفتاواهم (قدس الله تعالى أرواحهم)^(٢).

فالعقل والشرع يُجَبِّدُ الإقدام على الهلكة إذا تحققت به مصلحة تقاوم مفسدة الهلكة، من إبقاء دينٍ وشرعيةٍ، أو إبراز حقيقة لا تظهر إلَّا به، كما في أمر الإمام الحسين عليه السلام يوم وقف ذلك الموقف المدهش فتلا على الملاء صحيفة بيضاء رتلتها الحُقبُ والأيام والأعوام. فلقد عرَّى عليه السلام بنهضته المقدَّسة حقيقة الأمويين للأُمم الحاضرة والمتعاقبة، وكان عليه السلام يعتقد في نهضته أنَّه فاتحٌ منصورٌ لما في شهادته من إحياء دين رسول الله صلى الله عليه وآله وإماتة البدعة، وفضح أعمال المناوئين، وتفهم الأُمَّة أنَّ أهل البيت عليه السلام أحقُّ بالخلافة من غيرهم، وإليه يشير في كتابه إلى بني هاشم: «مَنْ لحق بي منكم استشهد، وَمَنْ تخلف لم يبلغ الفتح»^(٣).

(١) دلائل الإمامة، ص ١٠٣، ج ٦، نوار السجرات، ص ١٠٩، ج ٥، شرح المهيوم، ص ٢٢٧، مدينة المعاجز؛

ج ٢، ص ٢٢٣، ج ٢٤، الدر العظيم، ص ٥٢٢، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٠٠، ج ١١، عن دلائل الإمامة.

(٢) أنوار كتاب فقه الإمام الصادق عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٢، وغيره.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٥٢، دلائل الإمامة، ص ١٠٨، ج ١٠، نوار السجرات، ص ١١٠.

والبحر المتجر، ج ٢، ص ٧٢١، ٧٢٢، ج ٢٣، ربيع الصغار، ص ٢٩، ج ٤، عن البصائر، مثير الثغران؛

ص ٢٧، مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٤٠، ٤١، ج ٣١، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٨١، ج ١١، عن البصائر

وتحفا، ج ١٠، ص ٨٢، ٨٣، ج ١٢.

فإنَّه عليه السلام لم يرد بالفتح إلَّا ما يترتب على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال، وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة، وإقامة أركان العدل والتوحيد، وأنَّ الواجب على الأمة هو القيام في وجه المنكر.

وهذا معنى كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام لإبراهيم بن طلحة بن عبد الله لما قال له: مَنْ الغالب؟ فقال الإمام السَّجَّاد عليه السلام: «إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب»^(١).

فإنَّه عليه السلام يُشير إلى تحقق الغاية التي ضحَّى سيّد الشهداء بنفسه القدسية لأجلها، وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور الله تعالى، وما أَرادَه أبوه من نقض مساعي الرسول ﷺ.

ولذا تجد الحسين عليه السلام ذكر أنَّه يُقتل وتُسبى عيالاته، وحصل ما حصل بالفعل في يوم عاشوراء، فقام خطيباً قبل أن يخرج إلى العراق، فقال: «كأني بأوصالي تُقطَّعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جَوْفاً وأجربةً سغباً»^(٢).

رُوي أنَّه لما أراد الخروج من المدينة توجَّه إلى قبر جدِّه ليوذِّعه، فأقبل نحوه، فصلَّى ركعتين عند قبر جدِّه، ثُمَّ رفع طرفه نحو السماء، ثُمَّ صفَّ قدميه، فلم يزل قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً حتَّى الصُّباح، ثُمَّ عاد في اليوم الثاني، فبكى عند قبر جدِّه المُصطفى، يبكي ويبكي إلى أن هَوِّمت عيناه، وإذا به يرى جدِّه رسولَ الله ﷺ في كتيبة من الملائكة ورعيل من الأنبياء، فضمَّ الحسين عليه السلام إلى صدره وقال: «بني حسين، كأني بك عن

(١) أنبأني الشيخ الخطيب: ص ٢٧٠، ج ١٦، عند بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ١٢٧، ج ٢٧، معونم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٤٥، ج ١٢.

(٢) ذوب المضار: ص ٢٠، مثير الأعز: ص ٢٩، نزهة الناظر: ص ٨، اللبيب: ص ٢٤، كشف الغطاء: ج ٢، ص ٢٢٦، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ص ٢٠، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٠٧، المعونم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٢١٧.

قريبٍ مذبحاً بأرض كربٍ وبلاءٍ، بين عُصابةٍ من أُمّتي، لا أنا لهم شفاعتي، وأنت عطشانٌ لا تُسقى وظمآن لا تُروى، بُني حسين، إِنَّ أَمَّكَ وَأَبَاكَ وَأَخَاكَ قَدَمُوا عَلَيَّ وَهُمْ مشتاقون إليك فالعجل العجل».

قال الراوي: «فصار الحسين عليه السلام ينظرُ في منامه إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ويبكي ويقول: يا جدُّ لا حاجةَ لي في الرجوع إلى الدنيا خُذني معك، أدخلني في قبرك؛ أستريح من هذه المصائب! فقال له جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بُنَيَّ يا حسينُ، لا بُدَّ من الرجوع إلى الدنيا حتّى تذوق الشهادة، فتال ما قد كتب الله لك من الأجر العظيم والمنازل الرفيعة والدرجات العالية»^(١).

آه آه:

ضُمْنِيْ عِنْدَكَ يَا جَدَّاهُ فِي هَذَا الضَّرِيحِ
 عَلَّنِي يَا جَدُّ مَنْ بَلَوَى زَمَانِي أَسْتَرِيحِ
 ضَاقَ يَا جَدُّ مِنْ رَحْبِ الْفَضَا كُلِّ فَسِيحِ
 فَعَسَى طُودِ الْأَسَى يَنْدُكَ بَيْنَ الدَّكْتَيْنِ
 جَدُّ صَفْوِ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِكَ بِالْأَكْدَارِ شَيْبِ
 وَأَشَابِ الْهَمِّ رَأْسِي قَبْلَ إِيَّانِ الْمَشِيبِ
 فَعَلَا مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ بُكَاءٌ وَنَحِيبِ
 وَنَدَاءٌ بِافْتِجَاعِ يَا حَبِيبِي يَا حُسَيْنِ
 سَتَذُوقُ الْمَوْتَ ظُلْماً ظَامِياً فِي كَرْبَلَا
 وَسَتَبْقَى فِي ثَرَاهَا ثَاوِياً مُنْجَداً

(١) أنظر: نهج الغيخ الصوفى، ص ٢٦٧، مدينة المداخيل: ج ٣، ص ٥٨٧، بحار كنوز: ج ٤، ص ٢١٢،

وكأنّي بلئيم الأصل شمّر قد علا

صدرك الطاهر بالسيف يحزّ الودجين^(١)

(نعي)

وصل ويلى الكبر جدّه وبچه حسين	يودعه والدمع يهمل من العين
هوه فوگ الضريح وصاح صوبين	يجدّي مفارگك غصبن عليّ
يجدّي ابوسط لحدك ضمّني اويك	تراني الضيم شفته عگب عيناك
يگلّه يا حيبي وعدك إهناك	تروح وتنذبح بالغازية
تروح وتنذبح يحسين عطشان	وتبگه اعلى الأرض مطروح عريان
ويظل جسمك لعند الخيل ميدان	ولا تبگه من إضلوعك بگيه

(تخميس)

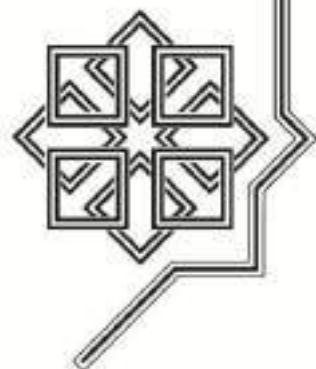
يامن له فصلُ الخلائق صائرُ	وعليه قطبُ رحى الجلالة دائرُ
ومجيبَ دعوةٍ من دعاه وناصرُ	باليث في الأحياء شخصك حاضرُ

وحسين مطروحٌ بعروسة كربلاء

(١) من قصيدة ربيعة لسيّخ حسن الدمشقي البحراني عليه السلام. قال بعد في كتاب «يامن الملح والرشح»:
 (ص ١٣-١٤) «السيّخ حسن بن محمد بن علي البحراني الدمشقي، عالم فاضل فقيه، محدث،
 رجالي، محقق، باع في شلي الحديث والرجال. له مؤلفات عديدة منها: مشقوة في فني
 النجس والتبويض، رجوة في اثبات الإمامة والوصية، أنا سره عهد كثير بعد حروبه نهج، ومن
 أشهر ملحة الطف. وله ديوان شعر مطبوع في النصف سنة (١١٥١) يضمّ أربعا وأربعين
 قصيدة. توفي في بلدة الفطيف سنة (١١٥١هـ)».

الحافظ سادس

بين كربلاء والكعبة



إِنْ كُنْتَ مَحْزُونًا فَمَا لَكَ تَرْقُدُ
وَلَقَدْ بَكَتْهُ فِي السَّمَاءِ مَلَائِكُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ كِلَاهُمَا
أَنْسَيْتَ آلَ الْمُصْطَفَى فِي كَرْبَلَا
كَيْفَ السُّلُوْ وَفِي السَّبَايَا زَيْنَبُ
يَا جَدُّ حَوْلِي مِنْ يَتَامَى إِخْوَتِي
يَا جَدُّ قَدْ مُنِعُوا الْفِرَاتَ وَقَتَّلُوا
يَا جَدُّ مَنْ ثَكَلِي وَطَوَّلَ مَصِيبَتِي
يَا جَدُّ ذَا صَدَرَ الْحُسَيْنِ مَرَضْرُضُ
يَا جَدُّ ذَا ابْنِ الْحُسَيْنِ مُعَلَّلُ
يَا أُمِّيَ الزَّهْرَاءِ قُومِي جَدَّيْ
هَذَا حَبِيبُكَ بِالْحَدِيدِ مَقْطَعُ

هَلَا بَكَيْتَ لِمَنْ بَكَاهُ مُحَمَّدُ
زُهْرٌ كَرَامٍ رَاكِعُونَ وَسُجَّدُ
حَوْلِ النُّجُومِ تَبَاكِيَا وَالْفِرْقَدُ
حَوْلِ الْحُسَيْنِ ذُبَائِحُ لَمْ يُلْحَدُوا
تَدْعُو بِحَرْقَةِ قَلْبِهَا يَا أَحْمَدُ
فِي الدَّلِّ قَدْ سُلِبُوا الْقَنَاعَ وَجُرِّدُوا
عَطْشًا فَلَيْسَ لَهُمْ هُنَاكَ مَوْرَدُ
وَلِمَا أَعَانِيهِ أَقُومُ وَأَقْعُدُ
وَالْخَيْلُ تَنْزُلُ مِنْ عِلَالِهِ وَتَصْعَدُ
وَمَغْلَلٌ فِي قَيْدِهِ وَمَصْفَدُ
وَجَمِيعَ أَمْلَاكَ السَّمَاءِ لَكَ يَنْجَدُ
وَمُخَضَّبٌ بِدُمَائِهِ مُسْتَشْهَدُ^(١)

(مَوْشَح)

يَا تَالِي هَلِي يَحْسِينِ يَا سَلْوَةَ هَلِي يَحْسِينِ

سَهْمِ الصَّابِكِ ابْغْلِبْكَ تَرَهُ صَوَّبَ الْكَلْبَ الدِّينِ

(١) المنتخب للضريح: ج ٢، ص ١٠٣. الباب الثاني (ونعم يسببها لأحمد). ولم نقرأ على قاتنها هذه
نزهة وعلى الله الجديد.

لا بعدك يحفّ دمعي ولا يهده اوتنام العين

ليل انهار أنه ايهمك اوهمك لا بعد ينزاح

يا تالي هلي يحسين يا صبري على بلواي

بين أميّ احترمت الماي عجبك لا شربت الماي

يا تالي هلي يحسين من بعدك بعد تدري

لا شمس وبدر يا ليت لا عذب الهوة يسري

لا دنيه اوفلك دوّار لا ماي الذي يجري

عسه شط الفرات ايغور لا يطفح عسه اولا فاح

(مجايد)

لي انذبح ظامي اويه أهله

لوّن الموت يسمعي لگلّه

اولا عيشتي بهاي المذلّة

يجگلي لنوح الدهر کلّه

والماي ظامي او ما أحصله

خذي وأخوي احسين خلّه

(أبو ذية)

اوچبدتي انگطع يا جدّي وترها

غدت مرتع لحافر خيل أميّة

المصيبة حلّت اعليه وترها

يريتك تنظر اشبولك وترها

سؤال لطالما يُطرح على العقول، وهو لماذا توجه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق؟

وعلى ضوء تصنيف تصريحاته عليه السلام على أساس نوع الإشارة فيها، يمكننا تحديد العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر.

وهذه العوامل هي:

وذلك حين إجابته عليه السلام عن سؤال عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة بالأبواء - بين المدينة ومكة - أين تريد يا بن فاطمة؟

قال الإمام عليّ عليه السلام: «العراق وشيعتي»^(١)، علماً أنّ هذه المحاورة تمتّ بالأبواء قبل وصول الإمام عليّ عليه السلام إلى مكّة، أي قبل وصول رسائل أهل الكوفة إليه.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٢٠١ تهذيب تكملة ج ٦ ص ٥١ سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦ تاريخ الإسلام ج ٥ ص ٨ البداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ ترجمة الإمام الحسين وابن سائر ج ٢٤٦ ترجمة الإمام الحسين (حفظات ابن سيد) ص ٥٧.

ونفهم ذلك أيضاً من خلال محاورة جرت بينه عليه السلام وبين عبد الله بن عباس، قال ابن عباس: فإن كنت على حال لا بدّ أن تشخص فصر إلى اليمن؛ فإنّ بها حصوناً لك وشيعةً لأبيك فتكون منقطعاً عن الناس!

فقال الإمام عليه السلام: «لا بدّ من العراق!»^(١).

هذان النّصان - ونظائرهما - يكشفان بوضوح عن أهميّة العراق بذاته عند الإمام عليه السلام، وبمعزلٍ عن أثر رسائل أهل الكوفة التي وصلت إلى الإمام عليه السلام في مكّة بعد موت معاوية، وأهميّة العراق بذاته عند الإمام عليه السلام من الحقائق التاريخية التي لا تحتاج لإثباتها إلى الاستشهاد عليها بنصّ.

فلقد كانت الكوفة مهذاً للشيعة، وموطناً من مواطن العلويين، وقد أعلنت إخلاصها لأهل البيت عليهم السلام في كثيرٍ من المواقف، وقد خاض الكوفيون حرب الحمل وصيّين مع الإمام، وكانوا يقولون له: سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت، فنحن حزبك وأنصارك. وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يثني عليهم ثناءً كبيراً، فيرى أنّهم أنصاره وأعوانه المخلصون له، يقول لهم: «يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحقّ ومجيبي إلى جهاد المحلين، بكم أضرب المدبر وأرجو إتمام طاعة المقيّل»^(٢).

وكانت الكوفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام المقرّ الرئيسي لمعارضة الحكم الأموي، وكان الكوفيون يتمنّون زوال الحكم الأموي، وكان الشيعة في العراق - بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام - على اتصال بالإمام الحسين عليه السلام من خلال المكاتبات واللقاءات، ونكتفي للدلالة على ذلك بهذين النّصين:

الأوّل: نقل الشيخ المفيد رحمته الله عن الكلبي والمدايني وغيرهما من أصحاب السير، أنّهم

(١) من أحلاق الإمام الحسين عليه السلام: ص ٥٤.

(٢) نهج السداق: ج ٢، ص ٣٠١، ص ٣٠٢، وأنظر: نهج نبلا: ج ١، ص ٢٣١، ج ١١٤، تاريخ الطبري:

ج ٤، ص ٥١، الكلام في تاريخ: ج ٣، ص ٣٠١، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١١٢.

قالوا: «لما مات الحسين عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً، لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك»^(١).

الثاني: روي أنّ الوليد بن عتبة حجّب أهل العراق عن الإمام الحسين عليه السلام، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربه، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمك؟!»^(٢).

٢- العراق أرض المصراع المختار:

لما عزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة أتته أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) فقالت: يا بُنيّ، لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعتُ جدّك يقول: «يُقتل ولدي الحسين عليه السلام بأرض العراق في أرضٍ يقال لها كربلاء!»

فقال لها: «يا أمّاه، وأنا والله، أعلم ذلك، وإنّي مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بدٌّ، وإنّي والله، لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أُدفن فيها، وإنّي أعرّف من يُقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردتِ يا أمّاه أريك حفرتي ومضجعي»^(٣). وفي رواية أخرى أنّه قال لها: «والله، إنّي مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً»^(٤).

وقد روي بأسانيد أنّه لما منعه عليه السلام محمد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة قال: «والله يا أخي، لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني»^(٥).

(١) لأبيان: ج ٢، ص ٣٢٠، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٢٠، ونوابع الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٢٣.

(٢) موبغة نعت الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٠٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٢١، نوابع الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٢٤، ينابيع المودة: ج ٣، ص ١٠٠.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٢٢، ج ١٠، ص ٣٢٢، نوابع الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٢٧، ج ١، ص ١٢٧.

ص ١٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٢٢، نوابع الإمام الحسين عليه السلام: ج ١، ص ١٢٣.

وفي رواية أنه عليه السلام قال لابن الزبير: «ولئن أُقْتِلَ بالطَّفِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ بِالْحَرَمِ»^(١).
هذه النصوص - ونظائرها - تكشف لنا أَنَّ الإمام عليه السلام منذ البدء كان قد اختار العراق أرضاً لمصرعه.

ولعلَّ سرَّ ذلك هو أَنَّ الإمام عليه السلام - بعد إن اختار موقفه المبدئي برفض البيعة ليزيد وبالقيام - كان يعلم منذ البدء أَنَّهُ مقتول لا محالة - خرج إلى العراق أو لم يخرج - فكان من الحكمة أن يختار الإمام عليه السلام لمصرعه أفضل الظروف الزمانية والمكانية والنفسية والاجتماعية المساعدة على كشف مظلوميته، وفضح أعدائه، ونشر أهدافه، وَأَنَّ يتحرَّك باتجاه وتحقيق ذلك ما وسعته القدرة على التحرك، وبما أَنَّ الإمام عليه السلام كان يعلم منذ البدء أيضاً أَنَّ أهل الكوفة لا يفون له بشيء من عهدهم وبيعتهم، وأنهم سوف يقتلونه: «هذه كتب أهل الكوفة إليَّ ولا أراهم إلَّا قاتلي»^(٢)، فهو عليه السلام مع هذا - بمنطق الشهيد الفاتح - كان يريد العراق ويصرُّ على التوجُّه إليه؛ لأنَّه أفضل أرض للمصرع المختار؛ ذلك لما ينطوي عليه العراق من استعدادات للتأثر بالموت العظيم (واقعة عاشوراء).

ويكفي في ذلك قوله لما سأله ابنُ عباس: أين تريد يا بن فاطمة؟

فأجاب عليه السلام: «العراق وشيعتي!»^(٣) وقوله لابن عباس: «لا بدَّ من العراق»^(٤).

٣- رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية:

ما إنَّ علِمَ أهل الكوفة بموت معاوية بن أبي سفيان، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد

(١) كامل الزيارات، ص ١٤٠، ج ٧، منه بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٤، ج ١٠، انبعاث الحسين عليه السلام، ص ٢١٣.

(٢) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (من عيقات بن سعد)، ص ١٠٠، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٠٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج ١١، ص ٢١٨، تهذيب كمال، ج ٦، ص ١٠١، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٩.

تاريخ الإسلام، ج ٥، ص ٨٠، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٢٥، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (ابن عساکر)، ص ٢٩٠، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (طبقات ابن سعد)، ص ٥٧.

(٤) من أحاديث أئمة الإمام الحسين عليه السلام، ص ٥٠.

رفض البيعة ليزيد، وقد خرج من المدينة وأقام في مكة، حتى تقاطرت إليه رُسُلهم ورسائلهم يدعونه إليهم، مُظهرين استعدادهم لنصرته والقيام معه، حتى إنه اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب، ووردت إليه قائمة فيها مائة وأربعون ألف اسم، يعربون عن نصرتهم له حالما يصل إلى الكوفة، فكان سفيره إليهم مسلم بن عقيل عليه السلام قد كتب إلى الإمام عليه السلام - بعد وصوله إلى الكوفة وأخذ البيعة له منهم - قائلاً: «أما بعد فإنَّ الرائد لا يكذبُ أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حينَ يأتيك كتابي فإنَّ الناس كلَّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأيٌ ولا هوَى والسَّلام»^(١).

وكان أهل الكوفة في آخر وفادتهم إلى الإمام عليه السلام في مكة قد كتبوا إليه يقولون: «أما بعد، فإنَّ الناس يتظرونك، لا رأيَ لهم غيرك، فالعجل العجل يا بنَ رسول الله، فقد اخضرتَ الجنَّات، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار»^(٢).

لقد شكَّلت رسائل أهل الكوفة حُجَّةً على الإمام عليه السلام في وجوب الاستجابة لهم، وقد كان الإمام عليه السلام قد علّق عزمه في التوجّه إلى الكوفة على التقرير الميداني لمسلم بن عقيل عليه السلام عن حال أهل الكوفة، وقد صدّر عليه السلام لأهل الكوفة في رسالته الأولى إليهم بذلك، حيث قال: «فإن كتب إليَّ أنه قد اجتمع رأي ملائكم وذوي الحجب والفضل فيكم على مثل ما قدِمْتُ به رُسُلُكم، وقرأت في كتبكم، فإني أقدمُ إليكم وشيكاً إن شاء الله»^(٣).

وعلى ضوء رسالة مسلم عليه السلام عقد الإمام الحسين عليه السلام عزمه على التوجّه إلى الكوفة، محتجاً برسائلهم إليه، واحتجاجاته عليه السلام برسائل أهل الكوفة إليه كثيرة، منها: قوله لابن عمر - وكان قد نهاه عن التوجّه إلى أهل العراق -: «هذه كتبهم ويعتهم»^(٤) وغيره.

(١) مير الاحزان: ص ١٠٠ بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٥ - نوائم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٠٣.

(٢) مير الاحزان: ص ٢١٠ تاريخ الطبري: ج ٤، ٢٠١ - مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو بصير): ص ٥١.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ٣٢٥ - نوائم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ١٠٣.

(٤) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ص ٢٠١ - تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠، ٢٠٢ - سير أعلام النبلاء:

ج ٣، ص ٢٩٦ - تهذيب التهذيب: ج ٢، ص ٣١٧ - نزهة الطليم: ص ٤٥ - الغزاة وفتحهم: ص ٢.

ولا يقال: لماذا أنَّ الإمام لم يرجع بعد ما قُتل مسلم بن عقيل عليه السلام وظهرت أمارات الخذلان؟

فإنَّه يُقال: إنَّ تأثيرَ الإمام عليه السلام إذا كان بين أهل الكوفة يكون أكبر، واهتمامهم به أكثر، كما أشار إلى ذلك بعضُ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، حيث قال: «إِنَّكَ وَاللَّهِ، مَا أَنْتَ مِثْلَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ وَلَوْ قَدِمْتَ الْكُوفَةَ لَكَانَ النَّاسُ إِلَيْكَ أَسْرَعَ»^(١)، ولذا واصل الإمام عليه السلام الإصرار على التوجُّه إلى الكوفة حتَّى بعد مقتل مسلم عليه السلام.

لكنَّ التاريخَ يثبت أنَّ الإمام عليه السلام لم يعتمد هذا النظام ولم يتحرَّك على أساسه، لعلَّه عليه السلام بما سيؤول إليه موقف أهل الكوفة من قبل ذلك.

فلا يبقى مجال إلا أن نقول إنَّ الإمام واصل التزامه بالوفاء بهذا الوعد وهذا القول، وأصرَّ على التوجُّه إلى الكوفة، لا لأنَّ لأهل الكوفة حجةً باقية عليه في الواقع، بل لأنَّه لم يشأ أن يدع أيَّ مجالٍ لإمكان القول بأنَّه لم يفِّ تماماً بالعهد، وذلك لو كان قد انصرف عن التوجُّه إلى الكوفة في بعض مراحل الطريق.

٤ - تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله:

وفي مجموعة من النصوص تصريحات من الإمام الحسين عليه السلام بصدد علَّة اختياره التوجه إلى العراق لا إلى غيره، هناك مجموعة من هذه النصوص يُصرِّح فيها الإمام عليه السلام بأنَّه إنَّما يخرج إلى العراق امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد تلقَّى الإمام الحسين عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق (الرؤيا) التي تكرَّرت غير مرة، وهي رؤيا حقَّة؛ لأنَّ الرائي إمامٌ معصومٌ عليه السلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ولأنَّ المرئي هو رسول الله صلى الله عليه وآله، والثابت في الأثر أنَّ مَنْ رآه في المنام فقد رآه^(٢).

(١) الألفاظ: ج ٢، ص ٥٣؛ تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣١١؛ الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢٠٢؛ مقتل الإمام الحسين:

(أي: محمد) ص ٥٩؛ بحار الأنوار: ج ٢، ص ٣٦٢؛ عن الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٢.

(٢) أنصار الإمام: ص ٢، و ص ٤٠؛ بحار الأنوار: ج ٢، ص ٣٠٠؛ العونم للإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٢٦.

فقصّد الإمام الحسين عليه السلام العراق خارجاً من مكّة: تنفيذاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحقيقاً لأهدافه الناتجة عن شهادته عليه السلام.

ثم إنّ الإمام عليه السلام خرج بصورة علنيّة، ولم يكن خروجه سرّاً، لكن قد اختار الإمام وقت السحر، لا لكونه يريد الخروج مستتراً خوفاً من مواجهة حربيّة علنيّة مع السّلطة الأمويّة في مكّة، وإنّما لأجل ما تحمله نفسه الشريفة من غيرّة حسينيّة هاشميّة تأبى أن تتصفّح أنظار النّاس في مكّة حرائر بيت العصمة والرسالة والنساء الأخريات في الركب الحسيني في حال خروج الإمام عليه السلام في وضوح النهار، حيث تغصّ مكّة بالنّاس.

إنّ هذا الأمر هو السّبب الأقوى من بين تلك الأسباب التي دفعت الإمام عليه السلام إلى الخروج في السحر، أو في أوائل الصّبح^(١)، خرجوا بذلك العزّ الشامخ، التفت الإمام الحسين لأصحابه، وقال: «مَنْ مِنْكُمْ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ عَلَى غَيْرِ الْجَادَةِ؟» فقال الطّرمّاح: أنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال له الإمام: «تقدّم أمام الركب» فتقدّم وجعل يرتجز ويقول:

يا ناصتي لا تدعري من زجري	واسر بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفر	آل رسول الله آل الفخر
السّادة البيض الوجوه الزهر	الصّاربين بالسّيوف البتر
الطاعين بالرمّاح السّمير	يا مالِك النّفع معاً والضّر
أيّد حُسيناً سيّدي بالنصر	على الطّغاة من بقايا الكفر ^(٢)

حتّى وصلوا كربلاء ونزلوا بها، ولسان حال العقيلة زينب عليها السلام:

طلعنه بشملنه امن المدينة والنّاس كلهم حاسدينه

(١) انظر: كتاب الركب الحسيني: ج ٣ ص ١٢ - ٢٢، مع تصريف واختصار يسيرين.

(٢) بحار التّوّهّد: ج ٢٢ ص ٣٢٢، نوائيم (الإمام الحسين عليه السلام): ص ٣٢٢.

وللغاضرية من لفينه	اجتنه العده ودارت عليه
والكاتبته اغدرت بينه	وروحى بگت وله وحزينه
ناديت يا عزنه وولينه	يحسين سدر بالضعينه
وشوف الجموع اگبلت لينه	أو ما غير قتلك رايدينه
ومن تنقتل ياهو يحمينه	ناداها يختي او جرت عينه
هيهات نرجع للمدينه	لا بدّ يزنب تشوفينه
فوك الرمال امذبّحينه	وتيسر عزيزتنا سكينه

(أبو ذية)

نزل وبكربله خيامه نصبها	ولعد الموت راياته نصبها
عليه امقدر إمن الله نصبها	مصارعهم بهل التربة الزكية

الله أكبر ما أجلّ رزية	مضت الدهور وما مضت أيامها
يوم به وتر النبي وحيدر	وبنو العواتك شيخها وغلأمها

الحاضرة السابعة

مِنْ مَوَاعِظِ
سَيِّدِ الشُّهُدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



أَسْبَلَتْ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْعِبَرَاتِ وَبَتَّ تُقَاسِي شِدَّةَ الزَّفَرَاتِ
وَتَبْكِي عَلَى أَثَارِ آلِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ ضَاقَ مِنْكَ الصَّدْرُ بِالْحَسَرَاتِ
أَلَا فَاذْكُرْهُمْ حَقًّا وَأَجِرْ عَلَيْهِمْ عُيُونًا لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْسِكَبَاتِ
وَلَا تَنْسَ فِي يَوْمِ الطُّفُوفِ مُصَابِهِمْ بِدَاهِيَةٍ مِنْ أَعْظَمِ النُّكَبَاتِ
سَقَى اللَّهُ أَجْدَاثًا عَلَى طِفِّ كَرْبَلَاءَ مَرَابِعَ أَمْطَارٍ مِنَ الْمُنْزَلَاتِ
وَصَلَّى عَلَى رُوحِ الْحُسَيْنِ وَجَسَمِهِ طَرِيحًا لَدَى النُّهْرَيْنِ بِالْفُلُواتِ
أَنْسَى وَهَذَا النَّهْرُ يَطْفُحُ ظَامِنًا قَتِيلًا وَمَظْلُومًا بِغَيْرِ تَرَاتِ
فَقُلْ لَابْنِ سَعْدٍ أَبْعَدَ اللَّهُ سَعْدَهُ سَتَلْقَى عَذَابَ النَّارِ وَاللَّعْنَاتِ
سَأَقْتُ طَوْلَ الدَّهْرِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَأَقْنُتُ بِالْأَصَالِ وَالْغُدُواتِ
عَلَى مَعْشَرٍ ضَلُّوا جَمِيعًا وَضَيَّعُوا مَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ بِالشُّبُهَاتِ^(١)

(١) القصيدة الشاعر أهل البيت عليه السلام يعين الحزازي رحمه الله سعيد بن علي بن وهيب بن سلمة الحزازي. أبو عبيد الشاعر المنهوي بعبد نسيه إلى حراقة إحدى قبائل اليمن السعيدة. وقد سمة رحمه الله أصله من الطوفة. ويقال له من قرقية. وأقام ببغداد. له كتاب طبقات السمر. وكتاب الواحد في مثالب العرب ومناقبها. وله من الشعر الكثير حتى نقل عنه أنه قال: مكنت نحو ستمائة بيت من يوم لم يارقه إلا وأنا أقول فيه شعرا... وقد تضم في جميع هذين الشعر لكه ضام منه الكثير. ومن الأسباب التي أتت في تأليف ديوانه أو قصته الفهر والطنم اللذين لاحظته لسمعة بهذا لقصص عليه وحملها له لنهايته الحقاء الحكام. من أشهر قصائده تلك التي مدح فيها أهل البيت عليهم السلام هي التي تعرف بالثانية (مدارس أبيات). ونم بيت أبيه أو مزوج أو سمر إلا وذكر بعضا من أبياتها. قتل مسعود بأبيي الظالمين في الأهواز سنة (214). وقد يقع من العصر (24) سنة وبعث فيها.

نظام ملخصا من مقدمة ديوانه بقسم ضياء. حبيب الأنطبي من (عصره إلى 3). وهذه القصيدة من ديوانه (عصره إلى ص 14).

يجدي عزيزكم منحور نحره ولعبت خيل عدوانه على صدره
يجدي وهشمت العدوان صدره ولا مفصل بظهره موش مكسور
يجدي عزيزكم حرگوا خيامه او ظلت بالشمس تلعه اليتامه
أو ركبوا خيلهم رضىوا إعظامه وضل مرمرى وجسمه موذر أوذر
يجدي لو شفت من هجمت الخيل على اخيمنه او صار انهارنه ليل
يجدي من أمتك ما ضل لنا معين خذونه يشهرونه بالبلادين

من كلمة لإمامنا الحسين عليه السلام أنه قال: «لا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً»^(١).
هذه الكلمات هي مقطع من كلمة قصيرة لإمامنا سيد الشهداء عليه السلام ينهى فيها عن ثلاث أمور:

الأمر الأول: لا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت.

والأمر الثاني: لا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله.

والأمر الثالث: لا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً.

أما الأمر الأول: فالإمام عليه السلام ينهى المؤمنين فيه أن يطلبوا من الجزاء أكثر مما صنعوا؛ لأن الإنسان إذا طلب من الجزاء أكثر مما صنع - سواء كان مع الله سبحانه وتعالى أم مع الإنسان المؤمن الآخر - فسيكون قد رضى عن نفسه أكثر من المطلوب، ولازم هذه الحال العجب غالباً، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن العجب وحذر منه أشد التحذير، حتى روي

(١) مجموعة قصص الإمام الحسين عليه السلام؛ ص ٢١١، عن أسرار الحكماء، ص ٩، شرح إحقاق الحق؛

عنه أنه قال: «لو لم تُذنبوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبرُ من ذلك، العُجب العُجب»^(١)،
فالعُجب مبطل للأعمال، حتّى رُوِيَ عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: «أتى عالمٌ عابداً فقال
له: كيف صلاتُك؟ فقال: مثلي يُسأل عن صلاته، وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا. فقال:
فكيف بكاؤُك؟ قال: أبكي حتّى تجري دموعي.

فقال له العالم: فإنَّ ضحكَكَ وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مُدللٌ، إنَّ المدلَّ لا
يصعد من عمله شيء»^(٢).

وقال عليه السلام: «إنَّ عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرائعه السبع في البلاد، فخرج في بعض
سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثيرَ اللُزوم لعيسى عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى
البحر قال: بِسْمِ اللَّهِ بِصَحَّةٍ يَقِينٍ مِنْهُ. فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير - حين نظر
إلى عيسى جازه -: بِسْمِ اللَّهِ، بِصَحَّةٍ يَقِينٍ مِنْهُ، فمشى على الماء وَلِحَقَّ بعيسى عليه السلام، فدخله
العُجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي فما فضله عليّ؟! قال:
فرَمَسَ في الماء، فاستعان بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه، ثُمَّ قال له: ما قُلْتَ يا قصير؟
قال: قُلْتُ هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي، فدخلني من ذلك عُجب، فقال له
عيسى: لقد وضعتَ نَفْسَكَ في غير الموضع الَّذي وضعك الله، فمقتك الله على ما قُلْتَ،
فُتِبَ إلى الله عزَّ وجلَّ ممَّا قُلْتَ.

قال: فتاب الرَّجُل، وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها»^(٣).

(١) مسند السنهال: ج ٢ ص ٢٢، الجامع الصغير: ج ٢ ص ٢٢٤، ج ٢ ص ٢٢٤، جامع مساعدي: ج ١،
ص ٢٢٤، التحفة السنية: ص ٥، شرح أصول الكافي: ج ٤ ص ١٩٩.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢١٣، ج ٥، كتاب الزهد: ص ٢٠، وسائل الشيعة: ج ١ ص ١٠١، ج ٩، بحار
الأنوار: ج ١ ص ٢٢، ج ٦، ج ١٠، ج ١٧، ج ٢، عن الكافي.

(٣) الكافي: ج ٢ ص ٢٠، ج ٢، قصص الأنبياء والجزائري: ص ٢٠٣ - ص ٢٠٤، جامع مساعدي: ج ١،
ص ٢٠٤، بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٢٤، ج ١٠، عن الكافي: ج ١ ص ٢٠٤، ج ٢، ج ٢، عن
الكافي أيضاً.

ولا يطلب من الجزء أكثر ممّا يستحق؛ لأنّنا لا نستحق على الله شيء، يعني مجرد أنّ الإنسان وفقّ لطاعة من الطّاعات لا يرى أنّه استحقّ على الله الجزء الأوفر؛ لأنّه بتوفيق من الله، فكّل عمل نعمله في طاعة الله ﷻ الله تبارك وتعالى أعلى مراتب الشكر فيه؛ ولذلك يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): «فأشكّر عبادك عاجزٌ عن شكرِك»^(١).

أما الأمر الثاني: فالإمام (عليه السلام) ينهى المؤمنين فيه أن يفرحوا بالأُمور التي ينالونها في غير طاعة الله، يعني الفرح له قسمان: فرحٌ في طاعة الله، وفرحٌ في غير طاعة الله، فالإمام يقول: «ولا تفرح إلا بما نلتَ من طاعة الله»، يعني: يحصر الفرح بما كان في طاعة الله.

فالإنسان تارةً يفرح؛ لأنّه نال طاعة من طاعات الله، وهي بعدد أنفاس الخلائق، فهذا التوفيق لحضور مجلس تعزية على سيد الشهداء (عليه السلام) من أهمّ الطّاعات لله سبحانه وتعالى، التوفيق لزيارة مرقد الأئمة وأولادهم (عليهم السلام) طاعة، وفرح المؤمن بهذه الطاعات مطلوب، وإلا فلا فرح حقيقي إذا لم يقترن بطاعة الله سبحانه وتعالى؛ ولذا يدخل رجل على الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم العيد، فيقول له (عليه السلام): «إنّما هو عيدٌ لمن قبل الله من صيامه، وشكر قيامه، وكلّ يومٍ لا يُعصى الله فيه فهو عيد»^(٢)، يريد أن يبيّن الإمام (عليه السلام) أنّ حقيقة العيد ومناط الفرح فيه هو طاعة الله سبحانه وتعالى وعدم معصيته، لا أن يفرح الإنسان لأنّه تحقّق له مالٌ أو سكن أو عمل، نعم، هي أمور جيّدة لكن بهذا القيد (طاعةُ الله سبحانه وتعالى)، وإلا فهي بنفسها لا فائدة منها، بل قد تكون وبالاً على الناس المالكين لها؛ لأنّ هذه الأمور مشتركة بين الطاعة وبين المعصية، وكلّ شيء من هذا القبيل قابل أن يكون فيه لله رضا، ويَمُكن أن يكون فيه سخط، ولذا يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

(١) نصيفة السجّادية - ص ٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة - ج ٤ - ص ٧٢١.

«المؤمن يُكتب مُحسناً ما دام ساكناً، فإذا تكلم كُتب مُحسناً أو مسيئاً»^(١).

الكلام هو كلام واحد، لكن يشترك بين رضا الله وبين سخطه، فقراءة الكتاب المفيد فيها أجرٌ وثواب كما إذا احتوى على فضائل أهل البيت عليه السلام، وقراءة الكتاب المنحرف فيها إثم وعقاب، والقراءة واحدة، وما شاء الله من هذه المصاديق العديدة، والإمام الحسين عليه السلام في هذا المقطع يريد أن يقول: اجعل فرحك بقدر ما نلت من طاعة الله؛ لأنَّ المؤمن هو مَنْ سرَّته الحسنةُ وأسأته السيئة^(٢)، فإذا أتى بطاعةٍ من طاعات الله سبحانه وتعالى وفرح بها لأنَّه وُفق لها لم يكن مأثوماً، لأنَّه ليس بعُجب؛ إذ هناك فرق كبير بين الفرح بطاعة الله - الذي هو المطلوب - والعُجب المنهي عنه، فالفرح هو أنَّك ترى لله عليك الفضل والامتنان في توفيقك لهذا العمل، وأنَّك مازلت مُقَصِّراً كُلَّ التقصير أمام الله سبحانه وتعالى، ولا ترى لنفسك شيئاً، والتوفيق كُلُّه من الله سبحانه وتعالى.

أما العُجب فترى أنَّك قد حققت الطاعة القصوى لله، ولا ترى أحداً أتى بها أتيت به، وكأنَّك الأوحدي في عبادتك لله، وهذه من وساوس الشيطان.

مثلاً: يوفق الإنسان لصلاة الليل، فإذا أقامها في السحر، ثم بعد ذلك ألحقها بخشوعٍ ومُنَاجاةٍ ودموعٍ ولا أحد يدري به إلا الله سبحانه وتعالى، في صباح ذلك اليوم يمشي على أطراف أصابعه أنَّه وُفق لهذه الطاعة، فماذا يريد الله منه؟! ومَنْ مثله قد فعل ذلك؟!

(١) نهج السعادة، ج ٢، ص ٢٦، التحفة السنية، ص ٨٧، ونسب إلى الإمام الصادق عليه السلام. ومعه في النكاح، ج ٢، ص ١١، ج ٣١، والإقرار بزيادة (لا يزال بعد) وفي كتاب الاقتادات لسيد محسن؛ ص ٩٠، روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يزال الرجل المسلم».

وفي الحصان، ص ١٤، ضمن ج ٥٢ روى عن علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن الإمام الصادق عليه السلام. وكذا في توب الأخطاء، ص ١٠، ص ١٢٨.

(٢) في النكاح، ص ٢، ص ٢٢٢، ج ٦ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من سرَّته حسنةُ وسأته سيئةٌ فهو مؤمن» ومعه في التوحيد، ص ١٠، عن النبي صلى الله عليه وآله. بحار الأنوار، ج ٤، ص ٣٠٠، ج ٥٢، ص ٢٢٢.

وأقرانه قد تفوتهم صلاة الفجر وهو في السحر مع الله وحده، لا يعلم به أقرب المقرّين إليه، هذا هو الخطر الفضيع للمؤمن وهو من مزالق الشيطان الخطرة جداً.

الأمر الثالث: «ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً»، يعني: إشارة خفيفة إلى قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «رَحِمَ الله امرءاً عرف قدره ولم يتعدَّ طوره»^(١)، أي: لا تطلب إلا ما يُناسبُك وما هو أهل لك وأنت أهل له، وإلا فتجلب لنفسك العار والشَّار في الحياة الدنيا، والعقوبة في الآخرة، ولذلك يُروى أن بهلولاً أتى يوماً إلى قصر الرشيد فرأى المسند والمتكأ الذي هو مكان هارون خالياً، فجلس في مكانه لحظةً، فرآه الخدم والحجَّاب، فضربوه وسحبوه من مكان الخليفة، فلما خرج هارون من داخل القصر رأى بهلولاً جالساً يبكي، فسأل الخدم، فقالوا: جلس في مكانك فضرَبناه وسحبناه، فزجرهم وعَنَّفهم، وقال له: لا تبك. فقال: يا هارون، ما أبكي على حالي، ولكن أبكي على حالك، أنا جلستُ في مكانك هذه اللحظة الواحدة فضربوني هذا الضرب الشَّدِيد، وأنت جالس في هذا المكان طول عمرِكَ فكيف يكون حالكَ غداً؟!^(٢) يعني: هذا المكان ينبغي أن يجلس فيه مَنْ يعدل في الرعية وينصف في القضية، ويَقْضي بالسوية، وأنت لست بأهل؛ لأنَّ هارون السفهية لم يعرف قدره حقَّ معرفته، وأعطى نفسه ما لا تستحقُّ، وتناول ما لم يكن له أهل، وكانت الأحقية لإمامنا المظلوم المسموم الإمام الكاظم عليه السلام، فعلى الإنسان أن يضع نفسه في الموضوع الذي هو أهل له، وإلا فالويل له.

ولهذا نرى أنَّ إمامنا الحسين عليه السلام رأى نفسه أهلاً لقيادة الأمة من الراعي يزيد، فعندما هلك مُعاوية، وذلك في رجب سنة ستين للهجرة كتب يزيد بن مُعاوية إلى الوليد بن عُتبة

(١) ابن جرير: المعجم والمؤلف: ص ٢٠١، شرح مائة كلمة تأمير المؤمنين عليه السلام: ص ٥٥، شرح نهج البلاغة:

ج ١ ص ١١٨ المسبب (الحوار: ص) ص ٣٥٥، جواهر المطالب: ص ١٠١، ج ١، الفصل الميمية في

معرفة النفس: ج ١ ص ١٥٠.

(٢) دلائل الشيعة: ج ٣ ص ٢٠٠، وأنظر: شجرة طوبى: ج ١ ص ٥.

بن أبي سفيان بن حرب الأموي - وقد وُلِّي المدينة سنة (٥٧) للهجرة أيام معاوية - يأمره بأخذ البيعة له من أهلها عامة، ومن الحسين بن علي عليه السلام خاصة، ويقول له: إن أبي عليك فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمر الحسين عليه السلام، فقال: إنه لا يقبل، ولو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أكن شيئاً مذكوراً. ثم بعث إلى الإمام الحسين عليه السلام فجاءه في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه، فنعى الوليد إليه معاوية، وعرض عليه البيعة ليزيد، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «أيها الأمير إن البيعة لا تكون سراً، ولكن إذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم»، فقال مروان: لا تقبل أيها الأمير عذره، ومتى لم يبايع فاضرب عنقه.

فغضب الإمام الحسين عليه السلام ثم قال: «ويلي عليك يابن الزرقاء، أنت تأمر بضرب عنقي، كذبت والله ولؤمت» ثم أقبل على الوليد، فقال: «أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجلٌ فاسقٌ شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، (ليس له هذه المنزلة، يعني: أنه ليس أهلاً لهذا المكان) ومثلي لا يبايع مثله، (الإمام عليه السلام) لم يقل وأنا لا أبايع يزيد، بل يقول: الذي هو مثلي في الأهداف والمبدأ لا يبايع الذي يحمل ما يحمله يزيد إلى يوم القيامة، غير مختص في زمانٍ أو مكانٍ مُحدّد) ولكن نصبح وتصبحون، وننظر ونتفكر، وننظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة»^(١)، وبالفعل فإن الإمام الحسين عليه السلام انتظر ذلك اليوم الذي رفع فيه شعار لا إله إلا الله، وهيهات منا الذلة، ولكنها كلمة احتاجت دماءً تفديها لئلا تحمد، فقدم القربان تلو القربان، والعزير تلو العزيز إلى أن وصل الأمر إليه فشاء الله أن يراه قتيلاً.

(١) انظر: مشير الأحزان، ص ١٠٠، الإنسان، ج ٢، ص ٢٢ - ٢٣، انجف، ص ١٧٠، بحار الأنوار:

ج ١٠، ص ٢٢٢، ٢٢٣، نجات الإمام الحسين عليه السلام، ص ١٢٢، ١٢٣.

يقول الراوي: والله لا أنسى زينب بنت عليّ وهي تندب أخاها الحسين، وتنادي بصوتٍ حزينٍ وقلبٍ كئيبٍ: «يا مُحَمَّداه، يا رسولَ الله، صلِّ عليكَ مَلِيكَ السَّماءِ، هذا حُسَيْنُكَ مُرْمَلٌ بالدماءِ، مقطَّعُ الأَعْضاءِ، وبناتُكَ سبايا، إلى الله المشتكى وإلى مُحَمَّدٍ المصطفى وإلى عليٍّ المرتضى وإلى فاطمةَ الزهراء وإلى حمزةَ سيِّدِ الشُّهداءِ، يا مُحَمَّداه، هذا حسينٌ بالعراءِ، تسفي عليه ريحُ الصَّبا، وا حُزنَاه، وا كرباه عليك يا أبا عبد الله، اليوم مات جدِّي رسولُ الله ﷺ»^(١).

ولسان حال سيِّدِ الشُّهداءِ ﷺ لأخته زينب ﷺ:

خويه هالترابة أحرَّغت خدِّي خويه والعطش ذوبه الجبدي
خويه والشمس زيَّدت وجدِّي فيلِّي بردن ثوبج عن الحرِّ
صورة لزينب ﷺ عندما نظرت فرأت أخاها الحسين ﷺ على وجه الأرض يقبض
يميناً ويسطُ شمالاً، والدم يسيل من جراحاته كالميزاب، فرمت بنفسها على جسده الشريف:

هوت فوگه تصيح ابصوت يحسين

عليك أُمَّك يخويه ديرلي العين

ونَّ وصاح يا زينب اشتردين

كسرت الغلب منِّي وزدتي الهَمَّ

ردِّي الخيمتج لمي أطفالي

او عگب عينا عینچ علی اعیالی

(١) أنظر: التهذيب، ص ١٠٠، بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ١٥٠، نعيان الإمام الحسين ﷺ، ص ٢٠٢.

يخويه الشمر هالموجب اگبالي

دشوفيه على چتلي إشلون مهتم

يخويه بيش أضمّك وين أوديك

يخويه اشلون أصد عنك وخليك

تراني تحيرت يا مهجتي ييك

يخويه بيش أضللك عن الحرّ

قُتل الحسين فيا لها من نكبة عمّت قلوب المؤمنين جميعاً

الحاضرة الثانية

فَرِيضَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ



رَحَلُوا وَمَا رَحَلُوا أَهْلًا وَدَادِي
سَارُوا وَلَكِنْ خَلَّفُونِي بَعْدَهُمْ
وَسَرَتْ بَقْلَبِي الْمُسْتَهَامِ رِكَابُهُمْ
وَخَلْتُ مَنَازِلَهُمْ فَهَا هِيَ بَعْدَهُمْ
وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِهَا وَقُوفَ مُوَلَّهِ
أَبْكِي بِهَا طَوْرًا لِفَرْطِ صَبَابَتِي
يَا دَارُ أَيْنَ مَضَى ذَوُوكِ أَمَا لَهُمْ
يَا دَارُ قَدْ ذَكَّرْتَنِي بِعِرَاصِكَ الْـ
لَّمَّا سَرَى عَنْهَا ابْنُ بَنْتِ مُحَمَّدٍ
بَقِيَتْ عَلَيْهِ تَنُوحُ بَعُولَةٍ

إِلَّا بِحُسْنِ تَصَبَّرِي وَفُؤَادِي
حُزْنًا أَصَوَّبُ الدَّمْعَ صَوَّبَ عَهَادِي
تَعَلُّوا بِهِمْ جَبَلًا وَتَهَبَّطُ وَادِي
قَفَرِي وَمَا فِيهَا سِوَى الْأَوْتَادِ
وَبِمُهِجَتِي لِلْوَجْدِ قَدْحُ زِنَادِ
وَأَصِيحُ فِيهَا تَارَةً وَأُنَادِي
بَعْدَ التَّرَحُّلِ عَنْكَ يَوْمَ مَعَادِ
قَفَرِي عِرَاصَ بَنِي النَّبِيِّ الْهَادِي
بِالْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ وَالْأَوْلَادِ
وَتَقُولُ ذَابَ مِنَ الْفِرَاقِ فُؤَادِي^(١)

(١) القصيدة لمسيب مهدي الأنجرجي^(٢) باستناد البيت الأخير. فإنه يستند إلى الحطيب الأديب أبي
معين نخعني (حفظه الله). قال السيد جواد غير^(٣) في لب الطفلة «سيد مهدي الأنجرجي بن
السيد زكريا بن السيد حسين بن السيد علي الحسيني الأنجرجي نبعدان». ولد سيد مهدي في
الجبف الأنجرج سنة (١٢٢٢ هـ). درس في الحضانة على يد حاكم الحطيب الشهير الشيخ قاسم
الحلي. ازل نظم الشعر وشره أربعة عشر سنة. رُوِيَ قصيدة نصيها هي قصيدة في رثاء الإمام
الحسن المصطفى^(٤):

قضى الرزقي حُرُوبًا يَا مَعْشِيه رُبَّكَ عَلَيْهِ هَذِي الْأَمَلَاتُ تَبْكِيه

درس العربية والعلوم على يد العلامة الكبير شيخ الأئمة السيد رضا الهندي^(٥). توفي سيد مهدي
سنة (١٢٥٩ هـ) في طريقا بسطط الصرات في الحلة يوم الخميس من شهر رجب. جمع ديوانه شقيقه
الحطيب السيد حبيب. والمسيب الأنجرجي طرف حقيقة زوج بالتوحم من النجف التي لا تشارك حبيباه.
عاز تكاد تحبته النادرة والمكة. وأما ولادته لأهل البيت وثقافته في حبيب هو من ألم ميزانه ولا
أنته في لائق الحسية وحبس بالكل. وقد أنشأ عرو في خدمة امير الحسيني). ادب نطفة:
ج ٩، ص ١٩٣. ص ١٩٤.

(نصاري)

سار احسين وأمسه الحرم مغبر
 طلّعوا آل هاشم عن وطنهم
 ساروا ليلهم وأبعد ظعنهم
 دريضوا هنا يهلنه للعليله
 يهلنه بعدكم ما نام ليله
 يهلنه خلّوا الطفل بالله
 يهلنه من المرض گلبى تگله
 نادى احسين يا فاطم دردي
 لوديلج علي ابني اوجبدي
 ردت للمدينه اوسار أبوها
 ظنّت فاطمة لنهم يجهوها
 يويلي والمدينه صفت تصفر
 اوظل خالي حرم جدهم بعدهم
 اولن صوت العليله ابگلب محتر
 يهلنه افراگکم ما ليش حيله
 او عيني من بعدكم دوم تسهر
 يضل عندي اوروحوا اوداعة الله
 يهلنا خلّوا اخويه الطفل واسدر
 يبويه للمدينه وطن جدي
 اولابد مايجي يمتج اخبر
 اوظلت ترتقب عمّها وأخوها
 أخوها والبطل عمّها المشكر

قال الله تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروع الدين التي لا تقل أهمية عن غيرها من الفروع كالصلاة وغيرها، وقد حثَّ الله سبحانه وتعالى على هذه الفريضة العظيمة في آيات عديدة، منها هذه الآية وآيات أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية المباركة.

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) آل عمران: ١١٠.

وقد أكد النبي ﷺ على هذه الفريضة العظيمة في أكثر من حديث، فقد قال ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر...»^(١).

وكذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت بين الأحياء»^(٢).

وكذلك قد حثَّ الأئمة عليهم السلام على هذه الفريضة، ومن بعد الأئمة جاء دور ممثلي الأئمة، ألا وهم الفقهاء، فقد اهتموا بهذه الفريضة اهتماماً بالغاً، وعقدوا لها باباً خاصاً في كتبهم، واستدلوا على وجوبها بالنص القطعي من القرآن الكريم والروايات الشريفة، وبإجماع المسلمين، وضرورة الدين، تماماً كالصلاة والصوم، بل قال بعض فقهاءنا: إنَّ وجوبه ثابتٌ بالعقل، لا بالسمع، وأنَّ النصَّ الثابت في الكتاب يرشدُ إلى حكم العقل ويؤكدُه، بحيث نحكم بالوجوب، حتى ولو لم يرد نصُّ به من الشارع.

نعم، اختلف الفقهاء في أنَّه هل يجب عيناً، بمعنى: أنَّه كالصلاة اليومية لا بُدَّ على كلِّ إنسان أن يأتي به؟ أو كفايةً، بمعنى: أنَّه يسقط عن الجميع بفعل البعض كالصلاة على الميت؟ ذهب بعض الفقهاء إلى الأوَّل وبعض إلى الثاني^(٣).

ومنشأ اختلافهم - في أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل هما واجبان عيناً أو كفاية - في تفسير (مِنْ) في الآية المذكورة في صدر الكلام، فمنهم مَنْ قال إنها تبعية، أي: ولتكن منكم بعض الأئمة؛ لأنَّ الإنسان عندما يقول - مثلاً -: قرأتُ من الكتاب، فيعني أنه قرأ بعض الكتاب؛ ولذا ذهب البعض إلى أنَّه واجب كفاي. أمَّا البعض الآخر فيرى أنَّ (مِنْ) هنا بيانية وليست تبعية^(٤).

(١) تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨٠، ج ٢٤، مسلك الأنوار، ص ١٠٥، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢٠٤.

(٢) المنهاج، ص ٨٠٨، ٨٠٩، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٨٠، ج ٢٤، مسائل السيف: ج ١، ص ١٢٢، ج ٤.

مسلك الأنوار، ص ١٠٥، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢٠٤.

(٣) أنظر: فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٤) أنظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٨، ص ١٢٧، ١٢٨.

وعلى آية حال فالآية المباركة اشتملت على ثلاثة أمور نُكَلِّفُ بها، أولها: الدعوة إلى الخير، ثُمَّ الأمر بالمعروف، ثُمَّ النهي عن المنكر، ولأجل العطف الموجود بين هذه الثلاثة يجب كون هذه الثلاثة متغايرة، فالدعوة إلى الخير جنس تحته نوعان:

أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي فعله، وهو الأمر بالمعروف.

وثانيهما: الترغيب في ترك ما لا ينبغي فعله، وهي النهي عن المنكر، فذكر الجنس أولاً، ثُمَّ اتبعه بنوعيه مُبالغةً في البيان^(١).

والدعوة إلى الخير لا تنحصر في أمرٍ من الأمور، بل هي تشمل كل ما فيه الله رضى، إنسان يُوصي إنساناً آخر لحضور مجالس العزاء، فيها دعوة للخير وأمر بالمعروف وإن كان مُستحباً؛ لأن الأمر بالمعروف إذا وقع على شيء مستحب يكون الأمر به حينئذٍ مُستحباً، وإن وقع على شيء واجب يكون الأمر حينئذٍ واجباً.

فالآية تُشير إلى أَنَّ الأُمَّةَ من أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كما قال الإمام الصادق عليه السلام: في ذيل هذه الآية: «لأنه مَنْ لم يكن يدعو إلى الخيرات ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من المسلمين فليس من الأُمَّة التي وصفها؛ لأنكم تزعمون أَنَّ جميع المسلمين من أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ قد بدت هذه الآية وقد وصفت أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ بالدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومَنْ لم يوجد فيه الصفة التي وصفت بها فكيف يكون من الأُمَّة وهو على خلاف ما شرطه الله على الأُمَّة ووصفها به؟!»^(٢).

ومن بعد معرفة أهمية هذه الفريضة لا بُدَّ من التحدث عن شرائطها؛ لأنَّ كلَّ فريضة من الفرائض لا بُدَّ لها من شروط، وهذه الفريضة هي كباقي الفرائض لا تقلُّ أهمية عنها، ولها أيضاً شروط لا بُدَّ من معرفتها واجتماعها حتّى تجب، سواء كانت وجوباً عينياً أم كفايياً، وهذه الشروط هي:

(١) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج ٨، ص ١٢٨.

(٢) تفسير البسيط: ج ١، ص ١٥٥، ج ٢، ص ١٢٧، تفسير البرهان: ج ٢، ص ٨٩، ج ٣.

- ١ - معرفة المعروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا يجبان على الجاهل بالمعروف والمنكر.
- ٢ - احتمال ائتمار المأمور بالمعروف بالأمر، وانتهاء المنهي عن المنكر بالنهي، فإذا لم يُجتمَلَ ذلك، وعَلِمَ أَنَّ الشَّخْصَ الفاعل لا يُبالي بالأمر أو النهي ولا يكثرُ بهما لا يجب عليه شيء.
- ٣ - أن يكون الفاعل مُصرّاً على ترك المعروف وإرتكاب المنكر، فإذا كانت أمانة على الإقلاع، وترك الإصرار لم يجب شيء.
- ٤ - أن يكون الفاعل عالماً بالمعروف والمنكر، فإن كان معذوراً في فعله المنكر أو تركه المعروف - لا اعتقاد أن ما فعله مُباحٌ وليس بحرام، أو أن ما تركه ليس بواجب، أو كان معذوراً في ذلك للاشتباه في الموضوع أو الحكم، اجتهداً أو تقليداً - لم يجب شيء^(١).
- ٥ - أن لا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر في النفس، أو في العرض، أو في المال على الأمر أو على غيره من المسلمين، فإذا لزم الضرر عليه، أو على غيره من المسلمين لم يجب شيء، ولا بُدَّ في هذا الشرط من ملاحظة الأهم، فقد يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم بترتب الضرر أيضاً إذا كان الأمر هو الأهم من تحمّل الضرر، كما ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى. فإذا اجتمعت هذه الشروط الخمسة يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثمّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب هي:

الأولى: الإنكار بالقلب، بمعنى إظهار كراهة المنكر، أو ترك المعروف، إمّا بإظهار الإنزعاج من الفاعل، أو الإعراض والصدّ عنه، أو ترك الكلام معه، أو نحو ذلك من فعل، أو ترك يدّل على كراهة ما وقع فيه.

الثانية: الإنكار باللسان والقول، بأن يعظه، وينصحه، ويذكر له ما أعدّ الله سبحانه

(١) أنظر: مساجد الصالحين للسيد الحسني رحمه الله: ج ١، ص ٢٠٠.

للعاصين من العقاب الأليم والعذاب في الجحيم، أو يذكر له ما أعدّه الله تعالى للمطيعين من الثواب الجسيم والفوز في جنّات النعيم.

الثالثة: الإنكار باليد بالضرب المؤلم الرادع عن المعصية.

ولكلّ واحدة من هذه المراتب الثلاث مراتب أخفّ وأشدّ، والمشهور الترتّب بين هذه المراتب، فإنّ كان إظهار الإنكار القلبي كافياً في الزجر اقتصر عليه، وإلا أنكر باللسان، فإن لم يكن يكفي ذلك أنكره بيده، مراعيّاً الترتيب المأخوذ في هذه المرتبة الثالثة شيئاً فشيئاً^(١).

ولذلك رأى أبو عبد الله الحسين (عليه السلام) أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بدعوته إلى الخير، ويبنّ ذلك بوصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّا خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد (صلى الله عليه وآله)، أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد (صلى الله عليه وآله) وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين...»^(٢).

روى عبد الله بن سليم - وغيره - قال: كنّا نسير مع الإمام الحسين (عليه السلام) حتى نزل شراف، ولما كان السحر أمر أصحابه أن يحملوا الماء وأن يكثرُوا، فلما أصبحوا ساروا من شراف حتى انتصف النهار، بينما هم يسرون إذ كبر رجل من أصحابه، فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): «الله اكبر، لم كبرت؟» قال: سيدي رأيت النخل. فقال له رجل من أصحابه: ما رأينا في هذا المكان نخلة واحدة. فقال الحسين (عليه السلام): «وما ترون؟» قالوا: والله، لا نرى إلا أسنة الرّماح وآذان الخيل. فقال (عليه السلام): «وأنا والله أرى ذلك»، ثم قال (عليه السلام): «ما لنا ملجأ نلجئ إليه ونجعله خلف ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد؟» قالوا: بلى، هذا ذو حُسمٍ

(١) مصباح الصالحين: لسيدنا علي بن أبي طالب (عليه السلام) ج ١ ص ٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٣٣. نعيان الإمام الحسين (عليه السلام) ص ١٠٩.

إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك. فأخذ ذات اليسار.

قال: فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، كأن أستتهم اليعاسيب، وكأن راياتهم أجنحة الطير، فأمر الإمام الحسين عليه السلام بالأبنية فضربت، وجاء القوم زهاء ألف فارس، يتقدمهم الحر بن يزيد الرياحي وكان مجيئه من القادسية، فنزل حذاء الإمام الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، والإمام الحسين وأصحابه جالسين متقلدي أسياهم.

فقال الإمام الحسين عليه السلام لفتيانه: «اسقوا القوم واروهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً» فأقبلوا يملئون القصاع والطساس، ثمّ يُدنونها من الفرس حتّى أسقوهم عن آخرهم.

قال الراوي: وما زال الحرّ مخالفاً للحسين عليه السلام حتّى حضر وقت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام بالأذان، فأذن، ثمّ خرج الإمام الحسين عليه السلام والتفت إلى الحرّ، وقال: «أتصلي بأصحابك؟»

فقال الحرّ: كلاً، بل تُصلي ونُصلي بصلاتك، فصلّى الإمام الحسين عليه السلام فلما فرغ من صلاته أقبل عليه بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبيّ فصلّى عليه، ثمّ قال: «أيّها الناس، إني لم آتكم حتّى أتني كُتُبكم، وقدمت عليّ رُسُلكم، فإن كنتم لقُدومي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه».

فقال الحرّ: أنا والله، لا أدري ما هذه الكتب والرسل! فصاح الإمام الحسين عليه السلام لعقبة بن سمعان: أخرج الخرجين المملوئين صُحُفاً. فأخرجها عقبة ونشرها بين يديّ الحسين عليه السلام والحرّ، فقال الحرّ: لست من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرت أن لا أفارقك حتّى أدخلك الكوفة ولأضع يدك في يد ابن زياد.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: «إذا الموت أدنى إليك من ذلك»، فحال الحرّ بينهم وبين المسير.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: «ثكلتك أمك ماذا تريد منهم؟» فقال الحرّ: لو غيرك من

العرب قالها لي، وهو على هذا الحال الذي أنت عليه ما تركتُ ذكر أمّه بالشكل كائناً مَنْ كان، ولكن والله، ما لي إلى ذكر أمّك من سبيل إلا بأحسن ما نقدرُ عليه.

فقال الإمام الحسين (عليه السلام): «إذن ماذا تريد؟» قال: أريدُ أن أنطلق بك إلى الكوفة، إلى ابن زياد.

فقال الإمام الحسين (عليه السلام): «إذن والله، لا أتبعك». فقال الحرّ: إذن والله، لا أدعك. فترادّا القول في ما بينهم ثلاث مرّات، فخشي الحرّ الفتنة، فقال: يا أبا عبد الله، إنّي أمرتُ إذا لقيتُك لا أفارقُك، فإذا كان الأمر كذلك فخذ طريقاً لا يردُّك إلى المدينة ولا يدخلك الكوفة؛ ليكون بيني وبينك نصفاً، حتّى أكتبَ إلى ابن زياد، لعلَّ الله أن يأتي بأمرٍ يرزقني فيه العافية من أن آتي بشيء من أمرك، فخذها هنا تيسراً من طريق العذيب والقادسية. فرضي الإمام الحسين (عليه السلام) بذلك، فساروا، فبينما هم يسرون التفتَ الحرّ إلى الإمام الحسين (عليه السلام) وقال له: يا أبا عبد الله، إنّي أذكرك الله في نفسك، فإنّي أشهدُ لأن قاتلتَ لتقتلنّ، فقال له الإمام الحسين (عليه السلام): «أفبالموت تخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، وهو يريد نصرة الرسول خوفاً من ابن عمّه وقال له: أين تذهب؟! إنك مقتول. فأنشأ يقول:

أقدم نفسي لا أريدُ بقاءها	لتلقى خميساً في الوغى وعمرماً
سأمضي وما بالموت عارٌ عل الفتى	إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصّالحين بنفسه	وفارق مثبوراً وودّع مجرماً
فإن عشتُ لم أندم وإن مُتُّ لم أذم	كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرعماً

قال: فلما رأى امتناع الحسين (عليه السلام) سكت وجعل يُسايره، فلما أصبح الصّباح نزل وصلى، ثمَّ عجل بالركوب، فأخذ يتيسر بأصحابه يُريدُ أن يُفرقهم حتّى انتهوا إلى

نينوى^(١). ويروى أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأصحابه: «مَنْ مِنْكُمْ يَعْرِفُ الطَّرِيقَ؟» فقال الطَّرمَّاح^(٢): «أنا يا ابن رسول الله، فقال له الحسين عليه السلام: «تقدّم»، فتقدّم الطَّرمَّاح أمام الركب، وجعل يرتجز ويقول:

يَا نَاقَتِي لَا تَذْعَرِي مِنْ زَجْرِي وَاسِرْ بِنَا قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ^(٣)
فسارت ضعينة الإمام الحسين عليه السلام على هذه الحالة، وقد حقّتها بنو هاشم وأصحابه الصّفوة والطَّرمَّاح يحدو بها، ولكنّها يوم خرجت من كربلاء حقّت بها الأعداء من كلّ جانب، وسارت على حالة يحدو بها شمّر بن ذي الجوشن وزجر بن قيس:

أَيْسَوْفُهَا زَجْرٌ بِضَرْبِ مُتُونِهَا وَالشَّمْرُ يَحْدُوهَا بِسَبِّ أَيْيِهَا

وزينب تخاطب أخاها بلسان الحال:

وَدَّعْتُكَ اللَّهُ يَا عَيْوَنِي يَرُدُّونَ عَنْكَ يَا خِذُونِي
اوزجر اوخولّه اليباروني للكَوْفَةِ أَنْوُوا يَمْشُونِي
نخيت إخوتي اولا جاوبوني وَاِبْغَضَ عَنْكُمْ فَاَرْغُونِي

كطعت الرّجّه او خابت اظنوني

(١) أنظر: الأوساد ج ٢ ص ١٠٠ - ٨٢، تاريخ مطيري ج ٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٤، تكامل في التاريخ ج ٤، ص ٤٠٠، مثل كلام الحسين عليه السلام (أبو محمد)، ص ٨١، ص ٩٢، بحار الأنوار ج ١٥ ص ٣٦٥ - ٣٨٠، المواقف (الإمام الحسين عليه السلام) ص ٢٢٥، ص ٢٢٠.

(٢) قال عبد السيد النحوي في كتابه «تقديم معجم رجال الحديث» ج ١ ص ١٢٥، رقم (١٣٠)؛ «الطرمّاح بن عتيق، عنه الشيخ تارة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قائلا: رويته إلى معاوية، وأخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام».

(٣) أنظر: بحار الأنوار ج ١٥ ص ٣٦٥.

وكأنِّي بها توجَّهت إلى جهة العَلَمي، وخاطبت الجمال أيام رجوعها من السَّبي:

يجمّل مُرّينا على عباس	اخونه العجيد اليرفع الراس
نكله تراهم غوم الأرجاس	خذونه اوعلينه الشّمّر حرّاس

تتفرج على أحوالنا الناس

هذه زينبُ ومن قبلُ كانت	بحمى دارها تُحطُّ الرجالُ
-------------------------	---------------------------

الحاضرة التاسعة

أقسام العبادات



ولقد وقفتُ فما وقفنَ مدامعي
وذكرتُ حينَ رأيتها مهجورةً
أبياتُ آلِ مُحَمَّدٍ لما سرى
ونحا العراقُ بفتيةٍ من غالبِ
صيدٍ إذا شبَّ الهياجُ وشابتِ
ركزوا قناهم في صدورِ عداهمُ
وجدوا الردى من دُونِ آلِ مُحَمَّدٍ
ودعاهمُ داعي القَضاءِ وكلَّهم
فهوى على عُفْرِ التُّرابِ وإنَّما
ونأوا عن الأعداءِ وارتحلوا إلى

فِي دَارِ زَيْنَبَ بَلْ وَقَفْنَ رَبَابَا
 فِيهَا الْغُرَابُ يُرَدِّدُ التَّنْعَابَا
 عَنْهَا ابْنُ فَاطِمَةَ فَعُدْنَ يَبَابَا
 كُلُّ تَرَاهُ الْمُدْرِكُ الْغَلَابَا
 الْأَرْضُ الدَّمَا وَالطِفْلُ رُعباً شَابَا
 وَلِبِيضِهِمْ جَعَلُوا الرَّقَابَ قِرَابَا
 عَذْباً وَبَعْدَهُمُ الْحَيَاءُ عَذَابَا
 نَدَبٌ إِذِ الدَّاعِي دَعَاهُ أَجَابَا
 ضَمُّوا هُنَاكَ الْخَرَدَ الْأَتْرَابَا
 دَارِ النِّعَمِ وَجَاوَرُوا الْأَحْبَابَا^(١)

(١) الأبيات لبـد رفا' انهدي ﷺ. قتـل معـه السيـد جـواد سـيـد ﷺ في اديـب الطـفـل: ٩٢ ص ٢٥٦: ٢٥٥: «السـيـد رفا' انهدي سـيـح الأديـب في اعرافـه، والتـامـم الجـمـل المـزج، والـبحـافـة السـيـر، وهـو ابـن سيـد محمـد ابـن سيـد هاشـم البـسـوي الهـندي.

وُلِدَ في الثامن من شهر ذي القعدة سنة (١٢٤٠ هـ). وهاجر إلى سامراء بهجرة أبيه سنة (١٢٤٨ هـ) حين اجتاح السجف وباء الطاعون. وكان حاملاً حينئذ. ومكث بإصل دروسه في سامراء. وكان يهتم بحياة من تبة الله المجدد السمراني. لذلك وسرعة تميزه وسعة الاطلاع. وفي السجف واصل جهوده العلمية على أساتذته العظم حتى مال درجة لاجتهاد...

مؤلفاته: الميزان المتادل بين الحق والباطل في الرد على الكفارين (مطبوع)، وبلغة الراحل في الأخلاق
والمعتقدات، ونوحي في شرح الكافي في الدرر والنفوس، سبحة مسجد في التاريخ بأبجد (وقد
فقد)، وشرح خاتمة الإيجاز في الفقه.

لما الرخصة التي ختم بها حياته، يطلب أن تكون معه في فرد فهي هذه: تعلية العظيمة.

زور، عسکری مؤلفه بالادست

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كانت وفاته بالمسحاب فجاء بالسكينة القلبية. وذلك بعد شهر يوم الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى سنة (١٢١٢هـ) المصادف (٢٠ مارس سنة ١٩٥٦ م). وحُمل جثمانه على الأضلاع إلى قضاء أبي مسخير في النجف في صبيحة اليوم الثاني وكان يوماً سهوياً حتى دفن بعقورة الأسرة العاصية. وأقام به يوم واحدة التلبية السيد أبو الحسن [الأنصاري] الصالحة من روحه في مسجد الشيخ الأنصاري بالقرب من دار القبة....».

(فاتري)

طوّح الحادي والظعن هاج ابحنينه
 اوزينب تنادي سفرة الغشرة عليه
 صاحت ابكافله شديدا العزم والباس
 شمّر اردانك وانشر البيرغ يعباس
 چني أعينها مُصيبة تشيب الراس
 ما ظنّني نرجع ابجمعته المدينة
 كلها يزينب هاج عزى لا تنخّين
 مادام أنه موجود يّحتي ما تذلّين

(أبو ذية)

يناعي حيل صيح بصوت وليان
 تره زينب بگت من غير وليان
 يحيدريا مطوّع الأنس واليان^(١)
 تحشّم وينكم يهل الحميّة

رُوي عن الإمام الحسين عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ وَهِيَ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ»^(٢).

من عيون الأحاديث والروايات المروية عن أهل البيت عليه السلام هذا الحديث، وهذه

(١) لتصوّر هذا (الجان).

(٢) تحف معضّل - ج ٢: ص ٢٠٠ بحار الأنوار - ج ٢٠: ص ١١٧ - ج ٥.

الرواية الشريفة، والتي ورد مضمونها عن أكثر من إمام معصوم، فقد ورد مضمونها في النهج الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام ولعله نصّها حيث روي عنه عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ قَوْماً عَبْدُوا اللَّهَ رَغْبَةً...»^(١) لكن من دون ذكر (وهي أفضل العبادة) ومع تغيير (شكراً) بـ (حبّاً). وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً، لكن جاء فيه: «العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حبّاً له، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»^(٢) وهو يشابه ما في النهج.

والرواية معتبرة - كما عبّر بعض المحقّقين عنها - أو ضعيفة كما عن بعض آخر^(٣). ولعلّها تختلف باختلاف سندها المروي عن المعصوم عليه السلام، فكما ذكرنا أنّها رُويت عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تارة، وعن الإمام الحسين عليه السلام أخرى، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ثالثة. ويمكن أن تكون مروية عن غيرهم عليهم السلام من الأئمة عليهم السلام فكلّاهم واحد، كما أنّ نورهم نور جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله.

ولو تأملنا في الرواية الشريفة التي صدرنا بها المجلس نجد أنّ الإمام الحسين عليه السلام حصر العبادة التي يترتّب عليها الثواب والكرامة إجمالاً بثلاثة أقسام، وأمّا غيرها من الأقسام، مثل: عبادة المرائي ونحوها فليست بعبادة حتّى تدخل في المقسم^(٤).

ثمّ إنّ الملفت للنظر أنّ التعابير في الروايات الثلاث المتقدمة، أعني: ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام، وعن الإمامين أمير المؤمنين والصادق عليهما السلام عبّرت بالشكر تارة وبالحبّ أخرى بالنسبة لعبادة الأحرار والتي هي أفضل العبادة، فما هو الوجه في هذا الاختلاف؟

(١) نهج نيلاصف: ج ٤، ص ٥٢، رضم: ٢٢٧.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٨٠، ج ٥، ص ٥٠، مسند ضعيف: ج ١، ص ١٠٠، بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٢.

(٣) مسند ضعيف: ج ٢، ص ٥.

(٤) انظر: فروع أصول الكافي: ج ٨، ص ٢٠٢، بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٠٥.

والجواب: إنَّ الاختلاف لفظيٌّ وليس معنويٌّ حقيقيٌّ؛ «فإنَّ الشُّكر وضع الشيء المُنعم به في محلِّه، والعبادة شكرها أن تكون لله الذي يستحقُّها لذاته، فيعبد الله؛ لأنَّه الله، أي: لأنَّه مستجمع لجميع صفات الجمال والجلال بذاته، فهو الجميل بذاته المحبوب لذاته، فليس الحبُّ إلَّا الميل إلى الجمال والانجذاب نحوه، فقولنا فيه تعالى: هو معبود لأنَّه هو، وهو معبود لأنَّه جميل محبوب، وهو معبود لأنَّه مشكور بالعبادة، يرجع جميعها إلى معنى واحد»^(١).

ويمكن أن نقسِّم العبادة والعبيد المقيمين لها إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول (عبادة التجار): وهو نفس ما روي بلفظ (عبادة الأجراء)؛ فإنَّ الأجراء يعبدون للثواب، كما أنَّ الأجير يعمل للأجر، وهكذا التاجر يعمل للمال. وهذا القسم هو من المراتب الدنيا بالنسبة للأقسام الثلاثة؛ لحصول الضميمة في القربة له تبارك وتعالى. وأمثله عديدة في الفقه، كضمِّ نية الحِمية إلى الصَّوم، أو التبريد إلى الوضوء، والاشتغال بالصَّلاة لأجل تقوية البدن وغير ذلك، كما هو مذكور في محلِّه، وقد اختلف الفقهاء في ذلك اختلافاً كبيراً، وأنَّه هل تضرُّ الضميمة المباحة مع الضميمة بالتقرب إلى الله تعالى؟ ذهب الكثير منهم للقول بالبطلان.

قال الشَّيخ البهائي في محكيِّ البحار عنه عليه السلام: ذهب كثير من علماء الخاصَّة والعامة إلى بطلان العبادة إذا قصد بفعالها تحصيل الثواب، أو الخلاص من العقاب، وقالوا: إنَّ هذا القصد منافٍ للإخلاص الَّذي هو إرادة وجه الله وحده، وأنَّ مَنْ قصد ذلك فإنَّه قصد جلب النفع إلى نفسه، ودفع الضرر عنها، لا وجه الله سبحانه، كما أنَّ مَنْ عظم شخصاً أو أثنى عليه طمعاً في ماله، أو خوفاً من إهانتة لا يُعدُّ مخلصاً في ذلك التعظيم والثناء»^(٢).

(١) تفسير الميزان: ج ١ ص ٢٩٠.

(٢) أنصار: بحار الأنوار: ج ٥ ص ٢٢٠.

ويمكن للقاتل بالصحة بأن يستدلّ بدليلين:

الأول: بالآيات المباركة التي مدحت وحثّت على طلب الثواب والخوف منه تبارك وتعالى، حيث يقول ﷺ: ﴿كَانُوا يُسَكِّرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(١) أي: للرغبة في الثواب والرهبة من العقاب، وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٢).

والثاني: نفس الرواية التي صدرنا بها المجلس، حيث عبّرت بأفضلية عبادة الأحرار على قسيميها، وهذا ما يدلّ على المشاركة والزيادة؛ إذ العبادة على الوجهين لا تخلو من فضل فتكون صحيحة، وهو المطلوب^(٣).

ويؤيّد ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً، حيث قال: «مَنْ بلغه ثوابٌ من الله تعالى على عملٍ فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب أُوتِيَهُ وإن لم يكن الحديث كما بلغه»^(٤)، فإنّ التعبير بالالتماس - المقصود منه رجاءٌ للثواب وطمعاً فيه، وأنّ الله تبارك وتعالى يعطي ذلك العبد مثناه وما أمّله ورجاه - لدليل على جوازه وصحة العبادة المأتي بها.

القسم الثاني (عبادة العبيد): وهي العبادة الناشئة من خوف الله تبارك وتعالى تشبيهاً لصاحبها بالعبد الذي يطيع مولاه لا لأجل شيء، بل لكونه خائفاً ومرهوباً منه، فعبادة العبيد الحقيقيين مع المولى ﷺ إذا كانت لأجل التخلص من النار والعذاب الذي ينتظر العاصي له تبارك وتعالى، فهكذا عبادة تُسمّى عبادة العبيد، وهي مع الأولى ليستا من العبادات التي فيها تمام الفضل والكمال.

ولعلّ العبادة بهذه الأقسام الثلاثة تختلف باختلاف نفس العباد، فبعضهم يعبد الله تبارك وتعالى لأجل الثواب فقط، كمَنْ يتقرّب بالنوافل مثلاً. وبعضهم للتخلص من

(١) تبيين: أيف. ٥.

(٢) الأعراف: أيف. ٥.

(٣) أنصار: بحار الأنوار: ج ٥ - ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٤) شرح تبيين الخلفي: ج ١ - ص ٢٢٥.

العقاب وما سيتبعه من ثواب الطاعة، كما هو حال الكثير من بني آدم الذين يمثلون الصلاة والصوم لا لأجل الثواب، بل خوفاً من استحقاق العقاب، والبعض الثالث يعبدون الله تبارك وتعالى لا لأجل طلب الثواب ولا لخوف العقاب، وإنما هو الشوق الإلهي الذي حدا بهم نحوه تبارك وتعالى، والحب الذي أخذ بقلوبهم، كما روي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول في بعض مناجاته: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»^(١).

وهي من أرفع الدرجات والمقامات، وهي القسم الثالث في الحديث الذي صدرنا به الكلام.

القسم الثالث (عبادة الأحرار): وهي عبادة الله تبارك وتعالى وطاعته له لا لأجل الثواب ولا لخوف العقاب وإنما حباً له تعالى، وشكراً على ما أنعم به على عبده. وقد ضرب لنا في ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المثل الأعلى في عبادته شكراً لله تعالى، فقد حكي عن الاحتجاج أنه روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أن يهودياً قال له: إن داود عليه السلام بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه. قال له علي عليه السلام: «لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أعطي ما هو أفضل من هذا؛ إنه كان إذا قام إلى الصلاة سُمع لصدره أزيز كأزيز المِرْجَل على الأثافي^(٢) من شدة البكاء، وقد آمنه الله ﷻ من عقابه فأراد أن يتخشع لربه ببكائه، ويكون إماماً لمن اقتدى به، وقد قام صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفرَّ وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عُوتب في ذلك، فقال الله ﷻ: ﴿طه﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٣﴾ بل لتسعد به، ولقد كان يبكي حتى يُغشى عليه، فقيل له: يا رسول الله،

(١) معرفة السنن: ج ١٠ ص ١٠١.

(٢) المِرْجَل: هو قدر من نحاس. انظروا كتاب الدين: ج ٦ ص ٢٠٨. والثافي هي انحراف التي تُصب وتُجبل قدر عليها. انظروا لسان العرب: ج ٩ ص ٣.

(٣) منه: أي في.

أليس الله عز وجل قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً؟^(١)

فكانت عبادته ﷺ وعبادة أهل بيته عليه السلام الغالب فيها الشكر والحب للباري عز وجل، فالعلاقة بينهم عليه السلام وبين خالقهم علاقة المودة والولاء.

والداعي لعبادة الشّاكرين هو وجود النعم الكثيرة من الخالق الكريم، حيث خلق كلّ شيء للإنسان من دون أن يحتاج منه إلى شيء إلا شكره وطاعته.

ومن هنا ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «... ولو لم يخوّف الله الناس بجنته وناره لكان الواجب عليهم أن يُطيعوه ولا يعصوه؛ لتفضّله عليهم، وإحسانه إليهم»^(٢).

فعبادة الشّاكرين والمحبّين - والتي هي أفضل الأقسام الثلاثة - تجعل العابد ليس له غاية إلا رضا المحبوب، فكلّ همّة هو إرضاء مَنْ يُحبّ ولو جرى عليه ما جرى من أنواع البلاء والعذاب، فقلبه متوجّه إلى الحبيب ولا يريد شيئاً منه سوى أن يكون راضياً عنه.

وبهذه العبادة يصير الإنسان أعبد أهل الأرض، كما روي ذلك عن نبي الله يونس (على نبينا وآله وعليه السّلام) أنّه قال لجبرائيل عليه السلام: «دلّني على أعبد أهل الأرض» فدله على رجلٍ قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعته، وهو يقول: «إلهي متّعني بها ما شئت، وسلّبتني ما شئت، وأبقيت لي فيك الأمل، يا برُّ يا وصول»^(٣).

لأنّ ذلك كان في الله فهان عليه الخطب، وسهل عليه الأمر، وصار أعبد أهل الأرض على حدّ تعبير الخبر.

فكلّ ما يصيب عباد الله تبارك وتعالى يكون من نعم الله عليهم، فهكذا هو ديدن

(١) تفسير البرهان: ج ٥، ص ١٤٥ - ١٤٦، ص الاحتجاج: ص ٢١٢.

(٢) نصوص أخبار الرضا: ج ١، ص ١٦٠، حسن حديث: ٤، عند بحار الأنوار: ج ١٠، ص ١٢٥، ج ١٠، و ج ١٠، ص ٣٥٣، ج ٥٥.

(٣) مسكن العباد: ص ٨٧، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ١٤٣.

العباد الذين يعبدون الله تبارك وتعالى حباً وشكراً له ﷺ.

ولذا لما وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء وحطَّ رحله الشريف فيها في أيام مُحَرَّم الحرام، وأحاط به الآلاف من أعداء الدين إلى أن وصل اليوم المحتوم وهو ينظر إليهم، كان يبكي على المصير الذي ينتظرهم، وفي بعض المنازل التي مرَّ بها عليه السلام قال هذه الكلمة: «هَوْنٌ ما نزل بي أَنَّهُ بعين الله»^(١).

أي: أَنَّ الله تبارك وتعالى يرى بعينه ما يجري علينا ويصيبنا، فَحَبَّيْ الله وشكري له يوجب لي أن أقدم كُلَّ ما يريده تعالى من طاعة وعبادة.

وعندما سأل مُحَمَّدُ بن الحنفية الإمام الحسين عليه السلام عن سبب خروجه وخروج السَّبايا معه، أجاب عليه السلام: «أتاني رسول الله ﷺ بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً»، قال: ما معنى حملك هذه النسوة معك؟ قال: «إِنَّ الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا»^(٢).

ولما جاء الملائكة لينصروه لم يأذن لهم، وقال: «نحن أقدر منكم على هلاكهم»، ولم يظهر منه وهنٌ ولا خوف ولا استكانة، بل الذي ظهر منه عليه السلام الشدَّة في قتالهم، والسرور بلقاء ربِّه ﷺ، والتشجيع لأصحابه عند لقاءهم عدوِّهم، وأمره لهم بالصبر هُنيئَةً حتَّى يشربوا من حوض الرِّسول ﷺ^(٣).

وقد كان يقول لأولئك النسوة: «قد شاء الله أن يراني قتيلاً مذبوحاً ظليماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ونسائي مُشرِّدين وأطفالي مذبحين مأسورين مظلومين مُقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً».

(١) بحار الأنوار: ج ٤، ص ٤٠٠.

(٢) اللهب في قتلى الطفوف: ص ٤٠، المحضر: ص ٨٩، بحار الأنوار: ج ٤، ص ٤٠٠، نعلوذج (الانصاف الحسيني) عليه السلام: ص ٢١٦.

(٣) انظر: المحضر: ص ٤٠.

وكأنّي بزینب علیها السلام:

واذبحاً من قفاه بالحُسام الباتر
 واطريحاً بعراه ماله من ساتر
 واكسيراً أضلّعه بصليب الحافر
 وارضيضاً قدماه والطوى والمنكبين
 يا أخي قد كُنْتَ تاجاً للمعالي والرؤوسِ
 مقرباً للضيفِ والسيفِ نفيساً ونفوسِ
 كيف أضحى جسمك السامي له الخيل تدوسِ
 بعد ما داست على هام السُهى بالقدمين
 حطّمَ الحزنُ فؤادي لخطيم في الصّفا
 ولهيف القلب صادٍ وذبيح من قفا
 ولعادٍ في وهادٍ فوقه السّافي سفا
 صدره والظهر فيه أصبحا منخسفين^(١)

وبلسان الحال:

والله محيّرهُ ظلّيت يحسين
 دلّيني أنطي الوجه لاوين
 يا هي الكسر ها كسرتي البين
 او مني خذت سبعين واثنين
 ابها الأطفال خويه او هلنساوين
 عجبك يابن علّة التكوين
 اجتني رزية كربله امنين
 المثلهم أبد ما شافت العين

(١) هذه الأبيات من "ملحمة الزائدة لمرحوم الشيخ حسن الدمشقي رحمه الله". انظر: رياض السج والرشاد.

(تخميس)

أُخِي ذَابَ الْقَلْبُ مِنْ فُرْطِ الْعَنَا وَعَلَيَّ حَرَمْتُ الْمَسْرَةَ وَهَنَا

يَا لَيْتَ عُمْرِي كَانَ عَاجِلَةَ الْفَنَاءِ فَأَجَابَهَا مِنْ فَوْقِ شَاهِقَةِ الْقَنَاءِ

قُضِيَ الْقَضَاءُ بِمَا جَرَى فَاسْتَرْجِعِي

الحاضرة العباسية



السيفي

مسلم بن عقيق



حَكَمَ إِلَاهُهُ بِمَا جَرَى فِي مُسْلِمٍ
 آوَتْهُ طَوْعَةً مُذَاتَاهَا وَالْعَدَى
 فَأَحْسَنَ مِنْهَا ابْنُهَا بِدُخُولِهَا
 فَمَضَى إِلَى ابْنِ زِيَادٍ يُسْرِعُ قَائِلًا
 فَدَعَى الدَّعَى جُيُوشَهُ فَتَحَزَبَتْ
 فَأَتَوْا إِلَيْهِ فِغَاصَ فِي أَوْسَاطِهِمْ
 سَلَّ مَا جَرَى جُحْمًا وَدَعَّ تَفْصِيلَهُ
 لَمَّا هَوَى بِحَفِيرَةٍ صُنِعَتْ لَهُ
 فَاسْتَخْرَجُوهُ مِثْلَ خَنَازِيرِهِ
 قَتَلُوهُ ثُمَّ رَمَوْهُ مِنْ أَعْلَى الْبِنَا
 مُذْ فَاجًا لِلنَّاعِي الْحُسَيْنِ عَلَتْ عَلَى
 وَلَهُ ابْنَةٌ مَسْحَ الْحُسَيْنِ بِرَأْسِهَا

وَاللَّهُ لَيْسَ لِحُكْمِهِ تَبْدِيلُ
 مِنْ حَوْلِهِ عَدُوًّا عَلَيْهِ تَجَوُّلُ
 فِي الْبَيْتِ أَنَّ الْبَيْتَ فِيهِ دَخِيلُ
 بُشْرَى الْأَمِيرِ فَتَى نَمَاهُ عَقِيلُ
 يَقْفُوا عَلَى أَثَرِ الْقَبِيلِ قَبِيلُ
 حَتَّى تَفْلَلَ عَرْضُهَا وَالطُّوْلُ
 فَقَلِيلُهُ لَمْ يُحْصِصْهُ التَّفْصِيلُ
 أَهْوَتْ عَلَيْهِ أَسْنَةٌ وَنُصُولُ
 وَالْجَسْمُ مِنْ نَزْفِ الدَّمَاءِ نَحِيلُ
 وَعَلَى الثَّرَى سَحْبُوهُ وَهُوَ قَتِيلُ
 فَقُدَانِ مُسْلِمٍ رَنَّةٌ وَعَوِيلُ
 وَالْيَتَمُ مَسْحُ الرَّأْسِ فِيهِ دَلِيلُ^(١)

(١) تأييدات من قصيدة رابعة لسيّد صالح الحلبي (رحمه الله) قال سيّد في أدب الخطب (ج ٩ ص ٢٠١ - ٢٠٢):

«أبو المهدي السيّد صالح ابن سيّد حمزة ابن سيّد محمّد الحسيني السبّح، حلّي المحتد والمؤدّ،
 وتأييده عمدة علماء (أبو مهدي).

حظيبت شهير، في أشهر خطباء أمير الحسيني، إذ إن شهرته الحفائية لم يحصل من مثلهما غضيب
 حتى اليوم، يتحقّق بجرأة قوية، وبسطّة في نعم والجسم، ولد سنة (١٢٨٦ هـ) في الحلة، ومهاجر
 منها إلى سبّح (١٣٠٤ هـ) وهو في التاسعة عشرة من عمره، وأكمل دروسه في النجف والمطابق
 زكيان عبد النبي سعيد الحلّي، وشيخ عبد الحميد الجواهري، ودرس كتابي العالم والقوانين في
 الأصول على يد العلامة الشهير السيّد عثمان بن السيّد خير الفريحي الموسوي، وكتابي برهان
 والمكاسب عند الشيخ علي ابن السبّح باقر الجواهري، وعلى شيخ ملا كزقم الحراساني ←

بلى والله، كان يوماً عظيماً على قلوب أهل البيت عليهم السلام، فلما بلغهم الخبر عَظَمَ على أبي عبد الله عليه السلام المصائب، واشتدَّ به الحُزن، وارتجَّ الموضع بالبكاء والعويل، وسالت الدموعُ عليه كُلَّ مسيلٍ، خصوصاً يَتِمُّته حميدة، فانكسر قلبُها، وسالت دموعها، فأخذها عمُّها الحسين عليه السلام ووضعها في حجره، وأخذ يمسح على رأسها، عندها استشعرت باليتم، وأخذت تبكي والدها.

أخذت مسلم امن الخيم بيده	يمسح راسها ابحسره شديدة
بالشر حسّت الطفلة حميدة	گالتله يعمّي اوسالت العين
يعمّي لاحت بوجهك علامة	على راسي مسحت گلي علامة
يعمي هلسجيه اويه اليتامه	أظن عودي گظه اويتمني البين

وأخذت تنوح وتبكي والدها، وكأني بها:

يعمّي اشكر بيه حلوة الليالي	عزيز وفركته تصعب الوالي
اعله أبوي انلچم گلبي اوتاه بالي	ابجيتك هاي وابنشدك عليّ

→ ساعد مكينة. وهو في كل ذلك يعاهد ملكه لأبيه. ولم تكن له يومئذ حسنة بالخطابة. وفي سنة (١٣١٤هـ) أصرّت من نفسه القدرة على الخطابة وقوة نبيل وحلافة اللسان. فتوقّد أول ما توقّدته إلى حسنة تكثير من (فتح مبلاتنة) من حطب الآدم أمير المؤمنين عليه السلام. ولم يك في عصره من الخطباء المجتدين في الفن إلا المرحوم الشيخ كاظم سيدي... [ويبدو كبير] ضعفت قوته وضعف عمره. ولبت ملائمة بينه وبين أن يوفيه الله نعمة سبقت (٢٩ سوال ١٣٥٩هـ) في الكوفة فحمل على الزورق تعظيماً له. حتى نزل بوادي السلام في مقام المهدي وبناء المنبر. وبكته الخطابة. ورشاد العلامة الجنب الشيخ عبد المهدي معطر بقصيدة تاجرة فيها:

نعتك الخطابة وسنبر	ولاح لك الضرب وسنبر
وهي نظرت مسفة للبيان	بنير لسانك لا تسنبر

اعله أبوي انخمش گلبي وهلت العين يعمي وباليتم حسيت يحسين
 علايم يّنتلي بوجهك اثنين الحزن وادموعك التجري سويّه
 غده يمسح دمعها ومخني ضلعه ابوج أنه يگلها اويهل دمعه
 يعمي النوح لگليبي يصدعه اگطعي البچه اوهودي اولا تنوحين
 (أبو ذية)

بت مسلم غضه بوها وملها غيرك واته رادتها وملها
 ذها الدهر يا عمها وملها ولا والي عليها ايدوم فيّه

من كتاب للإمام الحسين عليه السلام جاء فيه: «من الحسين بن عليّ إلى الملائكة من المؤمنين والمسلمين، فإنّ هانثاً وسعيداً قدما عليّ بكتّيبكم وكانا آخر من قدّم عليّ من رسلكم، وقد فهمتُ كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتُب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم...»^(١).

لقد جرى الأنبياء والرُّسل والأوصياء مجرى خالقهم عليه السلام في اختيارهم لمن يُمثّلهم؛ إذ أنّ الله تبارك وتعالى لم يجعل النبوة والرّسالة والوصاية إلّا في أناسٍ يراهم هو - جلّ وعلا - أهلاً لها، ولم يكن هذا الاختيار اعتباطاً منه تعالى وهو الحكيم، وإنّا لكون هؤلاء نفر يُمثّلون من بعثهم وأرسلهم واستخلفهم على بنيّ البشر، ولا بدّ حينئذٍ أن يتمتّعوا بالصفّات اللائقة به عليه السلام، وهي ما وصف بها نفسه تبارك وتعالى في القرآن الكريم، من الصفّات الجلالية والجلالية.

(١) تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٢٠٢. روضة الباعثين: ص ١٢٣، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٠١، ٢٠٢.

كتاب الفتح: ج ٥، ص ٣، بحر الأنوار: ج ١، ص ٣٢٠، العالم والامام الحسين عليه السلام: ص ١٠٠.

لذا صار الأنبياء والرسل أخلاقهم ما في كتبهم، حتى روي أن أخلاق رسول الله ﷺ كانت القرآن^(١) أي: ما يريد الله تبارك وتعالى للإنسان الكامل.

وهكذا جرت السُّنة على اختيار الشخص المناسب للمكان المناسب. فرسولي ستخلف وصياً، ووصي يستخلف وصياً آخر أو ممثلاً عنه، يحكيه أو يحكي بعض صفاته. وهذا ما حدث وصار جلياً في انتخاب سيد الشهداء وريحانة المصطفى ﷺ لمسلم بن عقيل، بعد أن أته كتب أهل الكوفة تترأ، تحته على القدوم إليهم، لينقذهم من جور الأمويين وظلمهم، ورأى الإمام أن الواجب الشرعي يدعوه للقيام بهذه المهمة الخطيرة. ولكن قبل كل شيء رأى من المصلحة أن يختار سفيراً له، يعرفه بصدق ثبات أهل الكوفة، فإن رأى منهم عزيمة صادقة فيأخذ البيعة له منهم، ثم يتوجه ﷺ لهم، فعزم على اختيار البطل الهام والشجاع المقدام مسلم بن عقيل بن أبي طالب ﷺ، وهو من أفاض الرجال، ومن أمهر الساسة، وأكثر قابلية على مواجهة الظروف والصمود أمام الأحداث^(٢). ولذا يقول الشيخ العلامة عبد الواحد المظفر في هذا المجال:

تصفحت أخبار السفارة لم أجد	سفيراً يُداني مُسلم بن عقيل
أرى ذكره حياً وإن غاب شخصه	لدى كل دورٍ في الحياة وجيل
فتى يتخيه السبط سبط محمد	متى تسمح الدنيا له بمثيل ^(٣)

والكلمة الغراء لسيد الشهداء ﷺ ذكرت بصور متعددة وما ذكرناه هنا هو ما رواه المؤرخ الشهير الطبري في تاريخه.

(١) انظر: مسند ابن راهويه: ج ٣، ص ٢٨٢، ج ٤، ص ١٢٠، مسند ابن أبي شيبة: ج ٤، ص ١٢٠، مسند ابن راهويه: ج ٣، ص ٢٨٢، ج ٤، ص ١٢٠، مسند ابن أبي شيبة: ج ٤، ص ١٢٠.

(٢) انظر: انساب النبوة: ج ١، ص ١١٣ - ١١٤.

(٣) سفير الحسين: مسلم بن عقيل؛ راجع الكتاب المذكور.

ويشتمل هذا النصّ على الأمور التالية:

الأمر الأول: توافد رسائل الكوفيين على الإمام عليه السلام طالبين منه القدوم لمصرهم، وهذا الأمر هو صريح قول الإمام عليه السلام: «وكانا آخرَ مَنْ قدم عليّ من رُسُلِكُمْ.. إلخ».

والمقصود من هذين الشخصين هما: هانئ بن هانئ الشَّيبَعِي^(١) وسعيد ابن عبد الله الحنفي، وهو ذلك البطل المقدام الذي استقدمه الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً، وهو قائم بين يدي الإمام الحسين عليه السلام يقيه السَّهام طوراً بوجهه، وطوراً ب صدره، وطوراً بيديه، حتّى سقط الحنفي إلى الأرض^(٢).

الأمر الثاني: الإشادة بشخصيّة مسلم، حيث أعطاه الإمام عليه السلام صكّ السفارة وأيّده بهذه الكلمات؛ لتكون له وثيقة بين أهل الكوفة، وقد وصفه الإمام بأوصاف فريدة، فقد وصفه بالأخوة الإيمانيّة، والقربة الرّحميّة، حيث قال: «أخي وابن عمّي»، والوثاقة حيث قال: «وثقتي من أهل بيتي».

وهذه الكلمة الوجيزة لم تصدر من أيّ أحدٍ، وإنّما صدرت من المعصوم الواقف على نفسيّات البشر.

والأوصاف المذكورة هي من أهمّ الصّفات التي ينبغي أن يتّصف بها السّفير، ولا أقلّ من وصف الوثاقة.

والأمر الثالث: تحديد صلاحية مسلم، وهو اكتشاف الوضع السياسي في الكوفة، ومدى صدق القوم فيما كتبوه، ومن المؤكّد أنّه لا تُنَاط هذه الصّلاحيات إلّا بمنّ كانت له معرفة بشؤون المجتمع وأحوال الناس^(٣).

(١) هانئ بن هانئ شيبعي: هو آخر رسول أرسله أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام مع عبد الله الحنفي يستدعيه إلى الكوفة. ولم يعلم حاله إلى أن انتهى. ولم يذكر في عدد أصحاب الحسين عليه السلام الذين قُتِلوا معه في المعركة. انظر: نصوص الرجال، ج ٤، ص ٥٠، (مقرئ والهاشمي).

(٢) انصار العبيد في انصار الحسين، ص ١٢.

(٣) انظر: كتاب نهج الحاكم مسلم بن عقيل، ص: ١١٥ - ١١٦.

سفر مسلم إلى العراق:

خرج مسلم بن عقيل ومعه الصِّكَّ الحسينيَّ في منتصف شهر رمضان من سنة ستين للهجرة، خرج من مكة المكرمة يريد العراق على طريق المدينة، ولما وصلها صلى في مسجد الرسول وزار بُقْعَتَه المقدَّسة وودَّعه الوداع الأخير، وجدَّ هنالك الموائيق المؤكَّدة. وقد ضلَّ الدليلان اللذان استأجرهما مسلم بن عقيل وماتا، وكان مع مسلم قيس بن مسهر الصَّيداوي وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي.

وقد كتب ابن عقيل عليه السلام كتاباً يخبر الحسين عليه السلام بموت الدليلين، وقد تلاعبت الأفلام المأجورة لتضيف إلى ذلك الكتاب (التَّطْيِيرُ)^(١)، وهو الذي لا يصدر عن مثل مسلم بن عقيل من أبناء هذا البيت الطَّاهر جزماً.

ومضت الأيام والليالي ومسلم يجدُّ السير، وقد كان يحمل بين ثنايا صدره الشَّوق للوصول إلى بلدة الكوفة؛ ليحقِّق أمر سيده ومولاه الحسين عليه السلام والذي هو متفرِّع عن أمر الله تبارك وتعالى.

وهناك نزل في بيت الموالي العظيم المختار بن أبي عبيدة الثَّقفي والذي كان من وجهاء الكوفيين، ومن خاصَّة البيت العلوي ومَن أخلص للعلويين.

وهنا انثال الكوفيون على بيت المختار بعد ما سمعوا بقدوم مسلم بن عقيل إليه، وأحاطوا به يبايعونه، وهنا تعرف وتقف على نفسيَّة مجموعة مَن بايعوا مسلم، وذلك عن طريق كلمات بعض الأجلَّة، أمثال عابس بن شبيب الشَّاكري وصحبه المخلصين، وحيب بن مظاهر الأسدي وسعيد الحنفي، والتي يُبيِّنون فيها أنَّهم وطَّأوا أنفُسَهم على ما عليه الإمام الحسين عليه السلام وسفيره مسلم بن عقيل، وبالفعل فقد ثبت هؤلاء الأطهار في

(١) والمقصود به «تغييرة بكر الطاء وفتح الجاء وقد تسكن. هي تتوارم بالنفس...» وكان ذلك يصحُّم عن مقاصدهم. هذه التَّأْيِيدُ وأبعثه ونهى عنه. ونجبرته ليس له تأثير في جلب نفعه أو

دفعه». نهاية في حريب الحديث: ج ٣ ص ١٢٢.

الدِّفاع عن آل نبيِّهم فيما بعد؛ حفظاً للعهد، وأداءً لأجر الرسالة.. وهكذا فقد بلغ عدد مَنْ بايع مسلماً عليه السلام ثمانية عشر ألفاً، أو خمسة وعشرين ألفاً، وقيل: أربعون ألفاً. ولَمَّا أحصى ديوان مسلم ذلك العدد الكثير من المبايعين كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام مع عابس الشَّكري، وقيس بن مسهر الصَّيداوي يخبره باجتماعهم على رأيه وطاعته، وانتظارهم لقدومه، وفيه يقول: «الرَّائد لا يكذبُ أهله»^(١).

ومن جانبٍ آخر لَمَّا بلغ والي الكوفة النُّعمان بن بشير الأنصاري اجتماع الكوفيين على مسلم بن عقيل عليه السلام، ويبيعهم له، رقى المنبر وأخذ يتحدث باللين والشِّدة. ممَّا أثار ضغينة مَنْ وُجد من بني أُميَّة، واعتبروا أنَّ حديث والي الكوفة مثارٌ للصَّحك والاستياء، وطافح بالصَّعف والمسكنة. ممَّا جعل البعض منهم يكتب كتاباً ليزيد يُخبره بحال والي الكوفة وبيعة أهلها لمسلم بن عقيل، فاستشار يزيدُ سرجونَ فيمَنْ يولِّيه، فأشار إليه بعبيد الله بن زياد، فكتب إليه يزيد يخبره بالتحرك من البصرة إلى الكوفة، ودخل الكوفة متنكراً بزي ريحانة المصطفى صلى الله عليه وآله الحسين عليه السلام وقد هتف الحرس بصوت عالٍ: مرحباً يا بن رسول الله، وهو لا يكلمهم إلى أن وافى القصر، وقد أغلقه النعمان بن بشير، فأشرف من أعلى القصر يقول: ما أنا بمؤدِّ إليك أمانتي يا بن رسول الله، وما لي في قتالك من إرب، فغضب ابن زياد منه وقال له: افتح لا فتحت فقد طال ليالك، وسمعه مَنْ كان خلفه فرجع إلى الناس يقول: إنَّه ابن مرجانة وربَّ الكعبة، فتقهقر النَّاس إلى منازلهم فرقاً من سطوة ابن زياد، وأخذ الرَّجُل يُحدِّث جلسه بالشرِّ المقبل من جراء هذا الطَّاعِي، وفي الصَّباح ألقى اللعين خُطبته في جمع من النَّاس، وهددهم وتوعَّد مَنْ خالفه الشرَّ ومَنْ أطاعه الخير^(٢).

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو محمد)، ص ٥١ - ٥٢. مشر الأحرار، ص ٢١. لأخبار الطويل؛ ص ٢٠٣. تاريخ الطبري؛ ج ٤ ص ٢٠٠. البداية والنهاية؛ ج ٤ ص ١٠١. والفصوص؛ من كلمة (أنَّ) مراد الذي يقدم عليهم يطلب منهم ماء والكلاء والطلاب سذجيم لا يكتبهم. لأنَّه لو كتبهم فسُتُهم وملك منهم) أنظر: بحر الأنوار؛ ج ٤ ص ١٠٥. تفسير تبيان؛ ج ٢، ص ١٢٥. تنزيل نقيات على مشاهد من أذيات؛ ص ١٥٥.

(٢) تنقيح مسلم بن عقيل، ص ١١١ - ١٢٧. بتصرف واختصار.

فحصل الخذلان في المجتمع الكوفي بعد أن سجن ابن زياد منهم الأشراف، وخوف منهم البقية، وطمع الآخرين، وهكذا بقى ابن عقيل سفير ريجانة المصطفى ﷺ وحيداً فريداً. بعد ما سمع الناس مقالة ابن زياد، وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويحيي الرّجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام^(١)، فخرج ابن عقيل يمشي وحيداً إلى أن وقف على باب امرأة يقال لها طوعة^(٢)، فرأها فسلم عليها وردّت عليه السّلام، فقال: «اسقيني» فسقته ودخلت إلى بيتها، وخرجت فرأت مسلماً جالساً على باب دارها، قالت: يا عبد الله، ألم تشرب الماء؟ قال: «بلى»، فقالت له: فاذهب إلى أهلك فسكت، ثم أعادت القول ثانية فسكت مسلماً، فقالت له: أصلحك الله، لا يصلح لك الجلوس على باب داري ولا أحله، قال: «يا أمة الله، ما لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة، فهل لك أجرٌ ومعروف أن تُضيّقيني سواد هذه الليلة، ولعلي مكافئك بعد هذا اليوم؟» قالت: ومن أنت حتّى تكافيني عليه؟^(٣)، فكأنّي بها تسأله: هل أنت رسول الله ﷺ الذي يجازي المحسنين، أو ابن عمّه أمير المؤمنين، أو أخوه عقيل أو حتّى ابنه مسلم الذي أرسله قرّة عيني الحسين والذي يقال أنّه دخل الكوفة.. كأنّي به دمعت عيناه، وقال: «أنا مسلم بن عقيل!» فقالت: معذرة يا ابن أخ الكرار لم أعرفك^(٤). عندها أدخلته إلى دارها.

-
- (١) مقتل الإمام الحسين ﷺ (أبو محمد)، ص ٥٥. الارضاد: ج ٢ ص ٥٥. مقتل الصّائين، ص ٥١.
تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٣٧٧. اعلام النبوة: ج ١ ص ٥٥٦. روضة الواعظين، ص ١٧٥. معوله
(الإمام الحسين ﷺ)، ص ١٩٥.
- (٢) فن عنها الطبري (في تاريخه: ج ٤ ص ٣٧٧) «أمة ولد كانت للأسماء من قبر ضاعتها، فتزوجها
زيد الحضرمي، فوئدت له بالانثى».
- (٣) مقتل الإمام الحسين ﷺ (أبو محمد)، ص ٥٥. كتاب الفروج: ج ٥ ص ٥. الارضاد: ج ٢ ص ٥٥.
اندر النظم، ص ٥٣. ٥٥٥. روضة الواعظين، ص ١٧٥. بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ٣٥٥.
- (٤) سميت هذا التّوريز من سماحة أستاذي السيّد اسحق بن عليّ في درر المحررة بقم الفاسدة سنة
(١٤٣٧ هـ ق).

(نصاري)

خانت واغدرت مسلم الكُفَّار وطلع يمشي غريب الدار مختار
يتلقَّت نوب يمنه ونوب ايسار بعد ومن العطش ذائب الدلال
وصل يم باب دار اوزاد وجده غريب اوليل وسط البلد وحده
اجت من شافته طوعة تنشده انشدته اونال منه الخجل ما نال
ماذا قالت له:

نادت يبعد عيوني الاثنين گلي وين رايح جيَّتْك امنين
كلها أنه مسلم طارش احسين وتّ وسالت دمعت العين
وعندها بقي يعبد الله تبارك وتعالى إلى طلوع الفجر، جاءت إليه بهاء ليتوضّأ به،
وقالت: يا مولاي، ما رأيْتُك رقدت البارحة؟! فقال لها: «اعلمي أنّي رقدتُ رقدةً فرأيتُ
في منامي عمّي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: الوحي الوحي، العجل العجل، وما أظنُّ إلاّ
أنّه آخر أيامي من الدنيا».

فتوضّأ وصلى صلاة الفجر، وكان مشغولاً بدعائه إذ سمع وقع حوافر الخيول
وأصوات الرّجال، فعرف أنّه قد أتى إليه، فعجل في دُعائه، ثمّ لبس لامة حربه، وقال: «يا
نفس، اخرجي إلى الموت الذي ليس له محيص»، فقالت المرأة: سيدي أراك تتأهب
للموت؟ قال: «نعم، لا بدّ لي من الموت. وأنّ قد أدّيت ما عليك من البرّ والإحسان،
وأخذت نصيكَ من شفاعة رسول الله صلّى الله عليه وآله». فاقتموا عليه الدار وهم ثلاثمائة، وقيل
سبعون فارساً وراجلاً، فخاف أن يحرقوا عليه الدار، فخرج وشدّ عليهم حتّى أخرجهم
من الدار، ثمّ عادوا عليه، فحمل عليهم وهو يقاتلهم، حتّى قتل منهم واحداً وأربعين
رجلاً، فأخذوا يصعدون فوق السّطوح ويرمونه بالنار والحجارة والسيوف والرّماح، إلى
أنّ أثخن بالجراح، وعجز عن القتال فأسند ظهره إلى جنب جدار، فضربوه بالسّهام

والأحجار، فخرّ إلى الأرض، فتكاثروا عليه وأوثقوه أسيراً وأخذوا يسحبونه، وطوعة
تنظر إلى هذا المنظر المروّع وكأنّي بها:

(قطيفي)

ظَلَّتْ تنخيمهم يهل كوفان ارحموه

هذا ابن أخو الكرّار حيدر لا تسحبوه

خلوه يمشي ابراحته غلبه شعبتوه

خافوا من الله ما لكم مذهب ولا دين

صاحت يمسلم يا عظمها خجلتي بيك

اشييدي وأنا حرمة وضعيفة او مگدر أحميك

لو يتركونك چان أفْتْ غلبي وداويك

انچان اسلمت من كيدهم سلّم على حسين

كلها يطوعه اليوم ما تحصل سلامة

اوصيچ چان اهل البلد نزلوا يتامه

گولي ترى مسلم يبلّغكم سلامه

واجرج على الله والنبيّ سيّد الكونين

ثمّ أركبوه على بغلةٍ واجتمعوا حوله، ونزعوا سيفه، عند ذلك يئس من نفسه،
فدمعت عيناه، ثمّ قال: «هذا أوّل الغدر».

خذوه وادموع عيناه اتجاره

خذوا مسلم لعدّ غصر الإمارة

من اجرّوحه المنهن يطرّ الدم

او غلبه من العطش تلهب ناره

ثمّ استسقى الماء فلم يُسقَ، وأدخلوه على اللعين ابن زياد وهو بحالةٍ يُرثى لها، فلم يُسلم على اللعين، فأخذ ابن زياد يشتمُّ الحسينَ وأميرَ المؤمنين ؑ ويتوعّده.
آه:

على ابن زياد طب راعي الشّهامه	من كثر الولم يسحب إعدامه
او گام الطّاغي يشتمه ابكلامه	اويشتم احسين سبط النبي الأكرم
التفتله او گال اكظي الي تريده	اوشتمك لابن طاهها لا تعيده
انتہ الغدر ثوبك والمكيده	اوسكت يا ويل گلبي اوما تكلم
أويلي والرجس آمر بچتله	ومن بعد الكصر سلم على أهله

وعندما أمر اللعين بقتله ؑ، صعدوا به على سطح قصر الإمارة، وهو يُسبح الله ويستغفره، ثمّ توجه إلى جهة الحسين ؑ وقال: «يا أبا عبد الله، هذا سلام وداعٍ وإلى يوم اللقاء يتجمّع الأحبة والرّفقاء».

(بحراني)

من صعد فوگ الكصر حلو الجهامه
اتوجّه لبو اليمه گبل چتله بسلامه
سلم عليه او مدمعه على الوجن هامي
سلم وجسمه من الطعن والضرب دامي
اوناده يبو السجّاد هذا آخر سلامي
اولا تگرب الكوفة يبن سيّد تُهامه

ثم رفع اللعين سيفه فضرب مسلماً بالسيف على عنقه حتى قطعها، ثم ألقى بجثته من
أعلى القصر بلا رأسٍ، ثم أتبعها الرأس الشريف، وا مسلماً، وا مظلوماه، وا سيده^(١) :
انچتل مُسلم وأبو اليمّة ابدر به
اجاه الخبر عنه اوزاب گلبه
اعله زينب صاح والمدمع ايصبه
على اثابيه او عليه اخيم الهم
يزينب جيبى بت مسلم حميدة
جابتها اومسح على الراس بيده
انشدته من اعرفت مسلم فجيده
امسحت راسي تكله ليش ياعم
يگلله اأبوج أنا وبناتي
اخواتچ والمگدر كون ياتي
متشوفين كل ذلّة بحياتي
لمن بالطف علي يجري المحتم
أجرکم الله يا مؤمنين، ثم أخذت جثته وجثته هانيء بن عروة وربطوهما بالحبال
وأخذوا يجرونها بالأسواق:
المگدر جره وشاعت أخباره
رموه الغوم من گصر الإمارة

(١) نُظير: الإسماعيل ج ٢ ص ٥٤ . ص ٥٥ . منير الأحزان ص ٢٢٠ . ٢٢١ . بحار الأنوار ج ٤ ص ٣٤١ .

٣٢٧ . مجمع مصنفات أهل البيت (عليه السلام) ج ١ ص ٢٤٠ . ٢٤١ . بتصرف واختصار .

وهاني انجتل بعده اوبگت داره

مظلمة ولا بعد واحد يصلها

أويلي:

مصيبتهم مصيبة تصدع الأجال ومن جبل المشيب تشيب الأطفال

شفت ميّت يجرونه بالحبال يصاحب لا تظن صارت مثلها

(أبو ذية)

عادة الاستجير يكون ينجار وعن چتله حليف الشرف ينجار

مثل مسلم صدگ بالحبل ينجار وتتنومس بچتله علوج أمية

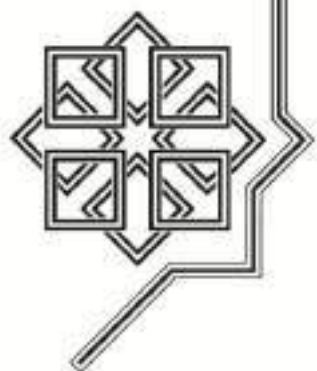
فإن كنت لا تدرين ما الموت فأنظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار قتيل^(١)

(١) تذييلات منجودة وهي: على ما في مثير الأخراس صفحة ٢٠٠، نعت الله بن عزيز التذني.

الحاضرة الحادية عشرة

مُعْطِيَاتُ آيَةِ الْمَوَدَّةِ



عَيْنُ جُودِي لِمُسْلِمٍ بَنٍ عَقِيلٍ
لِشَهِيدٍ بَيْنَ الْأَعَادِي وَحِيدٍ
أَبْكِي مَنْ قَدْ بَكَاهُ أَحْمَدُ شَجَوًّا
وَبَكَاهُ الْحُسَيْنُ وَالْأَلُّ لَمَّا
تَرَكَوه لَدَى الْهِيَاجِ وَحِيدًا
ثُمَّ سَاقَوْهُ بَيْنَهُمْ يَتَهَادَى
طَاوِيًّا ظَامِيًّا جَرِيحًا عَلِيًّا
وَعَلَى الْقَصْرِ مُذْ رَقَى لِيُلَاقِي
وَجَّهَ الطَّرْفَ لِلْحُسَيْنِ وَنَادَى
لَكَ يَا سَيِّدِي أَزْفُ سَلَامِي

لِرَسُولِ الْحُسَيْنِ سَبْطِ الرَّسُولِ
وَقَتِيلِ لِنَصْرِ خَيْرِ قَتِيلِ
قَبْلَ مِيلَادِهِ بَعْدَ طَوِيلِ
جَاءَهُمْ نَعِيُّهُ بِدَمْعِ هُمُولِ
لِعَدُوٍّ مُطَالِبٍ بِذُحُولِ
لِلْعَيْنِ الرَّذِيلِ وَابْنِ الرَّذِيلِ
طَالِبًا مِنْهُمْ رُوءَاءَ الْغِيلِ
حَتَفَهُ مَا انْتَشَى عَنِ التَّهْلِيلِ
يَا بَنَ طَهَ وَيَا حَيِّبَ الْبَتُولِ
بِوَدَاعِي مُقَارِنًا لِرَحِيلِي^(١)

أَوَيْلِي وَالرَّجْسَ أَمْرٌ بِجَتْلِهِ
أَكْطَعُوا رَأْسَهُ أَوْ حَبْلَ خَلْوَا
أَهْلَ كُوفَانٍ مَا عَدَّهُمْ إِمْرُؤَهُ
إِغْدِرُوهُ وَكُلَّ أَهْلَ بَيْتِهِ وَالْإِخْوَةَ

أَوْبَعْدَ مَا عَالَقَ صَرْ سَلَّمَ عَلَى أَهْلِهِ
اسْحَبُوهُ أَوْ كُلَّ عَضْوٍ مِنْهُ تَهَشَّمْ
عَمَلُهُمْ كُلَّ ضَلَعٍ مِنْهُ تَطَوَّهْ
بَعِيدَهُ أَوْ لَا وَصَلَ طَارِشٍ أَوْ حَشَمْ

(١) "القصيدة تنمى مبدئي بحر الطول جاء في ترجمته في هامش الدرر النضيد، ص: ٢٠٠، (وال في خربلاء سنة ١١٥٩ هـ)، وقي في الجف سنة ١١٦١ هـ)، وذلك قريبا من قبر الشيخ القنوسي وغيره مشهور، ومن أقوال العلماء فيه، عز الإمام العلامة زينب الامامية وشيخ متابعيهم في عصره، نفيه الأسدي كلامي القصر لحدث الرجالي، الدهر في المفضل واستحق، المتعلق بالأخبار والحديث والرجال، وهو عنه سائر مطبوع يظلم شعر كثير... قال في رثاء مسم بر عتي:

لِرَسُولِ الْحُسَيْنِ سَبْطِ الرَّسُولِ

عَيْنُ جُودِي لِمُسْلِمٍ بَنٍ عَقِيلِ

أجاء الخبر عنه وذاب قلبه	ابحتل مُسلم وبو اليمه ابدر به
لبن عمّه وعليه اخيمهم	أعلى زينب صاح والمدمع يصبه
جابتها ومسح عاالراس بيده	يزينب جيبى بت مُسلم حميده
امسحت راسي تكله ليش يا عم	انشدت من أعرفت مُسلم فجيده
خواتج والمكدر كون ياتي	غاللهأ أبوج أنه اوبناقي
لمن بالطف علي يجري المحتّم	متشوفين كل ذلّه بحياتي

(أبوزية)

على المخلوگ كلّه إیكون یاعم	الكدر كل عام عام الفرح یاعم
أشوفج والحزن یشند علیّه	بطلي ابچاچ لا تبچين یاعم

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١).

تشتمل هذه الآية على أبحاث أتعرض لبعضها:

البحث الأول: ما هو سبب نزول هذه الآية المباركة؟ لأنّ بعض أسباب النزول لها

دخل في الوصول إلى معنى الآية المطلوب؟

رُوي عن ابن عباس أنّه قال: إنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة، فكانت تنوبه فيها نواب وحقوق، وليس في يديه سعة لذلك، فقالت الأنصار: إنّ هذا الرجل قد هدانا الله على يديه، هو ابنُ أختكم ينوبه نواب وحقوق، وليس في يديه سعة، فاجمعوا له من أموالكم ما لا يضرّكم فتأتونه فيستعين به على ما ينوبه. ففعلوا، ثمّ أتوه فقالوا: يا رسول الله، إنّك ابنُ أختنا، وقد هدانا الله على يدك، وينوبك نواب وحقوق، وليس عندك لها سعة، فرأينا أن

(١) المسوّر: ٢٣٣.

نجمع من أموالنا فنأتيك به، تستعين به على من ينوبك وهو ذا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١).

البحث الثاني: معنى هذه الآية على لسان أهل البيت عليهم السلام، فقد ذكر أصحاب التفسير ما زاد على العشرين رواية^(٢) في أن المودة في القربى بمعنى المودة في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله. فعن أبي جعفر عليه السلام أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال: «هُمُ الْأَثَمَةُ الَّذِينَ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ وَلَا تَحِلُّ لَهُمْ»^(٣).

وأما عن طريق المخالفين فقد ذكر صاحب الكشاف في تفسير هذه الآية المباركة الحديث الطويل: «أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ مَغْفُورًا لَهُ»^(٤)، وكذا ذكره الرّازي في تفسيره، وأضاف وأنا أقول: «أَلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هُمُ الَّذِينَ يَوُولُ أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ، فَكُلٌّ مَنْ كَانَ أَمْرُهُمْ إِلَيْهِ أَشَدَّ وَأَكْمَلُ كَانُوا هُمُ الْأَلْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ فَاطِمَةَ وَعَلِيًّا وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ كَانَ التَّعَلُّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَشَدَّ التَّعَلُّقَاتِ، وَهَذَا كَالْمَعْلُومِ بِالنَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ فَوْجِبَ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الْأَلْ»^(٥).

وفي صحيح البخاري في تفسير هذه الآية قال: «عن سعيد بن جبير إنَّ القربى قُربى آلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم)»^(٦).

البحث الثالث: في أن (إِلَّا) في الآية هل تُفيد الاستثناء المتصل أم الاستثناء المنفصل؟

(١) تفسير حرر الكوفي، ص ٣٩، ج ١، أسباب النزول (الوحيد)، ص ٢٤١، تفسير شطبي، ج ٩،

ص ٣١١، التفسير الكبير (مفتاح النبأ)، ج ٢٧، ص ١٠٥.

(٢) أنظر: تفسير البرهان، ج ٧، ص ٨٢.

(٣) المحسن، ج ١، ص ٥٨١، ج ٢، ص ٢٠١، ص ٢٢٠، ج ٢، ص ٢٤١، ج ٩.

(٤) تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٥) التفسير الكبير (مفتاح النبأ)، ج ٢٧، ص ١٠٥.

(٦) صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣٧، ومثله في مسند أحمد، ج ١، ص ٢٨، مسند ترمذي، ج ٥، ص ٥٥.

المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ١١٤، مسند الكرم، (السماني)، ج ٦، ص ٤٢٢.

فعلى القول الأول، وأن الاستثناء مُتَّصِل، يعني: أن الله تبارك وتعالى أمر النبي الأكرم ﷺ أن لا يسألهم أجراً إلا أجراً واحداً، وهو أن يودّوا أهل بيته.

وأن جوب مودّتهم وجعلها أجراً للرسالة إما كان ذريعة إلى إرجاع الناس إليهم فيما كان لهم من المرجعية العلمية، فالمودة المفروضة على كونها أجراً للرسالة لم تكن أمراً وراء الدعوة الدينية من حيث بقائها، فالآية في مؤداها هذا لا تُغيّر مؤدّى سائر الآيات النافية لسؤال الأجر، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(١) المحكية عن لسان النبي الأكرم ﷺ، ومؤدّى هذه الآية الشريفة: إني لا أسألكم عليه أجراً، إلا أن الله لما أوجب عليكم مودة المؤمنين، ومن جملتهم قرابتي، فإنني أحسب مودّتكم لقرابتي وأعدّها أجراً لرسالتي^(٢).

أما على الثاني، ومن كون الاستثناء مُنفصل، يعني: أن الكلام تمّ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، فيكون حال الرسول الأكرم ﷺ حال الأنبياء الآخرين في أنه لم يسألهم أجراً أبداً، ثمّ إلا المودة في القربى جملة أخرى ليست هي الأجر؛ وهذا خلاف ظاهر الآية كما صرح به السيد العلامة ﷺ^(٣) بأن الاستثناء مُتَّصِل ولا قرينة على أنه منفصل.

البحث الرابع: الاستدلال بهذه الآية على عصمة أهل البيت عليهم السلام، فإن الله تبارك وتعالى أمر النبي الأكرم ﷺ أن يطلب الأجر، وهو المودة في القربى، ومن المستحيل أن الله يطلب المودة لشخص - مهما كان - إذا لم يكن هذا الشخص محفوظاً من كلّ نقص دائماً وأبداً، وإلا لما أمر بطلب المودة، فكيف يؤدّ الله تبارك وتعالى أشخاصاً يخطئون ويعصون؟! فما دام أن الله تبارك وتعالى أمر بمودّتهم إذا هم معصومون من كلّ نقص دائماً وأبداً.

(١) حم: ١٠١.

(٢) انظر: تفسير ميزان: ١١٠، ص: ١١٠.

(٣) المصدر السابق.

ولكن هؤلاء القراة لرسول الله ﷺ ما أعطوا المودة، فخالف جمع من المسلمين أوامر الله تبارك تعالى فيهم.

روى الشيخ الصدوق رحمه الله في الأمل: أنه لما قُتل الحسين عليه السلام وهجم القوم على رحله، فرّت العيالات والأطفال - كالطيور الهاربة - من النار، فمن جملة من هرب من الأطفال طفلي مسلم بن عقيل، ولما أُلقي القبض عليهما جيء بهما إلى الكوفة، وأدخلا على ابن زياد، فأمر بهما أن يُزجَا في السجن، حتّى إذا مرّت عليهما سنة كاملة وهما في السجن، وقد ضاقت صدورهما، فقال الصغير ذات يوم لأخيه الكبير: أخي، يُوشك أن تُفنى أعمارنا في هذا السجن، فلم لا نُخبر السجان بخبرنا ونُعرفه أنفسنا لقربنا من رسول الله ﷺ؟! ولما أن جاء إليهما السجان بقوتها قام إليه الصغير وقال له: يا هذا أتعرف محمداً المصطفى نبي هذه الأمة؟ قال: وكيف لا أعرف النبي!! فقال له: أو تعرف ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو إمامي!! فقال له: يا شيخ، أو تعرف مسلماً بن عقيل؟ قال: نعم، فقال له: يا هذا نحن أولاده، فما لك وما لنا لا ترحمنا لصغر سننا؟!

فلما سمع السجان بكى وانكبّ عليهما يُقبلهما وهو يقول: نفسي لكم الفداء، والله، ما كان لي علم بأنكما ابني مسلم وأن أمير المؤمنين عمكما، سيدي هذا باب السجن مفتوح، فخذوا أي طريق شئتما وسيرا في الليل، واكمنا في النهار.

قال الراوي: فأطلقهما من السجن وخرجا وهما لا يدران إلى أين يتوجّهان، فجعلتا يسيران في شوارع الكوفة، حتّى إذا كان وقت طلوع الفجر، ودخلا في بستانٍ هناك فكمّتا، فمرّت عليهما جارية فسألتهما عن حالهما، فأقسما عليهما أن لا تُخبر أحداً بخبرهما، وعلمتا منها أنّها موالية لعمّهما، فقصّتا لها خبرهما، فقالت لهما: سيدي امضيا معي فإن مولاتي موالية لعمكما ومحبة لكم، فجاء معها حتّى إذا وصلا سبقتها الجارية على مولاتها وأخبرتها، فلما سمعت قامت لاستقبالهما وقالت لهما: ادخلا البيت على الرّحب والسّعة، ورفّعت عليهما.

هذا وقد استخبر ابنُ زياد بخروجهما من السجن فأمر مُناده أن يُنادي: مَنْ جاني بولديّ مُسلم له عند الأمير الجائزة العظمى، فصار أجلاف أهل الكوفة يُفتشون عليها ويطلبونها، ومن جملةهم زوج تلك المرأة التي أجارتهما.

قال: فلما جنَّ الليل أقبل زوجها وقد أتعب نفسه في طلبهما رجاء الجائزة، فقالت له زوجته: أين كنتَ اليوم وأرى عليك آثارَ التعب؟! فحكى لها بما نادى مُنادي ابن زياد، وقد أتعب نفسه في طلب الطفلين، فلما سمعت الحرة قالت له: ما لك وذرية عبد المطلب، أما تخشى أن يكون مُحَمَّدٌ غداً خصمك؟ فقال لها: دعيني من هذا. فبينما هي تكلمه ويكلمها إذ سمعَ همهمةً في داخل الحجرة فقال لها: أي شيء أسمع، هل عندنا أحد؟! فأعرضت وتلجلجت. فقام اللعين وأخذ الضياء ودخل الحجرة وإذا بالطفلين قائمين يُصليان، حتى إذا فرغا قال لهما: مَنْ أَنْتُمَا؟ فقالا: أولادُ مُسلم بن عقيل، أجارتنا هذه الحرة، فقال اللعين: أتعبت نفسي وفرسي في طلبكما وأنتم في داري!!

ثم رفع يده ولطم الكبير على وجهه، وجاء لهما بالحبال فأوثقهما كتافاً.

فقالا له: ما لك تفعل بنا هذا الفعل وامرأتك أضافتنا؟ أما تخاف الله فينا؟ أما تُراعي يُتمنا وقربنا من رسول الله؟ فلم يعبأ اللعين بكلامهما، ولا رَقَّ لهما فتركهما في الحجرة يبيكان حتى الصباح، ثم أخرجهما من داره وتبعته امرأته وولده وعبدُه. هذا وامرأته تتوسَّل به وتحالفه وتذكِّره الله، حتى جاء بهما إلى جانب الفُرات ليقتلها، فالتفت إلى عبده وقال له: خذ السيف واضرب عنقيهما وأتني برأسيهما، فأخذهما العبد وأراد قتلها، فقالا له: يا هذا، ما أشبه سوادك بسوادِ بلال مؤدَّن رسول الله... يا هذا، لا تقتلنا فإنَّك إن قتلتنا يُخاصمُك رسولُ الله يوم القيامة، فقال لهما، مَنْ أَنْتُمَا؟ فقالا: نحنُ أولادُ مُسلم بن عقيل.

قال: فانكبَّ العبدُ عليها يُقبِّلها، ورمى السيفَ من يده وألقى بنفسه في الفُرات، وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاة عصيتني؟ فقال له: عصيتك لما عصيت الله، فقال اللعين: والله، لا يتولَّى قتلها أحدٌ غيري. فأخذ السيف وأتى إليهما فلما همَّ بقتلها جاء إليه ابنُه وقال

له: أبه، ارحمهما لقرّبهما من رسول الله ولصغر سنّهما، فلم يعبأ به، فلمّا رأيا صنعه تباكيا، ووقع كلّ منهما على الآخر يُودّعه ويعتقه، والتفتا إليه وقالّا له: يا هذا، لا تدعنا نُطالبك بدمنا أمام رسول الله يوم القيامة، خذنا حيّين إلى ابن زياد يصنع بنا ما يشاء. فقال: ليس إلى ذلك من سبيل، فقالا: يا هذا بعنا في السوق وانتفع بأثماننا ولا تقتلنا، فقال: لا بُدّ من قتلكما، فقالا له: ارحم يُتمنا وصغر سنّنا، وإن كنت عزّمت على قتلنا فدعنا نصليّ لربّنا ركعتين.

قال: صليّا ماشئتما إن نفعكما الصلاة. فلمّا فرغا من الصلاة شهر سيفه وقدم الكبير ليضرب عنقه، فقال له الصغير: اقتلني قبل أخي. فقال الكبير: إني لا أحبُّ أن أرى أخي قتيلاً. فشهر سيفه وضرب الكبير فقتله، فوقع عليه الصغير يتمرّع بدم أخيه وهو يُنادي: وا أخاه، ثمّ اجتذب وضرب الصّغير فقتله، وقطع رأسيهما وحملهما في مُحلاة^(١) له ورمى بأبدانهما في الفُرات، وسار برأسيهما إلى ابن زياد، فلمّا مثّل بين يديه ووضع المُحلاة، فقال له ابنُ زياد: ما معك؟ فأخرج إليه الرأسين فكشف عن وجهيهما وإذا هما كالقمرين.

فقال له: قتلتهما؟ قال: طمعاً بالجائزة، قال: واين ظفرت بهما؟

قال في داري، وإن زوجتي أجارتها، فقال له ابنُ زياد: ما عرفت لهما حقّ الضيافة وقتلتهما! ولو جئني بهما أحياءً لضاعفتُ لك الجائزة، ثمّ قال: ويلك، ما قال لك حين أردت قتلتهما؟ قال: قالّا لي: إرحم يُتمنا ولا تقتلنا فيكون خصمُك محمدٌ يوم القيامة، وامض بنا إلى ابن زياد حيّين، وإن شئت بعنا في السوق وانتفع بثماننا. فقلت لهما: لا بُدّ من قتلكما، فنظر ابنُ زياد إلى جلسائه وقال: ما أفصّه وأجفاه.

قال الراوي: فأمر ابنُ زياد بقتله فُقتل (عليه لعائنُ الله)، وأمر بالرأسين أن يُدفنا في المكان الذي قُتلا به^(٢).

(١) قلت ابن السكيت. في ترتيب الصلح، المطلق، ص: ١٠٣. «وسميت المحلاة محلّة قتله يجلس فيها الحبي». وفي نساء العرب: ج: ١٠٣ ص: ٢٠٣ «قال الأصمعي: (الطلي) الرقب من تحسب. وسميت المحلاة بهذا، ليس فهو حبيب».

(٢) أنظر: أمالي الشيخ الصفي، الجنس العشرون، ص: ١٠٣ - ١٠٤، ج: ٢، عنه بحار الأنوار: ج: ٤٠، ص: ١٠١ - ١٠٥، ج: ١، نعيانم (الإمام الحسين عليه السلام)، ص: ٣٥٤ - ٣٥٥، ج: ١.

أقول: ليت اللعين فعل مثل هذا الفعل برأس وجسد أبيهما مُسلم بن عقيل.
يقول الراوي: لما صعدوا بمُسلم إلى السطح قال: يا بكر، دعني أصلي لربي ركعتين،
فقال: صل. فصلّى مُسلم حتى إذا فرغ من الصلوة وجّه وجهه نحو مكّة، وقال: «السلام
عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا بن رسول الله»، فصيح به: يا بكر، عجل عليه، فشهر
بكر سيفه وضرب عنق مُسلم، ورمى برأسه من أعلى القصر إلى الأرض وأتبع جسده،
وأراد أهل الكوفة في ذلك اليوم إرضاء ابن مرجانة بفعلهم، فجاؤوا لمُسلم ولهاني
ووضعوا الحبال برجليهما، وجعلوا يسحبونها بالأسواق^(١). ورحم الله الشاعر حيث
يصف حال الشيعة وبُكائهم على مُسلم:

بكتك دماً يا ابن عمّ الحسين	محاجر شيعتك السافحة
ولا برحت هاطلات العيون	تحيّيك غادية رائحة
لأنك لم ترو من شربة	ثناياك فيها غدت طائحة
رموك من القصر إذ أوثقوك	فهل سلّمت فيك من جارحة
وسحباً تجرّ بأسواقهم	ألست أميرهم البارحة
قتلت ولم تبكك الباقيات	أمالك في المصر من نائحة
لئن تقضي نجباً فكم في زرود	عليك العشيّة من صائحة ^(٢)

وذلك لما وصل خبر استشهاد مُسلم عليه السلام للحسين عليه السلام وكان في زرود، كأي به استرجع
قائلاً: «إنا لله وإنا إليه راجعون»، ثمّ إنّه عليه السلام عمد إلى خيمة النساء ونادى الحوراء زينب عليها السلام
قائلاً لها: «أتبيني بحميذة»، ولما أقبلت إليه وضعها في حجره، وأخذ يمسح على رأسها.

(١) ترمذ: تقييد: ج ١، ص ١٠١.

(٢) ابصار معين: في أنصار الحسين: ص ٨٧ - ٨٨.

(نصاري)

يمسح راسها ابسرة شديدة
كالتله يعمّي وسالت العين
على راسي امسحت گلي علامة
أظن عودي غطة ويتمني البين

أخذت مُسلم من الخيم بيده
وبالشر حسّت الطفلة حميدة
يعمّي لاحت ابوجهك علامة
السجّية هاي بس ويّه اليتامة

(عاشوري)

أبوج أنه يگلها ويهل دمعه
وبطلي البچه وهودي ولا تنوحين

غده يمسح دمعهها ومخني ظلعه
يعمّي النوح دلّالي يصدعه

عليك العشية من صائحه
وجمرتها في الحشا قادحه

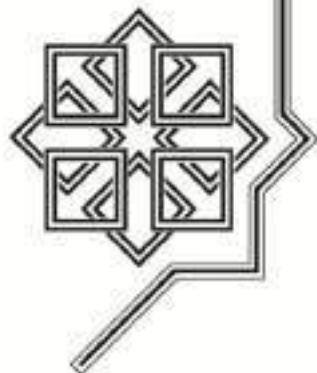
لئن تقضي نجبا فكم في زرود
وكم طفلة لك قد أعولت

الحاضرة الثانية عشرة



كيفية

الاختيار الصديق



كيف يصحوا بما تقول اللّواحي
كيف تُهينني الحياةُ وقلبي
وقفوا يدرؤون سُمرَ العوالي
فوقوه بيضَ الطُّبا بالنحورِ البيضِ
فئةٌ إن تعاورَ النقعُ لِيلاً
وإذا غنّت السيوفُ وطافتْ
باعدوا بين قُربهم والمواضي
أدركوا بالحُسْنِ أكبرَ عيدٍ
بأبي الواردونَ حوضَ المنايا
بأبي اللابسونَ حُمرَ الثيابِ

مَنْ سَقَتَهُ الهمومُ أنكدَ راحِ
بعد قتلِ الطُفوفِ دامي الجراحِ
عنه والنبلُ وقفَ الأشباحِ
والنبلُ بالوُجوه الصّباحِ
أطلعوا في سماءِ شهبَ الرّماحِ
أكؤُسُ الموتِ وانتشى كلُّ صاحِ
وجسومِ الأعداءِ والأرواحِ
فغدوا في منى الطُفوفِ أضاحي
يومَ زيدوا عن الفُراتِ المُباحِ
طرزتهم سافياتُ الرّياحِ^(١)

غال احسين ير جال الحميّة
نضّبوا خيامنا ابهاي الثنية
الخيم من أمر عليهم بنوها
ابمواظيهم الترهّب حوطوها
العقيلة إگعدت لاچن زاد همها
مدري اشلون من فگدت زلمها

إنچان اهنّا محلي الغاضرية
السبب بيها يُوافينا المحتمّ
اوييها بنات حيدر نزلوها
علي وجاسم وعبّاس المشيم
عليها اوكل بني عدنان يمها
أو نار الگوم وجّت بالمخيم

(١) القصيدة لسبب رفضا الموسوي الهندي. كما وجدتها في ديوانه ص ٢٥. وقد تقوّمت ترجمته في

لحاضرة "تاسعة من هذا الكتاب. هـ جـ.

(أبوذية)

أحشمكم اورؤوحي تون لونكم أحنوف الكدر يصحابي لونكم
وحيد او حاطت العدوان ييه تنهظون او تشوفني لونكم

من حَكَمَ أبي مُحَمَّد الحسن الزَكِّي عليه السلام: «وإن نازعتك إلى صُحبةِ الرِّجالِ حاجة، فاصحبْ مَنْ إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردتْ معونةً أعانك، وإن بدت منك ثلثة سدّها، وإن رأى منك حسنةً عدّها»^(١).

من موعظة لإمامنا المجتبي عليه السلام، ألقاها على أحد أصحابه، وهو يروح تحت أعباء الآلام الشديدة من أثر السُّم الذي أوهى قوته، وذلك الصاحب هو جُنادة بن أبي أميد (أمية)، دخل عليه فقال: سيّدي لم لا تُعالج نفسك؟

قال عليه السلام: «بأيّ شيءٍ أعالج الموت؟! وهل يُفيدني العلاج، وقد أَلقيتُ الطائفةَ الكبرى من كبدي؟!»، فطلب منه الموعظة، فوعظه وهو على فراشه بكلمةً بليغةً موجزةً مشتملةً على عدّة وصايا وهذه واحدةٌ منها، علّمه فيها بصفات الصّاحب الذي إن احتاج أن يُصاحبَ أحدٌ أحدًا فليصحب هكذا إنسان، ونحنُ عندما نقول: صاحب ورفيق وزميل وقرين و خليل و حبيب، هذه كلّها تُعطي معنى: أخ «وَرُبَّ أَخٍ لك لم تلده أمُّك»^(٢)، والمرء يُعرف بصاحبه ورفيقه، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ.

قال الشاعر:

(١) نهاية البشر: ص ٢٢٩. سعد بجار الأئمة: ج ١: ص ١٢٦. ج ٢: مستفردك النسخة: ج ٩: ص ٢١١.

ج ١.

(٢) الإحسان (عن أبي النجاة): ص ١١٧. الضيقات الكبرى: ج ٦: ص ٢٢٥. ج ٧: ص ١٢٧. ركن السجود

الحسن البصري.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكُلَّ قرينٍ بالمقارن يقتدي^(١)
ولعلَّ الشاعر القائل:

صاحبٌ أخاً ثقةً تُحْضِي بِصُحْبَتِهِ فالطبعُ مُكْتَسِبٌ من كُلِّ مصحوبٍ
كالريحِ آخذةٌ مِمَّا تَمُرُّ بِهِ نتناً من النتن أو طيباً من الطيب^(٢)

كان يقصد هذا المعنى نفسه، يُمثِّل أحد الحكماء صُحبة السفيه وذِي الأعمال السيئة بالدُّخان يقول: «إذا لم تكتسب نفس تلك الحالة الذميمة التي هي فيمن صحبته من الأشرار، تكون صُحبة هكذا إنسان مثل الدُّخان، فالدخان إن لم يقتلك، فإنه يدخل في عينك فيُهمل دُموعها». ولأهمية الأخوة في الدين الإسلامي أولى هذا الجانب العناية التامة دستور الإسلام ونبي الإسلام وأئمة الإسلام، فالقرآن تارةً يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣)، وأخرى يأمر بتقوية الروابط الأخوية والعلاقات الإسلامية بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾^(٤)، أما النبي الأكرم ﷺ فيكفي فعله عن قوله عندما آخا بين المهاجرين والأنصار، وأمرهم بالتآزر والتعاون.

وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلمة من كلماته الرائعة - وكل كلامه رائع -: «إنما أنتم إخوانٌ

(١) ذكره العيني في عمدة القاري ج ١ ص ٢١، ولم يسمه لأحد. ومثله ابن أبي سبيبة نكدي في مصنف ج ٦ ص ١٢١. وابن أبي الحديد في شرح المنهاج ج ١ ص ٢٢، لكنه قال: في ج ١ ص ١٢١: قال صريف.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه قال القرين بالمقارن يقتدي

في جامع البيان ج ٥ ص ١٢٢ نسيه أبو عدي بن زيد.

(٢) العنقايط الفاطمية ج ١ ص ١٠٠. وفيه (عسر) بدل (صاحبه). ولم يعرف فائده.

(٣) الحجرات: ١٠.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

على دين الله، ما فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا حُبُّ السَّرَائِرِ وَسُوءُ الصَّمَائِرِ، فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادون، ما بالكم تفرحون بالقليل من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه»^(١) ومضافاً إلى ذلك، وضع عليه السلام ميزاناً ليفرق به المسلم المؤمن صديقه من عدوه؛ ليعرف من عليه أن يُصاحبه ويُصادقه، ومن الذي عليه أن يتعد عنه ويتجنبه.

هذا الميزان أو هذه النصيحة والبيان أرشد الإنسان الواعي المتدين، فالإنسان إن اتبع ما وُضع له من خطوطٍ وعلاماتٍ على الطريق أدّى به سيره إلى (محطة الكرامة ومرسا السلامة)، وإلا فنصيبه الخسران والضلال والندامة، ماذا قال عليه السلام «أصدقاؤك ثلاث وأعداؤك ثلاث: فأصدقاؤك: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك. وأعداؤك: فععدوك وعدو صديقك وصديق عدوك»^(٢). ومن هذه الحكمة التي يعسر أن يأتي بها أحد غير باب مدينة العلم، بهذه الوجازة مع الإحاطة الكاملة بالأمرين المهمين، وهما تعيين الصديق والعدو، ويكشف الصديق المتلون الذي لا يُعرف له وجه، ورحم الله الشاعر:

فأما أن تكون أخِي بصديقٍ فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطر حني واتخذني عدواً اتقيك وتتقيني^(٣)

وكل ما ذكرناه من الشعر والنثر لم تخرج عنه كلمة الإمام الحسن عليه السلام، بل جمعت كل ما فيه وزيادة، أنظر إلى موعظته ووصفه الناجع والنافع: «إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا طلبت منه معونة أعانك»، وفي الحقيقة هذه هي الأخلاق الحميدة والصفات

(١) نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٢٢، خطبة ١١٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٢، حكمة رقم ٢٦٥، من بحار الأنوار، ج ١، ص ١٥٥، ر ١٦، ص ١١٥.

شرح أسرار الكافي، ج ٩، ص ٢١١.

(٣) حاشية الأديب، ج ٧، ص ١٠١، فتح الباري، ج ٩، ص ٢٢٧، حاشية قاري، ج ١، ص ٢٥٧، مني السبيل، ج ١، ص ١٠١، مساعد رقم (٨٠)، شرح سررني على الكافية، ج ٤، ص ١٠٢، مساعد رقم (٨٠٥)، زينات غسان قصيدة (الغيب العبدني) على ما وجدت في أكثر المصادر.

الرفيعة والمجيدة، فضُحبة الرجال الأخيار والشرفاء والعظماء في سيرتهم وعلمهم هي التي تكسب المرء جمالاً وكمالاً، ثم أعطى الصَّاحِب الصَّالِح والكريم وصفاً آخر، فقال: (وإذا خدمته صانك)، بخلاف اللئيم الذي يقول في صانع المعروف له ما يقوله في غيره على حدٍّ سواء.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١)

ثم قال عليه السلام: «وإذا طلبت منه معونة أعانك» أي: لا يسلمك عند النكبات، ولا يتخلّى عنك في الأزمان، والصاحب رصيّدٌ غالٍ وطاقَةٌ تردُّ بها الصَّعاب من الأمور، وقد قيل فيه: الصاحبُ نعم العون على النوائب، نوائب الدهر وصروفه.

أنظر إلى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام النخبة الصالحة، والصّفوة التي كتب الله لها الفوز والسَّعادة في نصره أي عبد الله الحُسين عليه السلام، وأخذ عددهم يتكامل شيئاً فشيئاً بين مُفارقٍ يُلقى الله النورَ في قلبه فينصرف عن طريقه الأوّل إلى ما عليه الحُسين عليه السلام فيُصبح من أنصاره، وبين مسيحيٍّ يُحصى الله له السَّبب بعد السَّبب لوضوح سبيل الحقّ، وإذا به بعد نصرانيته مُسلمٌ مؤمنٌ، يقارعُ الظَّالمين، وينصر الدّين. وبين مَنْ كان في الانتظار، منهم (حبيب بن مظاهر الأسدي) الذي كان للحُسين عليه السلام حبيباً مُنذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله، كتب إليه الحُسين عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم: من الحُسين بن عليٍّ إلى الرّجل الفقيه حبيب بن مظاهر، أمّا بعد فقد نزلنا كربلاء والسَّلام». يعني مجرّد إشارة، وإلّا فهو على موعدٍ ثابتٍ من أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه سيُوفّق إلى شهادةٍ عظيمة بعد مرور زمانٍ، وبعد قتل مُسلم عليه السلام وتوجّه الحُسين إلى العراق، كان ينتظر؛ لأنّه من أهل علوم المنايا والبلايا، بالإضافة إلى ما سبقه من الوعد، بينما هو جالس وإذا بالبَّاب تُطرق، وكانت زوجته قد تفاعلت بورود

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ١٢٩. وسيد الخي سميت النبي. وفي المعروف: الحبيب. وانتظر. نبذة

تدوير: ج ١، ص ٢٢١. تفسير أبي السعود: ج ٤، ص ٣٤.

كتاب كريم من رَجُلٍ كريم، وذلك عندما غَصَّتْ بِلُقْمَتِهَا، طُرْقَتِ الباب، أقبل حبيب، فتح الباب وإذا برَجُلٍ يحمل الرسالة، استلم منه الرسالة، ثُمَّ قال: ادْخُلْ عَلَى الرَّحْبِ والسَّعَةِ، فشكره الرسول وقال: الأمرُ أسرع من ذلك.

دخل حبيب فتح الرسالة قرأها تهاملت دُمُوعه، تَحَنَّتْ ظُلُوعه، أمّا زوجته - جزاها الله خيراً - أخذت تبكي كَبْكَاءَ الثَّكْلِ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَحُثُّهُ عَلَى الإسْرَاعِ بِالذَّهَابِ إِلَى الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ضَامِنَةً لَهُ مَبَارَاةَ أَطْفَالِهِ وَمُدَارَاتِهِمْ، وَهُوَ يَمْتَحِنُ صَبْرَهَا وَوَلَاتُهَا، فَأَخَذَ يُظْهِرُ التَّبَاطُأَ وَالتَّكَاسُلَ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ بِأَهَاتٍ وَحَسَرَاتٍ وَأَنِينٍ وَحَنِينٍ.

ذكر أصحابُ السَّيْرِ: أَنَّ الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عِنْدَمَا قَسَمَ الرَايَاتِ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَكَانَتْ اثْنَتِي عَشْرَةَ رَايَةً، أَبْقَى رَايَةً، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: مَنْ عَلَيَّ بِحَمْلِهَا، فَقَالَ لَهُ: يَأْتِي إِلَيْهَا صَاحِبُهَا، بَيْنَمَا الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَصْحَابُهُ فِي الْكَلَامِ وَإِذَا بَغْبِرَةٌ ثَائِرَةٌ، فَالْتَفَتَ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الرَايَةِ قَدْ أَقْبَلَ، فَلَمَّا صَارَ حَبِيبٌ قَرِيباً مِنَ الْإِمَامِ الْمَظْلُومِ تَرَجَّلَ عَنْ جَوَادِهِ، وَجَعَلَ يُقْبَلُ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَبْكِي، فَسَلَّمَ عَلَى الْإِمَامِ وَأَصْحَابِهِ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ^(١)، فَسَمِعَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا الَّذِي أَقْبَلَ؟ فَقِيلَ لَهَا: حَبِيبُ بْنُ مَظَاهِرٍ، فَقَالَتْ: اقْرَؤُوهُ عَنِّي السَّلَامَ. فَلَمَّا بَلَغُوهُ سَلَامَهَا، لَطَمَ حَبِيبٌ عَلَى وَجْهِهِ، وَحَثَا التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ: وَمَنْ أَكُونُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيَّ بِنْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ^(٢)!

(١) تَبَيَّنَتْ تَفْصِيْلَاتُهَا: ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) مِنْ تَرْجُومَةِ أُسْتَاذِنَا لِمَرْحُومِ السَّيِّدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

(نصاري)

بنت المرتضى حامي الحمية
وبحگهم نزل وبنص الكتاب
ولكم خادم أنه وعبد لحسين
حيب أوفوگ راسه ذب التراب

(أبوذية)

عن الدين ما صفحوا وحدوا
بضعن للموت وانوو للمنية

إن لم ينط نسب فانت نسيب

أنه منين وتسلم عليه
هاي امدللة عباس هيه
عليه إنت بيت حيدر تسلمين
غام ولطم وجهه وهلت العين

للخالك أنصار احسين وحدوا
لبسوا على الدروع گلوب وحدوا

أحيب أنت إلى الحسين حيب

الحاضرة الثالثة عشرة

حماد وداود الصداقة



لله أَل الله تُسْرِعُ بالسُّرَى	وإلى الجنان بها المنايا تُسْرِعُ
مُنَعُوا الفُراتَ وَقَدْ طَمَأ مُتَدَفِّعاً	يَا لَيْتَ غَاصَ عُبَابُهُ الْمُتَدَفِّعُ
أَتَرَى يَسُوعُ بِهِ الْوُرُودُ وَدُونَهُ	أَلْ أَهْدَى كَأْسَ الْمَنُونِ تَجَرَّعُوا
أَمْ كَيْفَ تَنْقَعُ غُلَّةٌ بِنَمِيرِهِ	وَالسَّيْطُ غَلَّتْهُ بِهِ لَا تُنْقَعُ
تَرَحَّأْ لِنَهْرِ الْعَلْقَمِيِّ فَإِنَّهُ	نَهْرٌ بِأَمْوَاجِ النَّوَائِبِ مُتَرَعُ
وَرَدُوا عَلَى الظَّمَا الْفُرَاتِ وَدُونَهُ	الْبَيْضُ الْقَوَاطِعُ وَالرَّمَاخُ الشُّرَّعُ
أُسْدٌ تُدَافِعُ عَنْ حَقَائِقِ أَحْمَدٍ	وَالْحَرْبُ مِنْ لُجَجِ الدِّمَا تَتَدَفِّعُ
وَاسْتَقْبَلُوا بَيْضَ الصِّفَاحِ وَعَانَقُوا	سُمَرَ الرَّمَاخِ وَبِالْقُلُوبِ تَدَرَّعُوا
فَكَأَنَّمَا لَهُمُ الرَّمَاخُ عَرَائِسُ	تَجَلَّى وَهُمْ فِيهَا هِيَامٌ وَلَّعُ
يَمْشُونَ فِي ظِلِّ الْقَنَا لَمْ يَثْنِهِمْ	وَقَعَ الْقَنَا وَالْبَيْضُ حَتَّى صُرَّعُوا
فَدَمَاؤُهُمْ لِلسَّمْهَرِيَّةِ مَنَهْلُ	وَنُحُورُهُمْ لِلْمَشْرِفِيَّةِ مَرْتَعُ
وَجُسُومُهُمْ بِالْغَاضِرِيَّةِ جُثْمُ	وَرَوْوُسُهُمْ فَوْقَ الْأَسِنَّةِ تَرْفَعُ ^(١)

(١) القصيدة لسيد صالح القزويني الجنبي رحمته الله في رياض المدح والثناء، ص ٣٠٠، وجاء في هامش مصدر المذكور «سيد صالح بن سيد مهدي ابن سيد رضا الحسيني القزويني الأصل نعيدي اسكن، فتباً زليلاً جهيد كبير السمر، حسن الكلام، محبوب البوصف، إنه فصيح في مدح أهل البيت اطاعهم عليهم السلام وسمائهم استوفى بها كثيراً من صفاتهم ومجراتهم، إنه نادر الفروية في لغة عربية، وهو ديوان سمر يستغل على أربع عشرة قصيدة كل قصيدة في مقام، يذكر فيها مناقبه ووفاته، وهي فصاحة غريبة جداً، توفي في بغداد سنة ١٢١١ هـ قبل أن «يصح».

(مجايد)

وَيَنْ الصُّمَيْدَ يَحْضُرُ الْحَيْنَ وَيَشُوفُ وَيَلَادُهُ الْمُطَاعِينَ
عَبَّاسَ وَأَخْوَانَهُ وَالْحُسَيْنَ وَبَاجِي بَنِي هَاشِمِ الطَّيِّينَ
الظَّلَّتْ عَرَايَةَ ابْغِيرَ تَكْفِينِ أَوْزِينَ تَصِيحِ أَوْ تَهْمِلِ الْعَيْنَ
هَازِي حَرَمَكُم مَالَهَا مَعِينِ أَوْ يِيهَا الْعِدَّةَ لِلشَّامِ مَاشِينَ

لَحْكَ يَحِيدُ رِيَّوُ الْحُسَيْنِ

رُويَ عن إِمَامِنَا الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَكُونِ الصَّدَاقَةُ إِلَّا بِحُدُودِهَا، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ هَذِهِ الْحُدُودُ أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا فَانْسِبْهُ إِلَى الصَّدَاقَةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَلَا تَنْسِبْهُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الصَّدَاقَةِ: فَأَوَّلُهَا: أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُهُ وَعِلَانِيَتُهُ لَكَ وَاحِدَةً. وَالثَّانِي: أَنْ يَرَى رَزِيكَ رَزِينَهُ وَشَيْنَكَ شَيْنَهُ. وَالثَّالِثَةُ: أَنْ لَا تُغَيِّرَهُ عَلَيْكَ وَلَايَةً وَلَا مَالًا. وَالرَّابِعَةُ: أَنْ لَا يَمْنَعَكَ شَيْئًا تَنَالَهُ مَقْدَرَتُهُ. وَالْخَامِسَةُ - وَهِيَ تَجْمُعُ هَذِهِ الْخُصَالَ -: أَنْ لَا يُسَلِّمَكَ عِنْدَ النِّكَاحِ»^(١).

إِنَّ عَلَمَنَا الْيَوْمَ يَتَعَطَّشُ إِلَى إِقَامَةِ عِلَاقَاتٍ وَطِيدَةٍ تُبْنَى عَلَى أُسُسِ الْمَوَدَّةِ وَالتَّآلُفِ وَالْوَثَامِ وَالْإِنْسِجَامِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَسُودُهُ التَّشَاؤُمُ وَالْحَقْدُ وَالْعُنفُ وَالْإِرْهَابُ، تَرَاهُ يَتَشَوَّقُ بِلَهْفَةٍ إِلَى كِيمِيَاءِ الْمَحَبَّةِ، إِذْ إِنَّهُ الْعِلَاجُ النَّاجِحُ لِدَاءِ التَّوَتُّرِ... وَأَفْضَلُ مَعْلَمٍ يَعْلَمُنَا ذَلِكَ هُوَ الْبَارِي ﷻ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ الَّذِي جَعَلَ (الرَّحْمَنَ وَالرَّحِيمَ) مِنْ مَفْتَتِحَاتِ سُورِهِ وَأَيَّاتِهِ الْمُبَارَكَةِ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ رَحْمَتَهُ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَبِ، بَلْ إِنَّ رَحْمَتَهُ الْعَامَّةَ تَشْمَلُ الصَّالِحِينَ وَالطَّالِحِينَ وَتَسْتَوْعِبُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ؛ إِذْ قَالَ تَعَالَى:

(١) "الكافي" ج ٢، ص ٢٣٦، ج ٦، وأعطى أمالي الشيخ العسقلاني، ص ٧٠٧، ج ٧، تحف الفضل، ص ٣٠.

روضة البصير، ص ٣٧٧، ومفاتيح السيرة، ج ١٤، ص ٢٤٠، ج ١، عن الكافي، بحار الأنوار، ج ١١،

ص ١٢٣، ج ١، عن الأمالي، ج ٢٤، ص ٢٤٣، ج ٢٥.

﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

ومن هذا المنطلق يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أبلغ ما تُستدَرُّ به الرَّحمة أن تُضمَر لجميع النَّاس الرَّحمة»^(٢).

وما الحديث الَّذي افْتَحْنَا به كلامنا إِلَّا واحد من مئآت الأحاديث الَّتِي حَثَّت على المحبَّة والأخوة والصَّداقة.

وهذا الحديث المروي عن إمامنا الصَّادق عليه السلام في مصادر عديدة ما هو إِلَّا ثمرة من ثمرات الحبِّ والمودة الَّتِي كان يحملها إمامنا الصَّادق عليه السلام تبعاً لآبائه وجدِّه رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله، وما أخذه من الباري عزَّ وجلَّ إِلَّا أَنَّ الإمامَ الصَّادق عليه السلام ذكر حُدُوداً خمسة في حقيقة الصَّداقة، إذا حصل الإنسان عليها أو على بعضها فهو الصَّديق، وإذا لم يحصل ولا على واحدة منها - على أقل تقدير - فهو ليس من أهل الصَّداقة.

لكن هذا لا ينفي أن يكون نضيراً في الخلق وما شابه ذلك، إِلَّا أَنَّهُ ليس بالصديق الَّذي يكون من الخواصَّ.

الأول: «أن تكون سريرته وعلايته لك واحدة»

وهذا هو الشرط الأول من هذه الشروط الخمسة، فمتى ما كان الَّذي تريد أن تُصادقه يحمل هذا الشَّعور وهذا المبدأ فهو أهلٌ للصَّداقة.

قال بعض الأكابر: «لعلَّ المراد أن يكون كلُّ قوله موافقاً لضميره، وإلَّا لكان نفاقاً منافياً للصداقة، لا أن لا يكتُم سرّاً من أسرارهِ؛ إذ كتمان بعض السرِّ من باب الحزم قد يكون مطلوباً، كما دلَّ عليه بعض الروايات»^(٣)، ومثل هذه الشَّروط الخمسة لا يتحقق العلم بوجوده إِلَّا بالمجالسة المتعدِّدة، والمخالطة المتكرِّرة، والمعاشرة الظَّاهرية، أو بشهادة

(١) الأعراف: ١٥.

(٢) إكميل لمحبة، ص ٣ - ٤. ميز الحكم، حكمة ٣٥٣.

(٣) سراج نصير النكالي: ج ١٦ ص ٩٧ - ٩٨.

حاله وغيرها.

الثاني: «أن يرى زينك وزينه وشينك وشينه»: بحيث يريد ويكره لك ما يريد ويكره لنفسه، بحيث لا يورطك في فعلٍ هو لا يرتضيه لنفسه أبداً، ويعتبر ذلك عاراً عليه؛ لأنك مرآة له في أصل الإيمان، فضلاً عن الصداقة التي هي أخص من مطلق الإيمان، وينهاك سرّاً عن بعض ما لا يرتضيه هو لنفسه؛ لأنّ هذا الشرط يريد أن يجعلك مع صديقك شخصين في صورة واحدة؛ إذ ورد في بعض حقوق المسلم على المسلم: «أن يُدِيمَ نصيحته... ويحبّ له من الخير ما يحبّ لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»^(١).

والثالث: «أن لا تُغيّرَ عليك ولاية ولا مال»: بأن تكون صداقته بعد وجدان الحكومة والمال كما يكون قبله بلا تفاوتٍ، وهي نادرة^(٢).

وهذا الشرط هو محكّ الأصدقاء، فكم من صديقٍ أخلص صداقته لصديقه، وكانت سريرته وعلايته واحدة، ويرى زين صديقه وزينه، وشينه وشينه؟ لكن ما أن وصل إلى الولاية، أو حصل على بعض المال الذي ليس لصديقه منه نصيب، حتّى تراه قد انقلب ورجع القهقري. وهناك أمثلة عديدة في التاريخ، أذكر نموذجاً واحداً على نحو التذكير يشابه ما تريد ببعض الاعتبارات.

روى محمد بن عليّ الصوفي قال: استأذن إبراهيم الجهميّ رحمته الله على أبي الحسن عليّ بن يقطين الوزير، فحجبه، فحجّ عليّ بن يقطين في تلك السنة، فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى بن جعفر فحجبه، فراه ثاني يومه، فقال عليّ بن يقطين: يا سيّدي ما ذنبي؟ فقال: «حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم الجهميّ، وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك إبراهيم الجهميّ، فقلت: سيّدي ومولاي، من لي بإبراهيم الجهميّ في هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة؟

(١) بحار الأنوار ج ١٦، ص ٢٢.

(٢) سيرة النبوة ج ١٦، ص ٩٧ - ٩٨.

فقال: إذا كان الليل فامض إلى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحدٌ من أصحابك وغلمانك واركب نجيباً^(١) هناك مُسرَّجاً. قال: فوافى البقيع وركب النجيب، ولم يلبث أن أنأخه على باب إبراهيم الجمال بالكوفة، ففرع الباب، وقال: أنا علي بن يقطين. فقال إبراهيم الجمال من داخل الدار: وما يعمل علي بن يقطين الوزير بياي؟! فقال علي بن يقطين: يا هذا، إنَّ أمري عظيم، وآلى عليه أن يأذن له، فلما دخل قال: يا إبراهيم، إنَّ المولى عليه السلام أبى أن يقبلني أو تغفر لي، فقال: يغفر الله لك. فألى علي بن يقطين على إبراهيم الجمال أن يطأ خده، فامتنع إبراهيم من ذلك، فألى عليه ثانياً ففعل، فلم يزل إبراهيم يطأ خده وعلي بن يقطين يقول: اللهم اشهد. ثم انصرف وركب النجيب وأنأخه من ليلته بباب المولى موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة، فأذن له ودخل عليه فقبله^(٢).

فلاحظ كيف أنَّ الإمام عليه السلام لم يقبل علي بن يقطين لعمله هذا، وكيف كان تصرف علي بن يقطين تجاه صديقه إبراهيم الجمال؟!

الرابع: «أن لا يمنحك شيئاً تناله مقدرته» والرابع من هذه الحدود الخمسة أن لا يمنع الصديق صديقه شيئاً هو قادر على تقديمه له، سواء كان هذا الشيء مالاً أو جاهاً أو مواساةً أو ما شابه ذلك؛ لأنَّ كلمة (الشيء) تشمل الجميع، وإلا يكون قد قصر في حدٍّ من حدود الصداقة.

والخامس: «أن لا يُسلمك عند النكبات» وقد عبّر الإمام عليه السلام عن هذه الخصلة بأنها تجمع الخصال كلها؛ لأنَّ الصديق إذا لم يُسلم صديقه عند النكبات فقد حقق: بأنَّه ما منع

(١) نجيب: مصدر من قول جرير: «النجابة في نريد الحديث» ج ٥، ص ١٧٠ مادة نجيب. وفي (ج ١)، ص ١١ قال: النجيب: التام لحق الحسن المظهر. وفي القاموس المحيط: ج ١، ص ١٢ (النجيب: الكريم العبد).

(٢) عيون المعجزات: ص ٩١، مدينة المداخر: ج ٦، ص ٢١٢ - ٢١٣، ج ١١، بحار الأنوار: ج ٤، ص ٨٤، ج ١٠٥، عن عيون المعجزات.

صديقه شيئاً تناله مقدّره، ولا تغيّر بالولاية ولا المال، وهكذا، فكلاً احتاجه صديقه كان عنده في الشدائد والمحن، في الرّخاء والشدّة.

والنكبة - بالفتح - هي ما يُصيب الإنسان من الحوادث. ومعنى الإسلام هنا الخذلان والإلقاء إلى الهلكة. يقال: أسلم فلان فلاناً إذا خذله ولم ينصره، أو إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمِه من عدوّه^(١).

وقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «النفس الكريمة لا تؤثر فيها النكبات»^(٢).

وهذه الكلمة أشبه ما تكون حلاً لمن سلّمه صديقه للنكبات، وخذله في المهّات، والحلّ هو أن لا يتأثر بذلك، بل يصبر ويتوكّل على الله تبارك وتعالى.

وأروغ مثال سطره التاريخ في حدود الصّداقة ما ذكر عن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فلقد بالغوا في غاية المجهود، وزادوا في تحقيق الحدود، فشمّهم الله تبارك وتعالى بوسع رحمته، ورفع درجته، وإنّ العاقل يقف لهم بكلّ إكبار وإجلال، لعظيم ما قدّموه في عاشوراء، وجليل ما حقّقوه لسيد الشهداء أرواحنا له الفداء فترى الكبير يحثّ الصّغير، والحرّ يقويّ عزيمة المولى، والزوجة تُشجّع زوجها، والولد يتقدّم والده وهكذا. فلم يسلموه عند النكبات.

فناصروا الرّسول وبضعته البتول، وناصروا أمير المؤمنين، وبهجة المختار فصاروا بذلك نِعَم الأنصار، وقد أعمى الله لهم ولأجلهم من كثر السواد.

فقد سئل عبد الله الرّياح القاضي الأعمى عن عمائه، فقال: كنتُ حضرتُ كربلاء، وما قاتلتُ فنمتُ فرأيتُ شخصاً هائلاً قال: أجب رسول الله، فقلت: لا أطيق، فجرّني إلى رسول الله فوجدته حزينا وفي يده حربة، وبسط قدّامه نطعاً ومَلَكٌ قبله قائم، في يده سيف

(١) شرح نسب الخطباء ج ١ ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) سرر الحكم، حكمه ١٠٥٥.

من النار، يضرب أعناق القوم وتقع النار فيهم فتحرقهم، ثُمَّ يُحْيُونَ وَيَقْتُلُهُمْ أَيْضاً هَكَذَا، فقلت: السَّلام عليك يا رسول الله، والله ما ضربتُ بسيفٍ ولا طعنتُ بِرُمحٍ ولا رميتُ سهماً، فقال النبي ﷺ: أَلَسْتَ كَثَرْتَ السَّوَادَ فَسَلَّمَنِي وَأَخَذَ مِنْ طُسْتٍ فِيهِ دَمٌ فَكَحَلَنِي مِنْ ذَلِكَ الدَّمِ فَاحْتَرَقَتْ عَيْنَايَ فَلَمَّا انْتَبَهتُ كُنْتُ أَعْمَى^(١).

نعم والله، لقد ضرب أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة، وبكفيلك ما قاله الإمام الحسين عليه السلام في حقهم كما روى ذلك زين العابدين وسيّد الساجدين عليه السلام، ونصّ عليه العالم الكبير الشيخ المفيد رحمه الله حيث قال: «فجمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، قال عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريضٌ، فسمعت أبي يقول لأصحابه: «أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمّدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماً وأبصاراً وأفئدة فاجعلنا من الشّاكرين.

أما بعد: فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عتيّ خيراً، ألا وإني لأظنُّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً». فقال له إخوته وأبناءؤه وبنو أخيه وابناؤه^(٢) عبد الله بن جعفر: لم نفعل ذلك، لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العبّاس بن علي عليه السلام واتبعته الجماعة عليه فتكلّموا بمثله ونحوه^(٣).

(١) مناقب أبي طالب ج ٣، ص ٢١، منه مدينة المعجزة ج ٤، ص ٨٥، ج ٤٥، بحار الأنوار ج ٥٥،

ص ٣٠٣، نعيانم (الإمام الحسين عليه السلام) ص ٢٠٢.

(٢) في بصر المصادر (رأى).

(٣) التزياد ج ٢، ص ٩١، روحنة الوسيط، ص ١٨٢، السلام لزور ج ١، ص ٤٥، بحار الأنوار ج ٥٥،

ص ٣٠٢، نعيانم (الإمام الحسين عليه السلام) ص ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤.

فنصروا إمامهم بكل ما أوتوا من قوّة ومن هنا ترى أنّ المؤرّخين عندما يمرّون بسيرة حبيب يقفون له ولأمثاله إجلالاً لمواقفه النبيلة مع أهل بيت العصمة والطهارة.

فقد ذكر بعض أهل المقاتل أنّ حبيب بن مظاهر كان ذات يوم بالكوفة واقفاً عند عطارٍ يشتري صبغاً لكريمته، فمرّ عليه مسلم بن عوسجة فالتفت إليه حبيب وقال له: يا مُسلم، إنّني أرى أهل الكوفة يجمعون الخيل والرجال والأسلحة! فبكي مسلم، وقال: صمّموا على قتال ابن بنت رسول الله ﷺ. فبكي حبيب ورمى الصبغ من يده، وقال: لا والله، لا تصبغ هذه إلّا من هذه. وأشار إلى نحره، ثمّ سار حتّى وافى كربلاء...^(١)، وأنّه لما رأى كثرة العساكر وتصميمهم على حرب الحسين أقبل إلى الحسين، وقال له: سيّدي، إنّ ها هنا حيّ من بني أسد أفتأذن لي أن أمضي إليهم وأدعوهم إلى نصرتك؟ فقال له الحسين عليه السلام: «بلى امض» فانسلّ حبيب في جوف الليل حتّى إذا جاء إلى ذلك الحيّ اجتمعوا عليه ورخّبوا به، ثمّ قالوا له: ما حاجتك؟ فقال إنّني أتيتكم خير ما أتى به وافد على قومه، جئتكم أدعوكم إلى نصرّة ابن بنت رسول الله ﷺ، وهذا ابن سعد أحاط به، وأنتم عشيرتي أطيعوني تنالوا شرف الدّنيا والآخرة، والله، لا يُقتل أحد منكم إلّا وكان لمحمّد ﷺ رفيقاً يوم القيامة. فقام إليه رجل يُسمّى عبد الله بن بشير فقال: يا حبيب! أمّا أنا فأول من يجيئك إلى هذه الدّعوة، وها أنا ماضٍ معك. قال: فتبادروا حتّى اجتمعوا تسعون رجلاً وأقبلوا معه يريدون الإمام الحسين عليه السلام.

وذكر بعض أرباب العزاء: أنّه لما كان اليوم العاشر من المحرمّ جلس حبيب بإزاء خيمة النساء واضعاً رأسه في حجره يبكي، ثمّ رفع رأسه فقال: آهٍ لو جدك يا زينب يوم تُحمّلين على بعير ضالع يُطاف بك البلدان، ورأس أخيك الحسين أمامك. وكأنيّ برأسي هذا مُعلّق بلبان الفرس، تضربه برُكبتها. فضربت زينب رأسها بعمود الخيمة وقالت:

(١) تهذيب التهذيب: ج ١، ص ٢١١.

(٢) تهذيب التهذيب: ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢.

«بهذا أخبرني البارحة، لوددت أن أكون عمياء». ثمَّ جاء حبيب واستأذن الحسين عليه السلام للبراز، فأذن له، فحمل على القوم وهو يقول:

أنا حبيب وأبي مُظهر فارس هيجاء وليث قسور
أنتم أعدُّ عُدَّةً وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حُجَّةً وأظهر حقّاً وأتقى منكم وأعذر

ولم يزل يقاتل حتَّى قتل من القوم مقتلةً عظيمةً، فحمل عليه بديل بن صريم العقفاني فضربه بسيفه، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه برُمحه فوقع إلى الأرض، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فسقط إلى الأرض، فنزل إليه الحصين فاحتزَّ رأسه.

وروي عن أبي مخنف قال: لما قُتل حبيب هدَّ قتله الحسين عليه السلام فجاء إلى مصرعه، وقال: «عند الله أحسب نفسي وحماة أصحابي»^(١). إنَّا لله وإنا إليه راجعون، قُتل والله أسدُّ من آساد الله، يذبُّ عن حرم الله، رَحِمَكَ الله يا حبيب، لقد كُنت شجاعاً فاضلاً، تختم القرآن في ليلةٍ واحدة.^(٢)

وفي ذلك يقول الشيخ محمد السماوي رحمته الله:

إن يهدَّ الحسين قتل حبيب فلقد هدَّ قتله كلُّ رُكنٍ
بطلٌ قد لقي جبال الأعادي من حديدٍ فردّها كالعهن^(٣)

فأخذ الحسين عليه السلام ينظر يميناً وشمالاً، فلم يرَ أحداً من أنصاره إلاَّ من صافح التراب جبينه، ومن قطع الحمام أنينه، فنادى يا حبيب بن مظاهر، يا زهير بن القين، ويا مسلم بن عوسجة، ويا فلان ويا فلان. وكأني به بلسان الحال:

(١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف)، ج ١، ص ١٠٧.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٣) ابصار العين، ص ١١.

ليش أنادي اوما تحييون النده رحتوا عني اودارت عليّ العده
 أدري بيني اويينكم حال الرده اوبعدكم بيه اشتفت عدوانها
 وذكّر أنّ الحسين عليه السلام عندما وصل لحبيب استعبر باكياً وقد بان الانكسار في وجه
 الحسين عليه السلام، وقال: «عند الله أحسب نفسي وحمّة أصحابي».

اجاه احسين شافه ودمّه مسفوح وعاین بیرغه اعلی الارض مطروح
 جذب وّنه اومنه غابت الروح سدر عنه اودمع العين مشور
 وكأني بالحسين عليه السلام ينصرف عنه وعن بقيّة أصحابه رضوان الله عليهم، وبلسان
 الحال:

تعتّه احسين واوجب بالمعارة لگاها امطرّحه اودمها يتجاره
 صفگ بيده اوتلهّف على انصاره وعليهم دمع عينه انحدر واسچم
 اشلون اعيونكم يهل الوفه تنام وتسمعون الحرم لاجت بالخيام
 گامت تضطرب بالغاع الأجسام ورادت تنتهض لوله المحتمّ
 بعد هيهات دهري بيكم ايعود وردّ اشيل راسي بيكم اردود
 اوترد اچفوف أبو فاضل للزنود وتتلايم النوب اجرّوح الأكبر
 (أبو ذية)

اچفوف الغدر يصحابي لونكم احشّمكم اوروحي تُون لونكم
 تنهضون او شو فوني لونكم وحيد اوحاطت العدوان بيه

(تخميس)

لما رأى السبط أصحاب الوفا قتلوا نادى أبا الفضل أين الفارسُ البطلُ
 وأين من دُوني الأرواح قد بذلوا بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا

وخلّفوا في سويد القلب نيرانا

الحاضنة للثلاثين سنة

الصدائق والشهداء



ما السيفُ ما الرمحُ لولا خفقةُ العلمِ
 حامِي الظعينةِ مَنْ فادى بمُهجتهِ
 فكم أزال كروياً في مُهنِّهِ
 حتَّى هوى وهو مقطوع اليدينِ إلى
 نادى أخاهُ ألا ادركني فقد بلغتُ
 فخرَ كالصَّقرِ مُنقِضاً أخوه على
 ناداهُ والقلبُ خفاقٌ ومُهجتهِ
 عبَّاسُ أنتَ عمادي أنتَ مُعتمدي
 اليوم في قتلِكَ الأعداءُ قد شُمتتُ
 إنَّ الرزاياءَ وإنَّ جلتَ فَرُزُوكَ قد
 إن أزمعتُ تلْكُمُ الأرواحُ للعدمِ
 دُونَ ابنِ بنتِ رسولِ الله والحرمِ
 عنه وأثبتَ في أعداءِ مَنْ فقمِ
 جنبَ الشريعةِ مطروحاً مع العلمِ
 منِّي أُميَّةٌ ما رامتُهُ من قَدَمِ
 جُثمانِهِ بفؤادٍ منه مُضطرِّمِ
 ذابتَ بدمعٍ على خديهِ مُنْسجِمِ
 وأنتَ جامعُ شملي أنتَ مُعصمي
 اليوم قد خلفتني فرداً بغيرِ حمي
 أحنى ضلوعي وأجرى أعيني بدم^(١)

(فائزي)

ظهري انكسر خويه وانته اللي كسرتَه
 ماني أخوك اشلون أخوك اليوم عفته
 انته التجيب الماي وانته الكافل انته
 اتخلي العقيلة ابلا ولي بين آل أُميَّة
 اشلون اردن للخيم والخيم ظلمة
 عبَّاس خويه نومتك علكاع هضمه

(١) الجعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ما بين طفل اليرتجيك وبين حُرمة

كلساع تگول اهسا يجيب الماي ليّه

ولكن انقطعت آمالهم بعد ما علم الجميع - كباراً وصغاراً - أنّه على المشرعة، دامي
الودجين، وكأني بأبي عبد الله الحسين عليه السلام يخبر بذلك.

(نصّاري)

يخويه أيسّست سكه امن الماي

تجي يمي يخويه او توگف احذاي

يخويه امن العطش رادت تجي اوياي

او تگلك وين وعدك يا مشكّر

يخويه مادت لنك رميّة

وهي برجواك تسجيهّا أميّة

يخويه امنين اجت ليك المنيّة

او تگظي بالعطش والسّمس والحرّ

يخويه ليش هلساعة عفتني

غبت عنّي يخويه اوضيّعني

مهو افراگك شعب گلبي اوفتني

اونارك بالگلب يا خوي تسعر

(أبو ذية)

ضوه لحسين يوم الطّف وجوده

فضل عبّاس ما ينعّد وجوده

اوبعده احسين صاح انقطع بيه

انحنه من طاحن اچفوفه وجوده

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(١).

الآية المباركة جاءت ضمن آيات أخر من سورة الحديد تتحدث عن مجموعة مهمة من المسائل الأخلاقية والتربوية، كان آخرها الذين يتصدقون بأموالهم، حيث قال تعالى فيها: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٢) ثم جاء دور الآية التي نحن بصدددها.

ويمكن أن نركز حديثنا في ضوء الآية المباركة على بعض المقاطع التالية:

الإيمان بالله ورسوله:

لقد بنى القرآن الكريم الصفات والجزاء على الإيمان بالله ورسوله، ومن هنا كان من المهم جداً أن نركز البحث عليه.

فالإيمان بالله ورسوله هو الاعتقاد الراسخ بأن الله تبارك وتعالى: ﴿أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدَ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ بصفاته الذاتية والجلالية والجمالية حي قيوم، إلى آخر ما وصف به الباري عز وجل نفسه تبارك وتعالى، وأنه بعث الأنبياء والرسل لا نفرق بين أحد من رسله.

فمن انطوى قلبه وانعقدت جوانحه ورسخت عقيدته على هذه المعاني فهو مؤمن بالله ورسوله مع كامل الإقرار والاعتقاد.

وأن يأتي بأعماله على ضوء ما اعتقد به، ولذا عطف الباري عز وجل العمل الصالح على الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ﴾^(٣)، فالإيمان بالله وحده

(١) - تحفيد: أية ١.

(٢) - تحفيد: أية ١.

(٣) - البقرة: أية ١٧٧.

أشبه ما يكون بالنظرية التي تحتاج إلى تطبيق على الواقع الخارجي؛ ولذا ورد النهي المؤكّد عن ادّعاء مثل هذا الإيمان المفرّغ من محتواه العملي الذي يكون مناسباً لما يعتقده ويؤمن به، كما روي ذلك في روايات عديدة عن النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

منها: ما رواه الشيخ الكليني رحمته الله في الكافي عن سُماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال: «إنّ الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان»، قلت: فصّهما لي، فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله صلّى الله عليه وآله، به حُققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواarith، وعلى ظاهره جماعة الناس. والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام، وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة؛ إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن، وإن اجتمعا في القول والصفة»^(١).

ومحل الشاهد في هذا الخبر هو قوله عليه السلام: «والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به»، فلا بدّ من العمل بالإضافة للإيمان القلبي. وقريب منه ما عن حمّان بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «الإيمان ما استقرّ في القلب وأفضى به إلى الله عزّ وجلّ، وصدّقه العمل بالطّاعة لله والتسليم لأمره...»^(٢). فالمقصود من الإيمان ما انعقد عليه القلب، وصدّقه الجوارح بالعمل الصّالح المرضي عند الله ورسوله وأوليائه.

صفات المؤمنين بالله ورسوله:

بعد أن بيّنا أنّ حقيقة الإيمان بالله ورسوله لا يُقتصر فيها على المقام النظري، بل لا بدّ

(١) الكافي: ج ٢، ص ٢٤٠، ج ١، منقول المهيّئة في أصول الفقه: ج ١، ص ٢٠١، ج ٢، بحار الأنوار: ج ٥٠،

ص ٩٠، ج ٢، ص ٨٠، عن نكاحي.

(٢) الكافي: ج ٢، ص ٢٠٠، ج ٢، ص ٥٠.

من التعدي إلى مقام العمل، جاء الآن الدور لبيان ما هي الصفات المترتبة على الإيمان بالله والرُّسل؟

وفي الجواب نقول: إن الآية المباركة ذكرت أن هؤلاء لهم مقام عظيم ليس عند الناس فحسب، بل لهم مقام رفيع وشأن عظيم عند الله عز وجل، وهذا المقام والصفة هي ما ذكره الباري عز وجل بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

وقبل الخوض في معنى الصديق والشهيد في الآية المباركة، أودُّ أن اتعرّض لبعض الآيات التي تناولت موضوع الإيمان بالله ورُسله. فهناك آيات عديدة ذكرت مقامات ومنازل للذين آمنوا بالله ورُسله غير ما ذكرته الآية الشريفة.

مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾^(١)، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(٢)، وغيرها من الآيات. ففي الآية الأولى جعل الباري عز وجل منزلة الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة. وفي الآية الثانية جعلهم الباري عز وجل المصدق الوحيد للمؤمن. وهكذا هو الأمر في عديد من الآيات، فقد تجاوزت الآيات التي تعرّضت لمادة الإيمان المائة، بل أكثر.

ثم نعود إلى الصفة التي وصف الباري عز وجل بها الذين آمنوا به تعالى وبرسله هي: (الصديق والشهيد) حيث قال عز وجل: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

فما المراد بالصديق والشهيد؟ لقد تكرّرت هاتان اللفظتان في القرآن الكريم كثيراً، وقد وصف الباري عز وجل بعض الأنبياء بالصديق في بعض الآيات.

منها: قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾^(٤).

(١) البقرة: ٨٢.

(٢) نساء: ٦٩.

(٣) مريم: ٦٨.

(٤) مريم: ٥٨.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(١) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة. وكذلك الأمر بالنسبة للفظ (الشَّهيد) فقد تكرر ذكرها في القرآن الكريم كثيراً، مثل قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٢).

والمقصود بالصدِّيقين في الآية المباركة «هم الذين سرى الصدق في قولهم وفعلهم، فيفعلون ما يقولون ويقولون ما يفعلون»^(٣).

يعني أصبح الصدق ملازماً لهم ولا ينفك عنهم، لكون الصيغة من صيغ المبالغة، وهي دالة على الكثرة، وهي النموذج التام للصدق^(٤).

وقد روي عن أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ فاطمة (عليها السلام) «كانت صديقة»، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: «لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عز وجل فاطمة، والصديقة، والمباركة...» إلى آخر الحديث^(٥). وسيأتي أنَّ بعض الروايات وسَّعت من مصاديق الصديقين والشهداء. وأمَّا الشهداء فهو جمع شهيد من مادة (شُهِد) بمعنى الحضور مع المشاهدة، سواء كانت بالعين المجردة أو البصيرة، وإذا أُطلقت على (الشاهد) كلمة شاهد وشهيد فالسبب هو حضوره ومشاهدته في المكان، كما يُطلق هذا المصطلح على (الشهداء في سبيل الله) بسبب حضورهم في ميدان الجهاد.

إلا أنَّ المراد من (الشُّهداء) في الآية - مورد البحث - قد يكون الشَّهادة على الأعمال، كما يُستفاد من الآيات القرآنية الأخرى، فالأنبياء شهداء على أعمال أنفسهم، ورسول

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) النساء: ٦٩.

(٣) تفسير الميزان: ج ١، ص ١٠٢.

(٤) انظر: تفسير الأنس: ج ١، ص ٥٢.

(٥) بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٠.

الإسلام شاهد عليهم وعلى الأمة الإسلامية والمسلمون الحقيقيون أيضاً شهداء على أعمال الناس، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١) وغيرها من الآيات. وبناءً على هذا فإن الشهادة على الأعمال مقام عالٍ، والذي يكون من نصيب المؤمنين.

واحتمل البعض أن لفظ (شهداء) هنا يراد به الشهداء في سبيل الله، أي الأشخاص المؤمنون الذين لهم أجر وثواب الشهادة يُحسبون بمنزلة الشهداء.

ومن الطبيعي أنه يمكن الجمع بين المعنيين، خصوصاً أن القرآن الكريم أطلق مصطلح (شهيد وشهداء) - في الغالب - على الأعمال وما إلى ذلك^(٢).

وأما الصديق والشهيد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام فهما أوسع من ذلك، ففي (حديث الأربعمائة) من الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «والميت من شيعتنا صديق شهيد، صدق بأمرنا، وأحبّ فينا وأبغض فينا، يريد بذلك الله عز وجل مؤمناً بالله وبرسوله، قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾»^(٣).

ووصفت بعض الروايات المروية عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله أشخاصاً مُعيّنين بكونهم صديقين، حيث قال عليه السلام: «الصديقون ثلاثة: علي بن أبي طالب، وحبيب النجار، ومؤمن آل فرعون»^(٤)، وقال عليه السلام: «لكل أمة صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٥)، هذا هو صديق الأمة الأول.

وأما صديقها الثاني فهو أبو الفضل العباس ابنه عليه السلام، حيث شهد له الإمام

(١) البقرة: ١٩٣.

(٢) المنظر - تفسير المصباح: ج ١، ص ٥٢.

(٣) الخصال - ص ٢٠.

(٤) الخصال - ص ١٠٤، ج ٢: ٢٤٤.

(٥) غيور النجار: ج ١، ص ١٠، ج ٢.

الصَّادِق عليه السلام بذلك، وأعطاه هذا الوسام في زيارته له عليه السلام، حيث قال إمامنا أبو عبد الله الصَّادِق عليه السلام: «أشهدُ لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة...»^(١).

فأبو الفضل العباس عليه السلام هو الصِّديق من حيث اللغة، لأنَّه عليه السلام كان دائم التصديق لله ولرسوله ولإمامه - الإمام الحسين عليه السلام - وهو الذي كان عمله يصدِّق قوله، وهو أيضاً كان المبالغ في الصِّدْق، وأنَّه كان الذي لم يختلج في قلبه شكٌّ في كُلِّ ما أمر الله به، وهو الصِّديق من حيث الاصطلاح أيضاً؛ لأنَّه عليه السلام كان النموذج الأفضل، والمصدق الأمثل - بعد الأئمة الأطهار عليهم السلام - لمن آمن بالله ورسوله وأطاع الله ورسوله كما كان هو عليه السلام في مقدِّمة الشيعة وطلعتهم والسِّبَّاق في متابعة أئمة أهل البيت عليهم السلام ومشايعتهم؛ لأنَّ الشيعي هو مَنْ شايع علياً عليه السلام والأئمة من بنه الذين سبَّاهم القرآن بأهل البيت عليهم السلام، والتزم متابعتهم، والسير على هُداهم، وكيف لا يكون أبو الفضل العباس عليه السلام كذلك وهو ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأخو الإمامين الهُمامين الحسن والحسين عليه السلام، وقد تلقَّى تربيته الأخلاقية والعلمية الرَّاقية في أحضانهم ومدرستهم^(٢).

هذا هو المقام الأوَّل لأبي الفضل العباس عليه السلام وهو مقام الصِّديق.

المقام الثاني: وهو مقام الشَّهادة، ومن المعلوم أنَّ أبا الفضل عليه السلام ممَّن آمن بالله ورسوله وأوصياء الله ورسُلِهِ، فهو ممَّن نال مقامَ الشَّهادة بكلاً معنيها المتقدمين، بمعنى مَنْ شاهد وحضر، أو بمعنى مَنْ قُتل في سبيل الله تبارك وتعالى، وكان كذلك أبو الفضل العباس عليه السلام، فإنَّ مواقفه المشرَّفة في كربلاء وفي يوم عاشوراء وغيرها، هي خير دليلٍ على ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام في حقِّ عمِّه أبي الفضل العباس عليه السلام، وأجلُّ بُرْهانٍ على جدارة أبي الفضل العباس عليه السلام لنيل هذا الوسام المنيف، وسام (الشَّهيد المحتسب) كما وسَّمه الإمام الصَّادِق عليه السلام بهذا الوسام العظيم، وذلك حيث خاطبه في زيارته المعروفة

(١) كما في الزيارات، ص ١١٠، باب ٨، ج ١.

(٢) انظر: الحقائق النبوية، ص ١٦٣ - ٢٠١.

بقوله: «أشهد أنك قُتلتَ مظلوماً» فلم يكن شهيداً فحسب، بل شهيد مظلوم؛ لأنَّ الأعداء من دناءتهم وخسستهم لم يبارزوه وجهاً لوجه، وإنَّما اغتالوه في كمين لهم، فقتلوه غيلةً وغدرًا، ومن قساوتهم وغلظتهم لم يكتفوا بقتله بضربة وضربتين، وإنَّما قطعوه بسيفهم إرباً إرباً، بعد أن بتروا يديه وأبأنوا رجليه، وأصابوا عينه، وخسفوا رأسه وقتلوه مظلوماً فصدق عليه أنه الشهيد المظلوم كما شهد له الإمام الصادق عليه السلام بذلك^(١).

الأجر والنور:

بعد أن بينت الآية المباركة أنَّ للذين آمنوا بالله ورُسُلِهِ مقاماً عظيماً عند الله تبارك وتعالى، وهو مقام الصديقين والشهداء، ذكرت أيضاً أنَّ لهم أجراً ونوراً، حيث قالت: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ والتي فسرها بعض العلماء بأنَّ هؤلاء أجراً من نوع أجر الصديقين والشهداء، ونوراً من نوع نورهم^(٢).

وهكذا هو الحال في قمر العشرة ونورها أبي الفضل العباس عليه السلام، فإنَّ له مقاماً عند الله تبارك وتعالى زائداً على مقام الصديقين والشهداء إذ لا يبقى صديق ولا شهيد إلاَّ وغط أباً الفضل العباس عليه السلام.

ومن هنا روي عن إمامنا زين العابدين عليه السلام أنَّه قال: «رحم الله عمِّي العباس بن عليٍّ، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتَّى قُطعت يده فأبدله الله بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنَّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغطه عليها جميعُ الشهداء يوم القيامة»^(٣).

ولعلَّ مرجع هذه المنزلة إلى مرتبة المواساة وقوتها لسيِّده أبي عبد الله المظلوم عليه السلام،

(١) انظر: كتاب الخصائص العباسية، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) انظر: تفسير الميراث، ج ١، ص ١٠٢.

(٣) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو محمد)، ج ١، ص ١١٠، منه بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٢٥.

والنفس الأبيّة التي كانت لا تتحمل سماع صوت الأطفال يتصارخون وينادون: العَطَشُ،
العَطَشُ.

أو تشتكي العطشَ الفواطمُ عنده وبصيرِ صعديته الفُرات المُفعمُ
فركب جواده ومعه اللواء، وأخذ القربة وقصد الفرات، وأحاط به أربعة آلافٍ ممن
كانوا موكّلين بالفرات لمنع الحسين وأصحابه منه ورموه بالنبال، فكشفهم وقتل منهم جماعة.
وثنى أبو الفضل الفوارسُ نُكصاً فرأوا أشدَّ ثباتهم أن يُهزموا
ماكرَ ذو بأسٍ له مُتقدماً إلا وفرَّ ورأسه المُتقدّم^(١)
حتى إذا وصل إلى المشرعة ركّزَ لواءه ونزل إلى الماء، فلما أحسَّ ببردِ الماء وقد كظّه
العطش، اغترفَ عُرفَةً ليشرب، لكنّه تذكّر عطشَ الحسين عليه السلام، فرمى الماء من يده، وقال:
لا والله، لا أشرب الماء وأخي الحسين عليه السلام عطشان.

غرف غرفة ابيمينه اوراد يشرب وگلبه امن العطش نيران تلهب
ذكر چبده عضيدة والدّمع صب ذبه او عليّ گال الماي يحرم
اشلون اشرب وخوي احسين عطشان اوسكنه والحرم وأطفال رضعان
وظن گلب العليل التهب نيران يريت الماي بعده لا حله اوامر
ثمّ ملأ القربة وحملها على كتفه، وخرج من المشرعة، فاستقبلته جموع الأعداء، وصاح
ابن سعد: اقطعوا عليه طريقه، ولما رأى ذلك منهم حمل عليهم بسيفه:

حتّى إذا قطعوا عليه طريقه بسداد جيش بارز وكمين
حسموا يديه وهامه ضربوه في عميد الحديد فخرّ خير طعين^(٢)

(١) هذه الأبيات من قصيدة عسك للمرحوم انيد جسر الحلبي.

(٢) هذه الأبيات من قصيدة زانعة للمرحوم منيف عن قنصان.

فرموه بالنبال والسهام من كلّ جانب حتّى صار درعُه كالقنفذ من كثرة السّهام،
فكُنّ له زيد بن ورقاء من وراء نخلة، وعاونهُ حكيم بن الطفيل على ضربه عليه السلام، لحظات
وجاء إليه أخوه الحسين، فرآه مقطوعَ اليدين، مرضوض الجبين، والسّهم نابت في العين،
والعَلَم ممزّق إلى جنبه، والقربة مخرّقة نادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلت حيلتي، الآن
سُمّت بي عدوّي، وكأني به يُخاطب أبا الفضل بلسان الحال:

يشيّل العَلَم يا تاج فخري	يـو فاضل يعزّي اوسيف نصري
اوهدم ركني اوكلّ ما چان إلى سور	عمود الصاب راسك كسر ظهري
تگول الماي عمّي السّايحيه	ايعون أطفالنا الدربك رجيه
او مخ راسه على الجتفين متشور	متدري أطفالنا ابعمهم ضريه

ثمّ قام أبو عبد الله عليه السلام وحمل على القوم، فأخذ يضرب فيهم وهو يقول: إلى أين
تفرون وقد قتلتم عَصْدي؟ إلى أين تفرون وقد قتلتم ابنَ والدي؟ ثمّ رجع إلى أخيه
وانحنى عليه يُقبّله ويبكي، ففاضت روحُه الطّاهرة ورأسه في حجر أخيه الحسين عليه السلام.
رَحِمَ الله مَنْ نادى: وا عبّاساه، أي وا سيّداه وا عطشاناه.

ثمّ رجع أبو عبد الله إلى الخيام وكأني به:

نمض محنّى الظّهر للخيم سدّر	يخويه امودّع الله تظّل بالبرّ
يبويه وحّدك عبّاس چا وين	اجت سكهه تصيح الله وكبر
يبويه اشينفع اعتابچ اوونچ	بچه اوناده يبويه راح عمچ
گظه امطبرّ يسكهه لا تعبتين	بعد عمچ يبويه موش يمچ

عبّاس يا حامي الطّعينه والحرم
بحمّاك قد نامت سكينه في الخيم

صرخت ونادت يومَ قد سقط العَلَمُ اليوم نامت أعينُ بك لم تنم
وتسهّدت أُخرى فعزّ منامُها

الحاضنة الخمسة عشر

الشفا عت



عَبَسَتْ وُجُوهُ الْقَوْمِ خَوْفَ الْمَوْتِ وَالـ
 قَلْبَ الْيَمِينِ عَلَى الشَّهْلِ وَغَاصَ فِي
 بَطْلٍ تَوَرَّتْ مِنْ أَبِيهِ شَجَاعَةً
 عَرَفَ الْمَوَاعِظَ لَا تَفِيدُ بِمَعْشَرَ
 فَاَنْصَاعٍ يَحْطُبُ فِي الْجَاهِجِ وَالْكُلَا
 لَوْ سَدَّ ذِي الْقَرْنَيْنِ دُونَ وَرُودِهِ
 حَامِي الظُّعِينَةِ أَيْنَ مِنْهُ رُبْعَةٌ
 بَطْلٌ إِذَا رَكِبَ الْمُطَهَّمُ خِلَتَهُ
 قَسَمًا بِصَارِمِهِ الصَّقِيلِ وَإِنِّي
 لَوْلَا الْقَضَا لَمَحَى الْوُجُودَ بِسَيْفِهِ

عَبَّاسٌ فِيهِمْ ضَا حَكُّ مَتَبِّسُمُ
 الْأَوْسَاطِ يَحْصُدُ لِلرُّؤُوسِ وَيَحْطُمُ
 فِيهَا أَنْوْفُ بَنِي الضَّلَالَةِ تُرْغَمُ
 صُمُّوا عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ كَمَا عُمُوا
 فَالْسَيْفُ يَنْشُرُ وَالْمُتَّقِفُ يَنْظُمُ
 نَسْفَتُهُ هَمَّتْهُ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ
 أَمْ أَيْنَ مَنْ عَلِيَا أَبِيهِ مُكَدَّمُ
 جَبَلًا أَشَمَّ يَحْفُ فِيهِ مُطَهَّمُ
 فِي غَيْرِ صَاعِقَةِ السَّمَاءِ لَا أَقْسَمُ
 وَاللَّهِ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ^(١)



يَعْبَّاسٌ مَتْنُهُ الْيَلِي جَبْتَنِي
 طُولُ الدَّرْبِ مَا فَارَكْتَنِي
 عَكْبُكَ بَنِي أُمِّيَّةٍ وَلَتَنِي
 دَغْدَغُ يَخْوِيهِ أَوْشُوفُ مَتْنِي
 جَاوِبُهَا يَا زَيْنَبُ أَشْيِيدِي
 وَيَرْهَبُ يَوْمَ الْكُونِ وَيَدِي
 مَا جَانِ ظِلٍ وَحَدَهُ عِضِيدِي

وَيِيدُكَ يَخْوِيهِ رَكَبْتَنِي
 بَسْ مَا رَحْتَ عَنِّي وَعَفْتَنِي
 خَذُونِي يَسِيرَةً أَوْ لَا شَفْتَنِي
 تَرَهُ أَسْيَاطُ زَجَرِ الْوَرَمَتْنِي
 أَخْوَجُ الْحَرْبِ تَدْرِينِ عَيْدِي
 لَوْنِي تَنْوُشُ السَّيْفِ أَيْدِي
 نُوحُ أَوْبَوَاجِي النُّوبِ زَيْدِي

وَذَكَرِي سَهْمَ عَيْنِي أَوْرِيدِي

(١) تحفة السب حنظل الحنظل، تقدمت ترجمته في الحاضرة العامة من هذا الكتاب، هـ جـ

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يشفعون إلى الله عز وجل فيشفعون: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»^(١).

للشفاعة أصل واحد يدل على مقارنة الشئين، من ذلك الشفع خلاف الوتر، تقول: كان فرداً فشفعته^(٢).

وأما المراد من الشفاعة في مصطلح المتكلمين هو أن تصل رحمته سبحانه ومغفرته إلى عباده عن طريق أوليائه وصفوة عباده، ووزان الشفاعة في كونها سبباً لإفاضة رحمته تعالى على العباد وزان الدعاء في ذلك، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٣).

وتتضح هذه الحقيقة إذا وقفنا على أن الدعاء بقول مطلق، وبخاصة دعاء الصالحين من المؤثرات الواقعة في سلسلة نظام الأسباب والمسببات الكونية، وعلى هذا ترجع الشفاعة المصطلحة إلى الشفاعة التكوينية، بمعنى تأثير دعاء النبي ﷺ في جلب المغفرة الإلهية إلى العباد.

وقد ورد ذكر الشفاعة في الكتاب والسنة.

أما في الكتاب الحكيم فقد وردت سور مختلفة لمناسبات شتى، كما وقعت مورد اهتمام بليغ في الحديث النبوي وأحاديث العترة الطاهرة.

الآيات القرآنية في هذا المجال على أصناف:

الصنف الأول: ما ينفي الشفاعة في بادئ الأمر، كقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ

(١) الحاصل: ج ١، ص ١٤٧، وقريب منه قرب الإسناد: ج ١، ص ٢٠٢، انظر المصنف في أصول

الافتقار: ج ١، ص ٣٤٩، ج ١، بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٠٢، ج ٢، من قرب الإسناد: ج ١، ص ٢٠٢، ج ٢،

عن الحاصل: ج ١، ص ٣٤٩، ج ١، ص ٢٠٢، من قرب الإسناد: ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ٢٠١.

(٣) النساء: آية ٦٤.

ءَامِنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

الصف الثاني: ما ينفي شمول الشفاعة للكفار، كما يقول سبحانه وتعالى - حاكياً عن الكفار -: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ * حَتَّى آتَيْنَا آلِيقِينَ * فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٣).

الصف الثالث: ما ينفي صلاحية الأصنام للشفاعة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ (٤).

الصف الرابع: ما ينفي الشفاعة من غيره تعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥).

الصف الخامس: ما يثبت الشفاعة لغيره تعالى بإذنه سبحانه، حيث يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (٦).

الصف السادس: ما يبين من تناله شفاعة الشافعين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٧).

هذه نظرة إجمالية إلى آيات الشفاعة.

وأما السنة، فمن لاحظ الصحاح والمسانيد والجوامع الحديثية يقف على مجموعة كبيرة من الأحاديث الواردة في الشفاعة توجب الإذعان بأنها من الأصول المسلمة في الشريعة الإسلامية، وإليك نماذج منها:

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) المائدة: ١٠٤.

(٣) الأنعام: ١٥٨.

(٤) الأنعام: ١٥٨.

(٥) غافر: ١٠٠.

(٦) القصص: ٢٨.

- ١- قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي، وَهِيَ نَائِلَةٌ مَن مَاتَ مِنْهُمْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(١).
- ٢- وقال ﷺ: «إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٢).
- ٣- وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَشَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ»^(٣).

ويمكن أن تُتصور الشَّفاعَةُ على وجهين:

الوجه الأول: الشَّفاعَةُ المطلقة، بأن يستفيد العاصي من الشَّفاعَةِ يوم القيامة وإن فعل ما فعل، وهذا مرفوض في منطق العقل والوحي.

الوجه الثاني: الشَّفاعَةُ المحدودة، وهي التي تكون مشروطة بشروط في المشفوع له، ومُجْمَل تلك الشروط أن لا يقطع الإنسان جميع علاقاته مع الله تبارك وتعالى ولا يقطع وشائجه الروحية مع الشَّافعين، وهذا هو المقبول عند العقل والوحي.

وبذلك يتضح الجواب عما يعترض على الشَّفاعَةِ من كونها تُوجب الجرأة وتُحيي روح التمرد في العصاة والمجرمين، فإن ذلك من لوازم الشَّفاعَةِ المطلقة المرفوضة لا المحدودة المقبولة.

والغرض من تشريع الشَّفاعَةِ هو الغرض من تشريع التَّوبَةِ التي اتَّفقت الأُمَّة على صحتها، وهو منع المذنبين عن القنوط من رحمة الله وبعثهم نحو الابتغال والتَّضرُّع إلى الله

(١) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٢١ - مسند أحمد: ج ٢ ص ٥٢ - شرح الكبير: ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٨٥ - سنن ماجه: ج ٢ ص ١٠٥ - ج ٣ ص ٢١٧ - سنن ترمذي: ج ٥ ص ٢٢٤ - والحديث مستفيض في كتب الجتهوز.

(٢) الكافي: ج ٤ ص ١٠١ - التوحيد: ص ١٧ - لمباني الشيخ الصدوق: ص ٥ - عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٢٥ - ص ١٢٥ - ج ٣ ص ٢٥ - من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٥٥ - ج ٣ ص ٥٥٦ - روضة الواعظين: ص ٥٠ - مشكاة الأنوار: ص ٥٥ - مسائل السيف: ج ١ ص ٣٦ - ج ٢ ص ٤٠ - بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣٥ - ج ٥ ص ٤٠ - عيون الأخبار.

(٣) نصيحة المجادية: ص ١٩٨ (سماحة عبد حاتم نقران)، إقبال الأسفالي: ج (١) ص ٥٣.

رجاء شمول رحمته إليهم، فإنَّ المُجرم لو اعتقد بأنَّ عصيانه لا يُعفو قطُّ، فلا شكَّ إنَّه يتهادى في اقتراف السيئات، باعتقاد أنَّ تركَّ العصيان لا ينفعه في شيء، وهذا بخلاف ما إذا أيقن بأنَّ رُجوعه عن المعصية يغيِّر مصيره في الآخرة، فإنَّه يبعثه إلى ترك العصيان والرُّجوع إلى الطاعة. وكذلك الحال في الشفاعة، فإذا اعتقد العاصي بأنَّ أولياء الله قد يشفعون في حقِّه إذا لم يهتِك السِّر، ولم يبلغ إلى الحدِّ الذي يُجرم من الشفاعة؛ فعند ذلك ربَّما يُحاول تطبيق حياته على شرائط الشفاعة حتَّى لا يُجرمها.

شرائط شمول الشفاعة:

- ١ - عدم الإشراف بالله تعالى: وقد تقدَّم في الأحاديث السابقة والآيات.
- ٢ - الإخلاص في الشَّهادة بالتَّوحيد: قال رسولُ الله ﷺ: «شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مُخلصاً، يُصدِّق قلبه لسانه، ولسانه قلبه»^(١).
- ٣ - عدم كونه ناصبياً: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المؤمن ليشفع لحميمه إلا أن يكون ناصباً، ولو أنَّ ناصباً شفع له كلُّ نبيٍّ مرسل ومَلَك مُقَرَّب ما شفَعوا»^(٢).
- ٤ - عدم الاستخفاف بالصلاة: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا ينال شفاعتنا مَنْ استخفَّ بالصلاة»^(٣).
- ٥ - عدم التكذيب بشفاعة النبي ﷺ: قال الإمام عليُّ بنُ موسى الرضا عليه السلام: «مَنْ كَذَّب بشفاعة رسولِ الله لم تنله»^(٤).

(١) مسند احمد: ج ٢، ص ٢٠٧، وص ٥١٨، المستدرک على الصحيحين: ج ١، ص ٥٠، مجمع الزوائد:

ج ١٠، ص ٥١٥، صفة القدر: ج ٢٢، ص ٢٢، بغية نجاد، ص ٢٠٤، فتح الباري: ج (١)، ص ٢٠٥.

(٢) المحسن: ج (١)، ص ١٨، ج ١٩٩، بحار الأنوار: ج ٨، ص ١٠٤، ج ٢٧.

(٣) تكافي: ج ٣، ص ٢٢٠، ج ١٤، تهذيب الأحكام: ج ٩، ص ١٠٧، ج ١٩٩، وسائق السيف: ج ٤، ص ٢٠٢، ج ٣.

بحار الأنوار: ج ٧، ص ٧٠، ج ٢٢، ص ٢٢٠، تكافي.

(٤) غيور أخبار الرضا: ج ٢، ص ٦١، ج ٢٩٢، ص ٦٢، بحار الأنوار: ج ٨، ص ٤٠، ج ١٠، ج ٢٥.

هذه هي شرائط شمول الشفاعة.

ثُمَّ إِنَّ الشَّفَاعَةَ عِنْدَ الْأُمَمِ بِوَجْهِهَا يُرَادْفُهَا حُطُّ الذَّنُوبِ وَرَفْعُ الْعِقَابِ، وَلَكِنِ الْمُعْتَزَلَةُ ذَهَبَتْ إِلَى أَنَّ أَثَرَهَا يَنْحَصِرُ فِي الرَّفْعِ مِنَ الدَّرَجَاتِ، وَزِيَادَةِ الثَّوَابِ، فَهِيَ عِنْدَهُمْ تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ حَكَمُوا بِأَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ يُحْلَدُ فِي النَّارِ إِذَا مَاتَ بِلَا تَوْبَةٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْقَوْلَ بِالشَّفَاعَةِ الَّتِي أَثَرُهَا هُوَ إِسْقَاطُ الْعِقَابِ يَنَافِي هَذَا الْحُكْمَ، أَوَّلُوا آيَاتِ اللَّهِ، فَقَالُوا: إِنَّ أَثَرَ الشَّفَاعَةِ إِنَّهَا هِيَ زِيَادَةُ الثَّوَابِ، وَخَالَفُوا فِي ذَلِكَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ^(١).

وَالْأَعْجَبُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ، وَتَبِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - مَخَالِفِينَ الْأُمَّةَ جَمْعًا - إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ طَلِبُ الشَّفَاعَةِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقُولَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْفَعْ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِأَدَلَّةٍ مِنْهَا:

١ - إِنَّهُ مِنْ أَقْسَامِ الشَّرْكِ، أَيْ: الشَّرْكَ بِالْعِبَادَةِ وَالْقَائِلِ بِهَذَا الْكَلَامِ يَعْبُدُ الْوَلِيَّ.

وَهَذَا لَا وَجْهَ لَهُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ حَقِيقَةَ الشَّرْكِ هِيَ أَنْ يَكُونَ الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ لغيره تَعَالَى بِاعْتِقَادِ أَنَّهُ إِلَهٌ أَوْ رَبٌّ، لَا مَطْلُقَ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ.

٢ - إِنَّ طَلِبَ الشَّفَاعَةِ مِنَ الْغَيْرِ دُعَاءٌ لَهُ، وَدُعَاءُ غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَرَامٌ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢).

وَيُرَدُّهُ أَنَّ مَطْلُقَ دُعَاءِ الْغَيْرِ لَيْسَ مُحَرَّمًا، وَإِنَّمَا الْحَرَامُ مِنْهُ مَا يَكُونُ عِبَادَةً لَهُ، بِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ الْإِلَوهِيَّةَ وَالرَّبُّوبِيَّةَ فِي الْمَدْعُوِّ، وَالْآيَةُ نَازِلَةٌ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (مَعَ اللَّهِ).

٣ - إِنَّ طَلِبَ الشَّفَاعَةِ مِنَ الْمَيِّتِ أَمْرٌ بَاطِلٌ.

وَيُرَدُّ عَلَيْهِ: إِنَّ الْإِشْكَالَ نَاجِمٌ مِنْ عَدَمِ التَّعَرُّفِ عَلَى مَقَامِ الْأَوْلِيَاءِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْحَكِيمِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَيَاةٌ فَمَا مَعْنَى التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ فِي تَشَهُدِ كُلِّ صَلَاةٍ (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)؟! وَالْمُؤْمِنُونَ لَا يَطْلُبُونَ

(١) انظر: معضرات و الإهيات: ص ١٠٠.

(٢) النحل: آية ١٠٠.

الشفاعة من أجساد الصالحين و أبدانهم، بل يطلبونها من أرواحهم المقدسة الحية عند الله سبحانه، بأبدانٍ برزخية^(١).

ثمَّ إنَّ الحديث جعل الشفاعة للأنبياء والعلماء والشهداء، وأهمَّ مصداق، بل المصداق الحقيقي للعلماء والشهداء هم أهل البيت عليه السلام، ومن هؤلاء أبي الفضل العباس عليه السلام، فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قال: «كان عمُّنا العباس بن علي نافذ البصرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاءً حسناً ومضى شهيداً»^(٢)، فاجتمعت فيه صفة العلم وصفة الشهادة، فأَيُّ شفاعةٍ تكون له عند الله؟! كيف لا؟! وقد ضحَّى من أجل الدين ومن أجل الإمامة؛ ولذلك يقول أربابُ المقاتل: لما لم يبقَ مع الحسين إلا أخوه العباس، جاء إلى الحسين عليه السلام يطلب البراز منه قائلاً: هل مِن رُخصة؟ فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً، ثمَّ قال: «يا أخي، أنت صاحبُ لوائي، فإذا مضيتَ تفرَّقَ عسكري».

فقال العباس: «قد ضاق صدري وسئمتُ الحياة». فقال له الحسين عليه السلام: «إن عزمت فاستقي لنا ماءً»، فأخذ قربته وحمل على القوم حتَّى ملأ القربة، قالوا: واغترف من الماء عُرفة ثمَّ ذكر عطش الحسين عليه السلام فرمى بها، وقال:

يا نفسُ من بعد الحسين هوني وبعده لا كُنْتَ أن تكوني
هذا حسينٌ واردُ المنونِ وتشربينَ باردَ المعينِ

ثمَّ عاد فأخذ عليه الطريق، فجعل يضربهم بسيفه، وهو يقول:

لا أَرهْبُ الموتَ إذ الموتُ زقا حتَّى أوارى في المصاليتُ لُقى
إني أنا العباسُ أغدُّوا بالسقا ولا أهابُ الموتَ يومَ الملتقى

(١) انظر: معضرات في الإحيات، ص: ٢٠٢.

(٢) نسخة المطالع، ص: ٣٥، نسخة النوبة، ص: ٤٩، مقتل الإمام الحسين عليه السلام (إ. محسن):

فضربه حكيم بن طُفيل الطائي السنبي على يمينه فبرأها، فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

والله إن قطعتم يميني إنِّي أحامي أبداً عن ديني

فضربه زيد بن ورقاء الجُهني على شماله فبرأها، فضَم اللواء إلى صدره - كما فعل عمّه جعفر إذ قطعوا يمينه ويساره في مؤتة فضَم اللواء إلى صدره -^(١) فحمل عليه رجلٌ تميمي فضربه بعمودٍ على رأسه فخرَّ صريعاً إلى الأرض، ونادى بأعلى صوته: أدركني يا أخي، فانقضَّ عليه أبو عبد الله كالصقر فرآه مقطوعَ اليمين واليسار، مرضوخ الجبين، مشكوك العينِ بِسهمٍ، مُرتنَّاً بجراحه فوقفَ عليه يبكي، وضع الحُسين يديه تحت ظهره، وأراد حمله إلى المخيم.

فقال له العباس: بالله عليك، إلّا ما تركتني في مكاني، فقال الحُسين: لماذا يا أخي؟ فقال العباس: لحالتين؛ الأولى: فقد نزل بي الموتُ الذي لا بُدَّ منه، والثانية: إنِّي واعدتُ سُكينة بالماء وإنِّي مُستحٍ منها.

(نصاري)

يخويه احسين خَلّيني ابمچاني	يگلہ لیش یازہرہ زماني
يگلہ واعدت سکنه تراني	ابہاي او مستحي منها ومگرد
بچہ ونادی یبعد العگل والروح	خليني يخويه احسين مطروح
أموت ولا أرد للخيم مجروح	اشلون أسدر وتعتبني النساءين

وبينما الحُسين عنده، وإذا بالعباس شهق شهقةً وفاضت روحه الطاهرة^(٢)، رَحِمَ الله مَنْ نادى: وا عباساه، واسيداه، ومظلوماه.

(١) مقتل الحسين: ١٩٦، ربيع المختار: ١٩٦.

(٢) مجمع مصنفات ابن أبي عمير: ١٩٦، من: ٣٣١ - ٣٣٢.

(نصاري)

يون ونّه اويونّ حسين ونّات
أهو يحاجيه اوافاضت روحه ومات
وكل طبره ابگلب احسين طبرات
وگام احسين گلّه امشطر اشطور

قام الحُسين محني الظهر، يكفكف دُمُوعَه بکُمّه، وهو يُنادي: وا أخاه، وا عبّاساه.

يخويه انكسر ظهري اولگدر آگوم
يخويه استوحدوني عگبك الگوم
صرت مركز يخويه الكل المهموم
اولا واحد عليّ بعد ينغر

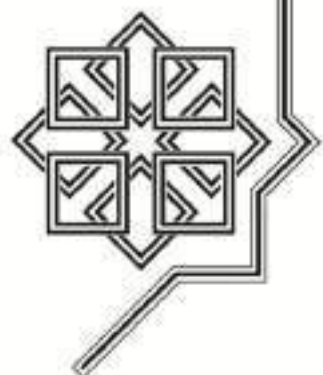
(أبوذّية)

انه صابر لهذا الصار وعداي
سوري انهدم ظهري انكسر وعداي
عزمي بيك چنت احتزم وعداي
يخويه اتشمت العدوان بيّه

هوّنّت يا ابن أبي مصارع فتيتي
والجرحُ يُسكّنه الّذي هو آلم

الحاضرة السادسة عشرة

تأديب الأولاد



يا دوحَةَ المجدِ مِن فِهْرِ ومن مُضِرِ
يا ذُرَّةَ غادرتْ أَصْدافُها فَعَلتْ
قد غَال خَسْفُ الرَّدَى بدرَ الهُدَى
حُلُو الشَّيْبَةِ يا لَهْفِي عليه ذَوَى
خِضابُهُ الدَّمُّ والنَّيْلُ النَّشَارُ وقد
ما اخضَرَ عارضُهُ ما دبَّ شارِبُهُ
فاغْتالَ مفرقَهُ الأَزْدِي بِمرهفِهِ
إِنْ يَبْكِهِ عَمُّهُ حُزْناً لمصرِعِهِ
يا ساعدَ الله قَلْبَ السَّبْطِ يَنْظُرُهُ
مُرْمِلاً مُذْ رَأَتْهُ رَمْلَةٌ صرختْ
بُنَيَّ تَقْضِي على شاطِي الفُراتِ ظمًا

قد جَفَّ ماءُ الصَّبَا من غُصْنِكَ النَّضْرِ
حَتَّى غَلَتْ ثَمناً عن سائرِ الدَّرَرِ
فيا نُجُومَ السَّما مِن بَعْدِهِ انْتَشِرِي
من بَعْدِ اِيناعِهِ بِالْعِزِّ وَالظَّفَرِ
زَفَّتْهُ أَعْدائُهُ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
لكن جَرى القَدَرُ الجارِي على القَدَرِ
فخَرَّ لَكن بِخَدِّ مِنْهُ مُنْعَفِرِ
فما بَكَى قَمَرٌ إلّا على قَمَرِ
فَرَدًّا ولم يُلْغِ العَشْرِينَ في العُمَرِ
يا مُهْجَتِي وسُرُوري يا ضِياءَ بَصْرِي
والماءَ أَشْرَبُهُ صَفْواً بِلا كَدَرٍ^(١)

وكانني بأُمِّه المفجوعة رملة تُخاطبه:

بعدك فلا يسكن ويني
ريت الكدر غلبك يجيني
الموت ما بينك اويني
أَكْضِي الهَظْمَ بعدك اسيني

اولا تغفنه طُول الليل عيني
اوبيدك يجاسم توارينني
لو حال ما يفتر حيني
والتفت لشمالي ويميني^(٢)

(١) قصيدة لبِ حسان بن أبي العباس، قدمت ترجمته في الخامسة عشرة من هذا الكتاب هـ جـ.

(٢) ديوان منبج، ص ٥١٤.

(أبو ذية)

كلبي من الحزن ورث ورملة اوراسي اعليك اكصنه ورملة
على جاسم بحت زينب ورملة يحگ الهن بدر ونخسف ضيه

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفياؤه»^(١).

الأخبار في هذه المعاني كثيرة متواترة، وفيها من ضروب التأكيد والترغيب في محبة أمير المؤمنين عليّ والزّهراء والحسين وأولادهم عليهم السلام وذم بغضهم، ما يلحق حبهم بأعظم الواجبات والفرائض، وبغضهم والانحراف عنهم بأشدّ المحرّمات، بل يجعله من أكبر الكبائر، ونعم ما قاله الفرزدق:

من معشرٍ حُبَّهم دينٌ وبغضُهم كُفْرٌ وقرُّهم منجى ومُعْتَصِمٌ
إن عُدَّ أهل التّقى كانوا أئمتّهم أو قيلَ من خيرِ أهل الأرض قيل هم
يُستدفع الضّرُّ والبلوى بحبّهم ويُستزادُ به الإحسانُ والنعْمُ^(٢)

ومن هنا صارت محبتهم حسنة يمدح القرآن الكريم المكتسب لها كما أخرج ذلك مجموعة من علماء العامّة، عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً﴾

(١) كنز العمال: ج ١، ص ٥٥٠، ج ٥٥٠٩: الجامع الصغير: ج ١، ص ٥٦٠، ج ٣١١: كشف الخفاء: ج ١، ص ٥٥٠، ج ١٠٠: تيسير التوفيق: ج ٢، ص ٣٠١، ج ٣٠٢.

(٢) الاختصاص: ص ١٦٣: الفصول العارضة: ص ٣٩: عين المعجزات: ص ٣٠٠: سابق آل نبي طالب: ج ٢، ص ٣٠٩: تاريخ مدينة دمشق: ج ١٥، ص ٥٠٢: تهذيب الكمال: ج ٢، ص ٥٠١، ٥٠٢: بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٢.

قال: «المودة لآل مُحَمَّد ﷺ»^(١).

ومن المعلوم البديهي أنّ الحثّ على حبّهم بهذا التأكيد، واهتمام النبي ﷺ في بيان فضائلهم ومناقبهم وتنزيلهم منزلة نفسه في حبّهم وبغضهم، وسلمهم وحرهم، واختصاصهم بفضائل كثيرة دون غيرهم، أقلّ ما يدلّ عليه هو حجة الاقتداء بهم في الأحكام الشرعية، وحجة أقوالهم وأفعالهم، وحرمة الإعراض عن أحاديثهم وعلومهم^(٢). وهذا الحديث يتناول أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: حبّ النبي ﷺ

محبة النبي الأكرم ﷺ شعار المسلمين، وعلامة الإيثار والمؤمنين، وقد حثّ هذا الحديث على تأديب الأولاد - ذكوراً وإناثاً - على محبته ﷺ؛ لأنّ محبته الهدى إلى تعاليمه، والأخذ بأقواله وأفعاله وسننه ﷺ.

فعلى عاتق الأبوين تلقى هذه المسؤولية لتعليم أولادهم مقامات النبي الأكرم ﷺ، ومعاجزه وفضله عند الله تبارك وتعالى، ومكارم أخلاقه وسننه ﷺ حتى يشترك الأولاد إلى شخصه الكريم ويحبّوه، فإذا أحبّوه اقتدوا به، وصار أسوتهم، وحيثن تكون لهم علامات يعرفون بها ومن هذه العلامات:

- ١- كثرة ذكره ﷺ: لأنّ من أحبّ شيئاً أكثر من ذكره، وهذه حالة مطردة تقريباً.
- ٢- كثرة الشوق إلى لقائه: فكلّ حبيب يحبّ لقاء حبيبه، ولذا كان الأشعريون يرددون عند قدومهم المدينة هذه الأرجوزة:

(١) ميز المشير: ج ٦ ص ٧٠. نظم نثر نصيبي: ص ٨. تفسير انشليبي: ج ٩ ص ٢١٥. سياهد التزين: ج ٢ ص ٢١٢. سير مشرطبي: ج ١ ص ٢٠. انفسول المهمة في معرفة الأنسنة: ج ١ ص ١٢٩. بدائع الزينة: ج ٢ ص ٥٥.

(٢) ننلنا ذلك من مجموعة رسائل سماحة الشيخ نطف نطف نصايي: ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١.

غداً نلقى الأحبة

مُحَمَّدًا وَصَحْبَهُ^(١)

٣- التعظيم له والتوقير، وإظهار الخشوع والانكسار، حتى عند سماع اسمه الشريف ﷺ، فعن أبي هارون مولى آل جعدة قال: «كُنْتُ جليساً لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياماً، ثُمَّ إِنِّي جِئْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ لِي: لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ يَا أَبَا هَارُونَ؟ فَقُلْتُ: وَلَدَلِي غُلَامٌ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ، فَمَا سَمَّيْتَهُ؟ قُلْتُ: سَمَّيْتُهُ مُحَمَّدًا، فَأَقْبَلَ بِخَدِّهِ نَحْوَ الْأَرْضِ وَهُوَ يَقُولُ: مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ، حَتَّى كَادَ يُلْصِقُ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: بِنَفْسِي وَبَوْلَدِي وَبِأُيُومِي وَبِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ جَمِيعاً الْفِدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَا تَسْبَهُ وَلَا تَضْرِبْهُ وَلَا تُسَيِّءْ إِلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ دَارٌ فِيهَا اسْمُ مُحَمَّدٍ إِلَّا وَهِيَ تُقَدَّسُ كُلَّ يَوْمٍ»^(٢).

٤- حُبُّ مَنْ أَحَبَّهُ ﷺ مِنْ آلِ بَيْتِهِ وَصَحَابَتِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعِدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ، وَبَغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبُّهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ مَنْ يَحِبُّ، وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»^(٣).

وهكذا بالنسبة لأمر المؤمنين عليه السلام. حيث قال ﷺ في حقّه: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَحْبَبَنِي... وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيّاً فَقَدْ أَبْغَضَنِي»^(٤).

وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَحْبَبَنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَهْلَ بَيْتِي فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا»^(٥).

(١) النفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢، ص ٢٤.

(٢) الكافي: ج ٦، ص ٣٩٠، ج ٢، ص ٣٦٠، ج ٣١، ص ٣٦٠، ج ٤، بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٣، ج ٩.

(٣) المنظر: النفا بتعريف حقوق المصطفى: ج ٢، ص ٢٤، ٢٥.

(٤) المستدرک علی تصحیحات: ج ٢، ص ١٢١، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٢٢، المعجم الكبير: ج ٢٢٢،

ص ٣٠٠، الاستيعاب: ج ٢، ص ١١١، الجامع الصغير: ج ٢، ص ٤٤٠، ج ٢٢١، كنز الدقائق: ج ١١،

ص ١٠١، ج ٢٢٢، ٢٢٣.

(٥) مناقب أمير المؤمنين (محمد بن سليمان الخوافي): ج ٢، ص ٤٠.

٥- العمل بأوامره واجتناب نواهيه ﷺ: من علامات محبته ﷺ العمل بأوامره والاجتناب عن نواهيه، وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١) إشارة إلى الحب والطاعة، لا الحب المفرغ من محتواه وأصله.

الأمر الثاني: حب أهل بيته ﷺ

ثم إن الأمر الثاني في الحديث المروي عن النبي ﷺ يؤكد على تأديب الآباء للأولاد على محبة أهل بيته ﷺ.

وقبل الخوض في هذا الأمر أود أن أشير إلى سبب فصل هذا الأمر عن الأمر الأول. فأقول: لماذا أكد النبي ﷺ على محبة أهل بيته مع أن في محبته الكفاية لحب أهل البيت ﷺ، خصوصاً بعد اطلاعك على جملة من الأحاديث التي تربط بين محبته ومحبتهم ﷺ؟ وفي الجواب: إن السبب يعود إلى أن الملازمة حاصلة قطعاً من الأمر الثاني، بمعنى أن من أحب أهل البيت ﷺ قطعاً فقد أحب النبي الأكرم ﷺ؛ لأنهم فرع وثمره غرسه، دون العكس، فقد يُربي الأب أولاده على محبة المصطفى ﷺ من دون أن يُعرفهم أولاده وذريته وأهل بيته؛ وحينئذ ينشأ الولد بمعزل عن أهل بيت المصطفى ﷺ، كما يدل عليه حال جملة ممن يدعون الإخلاص في محبتهم للنبي ولم يتعرضوا لذكر أهل بيته أصلاً، حتى على مستوى الصلاة عليهم، كما يصنع بعض الجهلة من أعداء شيعة أهل البيت ﷺ، مع أن الأخبار صريحة بإلحاق أهل البيت ﷺ في الصلاة على النبي الأكرم ﷺ.

والعجب ممن يدعي الإسلام كيف يردُّ على كلام خاتم الأنبياء والمرسلين صريحاً؟ فقد نُقل أن بعضهم قال: إن الصلاة على محمد وآل محمد وإن ثبت بالنص مُنضمّة إلى النبي ﷺ إلا أن الرافضة (أي الشيعة) لما اتخذته شعاراً تركته!!.

بل وصل الحال ببعضهم أن يقول: اللهم صل على محمد منفرداً. ويقيدها بالانفراد!!

وكانَّ آلَ مُحَمَّدٍ أُنْعِمُوا وقَدَّمُوا لِلشَّيْعَةِ فقط، ولم يُجَاهِدُوا في سبيل نصرَةِ الدين الإسلامي الحنيف؟!!

فلعلَّ مردَّ هذا التأكيد إلى ما ذكرناه من أنَّ مجردَ تأديب الأولاد على محبةِ المُصطفى ﷺ ليس صريحاً في الملازمة بمحبةِ أهل بيته ﷺ. نعم، المفروض أن يكون ذلك كما ذكرناه في النقطة الرابعة من علاماتِ المُحيين له ﷺ لكن الملازمة على أية حالٍ ليست واضحةً وصريحةً. أمّا من الطرف الآخر فنجد أنَّ النبيَّ الأكرم ﷺ يؤكِّد على حصول الملازمة، كما روي ذلك في حقِّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ وفاطمة الزهراء ﷺ، والحسن والحسين ﷺ. مثل قوله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي» المتقدم، ومثْل وقوله ﷺ في حقِّ فاطمة الزهراء ﷺ: «فاطمة بضعة منِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»^(١)، إلى غير ذلك من الأحاديث المروية عنه ﷺ وقد تقدَّمت الإشارة إلى بعضها.

ولذا تراه ﷺ قد جمع بين التأديب على حُبِّه وحبِّ أهل بيته، ولعلَّ ما في الحديث المروي عنه ﷺ كفاية حيثُ قال: «حُبِّي وحبُّ أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهنَّ عظيمة: عند الوفاة، وفي القبر، وعند النشور، وعند الكتاب، وعند الحساب، وعند الميزان، وعند الصِّراط»^(٢).

فقد رتبَ النبيُّ الأكرم ﷺ الإشارة والتتائج على مجموع الحَيِّين (حبِّه وحبُّ أهل بيته ﷺ). فلاحظ جيِّداً.

(١) مسجّع البحاري: ج ٤ ص ٢١١ و ج ٢١٦. فضائل نصحايف: ص ١٠٠. شجرة القاري: ج ١ ص ٢٢٢. ج ١٦٦. مسجّع ج ٧ ص ٥٢. ج ١. الأعداد والثاني: ج ٥ ص ٣٠١. ج ٢٤٥. السنن الكبرى: ج ٥ ص ٩٧. ج ٢٦١. المعجم الكبير: ج ٢٤ ص ١٠٠. الجامع الصغير: ج ٢ ص ٢٠٩. ج ٥٤٢. كنز المصنف: ج ١٤ ص ١٠٩. ج ٢٢٢.

(٢) العصال: ص ٣٠١. ج ٤. أنساب النبي ﷺ: ص ١٠. ج ٣. فضائل شريعة: ص ٥. الحديث الثاني: روضة الواعظين: ص ٢٥١. نهاية النيران: ج ٦ ص ٨٧. الحديث الثالث والأربعين: بحار الأنوار: ج ٧ ص ٢٠٩. ج ٢ ص فضائل شريعة: ج ٢٧ ص ١٢٨. ج ٣ عن العصال.

الأمر الثالث: قراءة القرآن

والأمر الثالث الذي ينبغي لنا أن نؤدّب أولادنا عليه هو قراءة القرآن الكريم، ولا نحتاج إلى المزيد لمعرفة أهمية هذا الأمر بعد أن يعلّل النبي الأكرم هذا الأمر بقوله ﷺ: بأنّ حمّلة القرآن ومفاهيمه والمهتمين به هم في ظلّ الله يوم القيامة، في ذلك الظل وتلك العناية الفريدة، التي تمتدّ على الأنبياء والأولياء دون غيرهم من بني البشر، فإنّ هؤلاء الأنبياء الذين يتأدّبون بهذه الآداب، ستشملهم تلك العناية الربّانية لا محالة، وسيتهي بهم الأمر إلى كلّ خير. وإذا مات الوالد وهو على هذه الحالة - حالة تأديبه لأولاده على هذه الخصال - مات ولم ينقطع عمله ولا أمله؛ لأنّه ترك صدقةً جاريةً، وعلماً يتفجع به ويهتدى بهده، وولداً صالحاً يدعو له^(١).

إذن التربية والتأديب هي التي تُنتج الولد الصّالح؛ ولذا نرى تربية أهل البيت ﷺ ماذا أنتجت من نتاج ظلّت مضرباً للمثل على مرّ العصور والدّهور، أمثال القاسم بن الإمام الحسن المجتبي ربحانة المصطفى ﷺ الذي كان موصوفاً بالحسن والجمال، لم يبلغ الحلم، ووصفه الراوي حميد بن مسلم: بأنّه كفلقه قمر. وقد أكمل أربع عشرة سنة، حيث كانت ولادته سنة (٤٦هـ) وقد أوصى أباه الإمام الحسن ﷺ به عمّه الحسين وصيةً خاصّة، ولذا كان الإمام الحسين يخاطبه بقوله: أنت الوديعه من أخي. و كان القاسم صغيراً من حيث السنّ إلّا أنّه كان كبيراً في عقله وهمومه؛ لأنّ أباه الحسن المجتبي ﷺ أدّبه وربّاه في صغره، فاستفاد من ذلك في كبره، ونشأ بين أحضان النبوّة والإمامة، فلذا دلّت الدلائل على أنّه يملك أعلى مراتب الشّجاعة؛ ولذا لما رأى وحدة عمّه الحسين ﷺ وقف قائلاً: والله يا عمّ،

(١) إسناده صحيح، ﷺ: (١) مات ابن آدم نطقاً على الإسلام ثلاث صدقات جارية أو عم يتفجع به.

أولاد صالح يدعوهم. انظر: الحديث في المصادر الثمينة: المصنوع: ج ١ ص ١٠٢ ج ١ ص ٥٢.

صحيح ابن حريمة: ج ٤ ص ١٢٢، صحيح ابن خبار: ج ١ ص ٢٨، كل النسخ: ج ١ ص ٢٢٢.

ج ٢ ص ٢٢٢، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٢٢٢، ج ٢ ص ٢٢٢، ج ٢ ص ٢٢٢.

لا أقدرُ أن أسمعكَ تُنادي: ألا من ناصرٍ ينصرُنَا. وأنا قابع في الخيمة، يا عمّ، ائذن لي، لقد ضاق صدري، وسئمتُ الحياة! فقال له الحسين عليه السلام: يا بن الأخ، أنت الوديعَة عندي من أخي الحسن، فارجع بُني وعد إلى الخيمة لتكون مع النساء فليس هُنَّ أحدٌ إلّا العليل، فابق معه لتؤنسه بعد فراقنا. فرجع إلى الخيمة، وهكذا جاء القاسم مرّةً أخرى، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: أو عَزَمْتَ على الموت يا بُنَيَّ؟ قال القاسم: نعم يا عمّ. قال الحسين له: إذهب إلى عمّتك زينب لتخرج لك من الصندوق جُبّة وعمامة وسيف والدك الحسن لتلبسها. وفعلاً أخرجت له زينب جُبّةً للإمام الحسن عليه السلام فلبسها، ثمّ عمامته وسيفه وحزامه، ثمّ خرج من الخيمة وهو بلباس والده الحسن عليه السلام. وكأني بالحسين عليه السلام لما رآه بهذه الهيئة أهوى عليه وتعانق معه.

آه:

بس شافه شبگ فوگه اوتباچوا	اختنگوا بالبواچي وماتحاجوا
لمن غابت الروح وتناجوا	على التربان اويلي والوكت حرّ
يگلّه ابگه لبن عمّك تباريه	عليل او ما بگه غير النفس بيه
يعمّي خلافيه بلچن تسليه	وظن هيهات يتسلّى ويسرّر
يگلّه اسدر يعمّي للصواوين	منگلک راد ليها جذب يحسين
أرد عنك دعلمني يباعين	واشوفنک على الرمضة امطبرّ
يگلّه گمر ييني يشعشاع	يعمّي اوداعة الله هذا الوداع
ركب وارزم وذها موش مرتاع	شهاب او يجرج الطاغي من اتخر
ثمّ خرج على الأعداء وهو راجل غير فارس، وكأنّه أبوه الحسن المجتبي عليه السلام ، فأخذ يرتجز ويقول:	

إن تنكروني فأنا نجلُ الحسن سبط النبيِّ المُجتبى والمؤمن
 هذا حُسين كالأسير المرتين بين أناسٍ لا سُقوا صوبَ المزن
 وكان الحسين عليه السلام مُستبشراً بصوته وشجاعته، حيث أخذ يحصد بالرؤوس، ويفرّ منه
 الجيش على صغر سنّه، وعين الحسين تلاحقه ويشاهده ماذا يصنع بأعداء الله:

أبد والله ما تكف دون الفحل ولعب بيهم ما لعب حين الحمل
 فأخذ يقتل فيهم حتّى قتل مقتلةً عظيمةً، ذكر بعضُ أنّها وصلت إلى المائتين، وكان
 همّه أن يقتل صاحبَ راية جيش عُمر بن سعد، بينما هو كذلك يقول حميد بن مسلم إذ
 انقطع شمع نعله لا أنسى أنّها اليسرى، فطأ طأ رأسه لشدها وإذا بالأزدي - لعنه الله - شدّ
 عليه وقال: لأثكلنّ به أمّه، يقول حميد بن مسلم: فقلت له: أما كفاكم ما قتلتم؟ قال:
 والله، لأثكلنّ به عمّه وأمّه: ^(١)

ويل غلبي من انقطع شمع النعل انوه يشده اويصول على البگه
 انوه يشده اويورد الرادته ايذكر عداه حرب جدّه او حملته
 اولن اجت ضربت الأزدي الهامته اوسبح جاسم آه من دم مفرگه
 سببح جاسم بالدمه اوناده يعم من سمع صوته النفل دمعته انسجم
 بالفعل ضرب الأزدي القاسم على رأسه فوقع على الأرض، وصاح: أدركني يا عمّاه!
 فقال الحسين عليه السلام للقاسم: بُني قاسم، بُعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدّك
 رسول الله. وكأني به:

صاح يا جاسم اوعد راسه گعد ويل غلبي ينحب او گلبيه انمرد
 يا بن اخويه العرس چا المن بعد اوهامتك من سيف الأزدي مشرگه

(١) انظر: مقاتل الطالبين: ص ١٥٥، ابصار العين: ص ١٠٠.

أولي بس ما سمع صوته شرعت بيه
لگاه ايعالج اوييحث ابرجليه
بچه اوناده يا جاسم اشبيدي
هان الكم تخلوني وحيدي
يعمي اشگالت من الطبر روحك
لون ابكي يعمي چنت انوحك
حط احسين صدره بصدر جسام
صدره ابصدر عمه او خط الجدام
جابه اومدده ما بين اخوته
بس ما سمعن النسوان صوته
وكانني بها:

(بحراني)

رملة اطلعت تلطم صدرها بدمع همال
تنادي يغصن البان عني غوض وشال
ظليت حُرمة بلا ولي من غير رجال
وصارت الصيحة في خدور الهاشمية
وصلت لعد قاسم او منها الكلب مهموم
صاحت ييمه يا شباب المات محروم
رمي على الرمضة ومتخضب بالدموم
لبجي على فرگاك كل صبح ومسيه

جلست عند رأسه، كأني بها تقول:

وحيد وأعزّ عندي من العذبي
اوردتك ذخريام شبي
مظنيت بيك ايشح نصبي
وابغه اسحن صبر فرگاك والهم

(أبو ذية)

ينبي الدوم أباريلك وداري
وانته بحالتي تعلم وداري
يا جاسم يا ضوه عيوني وداري
آنه ردتك ضخر واگطعت بيه

بُنَيَّ في لوعةٍ خلّفت والدّة
ترعى نُجومَ السّما في الليلِ بالسّهر

الحاضرة السابعة عشرة

التفقي في الدين



قَسَمَ الْإِلَهِ الرَّزَّاءَ بَيْنَ أَعَاظِمِ
 حَسَنِي خُلُقٍ مِنْ نِجَارِ مُحَمَّدٍ
 غُصْنُ نَضِيرٍ مِنْ أَصُولِ مَفَاخِرِ
 قَتَّالِ أَبْطَالِ مُبِيدِ كِتَائِبِ
 هَزَمَ الْكُفَّاءَ بِقُوَّةِ عَلَوِيَّةِ
 لِلَّهِ يَوْمٌ خَرَّ فِيهِ إِلَى الثَّرَى
 نَادَى حُسَيْنًا عَمَّهُ مُتَشَكِّيًا
 وَيْلُوكَ كَالْحَوْتِ التَّرِيْبِ لِسَانَهُ
 وَكَأَنِّي بِأُمِّهِ الْمَفْجُوعَةِ رَمَلَهُ:

آيِنِي شَغُولَ عَلَيْكَ آيِنِي
 دَوْلَبَنِي زَمَانِي بِيكَ دَوْلَبَنِي
 أَشْهَلُ الْبُلُوهُ الْمَثَلُهَا مَاسَدَتْ بُلُوهُ
 تَذَبُ الْبِيكَ تَسْعَةُ مِنَ الشُّهُرِ شَالَتْ
 أُمُّكَ جَابَتِكَ يَمْدَلُّ أَوْحَالَتْ
 دَوْلَبَنِي زَمَانِي بِيكَ دَوْلَبَنِي
 أَشْهَلُ الْبُلُوهُ الْمَثَلُهَا مَاسَدَتْ بُلُوهُ
 تَذَبُ الْبِيكَ تَسْعَةُ مِنَ الشُّهُرِ شَالَتْ
 أُمُّكَ جَابَتِكَ يَمْدَلُّ أَوْحَالَتْ

يَبْنِي مَا ذَكَرْتَ أُمُّكَ وَحَنِيَّتِ
 يَجَاسِمُ خَضَبَتْ شَيْبِي وَحَنِيَّتِ
 عَفَّتَنِي مِنَ انْطَبَگِ ظَهْرِي وَحَنِيَّتِ
 ابْدَمَكَ يَا شَبَابَ الْغَاضِرِيَّةِ

(١) اندام جمع جمع. وهي خند بغير. مجمع البحرين: ٦٤، ص ١٥٥.

(٢) لم يشر على أنها دُرْدَرَةٌ زُحَلِيَّةٌ لَمْ تُجَرَّدْ.

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لو أُتيتُ بِشابٍ من شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لأوجعته»^(١).

في هذه الليلة نتحدث عن مسألة مهمّة وهي مسألة التفقه في الدين! ومعنى التفقه هو أن يكون الإنسان على بصيرة من الأمر الذي يطلبه، وهذا الأمر تارة يكون في الدين وأخرى في غير الدين، لكن المطلوب في هذه الليلة هو الكلام عن التفقه في الدين. ولا يخفى أن طلب العلم بصورة عامّة هو من الأمور المحبوبة في الدين الإسلامي، ومن الأمور التي رغب الله فيها في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وقد حثّ النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله عليها حيث قال: «لا خير في العيش إلا لرجلين: عالم مُطاع، أو مستمع واع»^(٣).

والعلم المهم هو أن يقف الإنسان على معالم دينه وأحكام الشريعة، خاصّة المتعلقة بأحكام الحلال والحرام، فإنّ الروايات التي أكّدت على طلب العلم، وأنّه فريضة، ناظرة إلى هذا النحو من العلوم لا مُطلق العلوم، كما روي عن إمامنا الكاظم عليه السلام: «دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجلٍ فقال ما هذا؟ ف قيل: علامة، فقال: وما العلامة؟ فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية، والأشعار العربية. قال: فقال النبي صلّى الله عليه وآله: ذاك علم لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه، ثمّ قال النبي صلّى الله عليه وآله: إنّما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو

(١) المحسن: ج ١، ص ٢٢٨، مشكلة الأقوال: ص ٢٢، بحار الأنوار: ج ١، ص ٢١٥، ج ١٧، عن المحسن.

(٢) الترمذي: ٩٠٩.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٣٢، ج ١٠، للحصول: ص ٥٠، ج ١٠، روضة الواعظين: ص ٦٠، كز الفوائد:

ص ١٢، معاد الواعظين: ص ٢٥، أصلام الدين: ص ١٠٢، بحار الأنوار: ج ١، ص ١٠٧، ١٠٨، ج ١٤،

عن الحصول: ص ١٥٨، ج ١٤، عن الروضة: ج ٢، ص ١٠٨، ج ٦، عن كز.

فضل^(١).

وهذا الحديث ليس مختصاً بالشباب الشيعي ولكن الشاب هو المهم في التعلم، يعني: لا بدّ للشاب أن يتعلّم أحكام دينه حتّى يعرف ما هو الحلال وما هو الحرام. يعني فالإمام عليه السلام يتأذى من أن يرى شاباً شيعياً غير متفقه في الدين، ولذلك يقول الإمام عليه السلام لأوجعته.

وهذه الليلة هي ليلة الشباب، ليلة القاسم بن الإمام المجتبى عليه السلام، فدعونا نستفيد من هذه الليلة، دعونا نستفيد من أخلاق أهل البيت عليه السلام في أيام عاشوراء، دعونا نفكر فيكم يا شباب من حين البلوغ إلى آخر عمركم كيف تبنون حياتكم؟ كيف تختارون زوجات صالحات؟ كيف تتعاملون مع الزوجة؟ كيف تتعاملون مع الأبوين؟ ما هي عقوبة العاق لوالديه؟

نستفيد من هذه الليلة لتعلّم كيف نربي أنفسنا ونتخلّق بأخلاق القاسم عليه السلام؛ لأنّه من هذا النسل الطاهر.

نرجع إلى الرواية الشريفة، لماذا الإمام عليه السلام شدّد على تعلّم الفقه؟ ولم يُشدّد على غيره؟ لعلّه لأجل أن الإنسان إنّما يُحاسب في يوم القيامة على الأحكام الشرعية، فلا بدّ للشباب أن يسألوا عن أحكامهم الشرعية في كلّ تصرف يتصرفونه حتّى ينجوا من ذلك اليوم، يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلب سليم.

فعليكم يا شباب أن تُرتبوا حياتكم من أوّلها، أي من حين البلوغ، فإذا بلغ الإنسان سنّ التكليف - الذي يكون في المرأة بإكمال تسع سنوات وفي الرجل خمس عشرة سنة قمرية، أو الاحتلام - بعد ذلك لا بدّ له من التقليد والتوجّه إلى رسالة ذلك المجتهد

(١) الكافي: ج ١، ص ٣٢٠، ج ١، أمالي الشيخ الصدوق: ص ١٠٣، ج ١، معاني الأخبار: ص ١٠١، ج ١، مسكن: الأقوال: ص ٢٠٠، مستطرفات المرافعة: ص ١٠٠، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٣٢٠، ج ٦، عن الكافي: يحاذر الأخبار: ج ١، ص ٢١١، ج ٥، عن أمالي:

الَّذِي قَلَّدَهُ، وعليه أن يسأل عن المقلَّد، لأنَّ للمقلَّد شروطاً لا بُدَّ من توفُّرها، فعليه أن يسأل العالم في تلك المنطقة عن العالم المجتهد الَّذِي يريدُ تقليده؛ لأنَّ العمل بلا تقليد باطل، والعمل بلا عِلْم لا يزيد العامل إلَّا بعداً عن الطَّرِيق^(١)، ولذلك قليل العبادة مع العلم خيرٌ من كثيرها بلا عِلْم^(٢)، فما الفائدة من عمل إنسانٍ يُصَلِّي في اليوم والليلة ألف ركعة وهو لا يُتَقَنُّ الوضوء، فعلى كُلِّ إنسانٍ مراجعة فتوى المرجع الَّذِي يُقلِّده حتَّى يعرف الحلال من الحرام.

ومن أهمِّ هذه الأمور الَّتِي نتحدَّث عنها الليلة هي مسألة طاعة الوالدين وبرَّهما حَيِّين أو مَيِّتين فإنَّ رضا الله في رضاها، وسخطه في سخطها، وهذه المسألة كثيراً ما يتعرَّض لها الشاب في أوَّل شبابه؛ لأنَّه يرى نفسه قد اكتمل ولا أحد يفيدُه في أيِّ رأيٍّ، ويرى أنَّ أبويه متخلِّفان لم يطلِّعا على العالم الحديث، لم يطلِّعا على عصر الأنترنت، لم يطلِّعا على الفنِّ الغربي وعلى اللباس الغربي، فيعتبرون كلام الأبوين لغواً، وهذه هي الفادحة الكبرى، فعليكم ببرِّ الوالدين والطاعة لهما حَيِّين كانا أو مَيِّتين؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بذلك في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣) فإنَّ أوَّل درجة مطلوبة من الإنسان هي توحيد الله وعبادته، ثُمَّ الإحسان للوالدين.

يجب أن لا تتضايق من الأبِّ والأمِّ إذا صارا شيخين كبيرين، تذكَّر حينما كُنت طفلاً

(١) نفي نهج بلاغة، ج ٢، ص ٦: «العامل بعير عم كالسائر على غير طريق. فإمَّ يزيد بعدد عن الطريق

إلا بعداً من حاجته». وفي المحاسن، ج ١، ص ١٦٨، ج ٢٦٤، عن الإمام الصادق (عليه السلام): «نعمال على غير

بصورة كالسائر على غير طريق. لا يزيد سرعة السير إلا بعداً». ومثله في ظاهري، ج ١، ص ٣٠٢، ج ١.

(٢) شعر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «ركعتان من صلاة أفضل من مائة ركعة من غير صلاة» كنز

العلم، ج ١، ص ١٢٥، ج ٢٨٧٨، وفي رسائل الشهيد الثاني، ص ١٠٧، قال: «وهذا قيل. وركعتان من

صلاة أفضل من عبادة سنة من جهل». والأحاديث في هذا المجال كثيرة.

(٣) الإسراء: ٢٣.

وهما يخدمانك بكل أنواع الخدمة، ويتمنيان بقاءك، انظروا إلى الإسلام كيف يربط الأسرة الواحدة برباط المودة، برباط التحاب، إن كان لأحد حق على الولد بعد الله عز وجل فهو للوالدين، وإن كان الله عز وجل هو خالق الولد فإن الأبوين هما مظهر ذلك الخلق.

رُوي عن عمار بن حيان قال: خبرت أبا عبد الله عليه السلام ببر إسماعيل ابني بي، فقال: «لقد كنتُ أحبه وقد ازددت له حباً، إن رسول الله ﷺ أخته أُختٌ له من الرضاعة، فلما نظر إليها سرَّ بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها، ثم أقبل يُحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت فذهبت، وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها، فقليل له: يا رسول الله، صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟! فقال: لأنها كانت أبرّ بوالديها منه»^(١)، فالطاعة الطاعة للوالدين في الدنيا، وبرَّهما فيها، وكذلك برَّهما وهما ميتين بعدة أمور، منها:

١ - أن يُصلي صلاة برّ الوالدين، وهي: ركعتان، يقول في الأولى بعد الحمد عشر مرّات: (رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)، وفي الثانية بعد الحمد عشر مرّات: (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات)، ويقول بعد التسليم والانتهاء من صلاته: (رب أرحمهما كما ربّيتني صغيراً) عشر مرات^(٢).

٢ - أن يتصدّق عنهما.

٣ - أن يقضي ما فاتهما من صلاة وصيام وحج إن تمكّن.

٤ - أن يقضي ما عليهما من ديون.

٥ - أن يزور المراقدة الشريفة عنهما، ويدعو لهما في تلك المراقدة والمشاهد الشريفة، وفي

صلاة الليل، وصلاة الجمعة.

(١) الكافي: ٢، ص ١٠١، ج ١؛ وسائل الشيعة: ٢١، ص ٥٥٨ - ٥٥٩، ج ٢؛ بحار الأنوار: ٢٤، ص ٢٠٧، ج ١١، ص ١٠١.

(٢) مكارم الاخلاق: ٣٢٥، بحار الأنوار: ٥٨، ص ٢٢١، ص ٢٢١، مستدرک الوسائل: ٦٤، ص ٢٤٨، ج ٦، ص ٢٤٨، مكارم الاخلاق: ٥٨، ص ٢٢١، في الركعة الأولى (ربّ)، سكن جاد، في المصدر كما أنبتهم. مصابيح الجنس (الياقات، مصالحات)، ص ٧٦٨.

فإنَّ عَمَلْ ذلك فقد فتح على نفسه أبواب الرَّحمة والسعادة في الدارين، وخُتِمت أعماله بحُسن العاقبة إن شاء الله تعالى، وذلك غاية الغايات.

ثُمَّ إنَّ ما تقدّم من الكلام في بَرِّ الوالدين بصورةٍ عامّة، ولكن هُنَاك خصوصية للأُمّ، فعن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «جاء رَجُلٌ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، مَنْ أَبْرُ؟ قال: أُمُّكَ. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أباك»^(١). ثلاث مرات يكرّر النبي صلى الله عليه وآله البرّ بالوالدة؛ لأنَّ الأُمّ هي التي حملتك وربّتك، وجاعت وأشبعتك، وسهرت من أجلك الليالي والأيام، قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾^(٣)، وهذه اللّيلة هي ليلة شاب من الشّباب المتفكّه في الدّين، الَّذي يلزم على الشّباب أن يقتدوا به، فلقد كان عارفاً بأحكام الدّين، وباراً بوالدته وكيف لا؟! فهو تربّى في حضن الإسلام، ورضع من ثدي الإيمان، فهكذا كان. ولو فكّر الإنسان إلى ما لاقاه القاسم يوم كربلاء لعرّف بسألته وشجاعته تجاه العدو، لما حمل على القوم وجعل يضربهم بسيفه، فهذه أفعاله يوم الطفّ، وأمّا أقواله فتبهر العقول؛ وذلك لما ارتجز وهو في الميدان غايته أن يعرفهم نفسه، بل مُفْتخِراً بقوله:

إن تنكروني فأنا نجلّ الحُسن سبّطُ النبيّ المُجتبى والمؤمّن
هذا حسينٌ كالأسير المُرتهن بين أناسٍ لا سقوا صوب المَزْن

وكانت هِمَّتُهُ أن يقتل حامل رايةَ عُمَر بن سعد، فبينما هو يُقاتل إذ انقطع شسع نعله اليُسرى فوقف ليشدّها، فقال عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي: والله، لأشدنّ عليه وأأكلنّ به أُمّه. فقال له حميد بن مسلم: وما تريد بذلك؟ والله، لو ضربني ما بسطتُ يدي،

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠١. ج ٩، ص ١٠١. بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٠١. ج ١٠، ص ١٠١. ج ١٠، ص ١٠١.

ج ١٠، ص ١٠١. بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٠١. ج ٩، ص ١٠١. ج ١٠، ص ١٠١.

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) الأحقاف: ١٤.

يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانبٍ. قال: والله، لأفعلنَّ. فشدَّ على الغلام فما ولَّى حتَّى ضربَ الغلام بالسِّيفِ على رأسه، فوقع القاسم لوجهه وصاح: أدركني يا عمّاه، فأتاه الحسينُ وإذا بالغلام يفحص بيديه ورجليه، فقال: «عزَّ والله على عمِّك أن تدعوه فلا يُجيبك، أو يُجيبك فلا يُعينك، أو يُعينك فلا يُعني عنك، بُعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدُّك وأبوك، هذا يوم والله كثر واتره وقلَّ ناصرُه»^(١).

(نصاري)

يريت السيف غلبك حز وريدي	بچه وناداه يا جاسم اشيدي
او على اخيمي يعمي الكوم تفتري	هان الكم تخلوني او حيدي
يجاسم ما تراويني اجر وحك	يعمي اشگالت من الطبر روك
ابگلب مثل الغضا وبدمع محمر	لون ابگه يعمي چنت انوحك
اوكل اکتار جسمه مجرّحه اجروح	گعد عنده او شافه ادموعه اتفوح
مات او ظل أبو اسكينة امير	وهو يرفس ايعالج نزعت الروح

ثمَّ حمله على صدره ورجلاه يخطّان في الأرض، حتَّى جاء به إلى المخيم، ووضعهُ إلى جنب ولده عليٍّ الأكبر، وهو يقول: يا ابن أخي، أنت الوديعَة.

(دكسن)

وگعد عدّهم يويلي وهُم موته	جابه ومدده ما بين اخوته
إجت رمله تصيح الله وأكبر	بسما سمعن النسوان صوته

كأنِّي بالحسين عليه السلام لما جاء بالقاسم إلى الخيمة التي فيها عليُّ الأكبر وطرحه إلى جنبه،

(١) انظر: مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبو مخنف)، ص ١٦٠، عنه مقاتل الطالبين، ص ١٥٠، ص ١٤٠، أخبار: ٢، ص ١٦٢ - ١٥١، الإضراب: ٢، ص ١١٧ - ١١٤، مشير الأخبار: ١، ص ٤٠، بحار الأنوار: ٢، ص ٣٠ - ٣١.

جعل ينظر إلى وجه الأكبر تارةً، وإلى وجه القاسم تارةً أخرى، وهو يكفّف دُموعَه
بُكْمَه، وكانت أُمُّ الأكبر وأُمُّ القاسم تنتظران خروجه؛ لأنّهما لا تستطيعان أمامَ الحسين عليه السلام
أن يندبن ولديهما وهو حاضر، لذلك جئن إلى زينب وطلبن منها أن تذهب وتطلب من
الحسين عليه السلام أن يفسح هُنَّ المجال؛ ليقضين وطراً من البكاء على الشباب، كَأَنِّي بها عليه السلام
جاءت إلى الحسين عليه السلام قائلةً: أخي أبا عبد الله، ساعدك الله على هذه المصيبة، أبا عبد الله
هذه أُمُّ القاسم وأُمُّ عليِّ الأكبر يُردن الدخول للبكاء على قتلاهُنَّ، وهُنَّ يستحين منك،
فقال الحسين عليه السلام: إِنَّ المصيبة والرزء أكبر فليأتين وليندبن قتلاهُنَّ، عند ذلك إلتفتت
الخوراء زينب وصاحت يا ليلي، يا رملة، هَلُمْنَ للبكاء والعويل، جئن فدخلن عليها بعد
ما خرج الحسين عليه السلام من الخيمة:

(نصّاري)

طبن من طلع من خيمته احسين	او ماتدري الصايح كبر منين
حگهن لو بچن ويهلن العين	كل منهن وليها اموز عينه
رمله اتصيح يوليدي يجاسم	عمت عيني على التربان نايم
تردي من الحرب ظنيت سالم	اولن جسمك ابدمه اخضينه
ولكبريمه ليله اتصيح بيني	دحاجيني ترى امصابك كتلني
ما تسمع يبعد الروح وني	أظن النفس گلبك گاطعينه
شباب اثنين ما وصلوا العشرين	اوكل واحد امن أمه طره البين
ليه اتصيح اجتنه كربله امنين	عسن للطف يرمله لا لفينه ^(١)

(١) مجلس مصنف أمن البيت عليه السلام: ج ١، ص ٣٣٥، ٣٣٦.

ولسان حال أمّه:

يمني العتب وياك شيفيد
يا مُهجتي يا فرد يا حيد
يانور عيني افرّاكك ابعيد
يمني امن ابنها الوالدة تريد

ماذا تريد كآني بها تحبُّ قائلةً:

(أبوزية)

ردتك ماردت دنيا ولا مال
يحاسم خابت اظنوني ولا مال
تحضرني لو وگع حملي ولا مال
عند الضيغ يمني إكطعت بيه

(تخميس)

رزء تكاد السّما تهوى لمصرعه
والبدر كُور لم يظهر بمطلعه
وجبرئيل شجاً يذري لأدمعه
إن ييكه عمّه حُزناً لمصرعه

فما بكى قمرٌ إلا على قمرٍ

الحاضرة الثامنة عشرة

حوت الألب



يَا نَيْرًا فِيهِ تُجْلَى ظُلْمَةُ الْغَسَقِ
يَا بَنَ الْحُسَيْنِ الَّذِي تُرْجَى شِفَاعَتُهُ
أَشْبَهَتْ فَاطِمَةُ عُمَرًا وَحِيدَةً
لَوْ أَنَّ جُنْدَ الْقُضَا فِي الْحَرْبِ حَارَبَهُ
مَا صَالَ إِلَّا وَجِيشَ الْكُفْرِ مَزَقَهُ
بِهَمَّةٍ أَبَدًا مَا ارْتَاعَ صَاحِبُهَا
لَهْفِي عَلَيْهِ وَحِيدًا أَحْدَقْتُ زُمُرُ
نَادَى عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا أَبَتَا
نَادَى عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا الْعَفَا وَغَدَا
مِنْ بَعْدِكَ اسْوَدَّ وَجْهُ الْأَفُقِ فِي بَصْرِي
قَدْ غَالَهُ الْحَسَفُ حَتَّى انْقَضَّ مِنْ أَفُقٍ
وَشَبَّهَ أَحْمَدَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
شَجَاعَةً وَرَسُولَ اللَّهِ فِي نُطُقٍ
لَفَرَّ مِنْهُزِمًا مِنْهُ عَلَى فَرَقٍ
يَوْمَ الْكُرْبَةِ فِي صِمَصَامِهِ الْحَنَقِ
يَلْقَى الْمَنِيَابِلَ طَائِشٍ وَلَا قَلَقِ
الْأَعْدَاءُ بِهِ كِبْيَاضِ الْعَيْنِ بِالْحَدَقِ
فَجَاءَ يَعْدُو فَأَلْفَاهُ عَلَى رَمَقٍ
مُكَفَكِفًا دَمَعَهُ الْمَزُوجَ بِالْعَلَقِ
يَا نَيْرًا فِيهِ تُجْلَى ظُلْمَةُ الْغَسَقِ^(١)

(بحراني)

من وگع شبه المصطفى فوق الوطية
ناده ابرفيع الصوت بويه الحگ عليه
صوته وصل لحسين وحسين اعتناله
امن الخيم والمدمع دمه من العين ساله
اويمه وگف لكن فلا ينوصف حاله
حين الوصل يمه او عاينله رميه
دنگ او شمه او ظل يحل درعه او طاسه
او يجذب الوته اعليه وينادي بحماسه

(١) تصدیه اسبب صاحب الحقی علیہ. قدمت ترجمته فی المحاضرة الدائرة من هذا الكتاب، هو جيد.

تهدم بيويه اليوم بنياني امن اساسه
اوشملي تفرگ والصواب اليك ييه

(نصاري)

بيويه لا تفت روحك عليه فدوه اتروح إلك كل البرية
بيويه الساع جدي بين ادييه سگاني عذب ماي الكوثر الزين

في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «وَحَقُّ أَبِيكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ،
وَأَنَّهُ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ، فَهَمَّا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مَا يُعْجِبُكَ فاعلم: أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعَةِ عَلَيْكَ
فِيهِ، فَاحْمِدِ اللَّهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

لقد خلق الله تبارك وتعالى الخلق، وسنّ لهم الأحكام والسُنن، وجعل بينهم الروابط
والأواصر والحقوق؛ ليتسنى لهم العيش الرّغيد، والحياة الكريمة، والتي لولا توفر هذين
العنصرين فيها لأصبحت جحيماً، ولصارت هي والموت على حدّ سواء، بل يكون الموت
سعادة أحياناً، كما جاء على لسان سيّد الشهداء عليه السلام: «فإني لا أرى الموت إلا سعادةً والحياة
مع الظّالمين إلا بمرماً»^(٢)، وما جعل هذه الحياة بهذا الشكل إلا خلّوها من النّاس الطّيبين
الذين يحترمون حقوق الآخرين.

(١) الحاصل: ص ١٠٤، تحف انبغول: ص ٢٠٣، أمالي السيح الصدوق: ص ١٠٣، من لا يحضره الفقيه:
ج ٢، ص ٦٢٩، ج ٣، ص ٣٢١، روضة الواعظين: ص ٣٠٧، وسائل الشيعه: ج ١٥، ص ١٣٥، بحار الأنوار:
ج ٦، ص ٦، ج ١، ص الحاصل.

(٢) السهوف في قتلى الطفوف: ص ١٠٠، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٥، منير الأخوان: ص ٣٢،
مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٦٢، المعجم الكبير: ج ٢، ص ١١٥، نزهة الناصر وتبتيه الحاضر: ص ٨٠،
تاريخ مدينة دمشق: ج ١٠، ص ٢١٨، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ١٢، كشف القفا: ج ٢، ص ٢١٢، بحار
الأنوار: ج ١٠، ص ١٦٢.

وبما أنّ المجتمع الإنساني ليس إلا عبارة عن مجموعة من الأفراد تُسمّى كُلُّ حلقة من هذه المجاميع بالأسرة، شرّع الله تبارك وتعالى الحقوق بين أفراد الأسرة الواحدة والمتمثلة بالأبوين والأولاد، والتي بدورها تحفظ لنا العائلة الواحدة وبالتالي سوف نحفظ مجتمعاً كاملاً. هذه التعاليم القيّمة وصلت لنا عن طريق القرآن الكريم والسنة المطهّرة، وبهذين الثقلين العظيمين أصبحنا على اطلاع كاملٍ على المنهج الحقيقي لحفظ قوام هذه الأسرة. فجاءت الآيات والروايات تترأ، ففاز قوم باتّباعها، وخسر آخرون بهجرانها.

ومن هذه الحقوق التي وصلت إلينا من السنة المطهرة وثيقة هي أعظم لائحة حقوق وأجمعها، ألا وهي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين وسيد الساجدين (عليه السلام)، والتي ذكر فيها العشرات من الحقوق، التي تصلح أن تكون دستوراً للعالم بأسره. اخترت في هذا المحاضرة المقطع المتعلّق بحقّ الآباء على الأبناء لمناسبته لهذه الليلة العظيمة.

حقوق الآباء على الأبناء

إنّ الله تبارك وتعالى جعل لنا الأسباب حتّى نوجد بعد أن كنّا معدومين، وأقرب تلك الأسباب الملموسة الأبوان، ولكلّ واحدٍ منهما حقوق وواجبات أشار لها القرآن الكريم والسنة المطهّرة، وقد حصّ لنا الإمام زين العابدين (عليه السلام) هذه الحقوق، ونحن نتناول الحقّ المتعلّق بالآباء الذي يجب على الأبناء الوفاء به والالتزام بحدّه، حيث قال الإمام (عليه السلام): «وحقّ أهلك أن تعلم أنّه أصلك» وهذه الكلمة المختصرة غاية في الروعة والجمال؛ إذ ما من شيء يصيبك من الخير إلّا والأصل فيه أبوك؛ لأنّه أوجدك، فلا بدّ أن تستشعر دائماً هذا المعنى، وتفتخر به كما كانت العرب يفتخرون بأبائهم في أسواقهم وفي موسم الحجّ؛ حتّى قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ أو أشدّ ذكرًا^(١).

(١) البقرة: ٢١٠.

فالولد بضعة من أبيه يرث بعض صفاته وطباعه وشماله، من جسدية ونفسية وعقلية، فالأب هو الأصل، والأبناء هم الفرع لذلك الأصل، فلا بد من حفظ ذلك له وتقدير تلك الآهات والحسرات التي قضاها الأب في سبيل أبنائه والتي جعلت إمامنا زين العابدين عليه السلام أيضاً يقول في دعائه في الصحيفة السجادية: «اللهم اجعلني أهابها هبة السلطان العسوف، وأبرهما بر الأم الرؤوف، واجعل طاعتي لوالدي وبري بهما أقر لعيني من رقة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمان»^(١).

ولما كان الأبناء فرعاً لذلك الأصل قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لذلك الولد الممتنع عن النفقة من ماله على أبيه: «أنت ومالك لأبيك»^(٢)، ولم يقبل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أي عملية التواء أو امتناع عن تأديته الحق لأبيه.

ولأنقل لكم هذه القصة التي يُعرف منها كل تلك المعاني.

روى العلامة المجلسي رحمته الله في البحار: «إنّ شيخاً كبيراً جاء بابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والشيخ يبكي ويقول: يا رسول الله، ابني هذا غدوته صغيراً، وربته طفلاً عزيزاً، وأعتته بمالي كثيراً حتى اشتدّ أزره، وقوي ظهره، وكثر ماله، وفنيت قوتي وذهب مالي عليه، وصرت من الضعف إلى ما ترى، فلا يواسيني بالقوت المُمسك لرمقي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للشاب: ماذا تقول؟ قال: يا رسول الله، لا فضل معي عن قوتي وقوت عيالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للوالد: ما تقول؟ فقال: يا رسول الله، إنّ له أنابير^(٣) حنطة وشعير وتمر وزبيب،

(١) الصحيفة السجادية، ص ١٢٦. دعائه عليه السلام ذبيبه دعاء رقم ٢٠: «المصباح (الظنبي)» ص ١٠٢.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ١٢٥. عطل السرائر، ج ٢، ص ٥٢. ميزان أخبار سلفنا، ج ١، ص ٣٠. معاني الأخبار، ص ٢٥. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ١٦٠. ج ٢، ص ٢٠٤. لا تنجسوا، ج ٣، ص ٩. ج ١، ص ٢. تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٣٠٣. ج ٩٢. و ج ٩٦. مسائل سنية، ج ٥، ص ٢٠٢. ج ١، ص ٢. ج ٢١، ص ٢٥٠. ج ٥٠. بحار الأنوار، ج ٧، ص ٢٢. ج ١٦. عس الكافي. والحديث مستفيض في كتب العمدة ومعارف.

(٣) الأنابير: جمع (الأنبر) بيت الناجر الذي يفض فيه الفلاح والناظر. (حاشية المصدر)

وبدر^(١) الدرهم والدنانير وهو غني. فقال رسول الله لابن: ما تقول؟ قال الابن: يا رسول الله، ما لي شيء مما قال. فقال رسول الله ﷺ: اتق الله يا فتى، وأحسن إلى والدك المحسن إليك. قال: لا شيء لي. قال رسول الله: فنحن نعطيه عنك في هذا الشهر، فأعطه أنت فيما بعد، وقال لأسامة: أعط الشيخ مائة درهم نفقة لشهره لنفسه ولعياله. ففعل، فلما كان رأس الشهر جاء الشيخ والگلام، وقال الغلام: لا شيء لي. فقال رسول الله: لك مال كثير، ولكنك اليوم تُمسي وأنت فقير، وتصير أفقر من أبك هذا لا شيء لك. فانصرف الشاب فإذا جيران أنابيره قد اجتمعوا عليه يقولون: حوّل هذه الأنابير عنا، فجاء إلى أنابيره وإذا الخنطة والشعير والتمر والزبيب قد نتن جميعه، وفسد وهلك، وأخذوه بتحويل ذلك عن جوارهم، واكتراء أجراء بأموال كثيرة، فحوّلوه وأخرجوه بعيداً عن المدينة، ثم ذهب يخرج إليهم كراءً من أكياسه التي فيها دراهمه ودنانيره، فإذا هي قد طمست ومسخت حجارة، وأخذ الحمالون يطالبون بالأجرة، فباع ما كان له من كسوة وفرش ودارٍ وأعطاهم الكراء، وخرج من ذلك كله، صفرًا ثم بقي فقيرًا وقيرًا^(٢) لا يهتدي إلى قوت يومه، فسقم لذلك جسده وقضى، فقال رسول الله ﷺ: يا أيها العاقون للآباء والأمهات اعتبروا واعلموا أنه كما طمس في الدنيا على أمواله، فكذلك جعل بدل ما كان أعد له في الجنة من الدرجات مُعداً له في النار من الدركات...»^(٣).

فمن هنا وجب على الولد نحو أبيه وأمه أمور أربعة^(٤): (الحُب، الشُّكر، الطَّاعة،

الاحترام)

(١) نذكر: جمع البذرة تكس الخوضوبة فيه اندرهم رندابير. نخبه غظيفة من المال. (حاشية

المصدر)

(٢) الفقير: نذير الهلاك. انظر: تاريخ بغداد: ج ٧، ص ٥٠.

(٣) تفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ج ٢، ص ٢٠٨. بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٠٢.

(٤) شرح رسالة الحقيق السيد حسن القباچي (عليه السلام): ج ١، ص ٥١ - ٥٢.

١- أمّا الحبّ: فعاطفة فطريّة أوجدتها القدرة الربانيّة في قلب الولد، وكلّمّا نما الولد ازداد إدراكه وشعوره بالمحبّة، وإن كانت لا تصل إلى الحدّ الذي عليه الوالدان - وبالخصوص الأمّ - ومن هنا نعرف اهتمام القرآن الكريم والسّنّة المطهّرة بعدم عقوق الوالدين، والحبّ لهما حتّى قرّنا بالتوحيد وعدم الشّرك، ولم يأت في القرآن الكريم ذلك الحثّ من الأبوين تجاه الأولاد لكون فطرة حبّ الآباء للأبناء قويّة إلى درجة لا يحتاجون إلى توصية بهذه المثابة، كما روي ذلك في قصّة الشابّ الذي كان يلي من والديه ما يليان منه عند الصّغر من الفضلات، فإنّ النبيّ الأعظم ﷺ بيّن للشابّ أنّ الفرق هو: «أنّهما كانا يليان منك ذلك وهما يُحبّان بقاءك، وأنت تفعل ذلك ولا تُحبّ بقاءهما»^(١)، فالفطرة كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة، بخلاف الولد فإنّه بحاجة إلى الوصيّة المتكرّرة.

٢- وأمّا الشّكر لهما: أي للوالدين، فيجب أن لا يحده حدّ، ولا يُحصيه عدّ؛ لأنّهما سبب الولد في الحياة الدنيا، وهما اللذان ربّياه وأحبّاه حبّاً جمّاً، واشتغلا من أجله، وكابدا الآلام في سبيل راحته، وسهرا على حياته، وأقلّ ثمن لذلك الشّكر، وعليه أن يقرن هذا الشّكر بالعمل لنفعهما، وتخفيف أعباء الحياة عنهما، فهو عدتهما في الحياة، وفلذة كبدهما، وموضع هنائهما، ومحلّ عنايتهما.

٣- وأمّا الطّاعة لهما: أي للوالدين، فهي دليل على إخلاص الولد وحبّه، فواجب عليه أن يطيعهما، وأن يخلص لهما في السرّ والعلانية، وأن يعمل بنصائحهما، وأن يعتقد كلّ الاعتقاد أنّ الفوز والنجاح في امتثال أوامرهما، والخيبة والخسران في مخالفتها؛ لأنّها أعرف منه بالنفع والضّرر، وأكثر خبرة منه بأمر الدنيا، ولا يهملها إلّا نفعه وراحته وسعادته.

٤- وأمّا احترامه لهما: فيكون برعاية الأدب نحوهما في قوله وفعله، فلا يعاملهما مُعاملة الأنداد، بل معاملة الصّغير للكبير، حتّى إذا بلغا من الكبر عتياً وجب عليه احتمال

(١) أنظر: تفسير مشيبي: ج ٦، ص ٩٣. تفسير البضايني: ج ٣، ص ١٠٠.

ما يبدو منهما، مهما كان مخالفاً للعقل، والصّبر مع التلطّف في إرشادهما إلى جادة الحقّ والصّواب^(١).

فإذا قام بهذه الأمور الأربعة وأرضاها صارت دعوتها له لا عليه، فاستجاب الله لهما، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثلاث دَعَوَات لا يُجِبْنَ عن الله تعالى: دُعاء الوالد لولده إذا برّه، ودعوته عليه إذا عقه، ودُعاء المظلوم على ظالمه...»^(٢).

لذا رجع عليّ الأكبر عليه السلام في المرّة الأولى بدُعاء أمّه ليلي وهو يحمل رأس بكر بن غانم، وقد أسرّ والديه وقد دعا له أبوه الحسين عليه السلام. ولم يكن دعاء للعودة والسّلامة بل دعاء لهلاك الأعداء، وذلك عندما رجع عليّ الأكبر من الميدان وهو يقول: أبتاه العطش قتلني، وثقل الحديد أهضني، هل من شربة من الماء أتقوى بها على قتال الأعداء، عندها ذرفت عينا الحسين بالدموع، وقال له: بُني عليّ أنا أيضاً مثلك عطشان، بُنيّ اصبر وارجع إلى الميدان: آه:

يصيح بصوت فت غلبي وشعبي	يوي غوم لي العطش ضرني
يويه درعي وطاسي بهظني	يويه اونشف ارياكي من الحرّ
يويه شربة أميّة لجبدي	اتگوى واراد للميدان وحدي
يويه فطر غلبي وحگ جدّي	العطش والشّمس والميدان والحرّ
يگلّه امنين أجيب الماي ييني	مهو حچيك بهض حيلي اوشعبي
اوفت روعي اوحمس چبدي وسلبي	يويه استخلف الله العمر واصبر

(١) شرح رسالة التحقيق لشيخ حسن القبايجي عليه السلام: ج ١ ص ٥٦٥، ٥٦٧.

(٢) نهالي شيخ الطوسي: ص ٢٨٠، ج ٢، كفاية الداعي: ص ١٢١، وسائل السّيعة: ج ٧ ص ١٢، ج ٦، عن الأميني: بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٥٩، ج ٥٩، وص: ج ٢٦، ج ٢٤، ج ٢٣، ج ٢٢، ج ٢١، ج ٢٠، ج ١٩، ج ١٨، ج ١٧، ج ١٦، ج ١٥، ج ١٤، ج ١٣، ج ١٢، ج ١١، ج ١٠، ج ٩، ج ٨، ج ٧، ج ٦، ج ٥، ج ٤، ج ٣، ج ٢، ج ١، ج ٠.

يغله والدمع يجري امن العين	ييعدي اوبعد كل الناس يحسين
تكلي اصبر وصار الغلب نصين	اشلون أصبر ييوي والصبر مُرّ
حن احسين ويلى اوسال دمعہ	حنا ظهره ييوي وكسر ضلعه
دار ايده على اطواگه يودّعه	يشمّه والعيون تسيل محمر

ثُمَّ إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَظَرَ لَوْلَدِهِ عَلِيِّ الْأَكْبَرِ نَظَرَ آيِسٍ، وَأَرَخَى عَيْنَيْهِ بِالْدمُوعِ، وَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ؛ لَثَلَا يَرَاهُ الْعَدُوّ فِشَمَتَ بِهِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْإِمَامَ قَالَ لَهُ: وَلَدِي عَلِيٌّ، إِلَيَّ إِلَيَّ أودّعكَ وتودّعني، وَأَشْمُكَ وَتَشْمَنِي، فَاعْتَنَقَ الْحُسَيْنُ وَلَدَهُ وَجَعَلَ يَبْكِيَانِ حَتَّى وَقَعَا عَلَى الْأَرْضِ.

أويلى من تلاگو عند الوداع	امشابگ طول لمن هوو للگاع
لاع ابنه لأبيه والأبولا ع	على اوليده يويلى اوداع الأكشر
يشمّ حسين خد ابنه اويجبه	اودمعه مثل دمع ابنه يصبه
النار الي بگلب ابنه ابگلبه	يخفيها على ابنه ونوب تظهر
يگله والدمع بالعين دفاگ	ابعره امكسرّه وابگلب خفاگ
ييويه اوداعة الله هذا الفراگ	ييويه اشبديه هذا المگدر
تحسّر ويل گلبى وجذب ونّه	اومن الماي آه انگطع ظنّه
عرف لن المنية دنت منه	خرّ دمعہ اوللميدان سدر
شبل احسين للميدان سدر	وخله الخيل بالهامات عشر

وَجَعَلَ يُقَاتِلُ حَتَّى قَتَلَ تَمَامَ الْمَائَتَيْنِ، قَالَ حَمِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: كُنْتُ وَاقِعًا وَبِجَنبِي مَرَّةً بَنَ مُنْقَذَ (العبدى)، وَعَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ يَشُدُّ عَلَى الْقَوْمِ مِيمَنَةً وَمِيسِرَةً فِيهِزْمُهُمْ، فَقَالَ مَرَّةً: عَلِيٌّ آثَامُ الْعَرَبِ إِنْ مَرَّ بِهَذَا الْغَلَامِ وَلَمْ أَكُلْ بِهِ أَبَاهُ. فَلَمَّا مَرَّ وَهُوَ يَطْرُدُ كَتِيبَةً أَمَامَهُ، فَطَعَنَهُ

بُرمحه فانقلب على قبروس فرسه، فحمله إلى مُعسكر الأعداء، وكانت الفرس من خيل
جِياد رسول الله ﷺ، إِلَّا أَنَّ وقوعَ الدم على عينها جعلها تسير بلا دراية نحو الأعداء.
أويلي:

عكب ما شرَّك الهامات والطاس اجتّه ضربة العبدى على الراس
ضعف واردهه بسيوفها النَّاس شبك على المهر ويلي والمهر فرّ
وكان كلّ ظنّ عليّ الأكبر أنّ الجواد سار به نحو معسكر والده الحسين عليه السلام:

شبك على المهر لبّاله يوديه لبوه احسين عن الكوم يحميه
أويلي المهر للعدوان فرّيه أوجب آه بموسّط العسكر
داروا بالسّيوف عليه والزان مثل چتال سبع المات فرحان
عسى ابعيد البله وليته العدوان ارذال اوبالمعايب دوم تفخر
هذا يقطع بسيفه وريده او هذا بالخناجر فصل ايده
وهذا يغط من رمحه الحديدية ابخاصرته وهو ايعالج اويغفر

وعندما بلغت روحه التراقي نادى: أبه، عليك منّي السّلام، هذا جدّي رسول الله قد
سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول لك: العجل العجل فإنّ لك
كأساً مذخورة.

نده يحسين هذا السّاع جدّي سگاني الماي وروه عطش چبدى
يگول اسرع تراك اليوم عندي اجاه ايصيح بيني الله وأکبر
تقول سكينه: لما سمع أبي صوت علي أخذ تارة يقوم وأخرى يجلس وهو يقول: وا
ولده، ثمّ انحدر إليه الحسين عليه السلام ومعه أهل بيته حتّى وقف عليه، رآه مُقطّعاً بالسيف إرباً
إرباً، آه:

گعد عنده او شافه مغمّض العين ابدمه سابح امترّب الخدين
 متواصل طبر والراس نصّين حنا ظهره على ابنيه اوتحسّر
 ييويه گول منهو الشرگ راسك ينور العين من حمّد أنفاسك
 يعگلي من نهب درعك اوطاسك يروحي اشلون آشوفنك مطبر
 ييويه من عدل راسك ورجليك او من غمّض اعيونك وسبل ايديك
 ينور العين كل سيف الوصل ليك گطع گلبي اولعند احشاي سدر
 ييويه من سمع يّمك ونينك او من شبحت لعند الموت عينك
 (لثلاثين) ما وصلن سنينك او حاتفني عليك الدهر الاكشر
 أريد امسح اجر وحك وشمّ خدك و حط صدري على صدرك وأشمّك
 ييويه شوف لاجن حرم جدك وجت زينب تصيح الله وأكبر

قال أرباب المقاتل: ثمّ صاح الحسين: يا فتیان بني هاشم احملوا ولدي، والله لا طاقة لي
 على حمّله، فجأؤا وإليه وحملوه إلى المخيم والحسين ينادي: وا ولداه! بينما هم كذلك وإذا بعمّته
 زينب جاءت تنادي: يا حبيباه يا ثمرة فؤاده! فجاءت حتّى انكبّت عليه وهي تشمّه وتقبّله.

هوت فوگه تشمّ خدّه اوتحبّه وتطبگ طبرة الراس وتعصبه
 اوتفتح زيچ ثوبه اوتجس گلبه لگت دمّه امن أفاده يفور
 يويلي ولولت واحنت ظهرها تخمش اخدودها اوتنشر شعرها
 اوتدگ ابراسها اوتلطم صدرها اوتنعى ابصوت طرّ گلب الصخر طرّ^(١)

(١) الشعر الحسيني نقد من الملحة الحالة لصاريات الخبر، ص ١٦ - ١٧.

ثُمَّ جاءت أمُّه ليلي لتُساعد عمَّته زينب على البكاء، فرأته مُقطَّعاً بالسَّيُوف^(١) إرباً إرباً،
فنادت وا ولداه وا عليها! وكأني بها تنعاه:

فجيده يا علي يني فجيده بعيدة شوفتك صارت بعيدة
المد ايده عليك انشلت ايده شرابه لاهنه اولا طابله الزاد

(تخميس)

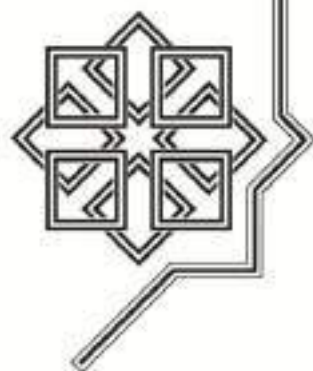
لمصابه اظلم الصَّباح وفجره ولفقده اغبرَّ النهار وعصره
والبدر بعد البدر كور نوره يا كوكباً ما كان أقصر عمره
وكذا تكون كواكبُ الأسحارِ

(١) انظر: «فلاح مثنى عليّ الأكبر (عليه السلام) في ثمرات الأعيان»: ج ١، ص ٢٢٩ - ٢٢٥. مجمع مصنفات أهل

البيت المقدس: ج ١، ص ٣٢٩. ص ٣٨٨. ابصار نفوس: ص ٢٦ - ٢٣.

الحاضنة التاسعة عشرة

حَقُّ الْوَلَدِ



بشبه المصطفى جاؤوا قتيلاً
وصاحت زينب الكبرى بصوتٍ
لليل أسرعي هذا عليّ
فمُذ سَمِعَتْ بمصرعه تحنّت
غدت تمشي وتعثّر وهي ثكلى
وجاءت تسحب الأذيال حُزناً
ووالدّه الحسينُ هوى عليه
يناديه وليس به حراكٌ
على الدُّنيا العفى يانورَ عيني

إلى خيم النساء فعلى العويلُ
ودمعٌ من محاجرها يسيلُ
شبيهُ المصطفى الهادي قتيلاً
أضالعتها وقد ذاب الغليلُ
عراها من مُصيّتها الذُّهولُ
وحولٌ وحيدها أخذت تجولُ
وقد أدمت محاسنه النصولُ
بُنَيَّ اليومَ فارقنا الرسولُ
وبعدك غير هذا لا أقول^(١)

(نصاري)

گعد عنده وشافه امغمض العين
متواصل طبر والراس نصين
يويه گول منهو الشرگ راسك
يعگلي من نهب درعك اوطاسك
يويه گول منهو الوصل يَمَك
لثلاثين ما وصلن سنينك
أريد أمسح اجروحك وشمّ خدك
يويه شوف لاجن حرم جدك

ابدمه سابح امترّب الخدين
حنه ظهره على ابنيه وتحسّر
ينور العين من خمد أنفاسك
يروحي اشلون أشوفنك مطبر
من شبحت لعند الموت عينك
اوحاتفني عليك الدهر الأكشر
وحط صدري على صدرك ووسدك
وجت زينب تصيح الله وأكبر

(١) هذه القصبة لأستاذنا الحبيب الشيخ محمد سعيد اسمعيلي رحمه الله ذكرها في كتاب سيرات أمير:

ص ٢١١. وقد تمت ترجمته في المحاضرة الرابعة من هذا الكتاب، مرجع.

(أبودية)

كَظُوا كُومِي وَعِمَامِي إِزْغَارَ وَكِبَارِ وَكَمْتَ أَهْلَ وَأَصِيحَ اللَّهِ وَأَكْبَرِ
لَا عَبَّاسَ ظَلَّ بِالْحَيِّمِ وَأَكْبَرِ وَلَا قَاسِمَ يَرْدُ صَوْتِي عَلَيَّ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من حقِّ الولد على والده ثلاثة: يُحْسِنُ اسمه ويُعَلِّمَهُ الكتابة، ويُزَوِّجُه إذا بلغ»^(١).

الله تبارك وتعالى عندما خلق الخلق أوجب عليهم حقوقاً، وفرض لهم حقوقاً، فعندما نتحدث عن برِّ الوالدين ولا بُدَّ للولد أن يبرَّ أبويه حيَّين أو ميِّتين، وفي بعض الروايات مُسلمين أو كافرين^(٢)، وليس معنى هذا أنَّ الولد ليس له حقٌّ على والديه، بل إنَّ الله تبارك وتعالى كما أوجب حقَّ الوالدين على الأولاد كذلك أوجب حقَّ الأولاد على الوالدين، وأوصى كُلَّ واحدٍ منهما بالآخر رحمةً منه وحكمةً، إذ قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٣) وغيرها من الآيات الشريفة، وأكد الرسول ﷺ في أكثر من حديث على مسألة التوَادد من قِبَل الأبوين بحقِّ الولد، إذ قال ﷺ: «ريحُ الولد من ريح الجنة»^(٤)، أو «إذا نظر الوالدُ إلى ولده فسره كان للوالدِ عِتق نسمة»^(٥).

(١) مكارم الأخلاق، ص ٢٢٠، الجامع الصغير، ج ١، ص ٣٨٨، ج ٢: ٢٥٦ (مع تسمية وتأخير)، ومعه في كسر انفصال، ج ١، ص ٥٧، ج ٢: ٥٥٦، روضة الواعظين، ص ٣٠٩، سهو رسائل السبعة، ج ٢١، ص ٥٢، ج ٩، بحار الأنوار، ج ١١، ص ٨، ر ج ١١، ص ٢٢، ج ١٩.

(٢) أنظر: الكافي، ج ٢، ص ١٠٠، ج ١١، رواية: بكريا بن ابويهم حيث أمره الإمام الصادق عليه السلام ببرِّ أبيه وأبيه وهما على دين النصرانية وهو قد نكح، فتدبر له كلامه عليه السلام: «فاظفر ثَمَلَك بِرِهَا...».

(٣) النساء: ١١.

(٤) روضة الواعظين، ص ٣٠٩، مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٠٠، المعجم الأوسط، ج ٦، ص ٨٢، معجم الصغير، ج ٢، ص ٢١، نظم درر السطور، ص ١٦٦، تذكرة الموضعيات، ص ١٦١، النكاح، ج ٦، ص ١٠٠.

(٥) روضة الواسطيين، ص ٣٠٩، مكارم الأخلاق (ابن أبي الدنيا)، ص ٢٠٠، ربيع (الجنة عتق نسمة) وأكثر مصنفات السنة هناك، وهو كما ترى، أنظر: مجمع الزوائد، ج ٨، ص ١٠٠، المعجم الأوسط، ج ٨، ص ٢٨٣، وغيره.

ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، بل إنّ بعض الروايات أكّدت على الاهتمام بالبنت أكثر من الولد؛ لأنّها ضعيفة، فقد رُوِيَ أَنَّ رجلاً ولد له جارية، فدخل على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فرآه متسخطاً، فقال له: «أرأيت لو أنّ الله أوحى إليك أن: أختار لك أو تختار لنفسك؟ ما كنت تقول؟» قال: كُنْتُ أَقُولُ: يَا رَبِّ تَخْتَارُ لِي، قال: «فإنّ الله عزّ وجلّ قد إختار لك»، ثُمَّ قال: «إِنَّ الْعُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْعَالَمُ الَّذِي كَانَ مَعَ مُوسَى عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَارْدُنَا أَنْ يَبْدُلَهُمْ خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾^(١) أَبْدَلَهُمَا اللهُ عزّ وجلّ بِهِ جَارِيَةً وَلَدَتْ سَبْعِينَ نَبِيًّا^(٢)»، بل إنّ وجود البنت في البيت حسنة، «البنات حسنات، والبنون نعمة، وإنّما يُثَاب على الحسنات ويُسأل عن النعمة» كما ورد هذا المعنى في أكثر من رواية^(٣). وأبسط الأمور التي تجلب التوادد بين الأب والابن هي القُبلة، فرسول الله ﷺ كان كثيرَ التقبيل لفاطمة والحسن والحسين عليه السلام^(٤)، والقرآن يصدع ويقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٥) أفلا نستنّ بسُنّةِ الرسول الأكرم ﷺ في هذه الأمور وما أبسطها على الإنسان.

في يومٍ من الأيام نظر أحد الصحابة إلى النبي ﷺ وهو يقبّل الحسن والحسين عليه السلام، فقال: إنّ لي عشرةً من الولد ما قبّلتُ أحداً منهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»^(٦) يعني القُبلة للولد رحمة، ترحم نفسك بها أيها الوالد وأيتها الوالدة.

من بعد هذا البيان نأتي إلى الحقوق التي تجب على الوالدين وبالأخصّ الأب لولده،

(١) التكملة: ٢١٦.

(٢) أنظر: الكافي: ج ٦، ص ٦٠١، ج ١١، تفسير العياشي: ص ٢٢، ج ١٠، وسائل الشيعه: ج ٢١، ص ٢٠٠، ج ٤، بحار الأنوار: ج ١٢، ص ٢١١، ج ٢، عن تفسير العياشي.

(٣) أنظر: مكافي: ج ٦، ص ٦٠١، ج ٤، تواتر لأعيان: ص ٢٠١، من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ١٠٠، ج ٤، ص ٢٠٢، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٤) فقد رُوِيَ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ النبي ﷺ كان يكثر من تقبيل فاطمة عليها السلام...» انظر: ج ٢٢٤، ص ٢٠٢، نظم مرقع السلفين: ص ١٢٧، أمالي فضيلة المصنفين: ص ٢٢٢، فمن حديث: ٢، «تقبيل الحسن والحسين عليه السلام».

(٥) الأحزاب: ٢١.

(٦) المجموع: ج ٤، ص ٢٢٩، روضة الجامعين: ص ٢٩، وفيه (يقبّل العن من علي)، رسائل شيعه: ج ٢١، ص ٢٠٢، ج ٤، بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٠٢، ج ٢٠٢.

فالحديث ذكر ثلاثة حقوق لأهليتها، وإلا فهي أكثر من ذلك.

الحق الأول: أن يُحَسِّنَ الوالد تسمية ولده، وهو حقٌ ليس صعباً، وفي نفس الوقت هو مُهمٌّ، عندنا في الروايات استحباب التسمية للحمل^(١)، يعني الإنسان عندما يكون عند زوجته حمل يُسمِّيه باسمِ حَسَنٍ كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «أَوَّلُ مَا يَبْرُ الرَّجُلُ وَلَدَهُ أَنْ يُسَمِّيَهُ بِاسْمِ حَسَنٍ، فَلْيُحَسِّنْ أَحَدُكُمْ اسْمَ وَلَدِهِ»^(٢).

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «استحسنوا أسماءكم، فإنكم تُدعون بها يومَ القيامة»^(٣). وأهمُّ وأجمل الأسماء هي أسماء مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ (صلوات الله عليهم أجمعين) فهي أصدق الأسماء، وأحلى الأسماء، وكما جاء في الزيارة الجامعة: «فما أحلى أسماءكم»^(٤) وأفضل الأسماء اسم (مُحَمَّد)؛ لأنَّ هذا الاسم هو اسمٌ لأشرف مخلوقٍ على الإطلاق، لا يُدانيه اسمٌ أبداً، حتَّى إنَّه ورد في الرواية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «مَنْ وَلَدَ لَهُ أَرْبَعَةَ أَوْلَادٍ لَمْ يُسَمِّ أَحَدَهُمْ بِاسْمِي فَقَدْ جَفَانِي»^(٥)، وغير هذا الاسم الشريف من الأسماء التي فيها عبودية، كعبد الله وغيرها كما جاء في الرواية الشريفة «لا يدخل الفقر بيتاً فيه إسمُ مُحَمَّدٍ أو أحمد أو عليٍّ، أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء»^(٦) وعلى الإنسان الشيعي الموالي لأهل البيت عليهم السلام أن يتجنَّبَ عن أسماء أعدائهم؛ لأنَّ التسمية

(١) النكاح: ج ٦، ص ١١٤، ج ٢، عن أمير المؤمنين عليه السلام «مَنْزِلُ الْوَلَدِ كَمَنْزِلِ أَبِي أَنْ يُؤَسِّمَهُ ... وَفِي سَمَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَحَسْبُ خَيْرٍ لِي يُولَدَ».

(٢) المصدر نفسه: ج ٦، ص ١١٤، ج ٢، التهذيب: ج ٧، ص ٢٧، ج ٩، وسائل الشيعية: ج ٢١، ص ٣٨٨، ص ٣٨٩، ج ١، عن نكاحي.

(٣) المصدر نفسه: ج ٦، ص ١١٤، فضل ج ١٠، وسائل الشيعية: ج ٢١، ص ٣٨٩، ج ٢، حاشية مداري: ص ٥٨، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ١٢١، ج ٢٩.

(٤) الاحتشور: ص ٢١٩، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٢، ص ٣٠٢، حاشية الجليل: ص ٢٤٠.

(٥) النكاح: ج ٦، ص ١١٤، ج ٢، التهذيب: ج ٧، ص ٢٨، ج ١٠، وسائل الشيعية: ج ٢١، ص ٣٨٩، ج ٢، ص ٣٩٠، ج ٥، وفيه ثلاث بصرى، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٢٩، ج ٨، عن نكاحي.

(٦) المصدر نفسه: ج ٦، ص ١١٤، ج ٨، تهذيب الأحكام: ج ١٧، ص ٢٩، ج ٨، عن نكاحي.

بأسماء أعداء أهل البيت تُفرّح الشيطان، كما جاء في الرواية الشريفة عن الإمام الباقر عليه السلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ مُنَادِيًا يُنَادِي يَا مُحَمَّدٌ، يَا عَلِيٌّ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ، حَتَّى إِذَا سَمِعَ مُنَادِيًا يُنَادِي بِاسْمِ عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَائِنَا اهْتَزَّ وَاخْتَالَ»^(١).

وفي الأثر أن امرأة - بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام - اشترت عبداً سمّته عبد الرحمن وكانت تُكثّر نداءه، فقيل لها في ذلك، فقالت: إِنِّي كُلَّمَا طَلَبْتُهُ تَذَكَّرْتُ قَاتِلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَفْرَحَ وَيَسْكُنُ مَا بِي مِنَ الْبُغْضِ وَالْحَنَقِ عَلَيْهِ^(٢).

الحقّ الثاني: وهو أن يُعلّمه الكتابة، وهذا أيضاً من الحقوق العظيمة جداً؛ لأنّ الكتابة تفتح الطّريق أمام هذا الطفل في المستقبل لاستقبال المعارف الإلهية والقرآن الكريم، وكم إنسانٍ حرّم من هذه النعمة الكبيرة، نعمة القراءة التي تفتح له الآفاق للتفاهم مع النّاس، وقد أكّد الله تبارك وتعالى على التعلّم والعلم في أكثر من آية، حتّى أنّه أقسم في القرآن بالقلم، إذ قال تبارك وتعالى: ﴿تَوَلَّوْا الْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣)؛ لأنّ الإنسان بدون كتابة وقراءة يكون فاقداً لوسيّلة من وسائل التفاهم ليست عادية؛ لأنّ الإنسان تارة يحصل على العلوم عن طريق السّمع، وأخرى عن طريق الرؤية، وثالثة عن طريق القراءة والكتابة.

فجدير بالإنسان - سواء كان والدّاً أم لا - أن يُتعب نفسه من أجل أن يُعلّم الولد الكتابة والقراءة ويعلمه القرآن الكريم، وكلّ هذا فيه أجر وثواب للعالم وللمتعلّم حتّى جاء في الرواية الشريفة عن أبي جعفر عليه السلام: «إِنَّ الَّذِي يُعَلِّمُ الْعِلْمَ مِنْكُمْ لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ أَجْرِ الْمُتَعَلِّمِ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حِمْلَةِ الْعِلْمِ، وَعَلِّمُوهُ إِخْوَانَكُمْ كَمَا عَلَّمَكُمُوهُ

(١) المصدر نفسه: ج ٦، ص ٢٠٢، ج ١٤، وسائل الشريعة: ج ٢١، ص ٣٦٣، ج ٣، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ١٢١.

ج ٢، روى فضيلة شيد.

(٢) دهر الربيع: ص ٢٢٥، وأنظر: الجبل: ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣) القلم: آية ١.

الْعُلَمَاءُ»^(١) حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ فِي بَدَايَةِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَانَ يَأْتِي لِلْأَسِيرِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَعْلَمَ الْكِتَابَةَ لِعَشْرَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ يُطْلَقُ سَرَّاحَهُ^(٢)؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَهْمِيَّةِ أَمْرِ التَّعَلُّمِ.

الحقُّ الثالث: وهو أن يُزَوِّجَهُ إِذَا بَلَغَ؛ لِأَنَّ الزَّوْجَ عَامِلٌ مُسَاعِدٌ لِلْوَلَدِ عَلَى التَّحَصُّنِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ، وَلَا نَقْصِدُ بِالْمَحْرَمَاتِ هُنَا هُوَ الزَّنا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ فَحَسْبُ، بَلْ حَتَّى إِنَّ النَّظَرَ إِلَى الْمَرْأَةِ الْأَجْنَبِيَّةِ مَعَ التَّلَذُّذِ وَالرِّيَّةِ هِيَ مُحْرَّمَةٌ، وَتَوْجِبُ الزَّوْجَ عَلَى هَذَا الْوَلَدِ، فَكَانَ عَلَى الْأَبِّ أَنْ يُزَوِّجَ وَلَدَهُ فِيهَا إِذَا كَانَ الْوَلَدُ يَسْتَحِقُّ الزَّوْجَ، يَعْنِي: بَلَغَ السِّنَّ الْكَافِيَ لِأَنْ يَتَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّةَ زَوْجَةٍ وَعِيَالٍ، لَا أَنْ يُزَوِّجَهُ وَإِذَا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ يَحْصِلُ الطَّلَاقُ، فَلَا بَدَّ مِنَ الْفَحْصِ وَالتَّدْقِيقِ فِي مَعْرِفَةِ الزَّوْجَةِ وَعِيَالِ الزَّوْجَةِ وَأَهْمُ شَيْءٍ فِيهَا - عَلَى مَا فِي الرِّوَايَاتِ^(٣) - هُوَ: «أَنْ تَكُونَ كَرِيمَةً الْأَصْلَ، عَفِيفَةً، وَلَوْ» يَعْنِي: مِنْ عَائِلَةٍ كَرِيمَةِ الْأَصْلِ، وَعَائِلَةٌ مُلْتَزِمَةٌ بِأَحْكَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَكَذَلِكَ عَادَةُ عَشِيرَتِهَا الْوِلَادَةِ، يَعْنِي: وَالِدَتَهَا، جَدَّتُهَا، أَخَوَاتُهَا لَيْسَتْ فِيهِنَّ عَقِيمٌ، وَأَنْ لَا يَقْتَصِرَ عَلَى الْمَالِ وَالْجَمَالِ فَقَطْ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَحَّصَ جَيِّدًا عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِذَا كَانَ الْوَلَدُ غَيْرَ مَالِكٍ لِلْمَهْرِ

(١) الْإِسْلَامِيُّ: ج ١، ص ٣٤، ج ٢، مُسْتَطَرَقَاتُ الْمَرَاوِدِ: ص ٥٥٥، الْفَيْصُولُ الْمُهَيَّجَةُ: ج ١، ص ٥٠٥، ج ١.

(٢) أَنْظَرُ: السِّيَرَةُ الْحَبِيبَةُ: ج ٢، ص ٤٤١.

(٣) خُفَّ زَوْجِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْغَنِيَّةُ». نِسَائِمُ الْإِسْلَامِ: ج ٢، ص ١٦٩، ج ٧٢٢، وَمَكَهٌ فِي مَسْنَدِكَ الْوَسَائِقِ: ج ١، ص ١٤٩، ج ١، وَفِي مَكَاوِمِ الْأَخْلَاقِ: ص ٢٠٢، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُجَاهِدُ وَلَدٌ خَيْرٌ مِنْ حَسَاءٍ عَفِيمٍ».

وَأَمَّا كَرِيمَةُ الْأَصْلِ فَقَدْ أَضَتْ مَجْزِعَةً مِنَ الْفُقَهَاءِ - ضَعِيفًا وَجَدِيدًا - بِاسْتِحْبَابِ كَرِيمَةِ الْأَصْلِ. أَنْظَرُ: الْعُرُوَّةُ الْوُثْقَى: ج ٥، ص ٤٢٩، مِنْ تَعْلِيقَاتِ لَمَّةٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْعِزَّازِ وَرَحْمِيمِ اللَّهِ. وَفِي نَهَايَةِ الْمَرْجِعِ: ج ١، ص ٣٩، قَالَ: «وَأَمَّا اسْتِحْبَابُ اخْتِبَارِ كَرِيمَةِ الْأَصْلِ، فَهِيَ أَنْ يُسْتَفْتَى عَلَيْهِ بِمَا زَوَّجَ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، تَهَ قَالَ: أَيُّهُنَّ الْمَسْرُومَاتُ وَحُضْرَاءُ الدَّمَنِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا حُضْرَاءُ دَمَرَةٍ؟ قَالَ: الْمَرْأَةُ الْخِصَاءُ فِي مَبِيتِ النَّوْءِ. وَفُتِيَ كَرِيمُ الْأَصْلِ. بَلْ يَكُونُ يُجَاهِدُ مُسْلِمِينَ أَوْ مُؤْمِنِينَ، أَوْ صَانِعِينَ، أَوْ لَا يَكُونُ أُخْلِبَهَا مِنْ بَنَاتِ».

والأب مالِك له فيجب على الأب أن يُزوِّج ولده من ماله، وأمّا إذا كان الولد يملك المهر فعليه أن يتزوِّج بمهرٍ منه، لا من أبيه، لكن على الأب ألاّ يقطع عن ولده السَّعي في هذه المهمّة الخطرة والعظيمة، وأعظم أجر للإنسان أن يسعى في قضاء الحوائج، لا سيّما في الزواج، سواء للابن أو لغيره، وكذلك على الأب ألاّ يغفل جانب البنت، فإنّها تحتاج الزوج؛ لأنّ البنات كالثمر على الشَّجر إذا حان وقته ولم يُقطع فسد^(١)، فعلى الأب إذا بلغت البنت عنده أن يُربّيها تربيّةً صالحةً، ثمّ بعد ذلك يزوّجها من إنسانٍ مؤمنٍ.

وهذه الحقوق قد أداها الإمام الحسين (عليه السلام) وقام بها بحقّ لولده عليّ الأكبر، إذ من حقّ الولد على والده أن يُحسن اسمه، وما أحلى وما أحسن اسمه؛ إذ سمّاه عليّاً كجدّه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأن يُعلِّمه الكتّابة، وكان عليّ الأكبر يحمل صفات النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله).

وكذلك أن يُزوِّجه إذا بلغ، فكان عليّ الأكبر مُتزوِّجاً كما في الرواية الصحيحة عن الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارة له علّمها أبا حمزة الثمالي قال: تضع خدّك على القبر وتقول ثلاثاً «صلى الله عليك يا أبا الحسن»، ثم يقول فيها: «صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وأبائك وأبنائك وأمّهاتك الأخيار»^(٢)، ولفظ الأبناء جمع يدلّ على أكثر من اثنين، وأنّ له أهلاً وولداً وإن كان عقبه منقطع الآخر، فكلّ الصفات قد اجتمعت في هذا الإنسان العظيم والولد البار بوالديه، وكيف لا؟! وقد رضع من ثدي النبوّة، وفي مهّد الإمامة ترعرع وتربّى، فهو ابنُ سيّد الشهداء، ولذلك عندما رأى عليّ الأكبر أنّ لا بُدّ لهذا الدين من مُحمّي جعل يطلب البراز، فلم يبرز إليه أحدٌ هيبةً منه. هذا والإمام الحسين (عليه السلام) واقف بباب الخيمة وليلى

(١) فقد روي عن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «... إنَّ الأكبر بمنزلة النمر عن النجور: إذا أفرقت ثمارها فلم تجز أفسدته النمس وشربه الرياح، وذلك الأبيكار...» الخطر: مسائل النبية، ج ٢١، ص ٢٠٠.

(٢) ويدلّ عليه ما روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنّه قال: «ليعمّ عهد: فقد رزق البعير غلاماً اسمه الناب حقا وخفت ومنطقاً برسولك (صلى الله عليه وآله)، فكنا إذا استقمنا إلى نبيك نظرنا إليه...» الشَّيخ: ص ١٠٠، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٠٠.

(٣) أوردتها العلامة المجلسي (رحمته الله) في بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٠٠.

جالسة في خيمتها، تأخذ علامة السلامة من وجه الحسين عليه السلام، جالسة تنظر في وجه الحسين تراه يتلأأ نوراً وسروراً بشجاعة ولده عليّ الأكبر، فينمنا هو كذلك وإذا بوجه الإمام قد تغير، قامت ليلى وقالت: سيدي أبا عبد الله، أرى وجهك قد تغير، فهل أصيب ولدي عليّ؟ فقال لها: «لا يا ليلى، ولكن برز له من أخاف منه عليه، يا ليلى ادع لولدك عليّ، فأني سمعتُ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: دُعاء الوالدة مُستجاب بحق ولدها»، دخلت ليلى إلى خيمتها، رفعت يديها إلى السماء قائلة: إلهي بغربة أبي عبد الله! إلهي بعطش أبي عبد الله! إلهي بوحدة أبي عبد الله! يا رادّ يوسف إلى يعقوب، اردّد إليّ ولدي عليّ.

ردت الخيمتها الغريبة	تبجي على ابنها ابرية
وتوسّلت لله بحبيبه	بالحسين وشما ييه من مُصيبة
ياراد يوسف من مغيبه	اليعقوب ومسجن نحيية

أريدك عليّ سالم تجيبه

فاستجاب الله دُعاء ليلى لولدها ونصر علياً الأكبر على بكر بن غانم، فقتله واحترّ رأسه وجاء إلى أبيه الحسين وهو يقول:

صيدُ الملوك أرانب وثعالب وإذا برزتُ فصيدي الأبطال

يا أبة هل من جائزة؟ فقال له أبوه الحسين: بُني عليّ وأيُّ جائزة تُريدُ من أبيك؟ فقال: يا أبة، فهل إلى شربةٍ من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بُني عليّ اصبر قليلاً سيسقيك جدُّك المصطفى بكأسه الأوفى شربةً لا تظماً بعدها أبداً، فرجع عليّ الأكبر يُقاتل حتى قتل تمام المائتين.

يقول أرباب المقاتل: رأينا علياً الأكبر، وهو يطرد كتيبةً أمامه، قطعنه مرةً ابن مُنقذ (لعنه الله) برُمحه فانقلب على قُربوس سرج فرسه واعتنق الفرس، فحمّله إلى معسكر الأعداء فاحتوشوه، وقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً، ولما بلغت روحه التراقي نادى: أبة،

عليك مِنِّي السلام، هذا جدِّي رسولُ الله قد سقاني بكأسه الأوفى، شربةً لا أظمأ بعدها أبداً، قالت سكينه: لما سمع أبي صوت عليٍّ أخذ تارةً يقوم وأخرى يجلس وهو يقول: وا ولداه.

آه:

شَبَّكَ عَلَى الْمَهْرِ لِبَالِهِ يُودِّيهِ	لبوه احسين عن الكوم يحميه
أُوَيْلِي الْمَهْرِ لِلْعُدْوَانِ فَرَّيْبِهِ	ووجب آه بموسط العسكر
هَذَا يَغْطِئُ بِسَيْفِهِ وَرِيدِهِ	أو هذا بالخناجر فصل ايده
وَهَذَا يَغْطِئُ رُحْمَهُ الْحَدِيدَةِ	ابخاصرته وهو يعالج اويفغر
نَدَاهُ يَاحْسِينَ هَذَا السَّاعِ جَدِّي	سگاني الماي واروه عطش چبدي
يَكُولُ اسْرَعَ تَرَاكَ الْيَوْمَ عِنْدِي	إجاء يصيح بيني الله وأكبر

وَأَمَّا الْحَوْرَاءُ زَيْنَبُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَإِنَّهَا هَوَتْ عَلَى ذَاكَ الْجَسَدِ الطَّاهِرِ تَلَثَّمَهُ تَقْبِيلاً:

هَوَتْ فَوَگَهُ تَشْمُ خَدَّهُ وَتَحْبَهُ	او تطبگ طبرة الراس وتعصبه
او تَفْتَحُ زَيْگَ ثَوْبِهِ او تَحْسُ كَلْبِهِ	لگت دمّه من افاده يفور ^(١)

وَنَادَتْ زَيْنَبُ الْكُبْرَى بِصَوْتٍ	على (ليلي) وأدْمُعها تسيلُ
تَقُولُ لَهَا اسْرَعِي هَذَا عَلَيَّ	شبيه المصطفى الهادي قتيْلُ

(١) مجلس مصائب أهل البيت عليهم السلام: ج (١)، ص ١٦٦، ص ١٦٧.

المحاضرة رقم

إِقَامَةُ الصَّلَاةِ



وَلَهَا النُّفُوسُ الْغَالِيَاتُ مُهُورٌ	هُمْ فِتْيَةٌ خَطَبُوا الْعُلَى بَسِيوفِهِمْ
فَكَأَنَّ لَهُمْ نَاعِي النُّفُوسِ بَشِيرٌ	فَرَحُوا وَقَدْ نُعِيَتْ نَفُوسُهُمْ هُمْ
نَدُّ الْمَجَامِرِ فَاحٍ مِنْهُ عَبِيرٌ	فَاسْتَنَشَقُوا النَّقَعَ الْمُثَارَ كَأَنَّهُ
فَالْكُلُّ مِنْهُمْ ضَا حَكٌ مَسْرُورٌ	وَاسْتَيْقَنُوا بِالْمَوْتِ نَيْلَ مَرَامِهِمْ
سَرِبُ الْبُغَاثِ يَعِثْنَ فِيهِ صُقُورٌ	عَاثُوا بِأَلِ أُمِيَّةٍ فَكَأَنَّهُمْ
لِحِوَارِهِ وَجَرَى الْقَضَا الْمَسْطُورُ	حَتَّى إِذَا شَاءَ الْمُهَيْمَنُ قُرْبَهُمْ
وَسَعَوْا وَكُلُّ سَاعِيهِمْ مَشْكُورٌ	رَكَضُوا بِأَرْجُلِهِمْ إِلَى شَرِّكَ الرَّدَى
فِيهَا رَكَدَنَ أَهْلُهُ وَبُدُورٌ ^(١)	فَزَهَتْ بِهِمْ تِلْكَ الْعِرَاضُ كَأَنَّمَا

وَكَأَنِّي بَزِينَبَ عليها السلام فِي لَيْلَةِ عَاشُورَاءِ تُحَدِّثُ اللَّيْلَ وَدَمْعُهَا تَهْلُ عَلَى خَدَّيْهَا:

أَوْجَفْنَهَا ابْهَدَمْعَهُ تَفَجَّرَ	تَحَاجِي اللَّيْلَ بَت حِيدِر
أُرِيدُ أَتَوَدِّعُ أَمِنْ أَحْسَنِ	صُبْحَكَ عَالِيٍّ لَا يَنْطَر

أَوْ وَيَلَادُهُ وَإِخْوَانُهُ

عَنِّي وَبَعْدَ مِرْجَعُونَ	أُدْرِي بِصُحْبِكَ يَرْوَحُونَ
وَنَبْكَهُ بِصَفْغَتِ الْچَفِينِ	وَعَلَيْنَهُ الْعُدَّةُ يَهْجُمُونَ

أَوْ لَا وَاحِدَ الْيَحْمَانَةِ

(١) هذه الأبيات من قصيدة: رثية لسبب جعفر عليه السلام رثي مطبوع.

أوردت ترجمتك أبيها الموقر: فلكم بكت ي دمع مهوور

وقد تقدمت ترجمته في الحاضرة الحامدة من هذا الكتاب مرّتين.

قال تعالى في مُحْكَم كتابه الكريم: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ﴾^(١).

في هذه الآية عِدَّةُ بُحُوثٍ نَتَعَرَّضُ لها على التوالي إن شاء الله تعالى.

البحث الأول: ما هو المعنى الإجمالي لهذه الآية؟

المعنى الإجمالي للآية هو الحثُّ على الصَّلَاة وبيان أوقاتها وثمراتها.

البحث الثاني: ما هو معنى هذه الآية عند أهل البيت (عليهم السلام)؟

والجواب: إنَّه رُوي عن حريز عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ وطرفاه المغرب والغداة ﴿وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وهي صلاة العشاء الآخرة^(٢).

وتعتبر هذه الآية من الآيات التي تحتوي على رجاء في رحمة الله لايدانيه رجاء في سواها من الآيات، فعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعتُ أحدهما (عليه السلام) يقول: «إِنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أُرْجَى عِنْدَكُمْ؟» فقال بعضهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣). قال: «حسنة وليس إياها». فقال بعضهم: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٤). قال: «حسنة، وليست إياها». وقال بعضهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(٥). قال: «حسنة وليست إياها».

قال: ثُمَّ أَحْجَمَ النَّاسُ، فَقَالَ: «مالكم، يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ؟» قالوا: لا والله، ما عندنا

(١) ع. ١١٠١، ص ١١٠١.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٠١، ج ٣، ص ١٠١، ج ٤، ص ١٠١، ج ١٠، ص ١٠١، تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٣٦٦، ج ١٠، ص ٢٢٢.

(٣) السجدة: ٢٦، ص ٢٦.

(٤) الزمر: ٥٢، ص ٥٢.

(٥) آل عمران: ١٢٥، ص ١٢٥.

شيء، قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: أرجى آية في كتاب الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ﴾ وقرأ الآية كلها، وقال: يا عليّ، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط من جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم يفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء، كما ولدته أمه، فإذا أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك، حتى عدّ الصلوات الخمس، ثم قال: يا عليّ، إنّها منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جارٍ على باب أحدكم، فما ظنُّ أحدكم لو كان في جسده دَرَن؟ فكَذَلِكَ وَاللَّهِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ لِأُمَّتِي»^(١)؛ ولذلك ورد في الحديث الشريف «الصَّلَاةُ صَابُونَ الْخَطَايَا»^(٢).

البحث الثالث: محلّ هذه الآية جاء بعد عدّة أوامر ونواهي، منها: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾^(٣) إلى غيرها من الآيات، عندما أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بالاستقامة أردفه بالأمر بالصلاة، وذلك يدلُّ على أنّ أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلاة، واعتبر الخوارج أن هذه الآية مُستمسكاً، فتمسكوا به في أنّ الواجب من الصلاة ليس إلّا الفجر والعشاء، مستدلّين بوجهين:

الوجه الأوّل: أنّ الفجر والعشاء واقعان على طرفي النهار، وأمّا عبارة ﴿وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ﴾ فهي صفة لطرفي النهار.

والوجه الثاني: أنّ الآية ذكرت: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وعبرت عن الصلاة بأنّها حسنات، وهذا يتحقّق في الصلاتين.

(١) تفسير أبي حمزة الثمالي: ج ٢، ص ٢٠٣. تفسير البيهقي: ج ٢، ص ١٠١ - ١٠٢، ج ٢، ص ٢٠٣. تفسير محمد

البيان: ج ٥، ص ٢٠٣. التفسير الصافي: ج ٢، ص ٢٠٣. تفسير نور الثقلين: ج ٢، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

ج ٢٢٧. بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٢١، ج ١، ص ١٠٢. عن مجمع البيان والبيهقي وأبي حمزة الثمالي.

(٢) شرح معجم نبله: ج ٢، ص ٢١٣. رفع: ٥٩٨.

(٣) هود: ١١٢.

وهذا الرأي باطل بإجماع الأمة الإسلامية فلا يُلتفت إليه^(١).

البحث الرابع: ما معنى طرفي النهار؟ معناه أقم الصلاة في الصباح والمساء وفي ساعات من الليل هي أقرب من النهار، وينطبق من الصلوات الخمس اليومية على صلاة الصبح والعصر، وهي صلاة المساء والمغرب والعشاء الآخرة.

البحث الخامس: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ تعليل لقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ وبيان أنَّ الصلوات حسنات واردة على نفوس المؤمنين، تذهبُ بآثار المعاصي وهي ما تعثر بها من السيئات. ومن بعد ذلك قال تعالى: ﴿ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ أي: هذا الذي ذكر وهو ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ - على رفعة قدره - تذكّر للمتلبسين بذكر الله تعالى من عباده^(٢).

ولذلك يُعبرُ أمير المؤمنين عليه السلام عن الصلاة «أنَّها قربان كلِّ تقيٍّ»^(٣)، إضافةً إلى أنَّ الصلاة تُنزل الإنسان عن مواطن الكبر، والتترّزه عن الكبر من مقومات شخصية المسلم، فلم تُفرض الصلاة لذاتها وإنَّما لتكون الوسيلة التي يتدلل بها الإنسان لخالقه، والمُحفز للإنسان على الشعور بسائر مسؤولياته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٤)، والدعامة التي يُستند إليها عند وقوع المُهَمَّات، وحُلُول الكوارث والخطوب والزلازل وبقية المضايقات النفسية وغيرها؛ ولذلك نجد أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بذلَّ كلَّ ما بوسعه من أجل

(١) التفسير الكبير (مناجيع النباهة) ج ١ ص ٥٢.

(٢) تفسير الميزان: ج ١ ص ٥١.

(٣) شرح بهج البلاغة ج ٤ ص ٣٠٠، رقم ١٢٠، الكافي: ج ٣ ص ٢٠٤، ج ٦، مناقم الإسلام: ج ١،

ص ١٢٣ برزوه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. صيغ أخبار الرضا: ج ٢ ص ١٠٠، ج ١، مَنْ لَا يَحْضُرهُ الضُّعْفُ:

ج ١ ص ٢١١، ج ٢٧٠، كَلَامُ عَنِ الْأَمَامِ نَرْسَاء عليه السلام. وفي ج ٤ ص ١٠٠، ج ١٤٥، عن الإمام

الصادق عليه السلام. وقال ضعيف ج ٤ ص ٢٠٠، ج ١، عن الإمام نَرْسَاء عليه السلام. بحار كنوز: ج ٥ ص ٢١٢،

ج ١٠، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٤) السكيت: ٢١٤٠.

اغتنام هذه الفريضة العظيمة، وما نرى فريضة لها تلك الأهمية، كالصلاة، واجبها ومستحبها، حتى أصبحت الفارق الحقيقي بين المسلم والكافر، والفارق بين الإنسان المجنون والعاقل، قال الأصمعي: رأيت سعدون المجنون جالساً عند رأس شيخ [أي رجل كبير السن] سكران، يذبُّ عنه الذباب، فقلتُ له: أنت مجنون أم هو؟ قال: بل هو، قلتُ: من أين؟ قال: لأنِّي صليتُ الظهر والعصر في جماعة، وهو لم يُصلِّ جماعةً ولا فرادى، فقال شعراً، فقلتُ له: صدقت وانصرفت^(١) إذن الصلاة لها الأهمية الكبرى في تقويم حياة الإنسان، ونرى في التأريخ أصحاب الرسول الأكرم ﷺ وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد اهتموا بهذه الفريضة، وحافظوا عليها؛ لأهميتها في التأثير على سلوك الفرد والمجتمع، فهي هوية المؤمن التي إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت ردت ما سواها كما في الرواية^(٢).

في يوم من الأيام دخل عقيل بن أبي طالب عليه السلام على معاوية، فلما دخل واستقر به الجلوس في المجلس سأل معاوية عقيلاً قائلاً: أنت دخلت في معسكرين، معسكر أخيك عليٍّ ومُعسكري، فما الفرق بين المعسكرين، هل تستطيع أن تبيّنه؟

قال عقيل: دخلتُ على مُعسكر أخِي فرأيتُ ليلهم كليل رسول الله، ونهارهم كنهار رسول الله، بين قائمٍ وقاعدٍ وراكعٍ وساجدٍ وصائمٍ، إلّا أن رسول الله ﷺ ليس فيهم، ودخلتُ إلى مُعسكرك فما وجدت فيهم إلّا قوماً ممن نَفَر ناقة رسول الله ﷺ ليلة العقبة^(٣).

(١) "بداية النهاية" ج ١٠، ص ٢٢١.

(٢) تنبيه الخافي "للفريضة" ج ٣، ص ٢٠٨، ج ٤، عن أبي بصير قال: «سمعتُ أبا جبر عليه السلام يقول: كلُّ سبيح في الصلاة يُضرح معها غير أن الله تعالى يُنعم بالداخل، إن أول ما يُحاسب به العبد الصلوة، إن قبلت قبل ما سواها...» الحديث ومثله في التهذيب: ج ٢، ص ٢٢٢، ج ١٤، وسائل الشيعه ج ٤، ص ١٠٨، ج ٢، بحار الأنوار ج ٧، ص ٢٠٧، ج ٣٢، عن التهذيب، وفي موضع آخر، أيضاً.

(٣) أنظر: شرح نهج البلاغه ج ٢، ص ١٢٥ - ١٢٦، الدرجات الربيعية، ص ١٠١، معاني ج ٢، ص ٢٢٠، بحار الأنوار ج ٤، ص ١١٢ - ١١٣، عن شرح النهج.

ولأهمية الصلاة نجد أن أصحاب الحسين مع إمامهم وأهل بيته عليه السلام قد انشغلوا في ليلة عاشوراء بالصلاة، حتى صار لهم دويّ كدويّ النحل، من الصلاة وقراءة القرآن والأدعية. روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «لما كان الليلة العاشرة من المحرم قام أبي الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً، فقال: يا أصحابي، إن هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يصلوا إليكم، فالنجاة النجاة وأنتم في حلّ منّي، فإنكم إن أصبحتم معي قُتلتم كلكم. فقالوا: لا نخذلك ولا نختار العيش بعدك، فقال عليه السلام: إنكم تُقتلون حتى لا يفلت منكم أحد. فقالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك. ثم إنه دعا لهم، وقال: إرفعوا رؤوسكم وانظروا. فجعلوا ينظرون إلى منازلهم في الجنة»^(١).

ويروى أنه قال في آخر خطبته: «أصحابي وعمومتي أهل بيتي، ألا ومن كانت في رحله امرأة فليبعث بها إلى أهلها، فإن نسائي تُسبى وأخافُ على نسائكم السبي. فقام من بينهم حبيب بن مظاهر الأسدي، وأقبل إلى خيمته فتبسّمت زوجته في وجهه، فقال لها: دعينا والتبسّم، قومي والحقي ببني عمك من بني أسد. فقالت: لم يابن مظاهر؟ هل فعلت معك مكروهاً؟ قال: حاشا لله، ولكن أما سمعت غريب رسول الله صلى الله عليه وآله خطبنا في هذه الساعة؟ قالت: بلى، ولكن سمعتُ في آخر خطبته همهمة لا أعرفها؟ قال: خطبنا وقال: ألا ومن كانت في رحله امرأة فليبعث بها إلى أهلها، فلما سمعت الحرة نطحت رأسها بعمود الخيمة، وقالت: ما أنصفتني يا بن مظاهر أيسرك أن تسلب زينب إزارها وأنا أتزين بإزاري؟! أم يسرك أن سكينه يسلب قرطها وأنا أتزين بقرطي؟! لا كان ذلك أبداً، بل أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء، فلما سمع منها ذلك رجع إلى الحسين عليه السلام فرآه جالساً ومعه أخوه العباس، فسلم عليها وجلس، وقال: أبت الأسيدي أن تفارقكم. فقال

(١) انظر: النجاشي والحراني: ج ٢، ص ٨٥ - ٨٧، ج ١، ص ١٢٠، مع البحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٦٩، ج ٣، النجاشي.

(٢) الإمام الحسين عليه السلام، ص ٣٢، ج ١، ص ١٢٠، النجاشي.

الحُسَيْن (عليه السلام): جزاكم الله خير الجزاء»^(١).

وبالفعل - في يوم العاشر من المحرم - هؤلاء الأبطال قدّموا كُلّ ما عندهم من أموال وأرواح في سبيل أبي عبد الله الحُسَيْن (عليه السلام)؛ لأنّه حُجَّةُ الله وخليفته في أرضه، وكذلك سيّدُهم وقائدهم الإمام الحُسَيْن (عليه السلام) قدّم حتّى الطّفل الرضيع. يذكر أرباب المقاتل أنّه عندما جاءت الحوراء زينب (عليها السلام) إلى أخيها الحُسَيْن (عليه السلام)، وكانت تحمل معها عبد الله الرضيع (عليه السلام)، فدفعته إليه وهي باكية، قالت: أخي خذ طِفْلَكَ فأخذه ووضعهُ في حجره يُقبّله، ويقول: «بُعْدًا هَؤُلاءِ القوم إذا كان جُذُك المصطفى خصمهم»، ثمّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء قائلاً: «يا قوم، قد قتلتم إخواني وأولادي وأنصاري وما بقي غير هذا الطّفل، وهو يتلظى عطشاً من غير ذنبٍ أتاه إليكم، فاسقوه شربةً من الماء». فاختلف المعسكر فيما بينهم، منهم من قال: إذا كان ذنبٌ للكِبَار فما ذنبُ هذا الطّفل؟ ومنهم من قال: اقتلوه، ولا تبقوا لأهل هذا البيت باقية. فلمّا رأى ابنُ سعد ذلك صاح بحرملة: ويلك يا حرملة، اقطع نزاع القوم. قال: فما أصنع؟ قال: ارمِ الطّفل بسهم. قال حرملة: فرأيتُ رقبتَه تلمع على عَضْدِ أبيه الحُسَيْن (عليه السلام) فرميتُ الطّفل بسهمي، فذبحته من الوريد إلى الوريد، فلمّا أحسّ الطّفل الرضيع بحرارة السهم أخرج يديه من القمّاط واعتنق أباه، وجعل يُرفرف كالطير المذبوح، فملاً الحُسَيْنُ كُفَّهُ من دمه، ورمى به نحو السّماء، قائلاً: «اللهم لا يكن أهون عليك من فضيلِ ناقة صالح»^(٢).

وكأنّي به واقف وهو يحمل الطّفل الرضيع بين يديه:

(١) انظر: معاني نسيطين: ج ١، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) انظر: بحار الأنوار: ج ٥، ص ١٠٤، نوع الأجانب: ص ١٠٣، ١٠٤.

(نصاري)

تلگه حسين دم الطفل بيده	شحال اليچتل بحضنه وليده
سال اوترس دمه من وريده	وذبه للسم اوللگاع ما خرر
أويلي من لفت سكنه تنادي	يبويه العطش هالفتت أفادي
صدت لن أخوها الطفل غادي	يلوح رگبته ودمه يفور
يبويه ذاب چبدي وچبد أمه	دخليني أودعنه وأشمه

توجهت سكينه إلى أخيها الطفل الرضيع وكأني بها تناديه:

ينخويه عون من حبك وشمك	ينخويه عون من راواك لمك
لغسلنك ينخويه ابفيض دمك	أوگبرك بالگلب يا خوي لحفر
گام احسين يمشي يمم الأنصار	وگف يمهم اوچبده من العطش نار
نده عباس خويه والدمع فار	ينخويه گوم لينه الساع واحضر

فلو أن موتاً يُشترى لاشترته

وعيشي بعد الظامنين مُنْكَدُ

الحاضرة المعية الحادية



علاج ترك
الذنوب والمعاصي



الله أَيُّ دَمٍ فِي كَرَبَلَا سُفَكَ
وَأَيُّ خَيْلٍ ضَلَّالٍ فِي الطُّفُوفِ عَدَتْ
يَوْمَ بِحَامِيَةِ الْإِسْلَامِ قَدْ نَهَضَتْ
رَأَى بَأْنَ سَبِيلَ الْغَيِّ مُتَّبِعٌ
وَالنَّاسُ عَادَتْ إِلَيْهِمْ جَاهِلِيَّتُهُمْ
وَقَدْ تَحَكَّمُوا بِالْإِسْلَامِ طَاغِيَةً
لَمْ أَدْرِ أَيْنَ رَجَالُ الْمُسْلِمِينَ مَضُوا
الْعَاصِرُ الْخَمَرَ مِنْ لَوْثٍ يُعْضِرُهُ
لَنْ جَرَتْ لَفْظَةُ التَّوْحِيدِ فِي فَمِهِ
قَدْ أَصْبَحَ الدِّينُ مِنْهُ يَشْتَكِي سَقَمًا
فَمَا رَأَى السَّبْطُ لِلدِّينِ الْحَنِيفِ شِفَاءً

لَمْ يَجِرْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى أَوْقَفَ الْفَلَكَا
عَلَى حَرِيمِ رَسُولِ اللَّهِ فَانْتَهَكَ
لَهُ حَمِيَّةُ دِينِ اللَّهِ إِذْ تَرَكَا
وَالرَّشْدُ لَمْ تَدْرِ قَوْمَ آيَةٍ سَلَكَ
كَأَنَّ مَنْ شَرَعَ الْإِسْلَامَ قَدْ أَفَكَ
يُوسِي وَيُصْبِحُ بِالْفَحْشَاءِ مِنْهُمْ كَا
وَكَيْفَ صَارَ يَزِيدُ بَيْنَهُمْ مَلِكَا
وَمِنْ خَسَاسَةِ طَبَعٍ يَعَصُرُ الْوَدَكَا
فَسَيْفُهُ بِسُورِ التَّوْحِيدِ مَا فَتَكَ
وَمَا إِلَى أَحَدٍ غَيْرِ الْحُسَيْنِ شَكَ
إِلَّا إِذَا دُمُّهُ فِي كَرَبَلَا سُفَكَ^(١)

يَا فَاطِمَةُ يَمُّ الْبَدُورِ
جِيي سِدْرَ لَبَنَجٍ وَكَافُورِ
وَمِنْ الْعَطَشِ جَبَدَ حَسَنِ مَفْطُورِ

وَلِسَانُ حَالِ الْخَوَارِءِ زَيْنَبُ عَلَيْهَا السَّلَامُ:

يَا فَاطِمَةُ يَمُّ الْمِيَامِينَ
يَلْغَبِرْجُ خَفِي مَا يَنْدِرُهُ وَيَنَ

(١) تنصبت للنسب حفتر الحنفي عليه السلام. وقد ترجمت ترجمته في المعاصرة العامة.

أخبرج بالجره والصار بحسين ظل عشره من غير تكفين
وعباس البطل مگطوع الإيدین واتسلبت كل النساءین
وأنا ادخلت یمه الدواوین

رُوي أَنَّهُ جاءَ رَجُلٌ للإمامِ الحُسَيْنِ (عليه السلام) وقالَ لَهُ: أَنَا رَجُلٌ عاصٍ ولا أَصبرُ عنِ المعصيةِ، فعَظَني بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ (عليه السلام): «افْعَلْ خَمْسَةَ أَشْيَاءٍ وَاذْنَبْ ما شِئْتَ، فَأَوَّلُ ذَلِكَ: لا تَأْكُلْ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَاذْنَبْ ما شِئْتَ، والثَّانِي: اخْرُجْ مِنْ وَلايَةِ اللَّهِ وَاذْنَبْ ما شِئْتَ، والثَّالِثُ: اطْلُبْ مَوْضِعاً لا يَرَاكَ اللَّهُ وَاذْنَبْ ما شِئْتَ، والرَّابِعُ: إِذَا جاءَ مَلَكُ المَوْتِ لِيَقْبِضَ رَوْحَكَ فَادْفَعْهُ عَنِ نَفْسِكَ وَاذْنَبْ ما شِئْتَ، والخامِسُ: إِذَا أَدْخَلَكَ مالِكٌ في النَّارِ فلا تَدْخُلْ في النَّارِ وَاذْنَبْ ما شِئْتَ»^(١).

من أهمَّ الطُّرُق لِعِلاجِ المشاكلِ الأخلاقيةِ هي عَدمُ المباشرةِ بِالعلاجِ، بل الابتداءُ بِمَقَدِّماتٍ علاجيةِ توصلُ المَكلَّفَ نَفسَه لِلتفكُّرِ، وبعَدها إلى حَسمِ المشكلَةِ، وهذا هو ديدنُ أَهلِ البيتِ (عليهم السلام) في عَلاجاتِهِم لِمُجَمَّلِ المشاكلِ. ولعلَّ هذا الأسلوبَ داخِلَ في قولِهِ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢) فَمِنَ الحِكمةِ أَن نَتَكَلَّمَ بِالأسلوبِ غيرِ المَباشرِ مَعَ النَّاسِ كما كانَ يَصنَعُ الإمامُ الصَّادِقُ وَباقِي الأئمَّةِ (عليهم السلام) مَعَ بَعْضِ العُصاةِ، كما في قِصَّةِ الشَّقرانيِّ، وَصفوانِ الجَمالِ، حيثَ عَبَّرَ سَلامُ اللَّهِ عَلَيهِ بِالإشارةِ إِذ قالَ لِلشَّقرانيِّ: «الحَسَنُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَسَنٌ وَمِنْكَ أَحْسَنُ؛ لِقَرَبِكَ مِنَّا، وَالقَبِيحُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَمِنْكَ أَقْبَحُ؛ لِقَرَبِكَ مِنَّا»؛ إِذ أَنَّ الشَّقرانيِّ كانَ مُقِيماً عَلى شَرَبِ الشَّرابِ المَحَرَّمِ^(٣)، وَهذهِ الكَلِمَةُ اسْتَطاعَ الإمامُ (عليه السلام) أَن يُغَيِّرَ حَياةَ الشَّقرانيِّ. وَهَكَذا ديدنُ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ١٠٠، ج ٢٠.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٢٠٠، ج ٢٠.

الأئمة عليهم السلام تبعاً لجدهم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله بلا فرق في كون الموعظة لأجل ترك المعصية، أو لأجل الاهتمام بالعبادة والطاعة والمواظبة عليها، ومن هنا نعرف وصايا النبي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام ووصايا الإمام عليه السلام لأولاده بأنها كانت أكثرها تحت عنوان «إياك أعني واسمعي يا جارة»^(١).

وبنفس هذا الأسلوب وعظ الإمام الحسين عليه السلام هذا الرجل المبتلى بالمعصية، بأن الإمام لم يقل له لا تعص، وإنما قال: «افعل ما شئت»، وهذا معناه اعص لكن بشروط خمسة، إذا أنت حققتها فاعص بها تحب وترغب.

أولها: «لا تأكل من رزق الله واذنب ما شئت»، أي: يحق لك أن تذنّب وتعصي لكن بشرط ألا تأكل من رزق الله تبارك وتعالى، والله تبارك وتعالى هو الذي يطعم ويسقي قال ﷺ: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي﴾^(٢) كما جاء على لسان نبي الله إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام حين كان يخاطب قومه العصاة الفجرة: بأنكم تعصون الله، بل وتعبدون سواه، وهو الذي يطعم ويسقي، ويمرض ويشفي، ويُميت ويُحيي.

ففي نفس الوقت الذي يأمر الله تبارك وتعالى عباده بأكل رزقه ويبيحه لهم، في نفس الوقت ذاته ينهاهم عن العبث والفساد في الأرض، حيث يقول ﷺ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٣).

(١) وهذا الجواب هو أحد الاجابة في مقدم دفع الشكائات سيدة براءة. منها ثبوت سيدي والمعاصي للمصومين عليهم السلام. وهذا اختياره الشيخ الصوفي رحمته الله في كتابه الاستقادات في دين الإمامية، ص ٨٧، والسيد المرتضى علم الهدى رحمته الله في تنزيه الأنبياء، ص ١٠٧، ومروفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «نزل القرآن نيات النبي وسمعي يا جارة». انظر مجمع البيان، ج ٧، ص ١٥٥. عوالي شالي: ج ٤، ص ١١٥، ج ١٢٩.

(٢) السجدة، آية ٢٨.

(٣) البقرة، آية ٢٠٠.

يسيح لعباده التمتع بملذات الدنيا بشرط عدم الفساد والإفساد في الأرض، ورزق الله هو كل ما كان منه عز وجل بالمباشرة أو بالأسباب؛ لأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله تبارك وتعالى. فإذا كان الإنسان عنده أولاد يعملون فيطعمونه، فهو يأكل من رزق الله، أو كان يعمل فيطعم نفسه، فهو من رزق الله.

فالأكل من رزق المضيف يحرم على الضيف التمرّد عليه كما هو ديدن العُرف، فإنّ الإنسان إذا دخل في دار أحد وأكل منها امتنع عن سرقة وغيبته والنظر المحرم إلى أهل داره؛ لأنه أكل من رزقه، فكيف بمن هو الرزاق المطلق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(١).

والخلاصة فالإمام الحسين عليه السلام يقول لهذا الرجل: اعصِ لكن لا تأكل من رزق الله، وبما أنه من المستحيل ألا يأكل من رزق الله، لأنّ كل الطعام له عز وجل؛ كان عليه أن يمتنع عن المعصية.

ثانيها: «أخرج من ولاية الله واذنب ما شئت!» كيف يخرج من ولايته عز وجل وهو القائل: ﴿وَالسَّمَكُوتُ مَطْوِيَّتُ بَيْمِينِهِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٤)، وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾^(٥)، وغيرها من الآيات الدالة على أنّ الولاية - أولاً وبالذات - له عز وجل، لا يمكن لأحد أن يخرج عن ولايته سبحانه وتعالى، كيف يصير الإنسان مستقلاً بشؤونه وهو الفقير المطلق؟!

(١) آل زبور: ٢١٥.

(٢) الزمر: ١٢٤.

(٣) النحل: ٦١.

(٤) البقرة: ١٢٩.

(٥) النعام: ١٥٨.

وثالثها: «اطلب موضعاً لا يراك الله واذنب ما شئت!»

أي: إذا أردت أن تعصي الله تعالى فعليك أن تتذكر أولاً أنه ﷻ لا يخفى عليه شيء ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(١) وهو الذي يعلم ما في أنفسنا حيث يقول ﷻ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(٢)، وهو العالم بكل شيء حيث يقول: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)، وقال: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفَى﴾^(٤).

وهذا بديهي جداً، وما أكثر ما نطق به القرآن الكريم من آيات تتعلق بعلمه ﷻ بدقائق الأمور وأسرارها، حتى صار الأمر ضرورة يعرفها الصغار فضلاً عن الكبار.

يذكر أن معلماً قال لصبيان كان يعلمهم القرآن: مَنْ منكم يأخذ هذا العصفور إلى مكانٍ بحيث لا يراه أحدٌ؟ فقال أحد الصّبيان الأذكىاء: كيف نستطيع أن نأخذ هذا العصفور إلى مكانٍ لا يرانا أحدٌ فيه والله تبارك وتعالى محيط بنا من كلِّ جانب وموجود في كلِّ مكان، فقال المعلم للصّبي: أحسنت، إنَّ الله تبارك وتعالى معنا، وأنا أردت أن تعلموا هذا المعنى وحقيقته.

ويروى أن زليخاً لما همت بالمعصية مع نبيِّ الله يوسف ﷺ قامت إلى صنمٍ في بيتها فألقت عليه ملاءة^(٥) لها، فقال لها يوسف: ما تعملين؟ فقالت: ألقي على هذا الصنم ثوباً لا يرانا فإنني أستحي منه، فقال يوسف: أنت تستحين من صنمٍ لا يسمع ولا يُبصر ولا أستحي من ربّي؟ فوثب وعدا وعدت من خلفه وأدركهم العزيز على هذه الحالة وهو قول الله: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾^(٦).

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢٣٥.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) هود: ٥١.

(٥) الملاءة: ثوب الملاءة: الثوب، انظر: النهاية في غريب الحديث: ج ٢، ص ٥٠٠.

(٦) تفسير القرطبي: ج ١، ص ٣٠٢، بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٣٢٥، ج ٣، الآية (٢٤) من سورة يوسف.

ورابعها: «إذا جاءك ملك الموت، ليقبض روحك، فادفعه عن نفسك واذنب ما شئت».

ورابع هذه الشروط أن ادفع عن نفسك ملك الموت إذا جاء لقبض روحك، فإن استطعت دفعه فاذنب ما شئت.

كيف يستطيع الإنسان أن يدفع عنه هذا الملك أو الملائكة العظام الشداد الذين وصفهم خالقهم بأنهم: ﴿مَلَائِكَةُ غَلَاظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).

وهو الذي يصف سكرة الموت بقوله عزّ من قائل: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٢).

وقال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَتُوقَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٣).

ويكفيك معرفة بعظمته وقوته وتوفيه للنفس ما وصفه به الإمام أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام حيث يقول: «هل تحسُّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفّي أحداً؟ بل كيف يتوفّي الجنين في بطن أمه، أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربها؟ أم هو ساكنٌ معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله»^(٤).

فملك الموت الذي لا يحسُّ به أحدٌ هو الموكل بقبض روح هذا المخلوق الضعيف، ويلج إليه من حيث لا يشعر.

وقد قرّب أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى لبعض من سأله عمّن يسدّ بابه من أين يأتيه

(١) "التحريم" - ص ٦٦.

(٢) "ت" - ص ١٠٦.

(٣) "السجدة" - ص ١١٠.

(٤) نهج البلاغة: ج ١ ص ٢٢١، حطبة ١١٢، في ملك الميت. تفسير نور الثقلين: ج ٤ ص ٢٢٥، ح ١٠١٠. بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٠٢، ح ٩٠٠. من نهج.

رزقه؟ فقال ﷺ «من حيث يأتيه أجله»^(١).

فإذن ملك الموت هذا لا نحسُّ به إذا جاءنا، ولا نستطيع دفعه، ومتى ما شعرنا بحضوره واستطعنا دفعه عن أنفسنا حينئذٍ نحن في غاية القوة والجبروت، فلا نحتاج إلى ربِّ نعبده وإلهٍ نطيعه!!

فالإمام الحسين عليه السلام ينصح هذا الرجل المبتلى بالمعصية بهذا البيان الرائع، والمستحيل أن يتحقَّق للمخلوقين من عباده الضعفاء وهو: «متى ما استطعت أن تدفع ملك الموت عنك فادفعه واذنب ما شئت» وبما أن التالي لا يمكن تحقيقه فعليك أيها العبد المبتلى ألا تعصي الله؛ لأنَّك لم تستطع دفع الضيم عن نفسك فاتَّقِ الله واستعن به.

وخامسها: «إذا أدخلك مالكٌ في النَّار، فلا تدخل في النار واذنب ما شئت!»

وخامس الشروط وأخيرها التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام لهذا العبد المبتلى بالمعصية هو ما بعد الوفاة، بمعنى أنَّك أيُّها العبدُ المبتلى بالمعصية إذا متَّ وأنتَ على هذا الحال فإنَّ مصيرك إلى النار، ولكن هل فكَّرت بأنَّك لا تستطيع أن تدفع عن نفسك في ذلك اليوم السوق الذي يسوقك به مالك خازن النيران إلى النَّار؟ فإن كُنتَ تستطيع منازعته وعدم الانصياع له فاذنب ما شئت.

وخازن النيران ملك لا يسمع شكوى للعاصين، ولا رجاءً من المذنبين، قال تعالى - واصفاً حال أهل النار معه -: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوثٌ﴾^(٢)، وفي حديث المعراج أن رسول الله ﷺ مرَّ على ملكٍ قاعد على كرسيٍّ فسلم عليه، فلم ير منه من البشر ما رأى من الملائكة، فقال: يا جبرئيل، ما مررت بأحد من الملائكة إلا رأيتُ منه ما أحبُّ إلا هذا، فمن هذا الملك؟ قال: هذا مالك خازن النَّار، أما أنه قد كان من أحسن

(١) نهج البلاغة ج ٤، ص ٨٢، رقم ٢٠٠. تفسير نور الثقلين ج ٥، ص ٢٠٠، ج ٢٠٠. بحار نوري ج ١٠،

ص ١٠٠، ج ١٠٠، ص ٢٠٠، ج ٨.

(٢) الزخرف: ١٠.

الملائكة بشرًا، وأطلقهم وجهًا، فلمَّا جعل خازن النار اطلع فيها اطلاعة، فرأى ما أعد الله فيها لأهلها، فلم يضحك بعد ذلك^(١).

وقد رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ الإمام الحسين عليه السلام أوحى الله عز وجل إلى مالك خازن النار: أن أخمد النيران على أهلها لكرامة مولود ولد لمحمد صلى الله عليه وآله.

فالله تبارك وتعالى أخمد النيران كرامة للإمام الحسين عليه السلام ولكنَّ القومَ أضرَموا النيران وأحرقوا الخيام، بُغْضًا وعداوة لأبي عبد الله عليه السلام وأهل بيته الكرام في يوم العاشر من المحرم. ومن هنا رُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا هَجَمَ القوم على المخيم ارتفع صياح النساء، فصاح ابن سعد: اكبسوا عليهنَّ الخباء واضرموها ناراً فأحرقوها ومن فيها.

فقال له رجل منهم: ويلك يا بنَ سعدٍ، أما كفاك قتل الحسين وأهل بيته وأنصاره عن إحراق أطفاله ونسائه؟ فقد أردت أن يخسف الله بنا الأرض؟

فامتنع ابن سعد، ولكنه نادى عليّ بمشعل من نارٍ لأحرق بيوت الظالمين، فجاءوا إليه بمشعل، فأضرم النار في المخيم، ففرَّ عيال وبنات رسول الله والتجؤوا إلى السيدة زينب عليها السلام^(٢).

وكأني بهنَّ:

(مجايد)

فرن اوكل وحده ابمشيها تتعثّر او تنذب وليها
وأطفالها تبجي البجيهها وسيطأ أمية اتدگ عليها
ولذا بقيت الحوراء زينب عليها السلام في حيرة من أمرها ودهشة، من قساوة عدوها.

(١) أنبأني الشيخ الصدوق: عن ٥٢. روضة الواعظين: عن ٥٠. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٢٥.

(٢) كان الدين وتقدم نسخة: ص ٢٠٨. مدينة المعارج: ج ٣، ص ٢٢٠. بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٠٨، ج ٢، ص ٢٠٨. عن كمال الدين.

(٣) أنظر: كتاب الأهل والأحباب: ص ٢٩١، ٢٩٢.

(فائزي)

زينب احتارت يوم شبّوا بالخيم نار
 طلعت ويّاها الحريم اصغار واكبار
 تصرخ بعالي الصوت طايح وين يحسين
 خدري انتهك وأنت غياث المستغيثين
 عجل ادركنه انتهكت خويه النساوين
 لمن سمع غام ايتكلب والدمه فار
 وكأني به عليه السلام يحييها:

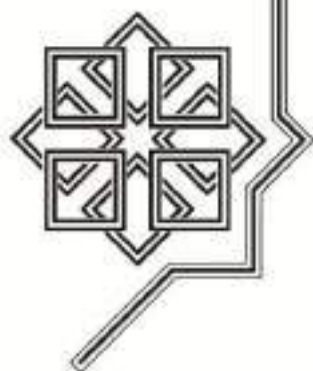
كلها يزنب باليتامة لا تحيني
 اولا تكثرين امن البواحي اتهيجيني
 ردي اسكينه لا يذوّبها وينيني
 لا تكثري عتبي ولا اتجيني بلا اخار
 لا تكثري عتبي وأنا جثة بلا راس
 راسي اگبالج والجسد بالخيّل ينداس
 كصدي الشريعة بلكن اتشوفين عباس
 يگدر على الكومه اويسل سيفه البتار
 وكأني بها عليه السلام تنادي كافلها أبا الفضل العباس عليه السلام:

عبّاس دير العين لينه وانظر عزيزتكم اسكينه
 تگلي يعمّه البطل وينه خل ينظر اشلون انولينه

عبّاس تسمع زينباً تدعوك من لي يا حمّاي إذ العدى نهروني
 أولست تسمع ما تقول سكينة عمّاه يوم الأسر من يحميني

الحاضرة المعروفة الثمانية

مُعْطِيَاتُ
أَيُّهَا الْمُبَاهِلُونَ



يَابْنَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَوَصِيَّهِ
 تَبْكِيكَ عَيْنِي لَا لِأَجْلِ مَثُوبَةٍ
 تَبْتَلُ مِنْكُمْ كَرْبَلَاءَ بَدَمٍ وَلَا
 أَنْتَ رَزَيْتُكُمْ رَزَايَانَا الَّتِي
 وَفَجَائِعُ الْأَيَّامِ تَبْقَى مُدَّةً
 لَهْفِي لِرَكْبٍ صُرَّ عَوَا فِي كَرْبَلَا
 نَصَرُوا ابْنَ بَنَاتِ نَبِيِّهِمْ طُوبَى لَهُمْ
 قَدْ جَاوَرُوهُ هَاهُنَا بِقُبُورِهِمْ
 وَلَقَدْ يَعِزُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَنْ
 وَيَرَى حُسَيْنًا وَهُوَ قُرَّةُ عَيْنِهِ
 وَجَسُومُهُمْ تَحْتَ السَّنَابِكِ بِالْعَرَى
 وَيَرَى دِيَارَ أُمِّيَّةٍ مَعْمُورَةٍ
 وَيَزِيدُ يَقْرَعُ ثَغْرَهُ بِقَضِيئِهِ

وَأَخَا الزَّكِيِّ يَابْنَ الْبَتُولِ الزَّكَايَةِ
 لَكِنَّمَا عَيْنِي لِأَجْلِكَ بَاكِيَةً
 تَبْتَلُ مِنِّْي بِالْذُّمُوعِ الْجَارِيَةِ
 سَلَفَتْ وَهَوَّتِ الرِّزَايَا الْآتِيَةِ
 وَتَزُولُ وَهِيَ إِلَى الْقِيَامَةِ بَاقِيَةِ
 كَانَتْ بِهَا آجَالُهُمْ مُتَدَانِيَةِ
 نَالُوا بِنَصْرَتِهِ مَرَاتِبَ سَامِيَةِ
 وَقَصُورُهُمْ يَوْمَ الْجَزَاءِ مُتَحَادِيَةِ
 تُسَبِّى نِسَاءَهُ إِلَى يَزِيدَ الطَّاعِيَةِ
 وَرِجَالَهُ لَمْ تَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةِ
 وَرَوْوُسُهُمْ فَوْقَ الرِّمَاحِ الْعَالِيَةِ
 وَدِيَارَ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْهُمْ خَالِيَةِ
 مَتَرْنَمًا مِنْهُ الشَّمَاةُ بَادِيَةِ^(١)

وَكَاثِي بِالْخُورَاءِ زَيْنَبَ عليها السلام لَمَّا نَظَرَتْ إِلَى أَخِيهَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَيَزِيدُ يَقْرَعُ بَعْصَاهُ ثِنَايَاهُ:

يَحْسِينَ رَاسِكَ حِينَ شَفْتِهِ
 ذَاكَ الْوَكْتَ وَجْهِي لَطْمَتِهِ
 إِن شَلَّتْ يَمِينُكَ يَا لِمُضْرِبَتِهِ
 شَتْمَنِي وَتَعَدَّتْ لَهُ شَتْمَتِهِ

تَلْعَبُ عَصَا يَزِيدَ عَلَى شَفْتِهِ
 وَصَدِّيتِلَهُ ابْحَرَگَهُ وَنَدَهْتَهُ
 مِنْ شَافِنِي الظَّالِمِ عَذْلَتِهِ
 يَا أَخُو الْمَثَلِكِ ضَاعَتْ إِخْتَهُ

(١) - نسخة المسح عبد الحسين عليه السلام كما قال السيد عليه السلام في الدر المنضوب: ص ٢٦٢. روض

قدّمت ترجمته في المحاضرة الثانية من هذا الكتاب ص ٦٦.

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَعْبُدْكُمْ وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنَفْسَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

«أجمع أهل القبلة - حتى الخوارج منهم - على أن النبي ﷺ لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء، ومن الأبناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدنيا، ومن الأنفس إلا أخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، فهو لاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها، لم يُشاركهم فيها أحد من العالمين كما هو بديهي لكل من ألم بتاريخ المسلمين، وبهم خاصة نزلت لا بسواهم.

وأوردها ابن حجر في الباب الحادي عشر من صواعقه أن علياً يوم السورى احتج على أهلها فقال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أحد جعله الله نفس النبي، وأبناءه أبنائه، ونساءه نساءه غيري؟ قالوا: اللهم لا...» الحديث^(٢).

فباهل النبي ﷺ بهم خصومه من أهل نجران فبهلهم، وأمّهات المؤمنين كن حينئذ في حجراته ﷺ، فلم يدع واحدة منهم وهن بمرأى منه ومسمع، ولم يدع صفية وهي شقيقة أبيه وبقية أهليه، ولا أم هاني ذات الشأن والمكان، وهي كريمة عمه الفارج لهم، ذي الأيادي التي هي من المسلمين طوق الهوادي، ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد، ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار، كما أنه لم يدع مع سيدي شباب أهل الجنة أحداً من أبناء الهاشميين، على أنهم كانوا (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً)^(٣) ولا دعا أحداً من أبناء الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم.

(١) ابن جرير: ٢١٠٠.

(٢) شرح الحقائق للحق: ج ٩ ص ٨١، عن الصواعق: ص ١٠٠ (طبع في المطبعات بدمشق). انظر: تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٠ ص ٢٢٠، بانيع الحديث: ج ٢ ص ٢٠٠، بحار كنوز: ج ٣ ص ٢٠٧ - ٢٠٨، عن الصواعق.

(٣) مختار: ص ٢١٠، قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا﴾ الإنسان: ١٢.

وكذلك لم يدع من الأنفس مع عليٍّ عمّه وصنو أبيه العباس بن عبد المطلب، وهو شيخ الهاشميين، وأجود القرشيين وأعظم الناس عند رسول الله ﷺ، بل لم يدع أحداً من كافة عشيرته الأقربين، ولا واحداً من السابقين الأولين (رضي الله تعالى عنهم أجمعين) وكانوا بمرأى من المباهلة وسمع من المتدلى والمجمع فلم يتدب واحداً منهم مع من انتدبهم إليها، بل لم يتدب أحداً من سائر أهل الأرض بالطول والعرض، وإنما خرج ﷺ - كما نصّ عليه الرازي في تفسيره - وعليه مرط من شعر أسود وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليٌّ خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوتُ فأمنوا»، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوها الله أن يُزيلَ جبلاً لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة^(١).

وهنا فوائد لا بُدّ من التعرّض إليها:

الأولى: قد ذكر الزمخشري في تفسيره: «أنّ الباري قدّمهم في الذكر على الأنفس لئبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مُقدّمون على الأنفس مفدون بها. وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (عليهم السلام)، وفيه بُرهان واضح على صحّة نبوة نبي الإسلام ﷺ؛ لأنّه لم يرو أحدٌ من موافق ولا مخالفٍ أنّهم أجابوا إلى ذلك»^(٢).

الثانية: وذكر الفخر الرازي في تفسيره: «أنّه كان في الرّي رجلٌ يُقال له: محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلّم الاثني عشرية، وكان يزعم أنّ علياً (عليه السلام) أفضل من جميع الأنبياء سوى مُحَمَّدٍ ﷺ قال: والذي يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وليس المراد بقوله ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ نفس مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد غيره،

(١) نقل هذا الكلام بسبب من كتاب الكفاية الغرّة في تضييق الزهراء (عليها السلام) المطبوع في ذيل النصول

نعم في تاريخ الأئمة ص ١٦٧ - ص ١٦٨. والكتاب من تأليف فخر الشيعة سيد عبد الحميد

خزف الدين (رحمته)

(٢) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٠٠.

وأجمعوا على أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فدلت الآية على أنّ نفس عليّ هي نفس محمد، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أنّ هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه ترك العمل بهذا العموم في حقّ النبوة وفي حقّ الفضل؛ لقيام الدلائل على أنّ محمدًا عليه السلام كان نبيًّا وما كان عليّ كذلك، ولانعقاد الإجماع على أنّ محمدًا عليه السلام كان أفضل من عليّ عليه السلام، فيبقى ما بعده معمولاً به، ثمّ الإجماع دلّ على أنّ محمدًا عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء، فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثمّ قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية، الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو قوله عليه السلام: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ وَنُوحًا فِي طَاعَتِهِ وَإِبْرَاهِيمَ فِي خِلَّتِهِ وَمُوسَى فِي هَيْبَتِهِ وَعِيسَى فِي صَفْوَتِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ^(١)، فالحديث دلّ على أنّه اجتمع فيه ما كان متفرّقاً فيهم، وذلك يدلّ على أنّ عليًّا عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد عليه السلام.

وأما سائر الشيعة فقد كانوا - قديماً وحديثاً - يستدلّون بهذه الآية على أنّ عليًّا عليه السلام [أفضل] من سائر الصحابة؛ لأنّ الآية لما دلت على أنّ نفس عليّ عليه السلام مثل نفس محمد عليه السلام إلّا فيما خصّه الدليل، وكان نفس محمد أفضل من الصحابة (رضوان الله عليهم) فوجب أن يكون نفس عليّ أفضل أيضاً من سائر الصحابة ^(٢).

ثمّ إنّ ذكر كلاماً في غاية العناد والمكابرة لردّ هذا الاستدلال السليم.

الثالثة: وهي نكتة مهمّة لا يعرف كونها إلّا علماء البلاغة ولا يقدّر قدرها إلّا الراسخون في العلم العارفون بأسرار القرآن ألا وهي: إنّ الآية الكريمة ظاهرة في عموم

(١) انظر: فهرست مشيخ الدين، ص ٦٢. تفسير البحر المحجّب، ج ٢، ص ١٠٣. بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٨٣.

(٢) التفسير الكبير (مشيخ النجاشي)، ج ٤، ص ٨.

الأبناء والنساء والأنفس، كما يشهد به علماء البيان، ولا يجهله أحدٌ ممن عرف أن الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق، وإنّا أطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبياناً؛ لكونهم مُمثلي الإسلام، وإعلاناً بكونهم أكمل الأنام، وصفوة العالم، وبرهاناً على أنهم خيرة الخيرة من بني آدم، وتنبهاً إلى أن فيهم من الروحانية الإسلامية والإخلاص لله في العبودية، ما ليس في جميع البرية، وأن دعوتهم إلى المباهلة بحكم دعوة الجميع، وحصرتهم خاصة فيها مُنزّل منزلة حضور الأمة، وتأمينهم على دُعائه مقدّم عن تأمين من عداهم، وبهذا جاز التجوّز بإطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص، ومن غاص [في] أسرار الكتاب الحكيم وتدبره ووقف على أغراضه يعلم أن إطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص إنّما هو على حدّ قول القائل:

ليس على الله بمُستنكر أن يجمع العالم في واحد^(١)

ولذا - كما ذكرت آنفاً - قال الرَّمُحْشَرِي في تفسيره: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام.

الرابعة: إنّ هذه الآية التي دلّت على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس النبي صلى الله عليه وآله لو ضممتمها إلى آية أخرى، وتأخذ من تلك كلمة ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ ومن هذه أيضاً في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾^(٢) وأمعت النظر في الآيتين يتجلى لك من الأسرار ما كان خفياً^(٣).

الخامسة: ومن طريق المخالفين: ما رواه موفق بن أحمد - وهو من كبار علمائهم - قال: أخبرنا قُتَيْبَةُ، قال: حدّثنا فلان عن سعد بن أبي وقاص قال: أمر مُعاوية بن أبي سُفيان

(١) انظر: النخلة الفراءية في تنبيل الزعماء، ج ١، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) تنبيه: ١٣٠.

(٣) انظر: هدم كلمة الفراءية، ص ٢٠٢.

سعداً فقال: ما منعك أن تُسبَّ أبا تُراب؟ قال: أما ما ذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ رسولُ الله ﷺ لأن تكون لي واحدة أحبُّ إليَّ من حُمُرِ النعم، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لعليٍّ عليه السلام وخلفه في بعض مغازيه: «تكون أنت في بيتي إلى أن أعود» فقال له عليٌّ عليه السلام: «يا رسولَ الله، تُخلفني مع النساء والصبيان؟» فقال رسولُ الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي».

وسمعه يقول يومَ خيبر: «لأعطينَ الراية رجلاً يُحِبُّ الله ورسوله ويُحِبُّه الله ورسوله» قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي عليّاً»، قال: فأتى عليٌّ وبه رمُدٌ، فبصقَ في عينيه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، وأنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾^(١).

ومعنى الآية: يا مُحَمَّد، فَمَنْ حَاجَكَ مِنَ النَّصَارَى فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، أَيِ الْبَيِّنَاتِ الْمَوْجِبَةِ لِلْعِلْمِ فَبَاهِلِهِمْ وَقُلْ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ^(٢).

وأما قوله ﴿فَمَنْ حَاجَكَ﴾ ففي تفسير القمّي عن الصادق عليه السلام: «فقال رسولُ الله ﷺ: فبَاهِلُونِي، فَإِنْ كُنْتُ صَادِقاً أَنْزَلْتُ اللَّعْنَةَ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كُنْتُ كَاذِباً أَنْزَلْتُ عَلَيَّ، فَقَالُوا: أَنْصَفْتَ، فَتَوَاعَدُوا لِلْمَبَاهِلَةِ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ قَالَ رُؤَسَاؤُهُمُ، السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ وَالْأَهْتَم: إِنْ بَاهَلْنَا بِقَوْمِهِ بَاهِلُنَاهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيِّ وَإِنْ بَاهَلْنَا بِأَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً فَلَا نَبَاهِلُهُ؛

(١) مناقب، ج ١، ص ١١٥، المصنف، ج ١٨، ص ٢٨٨، وأنظر: سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٠١، ج ٢٨١.

فتح الباري، ج ١، ص ١١٠، السنن الكبرى، ج ٥، ص ١١٧ - ١١٨، ج ٨٢٩، حسان بن أمير المؤمنين.

ص ٢٨٧ - ٢٨٨، حسان بن علي، ص ١٢ - ١٢٧، سوانح السلف، ج ٢، ص ٢٢ - ٢٣، ج ٢٤.

تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٤، ص ١١٢ - ١١٣، أم الفداء، ج ٤، ص ٢٤ - ٢٥، الأصبهاني، ج ٤، ص ٢٨٨.

بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢٠٥ - ٢٠٦، ج ٢٨، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، ج ٢٩، ص ٢١٠ - ٢١١، ج ٣٠.

(٢) أنظر: تفسير الكشاف، ج ١، ص ٢٣.

فإنه لا يُقدِّم أهل بيته إلا وهو صادق، فلما أصبحوا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ^(١).

ثم إنهم قالوا: إننا لنرى وجوها لو دُعي بها على الجبال لانهدت، تلك الوجوه هي وجوه آل محمد عليهم السلام، أي وجوه تلك التي كانت مرآة عاكسة لنور الله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَهُ لَا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٢).

يا لها من ليلة مؤلمة مرّت على بنات رسول الله ﷺ بعد ذلك العزّ الشامخ الذي لم يُفارقهنّ منذ أوجد الله كيانهنّ، فلقد كنّ بالأمس في سُرّادق العظمة وأخبية الجلالة، وبقين في هذه الليلة في حلك دامس بعد فقد تلك الأنوار الساطعة بين رحل مُتتهبٍ، وخباءٍ محترق، وحمّاة صرعى، لا محامي هنّ ولا كفيل، ولا يدرين من يُدافع عنهنّ إذا دهمهنّ داهم، ومن يسكن فورة الفاقدات ويخفض من وجدهنّ.

في هذه الليلة قامت الحوراء زينب عليها السلام بجمع العيال والأطفال في مكانٍ واحدٍ، فلما جمعتهم أخذ الأطفال ينظرون بعضهم إلى البعض الآخر ودموعهم تتحادر على الخدود، وأخذوا يسألون الحوراء زينب، هذه تنادي: عمّه زينب أين أبي؟ وذلك يُنادي أين عمّي؟ وآخر يُنادي: عمّه، أين أخي؟ ماذا تحييهم الحوراء زينب؟! أتقول لهم: أتهم صرعى على الأرض؟ أم عندها جواب آخر؟ نعم قامت إليهم، أخذت تضمّ الطفلة إلى صدرها لتهدئها عن البكاء والعويل، فإذا هدت أخذت الأخرى فضمتها إلى صدرها، وكأني بها في تلك اللحظات، لحظات اللوعة والألم، تلتفت إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام تناديه ولكنها لم تسمع منه جواباً، وأتني له بالجواب، وقد فرّق بين رأسه وجسده؟ لهذا حوّلت بوجهها إلى الغري شاكية مُصابها لأبيها أمير المؤمنين عليه السلام:

(١) تفسير النعماني: ج ١ ص: ١٠٠.

(٢) تنبيه: ص ٣٢.

(مجاريد)

يوييه عليّه اللّيل هوّد
 وانه حُرّمه وغريبه اومالي أحد
 بيمين بيويه الكلب يُضمد
 بالحسين هلغندي امّدد
 وابن والدي العباس مارّد
 خلصوا هلي الله ولحد

(مجاريد)

يوييه عليّنه چلچل اللّيل
 اودارت عليّنه الزلم والخيّل
 اوجاسم والأكبر مجاّيل
 اوعباس مرمي ابغير تغسيل
 والحسين بيّه مثّلوا تمثيل
 اوسجادنه مطروح ونحيل

(فازي)

أمسه المسه والنار ماخلت لنا اخيام
 صيوان ما ظل تلتجي ابفيه هاليتام
 أغبل عليّنه اللّيل أو زادت الوحشة
 اوما شوف غير أيتام تتصارخ ابدهشة
 اوشيوخ العشيرة احسين محد شال نعشة
 مطروح اوبجنبه عليّ الأكبر اوجسام

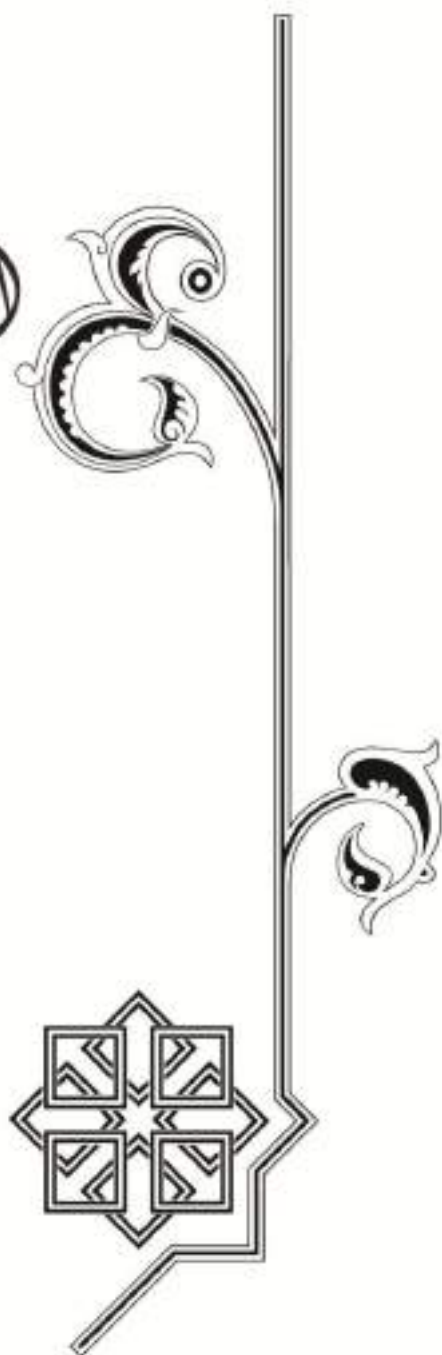
(أبوزية)

يناعي صيح ابصوت وليان
 يحدر يا مطوّع الأنس واليان
 ترى زينب بُغت من غير وليان
 تحشم وينكم يهل الحميّة

قم يا عليّ فما هذا القعود وما
 عهدي تغصّ على الأقذاء أجفانا

الحاضرة العربية الشامية

العفوة



لَعَمْرِي لَقَدْ سَارَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ وَمَا سِيرَ هَذَا الدَّهْرُ فِي النَّاسِ رَاشِدُ
أَيُّمَسِي ابْنُ صَخْرٍ وَالْحَرِيرُ وَسَادُهُ وَلِلْسَبْطِ مِنْ صُمِّ الصُّخُورِ وَسَائِدُ
وَرَأْسُ حُسَيْنٍ فِي الرِّمَاحِ وَخَصْمُهُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجَ الْخِلَافَةِ عَاقِدُ
[أَيُّمَلُ رَأْسَ ابْنِ النَّبِيِّ بِأَسْمِرٍ وَحَامِلُهُ رَجَسُ زَنْيِمٍ مَعَانِدُ]
يَمِيدُ بِهِ الْخَطَارُ حُزْنًا وَغِبْطَةً أَيْعَلِمُ تَحْقِيقًا بَمَنْ هُوَ مَائِدُ
وَتُجْلِبُ آلُ اللَّهِ وَالشَّمْرُ سَائِقُ وَزَجَرُ ابْنِ قَيْسٍ بِالشَّاتَةِ قَائِدُ
وَفِي الرِّكْبِ أَطْفَالُ يَتَامَى وَمَدَنِفُ عَلِيلٌ وَنَسْوَانُ أَيَّامَى فَوَاقِدُ
فَطُورًا لَكُوفَانٍ تَرَاهَا قَوَاصِدًا كَمَا أَتَاهَا لِلشَّامِ طُورًا قَوَاصِدُ^(١)

(١) الأبيات - ١٤ عدا الرابع - من قصيدة زائدة نثيخ عبد العظيم الريفي رحمه الله كما في ديوانه لطبوع
اليوم بلايدوان الريفي (صفحة ٢٢٧). وإنما أبيت الرابع ذاتي سمعته من أستاذي المرحوم شيخ
محمد سعيد المصوري وكانت من نظمته رحمه الله.

وأن الشيخ الريفي فقد جاء في ترجمته في مقدمة كتابه "البيان في سياسة الحسين عليه السلام" بقلم أخيه
الحبيب السيد الشيخ هادي اتهلاني (حفظه الله) ما ملخصه: «هو شيخ عبد العظيم بن القتي
الذي شيخ حسن بن الشيخ عبيد... البحراني الريفي، عالم جليل، وأديب كبير، وكانت ضليعة
واسعة مبدي، ولد في بغداد سنة ١٢٢٣ هجرية، وبدأ نفاة صانحة فقرأ المبادئ لألفية سنن والده
الذي كان من العلماء الأجلاء اليهود لهم بفرقة العلم وسعة الأفق، إلى جانب ورعه وإصلاحه
وتحريجه في الدين... بقلم وجهه سبب عاصمة العلم زبير والأدب النجف الأصف... بدأ
بالاختلاف على أئمة تبرير وفضائل معروفين، وفضائل مرموقين، كان من بينهم (أية عنه) هو
الحسن الأسفهانى) ثم كثر راجعا إلى مستطاع رأسه...

للشيخ الريفي مؤلفات كثيرة، منها (وفاء الإمام الرضا عليه السلام)، ألحقه الريفي في الحق، سياسة الحسين،
المنظومة في المنقذ، المنظومة في نبلاء، المنظومة في معارف... توهبه الله تبارك وتعالى في الثامن
من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٤٣ هجرية).

ولكن سلمي ماذا يصنعن وهنَّ مربطات بالحبال على ظهور النياق المهزولة، وكأني بالنسوة:

هاي إتصيح أبويه إشلون خلاني وهاي إتگول أخوي اشلون ينساني
وذيچ اتگول ابني البار ما جاني يشوف آثار ضرب السوط بيديه
زينب نادت النسوان ولهانه عليمن هالعتب والروس ويانه
وراس احسين هذا اوروس خوانه ييارون الظعن أوله وتاليه

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾^(١).

العفو وهو ضد الإلتقام، هو إسقاط ما يستحقه الغير من قصاص أو غرامة، وأيضاً هو محو الشيء وإزالته، ويقال: عفا عن الذنب، أي لم يعاقب عليه^(٢).

ولعل سائلاً يقول: ألا يُعتبر العفو عن الظالم المعتدي تأييداً لظلمه وتتميماً لنزعة العدوان لديه؟ ألا يؤدي العفو إلى ظهور حالة سلبية من اللامبالاة لدى الظالمين؟

والجواب هو: إنَّ العفو لا صلة له بمسألة تحقيق العدل ومكافحة الظلم؛ والدليل على ذلك ما تقرأونه في الأحكام الإسلامية من نهْي عن ارتكاب الظلم وأمر بعدم الخضوع له، كما في الآية المباركة: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَكْرَةَ الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ نَفَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

كما تقرأ من جانب آخر الأمر بالعفو والصفح، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٥).

(١) البقرة: ١٧٨.

(٢) الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ١٢٥.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) البقرة: ٢٣٧.

(٥) البقرة: ٢٣٨.

من الممكن أن يتبادر إلى الذهن أنَّ هناك تناقضاً بين هذين الحكمين، ولكن لدى الإمعان فيما ورد في المصادر الإسلامية في هذا المجال يتّضح أنَّ العفو والصفح يجب أن يكون في موضعٍ بحيث لا يُساء استغلاله، وإنَّ الدعوة إلى مكافحة الظلم وقمع الظالم يكون لها مجال آخر.

وينبغي أن يعلم بأنَّ العفو والصفح يكونان لدى تملك القدرة وعند الانتصار على العدو وهزيمته النهائية، أي في حال لا يحتمل فيها حصول أي خطر جديد من جانب العدو، ويكون العفو والصفح عنه سبباً لإصلاحه واستقامته ودفعه إلى إعادة النظر في سلوكه، والتاريخ الإسلامي فيه أمثلة كثيرة في هذا المجال وكلام مولى الموحدين عليه السلام إذ قال: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»^(١)، خير دليل على هذا القول.

أمّا في حالة وجود خطر من جانب العدو، واحتمال أن يؤدي العفو عنه إلى تجرّيه وتماديّه أكثر في عداوته، أو إذا اعتبر العفو استسلاماً للظلم وخضوعاً أمامه ورضى به، فإنَّ الإسلام لا يبيح مثل هذا العفو مطلقاً، كما أنَّ أئمة الإسلام لم ينتخبوا طريق العفو في مثل هذه المجالات^(٢).

حيث إنَّ الأئمة عليهم السلام اقتبسوا ذلك من أدب الله تبارك وتعالى، وهو غفور رحيم، وشديد العقاب في وقتٍ واحدٍ.

«وَأَيَقُنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَشَدَّ الْمَعَاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النِّكَالِ وَالنَّقْمَةِ»^(٣).

(١) نهج البلاغة: ج ٤، ص ٤٠، ج ١١، بيون الحكم والمواظبة: ص ١٢٢، المصاب (العوار: م) ج ١، ص ٣٦، وسائل الشيعه: ج ١٩، ص ١٦١، ج ٨، خصصت المهمة في معرفة الأئمة: ج ١، ص ٥٨، بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٧.

(٢) تفسير الأئمة: ج ٣، ص ٥١، ٥١، ينصرف يسير.

(٣) وعظم من دعاء الافتتاح، أطر: تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ١٠٨، فبيان الأصناف: ج ١، ص ١٢٨، الصباح (الكنسي): ص ٥٦٨، سه بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٠، ج ١.

ثُمَّ لَوْ رَجَعْنَا إِلَى الْآيَةِ نَجِدُ أَنَّهَا لَيْسَتْ عَدِيمَةُ الْإِرْتِبَاطِ بِمَا قَبْلُهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَبِالْخُصُوصِ الْآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا مَبَاشَرَةٌ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ^١ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا^٢﴾ ثُمَّ جَاءَ دَوْرُ الْآيَةِ الَّتِي نَحْنُ بِصَدْدِهَا، فَالْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ ذَكَرَتْ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

الأول: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا^٣﴾ ومعنى الإبداء هنا هو الإظهار، أي إظهار الخير سواء كان فعلاً، كإظهار الإنفاق على مستحقِّه، وكذا كلِّ معروف؛ لما فيه من إعلاء للكلمة الدين وتشويق الفاسق إلى المعروف، أو كان قولاً، كإظهار الشكر للمنعِم وذكره بجميل القول؛ لما فيه من حسن التقدير وتشويق أهل النعمة.

الثاني: ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ^٤﴾، أي: أوتخفوا الخير، يعني فعل المعروف؛ ليكون أبعد من الرياء وأقرب إلى الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ^٥ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَنُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ^٦ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ^٧ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ^٨﴾.

وأما الأمر الثالث والمهم في المقام: وهو العفو عن السوء، فالمقصود منه هو الستر عليه قولاً، بأن لا يُذكر ظالم بظلمه، ولا يذهب بياء وجهه عند الناس، ولا يُجهر عليه بالسوء من القول، وفعلاً، بأن لا يواجهه بما يقابل ما أساء به، ولا ينتقم منه فيما يجوز له ذلك^٩.

فالعفو من المراتب السامية التي لا يتحلَّى بها إلا عباد الله المخلصون، وهو من آداب الله تبارك وتعالى التي أدَّب بها النبي الأكرم ﷺ.

وللعفو فضائل لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ حتَّى ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «إذا عنت لكم غصبة فادرووها بالعفو، إنَّه ينادي منادي يوم القيامة من كان له على الله أجرٌ فليقم، فلا يقوم

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) تفسير الميزان: ج ٥ ص ١٠٠.

(۵) فخر الصائد، ص ۵، بحار الانوار، ج ۲، ص ۳۷.

عنكم بذلك عذاب النار»^(١).

٥ - يدفع سوء الأقدار؛ لما ورد عنه عليه السلام أنه قال: «تجاوزوا عن عشرات الخاطئين يقيمكم الله بذلك سوء الأقدار»^(٢).

فمن هنا كان العفو دأب أهل البيت عليهم السلام، ومن تتلمذ على أيديهم من أصحابهم، حتى وصل الدور إلى أفذاذ العلماء أمثال العالم العَلَم الشيخ مرتضى الأنصاري الذي ينقل أحد أسباطه بالواسطة، أنه شوهد رجل قد طرح بنفسه على قبر الشيخ الأنصاري وكان يبكي بكاءً شديداً.

وعندما سُئل عن سبب بكائه؟

قال: أوعز إليّ جماعة أن أقتل الشيخ، فاستجبت لطلبهم، وأخذت سيفي وذهبت إلى منزل الشيخ وكان الوقت منتصف الليل، فلما دخلت عليه عُرِفَتْه وجدُّته على سجاده في حالة الصلاة، فلما جلس رفعت السيف بيدي لأضربه، فامتنعت يدي عن الحركة ولم أتمكن من القيام، فبقيت على هذه الحال حتى فرغ من صلاته وبدون أن يرجع بطرفه إليّ قال: إلهي، ما الذي عملته حتى أن فلان وفلان - وصرَّح بأسمائهم - قد أرسلوا فلاناً - وصرَّح باسمي - ليقتلني، إلهي، قد غفرت لهم فاغفر لهم.

وفي ذلك الوقت التمسست منه وطلبت العفو، فقال لي: لا ترفع صوتك حتى لا يفهم أحد، إذهب لمنزلك، وتعال لي عند الصباح.

فخرجت من عنده وقد استغرقت في الفكر حتى الصباح، وعند الصباح فكَّرت وقلت في نفسي أأذهب أم لا أذهب؟ وما الذي يحدث لي في حالة امتناعي عن الذهاب؟ وأخيراً تملكَّت الجرأة وذهبت، فرأيت الناس حوله في المسجد، فتقدَّمت إليه، وسلَّمتُ

(١) تبيين الحقائق: ج ٢، ص ١٢٠.

(٢) المصدر: نفسه.

عليه، فأعطاني كيساً من المال في الخفاء، وقال لي: اذهب وتكسّب به، ومن بركة هذا المبلغ أصبحت اليوم أحد تجار السوق، وكلّ ما عندي هو من بركة صاحب هذا القبر.

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا لا يتفق مثل ذلك لأmir المؤمنين (عليه السلام) حيث قتله ابن ملجم، وليس بعد أمير المؤمنين غير أولاده من يصل إلى مقامهم صلوات الله عليهم أجمعين؟!

الجواب: هي إرادة الله تبارك وتعالى، وفعلها وعدم فعلها تابع لمشيئته، كما أنّ بدن الحسين (عليه السلام) رضته الخيل في كربلاء ولم تتمكّن الثيران من محو معالم قبره حينما أراد المتوكّل ذلك^(١).

نعم رضت الخيل الجسد الطاهر لإمامنا الحسين (عليه السلام) بمسمع ومرأى من أمّ المصائب زينب (عليها السلام)، نظرت فرأت الخيل تلعب على صدر الحسين (عليه السلام)، وكأني بها بلسان الحال تقول:

يا ناس ضيّعت البصيرة وحيّرني زماني اشلون حيرة

ابن والدي ماله عشيرة ولا حظرت گرابه البيهه غيره

تسوي الجثّت ابن أمّي حفيرة

إلى أين تلتفت، وبأيّهم تتخي، بأبي الفضل العباس (عليه السلام) وهو على نهر العلقمي جثّة بلا رأس.

(قطيفي)

سبع التنخّينه غده على الغاع طايح

ومنحور من ظلّوا على الغبره ذبايح

(١) الأحمدي في الأدب الإسلامي، ص ١٠٧.

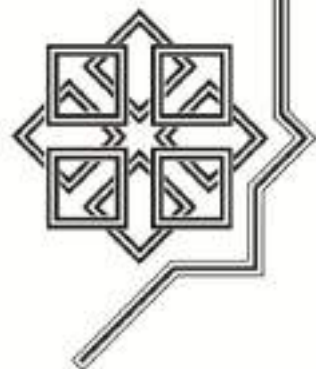
سبعين صرعه ما يسمعون الصوايح
 ومحمد من رجالچ بگه ترگينه
 والي يرد الخيل عنچ داسته الخيل
 ظل عاثره يمدّرة من غير تغسيل
 لازم يزينب تركبي ظهور المغاير
 ومجلس الطاغي يزيّد لازم تدخيلينه
 وين الكفيل الي زمطلچ بالكفالة
 وجايج لأراضي كربله بعزّ وجلاله
 روحي النهر العلگمي وأنظري بحاله
 گالت چفيلي مات وتوسّد يمينه^(١)

فديتک لو تعاین ما أَلَاقِي لعزّ عليك ذلّي يا حيي

(١) من روزگار آمدنما شيخ محمد سعيد المصنفي رحمه الله.

الحاضرة العربية البصرة

مِنْ هُمْرَاءُ وَلِوَالِ الْأَمْزِ



قَفَّ بِالطُّفُوفِ وَجُدَ بَفِيضِ الْأَدْمَعِ إِنَّ كُنْتَ ذَا حُزْنٍ وَقَلْبٍ مُوَجِّعٍ
أَيَّتْ جِسْمُ ابْنِ النَّبِيِّ عَلَى الثَّرَى وَبَيَّتْ مِنْ فَوْقِ الْحَشَايَا مَضْجَعِي
لَمْ أَنْسَ لَا وَاللَّهِ زَيْنَبَ إِذْ مَشَتْ وَهِيَ الْوَقُورُ إِلَيْهِ مَشْيَ الْمُسْرِعِ
تَدْعُوهُ وَالْأَحْزَانُ مَلَأَتْ فُؤَادَهَا وَالطَّرْفُ يَسْفَحُ بِالْذُمُوعِ الْهَمَّعِ
أَخِي أَيْنَ أَبِي عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى لِيرَى انْكَسَارِي لِلْعَدَى وَتَحْضَعِي
أَخِي هَلْ سَمِعْتَ بَنِيكَ أُمُّكَ الزَّهْرَاءُ حِينَ نَعِيَتْ أُمَ لَمْ تَسْمَعِ
أَخِي مَا عَوَدْتَنِي مِنْكَ الْجَفَا فَعَلَامَ تَجْفُونِي وَتَجْفُو مَنْ مَعِي
أَنْعَمَ جَوَاباً يَا حُسَيْنُ أَمَا تَرَى شِمَرَ الْخَنَا بِالسَّوْطِ كَسَّرَ أَضْلَعِي
فَأَجَابَهَا مِنْ فَوْقِ شَاهِقَةِ الْقَنَا قُضِيَ الْقَضَاءُ بِمَا جَرَى فَاسْتَرْجَعِي
وَتَكْفَلِي حَالَ الْيَتَامَى وَأَنْظُرِي مَا كُنْتُ أَصْنَعُ فِي حِمَاهُمْ فَاصْنَعِي^(١)

(١) القصيدة لسيح محمد بن شريف بن هلال الكاظمي رحمته الله. قال عنه السيد حواء نسب رحمته الله في أدب الضن: «السيح محمد شريف بن هلال الكاظمي نزيل الخزي. ولد في الكاظمية ونسأ فيها. ثم هاجر إلى الجف وقرأ العلوم فيها في ربيع الأخير من القرن الثاني عشر للهجرة. وكان من المتأخريين في العلم والأدب واللامع من بني قزوين. له أملاء بجملة من العلوم. ومن هذه التخرجات الباهرة. مما سمر السيح مهدي نكتة العبد العبد النجفي المتوفى سنة ١١٥٣ هـ. والسيد محمد مهدي الحلي طباطبائي المعروف ببحر العلوم. وله في الأخبار السيح جعفر صاحب كشف الغطاء. والسيح أحمد اسحق. وكان على جانب عظيم من التقوى والنور والصلاح. نسب إليه كرامات منجدة. الآية». وله القصيدة الدرية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وإنه أنقضا في الحرم أمام قبر الشريف. ويسقط عليه القديس الذهبي الملقب. فأخذ من يوم خلق. فوقف عليه مرة ثانية فأخذه. والقصيدة أنبها:

أيا حسن ومثل من يادى لظن الغنى والجهل السيد

توفي رحمته الله سنة ١٢٢٠ هـ. أدب الطهارة ج ٦ ص ٢٢٠. ١٢.

(فايزي)

وگفت على التل الحزينة إېگلب مفتوت
 اوشبجت على الراس بعشرها اوصاحت بصوت
 يحسين دگعد وصلت العدوان البيوت
 هجموا عليه يا كفيلي اوفرهدونه
 ناده لسان الحال منه وصعد أنفاس
 يمدخرة حيدر أبونه صعب المراس^(١)
 كثر العتب شيفيد في جثه بلا راس
 راسي على الخطي^(٢) يزينب تنظرينه
 ردي الخيمة گالت الخيمة احرگوها
 سلي الحرم گالت حريمك سلبوها
 باري اسكينه اعزيتي لا يضربوها
 اوزين العباد بالمرض منخطف لونه

(نعي)

أوصيچ يازينب بلعيال اوعينچ تحطيهامن الأطفال
 تدلين هممه اربات الأدلال اوعن الشمس يردلهم اضلال
 ونظري علي السجّاد لومال

(١) البطل الحجّ، اندي يصعد ملاقاته ودر نسفة واقفوه، ذكر في همدس ابعاز: ج ٢، ص ١٠.

(٢) نخني: هو الروح. انظر: نهايه في مريب الحديث: ج ٢، ص ١٠.

وكأنِّي بها تحييه بلسان الحال:

(عاشوري)

ابيعني لباريلك اعيالك ابروحي لسكتلك أطفالك
والبين لو يرضه بدالك انروح كل احنه فدا لك

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١).

لقد كثر النقاش والكلام حول المراد من أولي الأمر، وما يُعتبر فيهم من صفات، كما تشبَّث بها الحُكَّام الأدعياء في وجوب إطاعتهم، أو السكوت عنهم على الأقل^(٢). ولأجل بيان الحق في الآية نذكر كلام المفسرين وما قيل، أو يمكن أن يُقال. قال العلامة الطباطبائي^(٣): لما فرغ الله تبارك وتعالى من النذب إلى عبادته وحده لا شريك له، وبث الإحسان بين طبقات المؤمنين، وذم من يعيب هذا الطريق المحمود، أو صد عنه صدوداً، عاد إلى أصل المقصود بلسان آخر، يتفرع عليه فروع أخرى، بها يُحكم أساس المجتمع الإسلامي وهو التخصيص والترغيب في أخذهم بالاتلاف والاتفاق^(٤). واللازم هنا عرض الجهات التي تضممتها الآية والآراء التي قيلت حولها.

١ - لا يختلف اثنان من المسلمين في أنَّ طاعة الله والرسول إنّما تكون بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وإثما وسيلتان للتعبير عن شيء واحد ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٥)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ فَاتَّقِ اللَّهَ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَمَا بَاطَنٌ مِنْهُ وَأَطِيعِ الرَّسُولَ فَذَلِكَ مِمَّا يَتَذَكَّرُ﴾^(٦)، وغيرها من الآيات

(١) البقرة: آية ٢٣٨

(٢) آيات مستتفة: ص: ١٢

(٣) تفسير الميزان: ج ٤ ص ٢٨٧

(٤) البقرة: آية ٨

(٥) العنكبوت: آية ١٧

الشريفة. ومن هنا اتَّفَق المسلمون قولاً واحداً على رفض كل ما يُنسب إلى النبي ﷺ إذا تنافى مع مبدأ من مبادئ القرآن، أو حكم من أحكامه.

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا كُثِرَ لفظ الإطاعة عند ذكر الرسول ولم يكررها عند ذكر أولي الأمر؟ وهو سؤال مشروع.

الجواب: إنَّ تكرار (أطيعوا) في الآية المباركة إنَّما هو للتنبيه على أنَّ طاعة الرسول أصل بذاته، تماماً كإطاعة الله، ومن هنا كان قول كلٍّ منهما مصدراً من مصادر الشريعة، وليس كذلك إطاعة أولي الأمر؛ لأنَّها فرع وتبع لإطاعة الله والرسول؛ لأنَّ أولي الأمر فرع عن الرسول ﷺ وطريقهم إلى طاعة الله ﷻ.

ولذا ورد: «إنَّ حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدِّي رسول الله ﷺ»^(١).

٢ - إنَّ لفظ منكم يدلُّ بوضوحٍ على أنَّ حاكم المسلمين يجب أن يكون منهم ولا يجوز إطلاقاً أن يكون من غيرهم، ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾^(٢).

٣ - اختلفوا في المراد من أولي الأمر - بعد اتِّفاقهم على شرط الإسلام - على عدّة أقوال:

القول الأول:

ذهب جماعة من مفسري أهل السنة^(٣) إلى أن المراد من أولي الأمر هم الأمراء والحكّام في كلِّ زمان ومكان، فتكون نتيجة هذا الرأي هي: أنَّ على المسلمين أن يُطيعوا كلَّ حكومة وسلطة مهما كان شكلها حتّى إذا كانت حكومة المغول ودولتهم الجائرة.

(١) مكافي: ج ١ ص ٤٢، روضة الواعظين: ص ٢١١، الانصاف: ج ٢ ص ١٠٨، العرائف والجزائج: ج ٢،

ص ٤٩٤، رسائل مفيدة: ج ٢ ص ٨٢، ج ٢، بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) البقرة: آية ١٩٠.

(٣) انظر: تفسير لأهل: ج ٣ ص ٢٠٠، ص ٢٩١.

وهذا الرأي لا يناسب مفهوم الآية وروح التعاليم الإسلامية بحال؛ إذ لا يمكن أن تقترن طاعة كل حكومة - مهما كانت طبيعتها - ومن دون قيد وشرط بإطاعة الله والنبي، ولهذا تصدّى كبار علماء السُّنة لنفي هذا الرأي وهذا التفسير، مضافاً إلى علماء الشيعة.

القول الثاني:

ذهب البعض من المفسّرين - مثل صاحب تفسير المنار وصاحب تفسير في ظلال القرآن وآخرون - إلى أنَّ المراد من (أولي الأمر) ممثّلو كافة طبقات الأُمّة من الحكّام والقادة والعلماء وأصحاب المناصب في شتّى مجالات الحياة، ولكن لا تجب طاعة هؤلاء بشكل مُطلق وبدون قيد أو شرط، بل هي مشروطة بأن لا تكون على خلاف الأحكام والمقرّرات الإسلامية.

وهذا الرأي - كما ترى - خلاف إطلاق الآية المباركة؛ لأنّ الآية توجب إطاعة أولي الأمر من دون قيد أو شرط.

القول الثالث:

ذهب جماعة آخرون إلى أنَّ المراد من (أولي الأمر) هم القادة المعنويون والفكّريون، أي: العلماء والمفكّرون العدول العارفون بمحتويات الكتاب والسُّنة معرفة كاملة.

وهذا التفسير كسابقه لا يناسب إطلاق الآية؛ لأنّ لإطاعة العلماء واتباعهم شروطاً من جملتها أن لا يكون كلامهم على خلاف الكتاب والسُّنة، وعلى هذا لو ارتكبوا خطأ - لكونهم عرضة للخطأ وغير معصومين - أو انحرفوا من جادة الحق لأي سبب آخر لم تجب طاعتهم، في حين أن الآية توجب إطاعة أولي الأمر بنحو مطلق كإطاعة النبي ﷺ.

هذا مضافاً إلى أنَّ إطاعة العلماء إنّما هي في الأحكام التي يستفيدونها من الكتاب والسُّنة، وعلى هذا لا تكون إطاعتهم شيئاً غير إطاعة الله وإطاعة النبي ﷺ فلا حاجة إلى ذكرها بصورة مستقلة.

القول الرابع:

وذهب بعض مفسري أهل السنة إلى أن المراد من هذه الكلمة هم الخلفاء الثلاثة مع أمير المؤمنين عليه السلام الذين عبروا عنهم بالخلفاء الأربعة، باعتبار أنهم شغلوا منبر الخلافة بعد رسول الله خاصة، ولا تشمل غيرهم، وعلى هذا لا يكون لأولي الأمر أي وجود خارجي في العصور الأخرى!

وهذا الحصر لا دليل عليه، مضافاً إلى أنه يؤدي إلى عدم وجود مصداق لأولي الأمر بين المسلمين في هذا الزمان.

القول الخامس:

إنّ (أولي الأمر) هم صحابة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

القول السادس:

وهو احتمال يقول: بأنّ المقصود من أولي الأمر هم القادة العسكريون المسلمون وأمراء الجيش والسرايا.

وهذان التفسيران - الخامس والسادس - لا يوجد أي دليل على تخصيص الآية بهما، فالإشكال عليهما كالإشكال على التفسير الرابع.

القول السابع:

ذهب كل مفسري الشيعة (رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقي) بالاتفاق إلى أن المراد من (أولي الأمر) هم الأئمة المعصومون عليهم السلام، الذين أنيطت إليهم قيادة الأمة الإسلامية المادية والمعنوية في جميع حقول الحياة من جانب الله سبحانه وتعالى والنبّي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا تشمل غيرهم. اللهم إلا الذي يتقلد منصباً من قبلهم، ويتولّى أمراً في إدارة المجتمع الإسلامي من جانبهم، فإنّه يجب طاعته أيضاً إذا توفرت فيه شروط معيّنة، ولا تجب طاعته لكونه من أولي الأمر، بل لكونه نائباً لأولي الأمر، ووكيلاً من قبلهم.

وهذا التفسير يسلم من الإشكالات السابقة؛ وذلك لموافقته إطلاق وجوب الإطاعة

المستفادة من الآية المبحوثة هنا؛ لأنّ مقام العصمة يحفظ الإمام من كلّ معصية، ويصونه عن كلّ خطأ، وبهذا الطريق يكون أمره - مثل أمر الرسول - واجب الإطاعة من دون قيد أو شرط، وينبغي أن يوضع في مستوى إطااعته ﷺ، بل وإلى درجة أنّها تُعطف على إطااعة الرسول من دون تكرار أطيعوا.

والجدير بالانتباه إلى أنّ بعض العلماء المعروفين من أهل السنّة، ومنهم المفسّر المعروف الفخر الرازي، قد اعترف بهذه الحقيقة في مطلع حديثه عند تفسير هذه الآية، حيث قال: «إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومنّ أمر الله بإطااعته على سبيل الجزم والقطع لا بُدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ، كان بتقدير إقدامه على الخطأ قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهيّ عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد.

ثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كلّ مَنْ أمر الله بطااعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ»^(١).

ومع هذا الاعتراف الصريح والاستدلال المنطقي المتين - مع كثرة إشكالات صاحبه، حتّى تداول على الألسنة بأنّه شيخ المشكّكين، أو مَنْ اعتاد الناس على إشكالاته - قبل دلالة الآية بهذا المقدار.

لكنّ تليّس إبليس وغوايته المعهودة لم تترك الفخر الرازي حتّى استدرك قائلاً:
«إنّنا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم والوصول إليه واستفادة الدين والعلم منه، فلا مناص من كون المراد هو أهل الحل والعقد»^(٢).

(١) تفسير التأمّل: ج ٣، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) التفسير الكبير (مستدرك النجاشي): ج ١٠، ص ١٠٠.

(٣) المصدر السابق.

ولكن نسأل:

- ١ - هل أن أهل الحلّ والعقد معروفون لدى الناس حتى يرتفع الإشكال فهو تفسير بما هو أشدّ غموضاً من سابقه، فهل المراد منهم العساكر أو الضباط أو العلماء...؟
- ٢ - إن الآية إذا دلت على عصمة أولى الأمر فيجب علينا التعرّف عليهم، وادّعاء العجز هروباً من الحقيقة، فهل العجز يختص بزمانه، أو كان يشمل زمان نزول الآية؟ والثاني باطل قطعاً، فإنه لا يعقل أن يأمر الوحي الإلهي بإطاعة المعصوم، ثم لا يقوم بتعريفه حين النزول.

وإذا عرف في زمان النزول يُعرف في أزمنة متأخرة عنه حلقة بعد أخرى^(١)، أضف إلى هذا كله ما ورد من الأحاديث في المصادر الإسلامية، تلك التي تؤيد تفسير (أولي الأمر) بأئمة أهل البيت (عليهم السلام) منها:

- ١- ما كتبه المفسّر الإسلامي المعروف أبو حيان الأندلسي المغربي المتوفي عام (٧٥٦هـ) في تفسيره البحر المحيط: من أن هذه الآية نزلت في حقّ عليّ (عليه السلام) وأهل بيته.
- ٢- روى الشيخ سليمان الحنفي القندوزي وهو من أعلام أهل السنة المشهورين في كتابه (ينابيع المودة) من كتاب (المناقب) عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعتُ علياً (عليه السلام) يقول: «أتاه رجلٌ فقال: أرني أدنى ما يكون العبد مؤمناً، وأدنى ما يكون به العبد كافراً، وأدنى ما يكون به العبد ضالاً؟»

قال: قد سألت، فافهم الجواب... وأما أدنى ما يكون العبد به ضالاً أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده، الذي أمر الله عزّ وجلّ عباده بطاعته وفرض ولايته، قلت: يا أمير المؤمنين، صفهم لي. قال: الذين قرّهم الله تعالى بنفسه وبنبيّه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

(١) محاسنات في الإلهيات، ص: ٢٢٠.

فقلتُ له: جعلني الله فداك أوضح لي؟ فقال: الذين قال رسولُ الله ﷺ في مواضع، وفي آخر خطبة يوم قبضه الله ﷻ إليه: إني تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدي إن تمسكتم بهما: كتاب الله ﷻ وعترتي أهل بيتي^(١).

٣- إضافة إلى كل ما تقدّم ما رواه أفذاذ علماء الطائفة، أمثال ثقة الإسلام الكليني في الكافي الشريف، والعيّاشي في تفسيره، والصدوق في مصنفاته، وغير ذلك. حتى أن صاحب تفسير البرهان السيد هاشم البحراني رحمه الله ذكر ما يزيد على عشر روايات في أنّها نزلت في أهل البيت^(٢).

بلى والله، فهموا ذلك، وعلموا ولكن صمّوا عنه آذانهم فكانوا كالأنعام، بل أضل سبيلاً.

تَبَّاهُمْ مِنْ أُمَّةٍ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ النَّبِيِّ بِالْهَ الْأَمْجَادِ
قَدْ شَتَّوْهُمْ بَيْنَ مَقْهُورٍ وَمَأْسُورٍ وَمَنْحُورٍ بِسَيْفِ عَنَادِ
حَتَّى إِلَيْهِ دُسُّ سُمًّا قَاتِلًا فَأَصَابَ أَقْصَى مَنِيَةِ وَمَرَادِ
مَنْ الَّذِينَ دُسَّ لَهُمُ السَّمُّ، إِمَامُنَا زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى أَصْبَحَ يَتَقَلَّبُ مِنَ السَّمِّ
الَّذِي دَسَّهُ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ (لعنه الله).

قال إمامنا السجاد عليه السلام - عند الوفاة - لأبي جعفر الباقر عليه السلام:

«إني حججتُ على ناقتي هذه عشرين حجّة لم أقرعها بسوطٍ فإذا نفقت فادفنها لا يأكل لحمها السباع، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ما من بعير يُوقف عليه موقف عرفة سبع حجج إلا جعله الله من نعم الجنة وبارك في نسله».

(١) تفسير النعماني: ج ٣، ص ٢٩٥، ٢٩٦، خلاصة من تعليقات النجاشي: ج ١، ص ٢٩٥.

(٢) انظر: تفسير البيهقي: ج ٢، ص ٢٠٢ - ٢٠٥.

فلَمَّا دُفِنَ الإمام زينُ العابدين عليه السلام فلم تلبث أن خرجت الناقة إلى القبر فضربت بجرانها ^(١) الأرض، ورغت رغاءً عالياً وهملت عيناها، فأخبر بذلك الباقر عليه السلام فجاء إليها وقال لها: «مه الآن وقومي»، فقامت ودخلت موضعها فما مضت إلا هنيهةً إذ خرجت الناقة ثانية، ورغت رغاءً عالياً وضربت بجرانها القبر وهملت عيناها، فأخبر الباقر عليه السلام، فقال عليه السلام: «دعوها فإنها مودعة»، فلم تلبث إلا ثلاثة أيام حتى نفقت وماتت، فأمر الإمام الباقر عليه السلام بدفنها فدفنت ^(٢).

أقول: وأعجب مما فعلته هذه الناقة ما فعله جواد الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وماذا فعل الجواد؟ جعل يشمّ الحسين عرفه ويلطخ ناصيته بدم الحسين وتوجّه نحو الخيام وهو يقول بصهيله: الظليمة الظليمة من أُمّة قتلت ابن بنت نبيها، فلَمَّا وصل إلى خيمة النساء جعل يضرب برأسه الأرض عند باب الخيمة، ولم يزل يضرب حتى مات، وإليه أشار الإمام الحجّة عليه السلام في زيارة الناحية:

«فلَمَّا نظرت النساء إلى الجواد مخزياً والسرج عليه ملوياً، خرجن من الخدور ناشرات الشعور على الخدود لاطمات وللوجوه سافرات، وبالعويل داعيات وبعد العزّ مذلات وإلى مصرع الحسين مبادرات».

فواحدةٌ تحنو عليه تشمه	وأخرى عليه بالرداء تُظلل
وأخرى بفيض النحر تصبغ وجهها	وأخرى تفديّه وأخرى تُقبّل
وأخرى على خوفٍ تلوذ بجنبه	وأخرى لما قد نالها ليس تعقل ^(٣)

(١) انحران: مقدم السبق من مدح البير. اني: مسخرة. كتاب معين: ج ٦ ص ١١٠.

(٢) أنظر: نكاحي: ج ١ ص ١٠٧، ج ٢ بحار القتور: ج ٢ ص ١٤٨، ج ٤.

(٣) مجمع مصنف أهل البيت عليه السلام: ج ٣ ص ١٢٣، ص ١٢٤.

ولسان حال العقيلة عليها السلام:

عن كربله صرنه مظنين
او مدري اوجوه الغوم لاوين
والدرب تدري يريدله اثنين
أباري الظعن ماليش تمكين

نطلب راس داحي الباب
وتهدم عگبه ركن الدين
جدك رضر ضننه الخيل
الدمه يحري يسيل
يسرر للكوفه
گطعوا اچفوفه
الركبة مجتوفه

بسم غبت واكفيت يحسين
خذوني يسيره وتدمع العين
للكوفه يوللشام ناوين
ولويائي ماغير النساوين
ولذا تقول يالثرات الأئمة الهداة:
آه نطلب ثار رضة الباب
انطبر ويصلي بالمحراب
نطلب ثار يوم الطف
نطلب ثار عبد الله الرضيع
نطلب ثار عمّاتك خذوهن
نطلب ثار أبو فاضل عمك
نطلب ثار للسجاد ليش

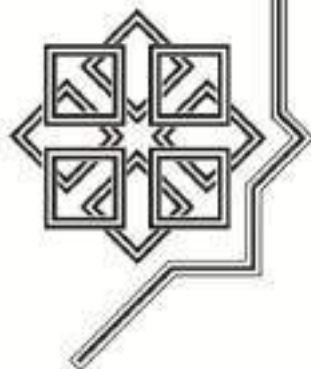
حتى مِنْهُمْ أخلوا ربوعه
وأجمعها فظيعه

ما ذنب أهل البيت
تركوهم شتّى مصارعهم

الحاضرة العرفانية والخيالية



الحق والباطل



أبا حسنٍ تُغضي وتلتذُّ بالكرى وبالكفِّ أمست تسترُّ الوجهَ زينبُ
أبا حسنٍ ترضى صفاياك في السُّبا ونسوةً حربٍ بالمقاصيرِ تُحجبُ
وتلوي للينِ الفرش جنباً وهذه بنائك فوقَ العيسِ للشامِ تُجلبُ
ويُهنِك عيشٌ والعقائلُ حُسْرُ إذا ما بكت بالأصحية تُضربُ
تُشرِّقُ فيها تارةً عُصْبُ الخنا وطوراً بهانحو الشامِ تغرَّبُ
فأصواتها بَحَّت وذابت قُلوبُها وأنفاسُها كادت من الحُزنِ تذهبُ
عجبتُ ومَن في الدهرِ سَرَحَ طرفه وفكَّر فيه لم يزل يتعجَّبُ
يزيدُ الخنا في دسِّه متقلِّبُ ويُمسي حُسينٌ في الثرى يتقلَّبُ
ويُحْمَلُ منه الرأسُ في الرُمحِ جَهْرَةً وفي التاجِ رأسُ ابنِ الدعية يُعَصَّبُ
ويبقى ثلاثاً عارياً ويزيدُها على جسمه يغدو الدمقسُ المذهبُ^(١)

(١) قصيدة لسبح حسين رضي الله عنه الصبَّ حواد سبَّح الله في أدب مخلص: «هو نسيج حسين (حسين) بن عبد الله بن الحاج مهدي الحلي من مسافير الحبيب في عصره. أديب سامع معروف. ولد في سنة عام ١٢٥٠ هـ، منسابها وعرف بالحطابة فكان من أشهر مسافيرها. ودام مسيرته في السفر فكان من أنلام نضراء فيها. وكان مرموقاً لشخصيته نابه انذكر حميد الحفص بحترمه الكبير وانصير ويظلمه العالم والجاهل ويهوه الأعيان ونوجوه. مستقيم السيرة طيب السيرة كريم القيم طاهر القلب مرجح الروح. من أنلام السالكين والقياد. ولقد أنسب من منزلته الشاعر الحالك السيد حيدر الحلي عند تقديمه تقرضه كتابه (العقد المفضل). فقال: هو ندي تقبيل نعة الفضل من ناز قريحته.

توفي رحمه الله بالسنة في الشهر الآخر من شهر رمضان عام ١٣١٥ هـ، ونُقل جثمانه إلى المدفن ودفن بها. وحُلف ولدا اسمه النسيخ علي. توفي بعد ثلاثين عاماً. ورثاه فريق من شعراء عصره بقصائد مؤثرة دلت على سمو مكانته في نفوسهم...». أنب الطلحة ج ٤، ص ٥٦-٥٧.

(فاتزي)

يَلِّ تَنَاشِدَنِي عَلَيَّمَن تَهْمَل الْعَيْن
 كَلَّ الْبِجَه وَالنُّوح وَالْحَسْرَه عَلَى احْسِين
 حُبَّه ابْغَلْبِي اَوْ تَظْهَرِه ابْصِبْهَا ادموعي
 مَجْبُور فِي حُبِّه وَلَا اَشُوفُه ابْطُوعِي
 يَا رَيْتْ غَبْل اَضْلُوعُه اَنْرَضَّتْ اَضْلُوعِي
 اَوْ مَن دُون خَدِه اِتْعَفَّرْتْ مَنِّي الْخَدَّيْن
 اُبْجِي عَلَى مَصَابِه كَلَّ صَبَح اَوْ مَسِيَه
 اُبْجِي وَسَاعِدْ عَالِبِجَه الزَّهْرَه الزَّجِيَه
 لَا زَال تَنْدَب يَا غَرِيب الْغَاضِرِيَه
 يَحْسِين وَيَن الْيُوَاسِيْنِي عَلَه احْسِين

(أبوزية)

ابْغَلْبِي مَاتَمَك يَحْسِين يَنْصَاب اَوْ ذِجْرَك مَن يَمَر الدَّمْع يَنْصَاب
 غَلْبِي دُون غَلْبِك رَيْت يَنْصَاب اَوْ خَدِي دُون خَدِك عَلَى الْوُطِيَه

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ عَلَامُونَ﴾^(١).

الحق: هو الصدق واليقين والشيء الثابت بلا شك.

والباطل: بخلافه، فهو الفاسد والساقط.

(١) البقرة: ٢٥.

وهناك فاصلة بين الحقّ والباطل أشار إليها الإمام الباقر عليه السلام في رواية عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام كم بين الحقّ والباطل؟ فقال: أربع أصابع - ووضع أمير المؤمنين يده على أذنه وعينه - فقال: ما رأته عينك فهو الحقّ، وما سمعته أذنك فأكثره باطل»^(١).

فمن هنا لا بدّ للإنسان أن يتحدّر في كلامه وأحكامه التي يتّخذها على الإنسان الآخر، ويكون منصفاً في اتّخاذها، ولا يدع اللامبالاة هي الحاكمة عليه من دون أن ينظر بعين الإنصاف إلى الناس.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

ولذا ترى أن الإمام عليه السلام يقول ما بين الحقّ والباطل أربع أصابع. وفي كلمة غرّاء أخرى له عليه السلام أنّه قال: «الحقّ طريق الجنّة، والباطل طريق النار، وعلى كلّ طريق داع...»^(٣).

فبعض الناس دائماً وأبداً يسعون للحقّ، والبعض الآخر بخلافهم دائماً وأبداً يسعون للباطل، بل ثانون أرجلهم؛ ليصدّوا عن الحقّ وعن الطريق السوي.

ومن هنا روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ خلق قوماً للحقّ، فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ قبلته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه، وإذا مرّ بهم الباطل أنكرته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه، وخلق قوماً لغير ذلك فإذا مرّ بهم الباب من الحقّ أنكرته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه، وإذا مرّ بهم الباب من الباطل قبلته قلوبهم وإن كانوا لا يعرفونه»^(٤).

(١) انحصار: ج ٢٢ باب تأريفة: وزود قريبا منه في صحيح "البلاغ" ج ٢: ص ٢٠.

(٢) انصار: ج ٣.

(٣) مسند: ج ١ ص ٢٠٩، نهج السادة: ج ٣ ص ٢٦١.

(٤) انكشاف: ج ٢ ص ٢٦٥، باب ترك قضاء الناس: ج ٥ ص ٥٦٢، انوار: ج ٥ ص ٢١١، ج ١٠.

من بعد هذه المقدمة نأتي للآية.

لا شك أنَّ الآية جاءت في سياق آياتٍ عديدة تناولت عدَّة أمورٍ من أوامر ونواهي لبني إسرائيل، ولعلَّها تزيد على مائة أمر من هذا القبيل إلى أن وصل الدور إلى هذا المقطع وهو نهي هنا.

رُوي عن الإمام العسكري عليه السلام أنَّه قال: «خاطب الله بها قوماً من اليهود ألْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ بِأَن زَعَمُوا أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيٌّ وَأَنَّ عَلِيًّا وَصِيٌّ، وَلَكِنَّهَا يَأْتِيَان بَعْدَ وَقْتِنَا هَذَا بِخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، فَقَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتَرْضَوْنَ التَّوْرَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ حَكْمًا؟ فَقَالُوا: بَلَى، فَجَاؤُوا بِهَا وَجَعَلُوا يَقْرَءُونَ مِنْهَا خِلَافَ مَا فِيهَا، فَقَلَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الطُّومَارَ^(١) الَّذِي كَانُوا يَقْرَءُونَ فِيهِ، وَهُوَ فِي يَدِ قَرَّاءَيْنِ مِنْهُمْ مَعَ أَحَدِهِمَا أَوَّلُهُ وَمَعَ الْآخَرِ آخِرُهُ، فَانْقَلَبَ ثَعْبَانًا لَهُ رَأْسَانِ، وَتَنَاوَلَ كُلُّ رَأْسٍ يَمِينَ مَنْ هُوَ فِي يَدِهِ وَجَعَلَ يُرْضِضُهُ وَيُهَشِّمُهُ وَيَصِيحُ الرِّجْلَانِ وَيَصْرُخَانِ، وَكَانَتْ هُنَاكَ طَوَامِيرُ أُخْرَى فَنَطَقَتْ وَقَالَتْ: لَا تَزَالَا فِي هَذَا الْعَذَابِ حَتَّى تَقْرَأَا بِمَا فِيهَا مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَبَوْتِهِ وَصِفَةِ عَلِيٍّ عليه السلام وَإِمَامَتِهِ عَلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَرَأَا صَاحِحًا وَأَمَّنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتَقَدَا إِمَامَةَ عَلِيٍّ وَوَلِيَّ اللَّهِ وَوَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بِأَن تَقْرَأُوا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِيٍّ عليه السلام مِنْ وَجْهِهِ وَتُجِدُوهُمَا مِنْ وَجْهِهِ، بِأَن ﴿وَتَكْتُبُوا الْحَقَّ﴾ مِنْ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ هَذَا وَإِمَامَةِ عَلِيٍّ هَذَا ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّكُمْ تَكْتُمُونَهُ وَتُكَابِرُونَ عُلُومَكُمْ وَعُقُولَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَ أَخْبَارَكُمْ حُجَّةً، ثُمَّ جَعَلْتُمْ لَمْ يُضَيِّعْ هُوَ حُجَّتَهُ، بَلْ يَقِيمُهَا مِنْ غَيْرِ حُجَّتِكُمْ فَلَا تَقْدِرُوا أَنْكُمْ تَغَالِبُونَ رَبَّكُمْ وَتَقَاهِرُونَهُ...»^(٢).

وقضية كتمان الحقِّ ولبسه بالباطل، ولا هي من مستحدثات عصرنا هذا، بل هي تجري في دم بني إسرائيل ومَن شاكلهم من ذاك الزمان إلى وقتنا هذا.

(١) الطومار: (تصغير) جمعه طومير.

(٢) تيسير البرهان: ج ١، ص ٢٠٣، ٢٠٤. دليل آية: ٢٠٤ من سورة البقرة، ج ١.

نقل أحد المبشرين النصارى قصة اعتناقه للإسلام الحنيف، فقال: بعد سفر طويل في العلوم والمعارف المسيحية، انتقلت إلى إحدى المدارس الكاثوليكية وكان يُديرها قسّ مُقرَّب إلى أوساط الأعيان والأشراف، وكان متميّزاً في التدريس لا يقل حُضار درسه عن خمسمائة طالب، مضافاً إلى عدد آخر من الراهبات، ولقد نشأت بيني وبينه علاقة ودّ حميمة، بحيث اطمأنَّ لي وسلَّمني مفاتيح غرف الكنيسة، ما خلا مفتاحاً واحداً لغرفة صغيرة كنت أظنُّها مخصصة للذهب والمجوهرات، وفي أحد الأيام، أمرني أستاذه القسّ بالذهاب إلى الطلاب، وإبلاغهم اعتذاره عن حضوره للتدريس، ولما وصلت قاعة الدروس وجدتهم يتباحثون فيما بينهم لفظ (فارقليط) الذي ورد في إنجيل يوحنا في الإصحاحات [١٤ - ١٥ - ١٦] بعد أن استمعت إلى مناقشتهم واحتجاجهم، عدت إلى الأستاذ وأخبرته بما دار بينهم حول العبارة وتفسيرها.

قال لي الأستاذ: وما تقول أنت؟ فذكرتُ له رأي أحد مفسري الإنجيل.

قال الأستاذ: ليس التقصير منك، إنّ تفسير هذا اللفظ لا يعرفه في هذا الزمان غير فريق ضئيل من أصحاب الرأي والتحقيق في هذا العلم.

شعرت أنّ في الأمر سرّاً يخفى عليّ، ألقيتُ بنفسي على قدميه وتوسّلت إليه أن يُطلعني على المراد الحقيقي. اغرورقت عيناه بالدموع، ثمّ استرسل في البكاء، وبعد برهة رفع عينيه المبلّلتين نحوي وقال: سوف أذكر لك الحقيقة شريطة أن تبقّيها سرّاً بيننا ما دمتُ على قيد الحياة؛ لأنّك إن أفشيتها تكون قد حكمتَ عليّ بالإعدام.

وبعد أن عاهدته على الالتزام بما طلب، نظر في وجهي لحظات ثمّ قال: إنّ (فارقليط) هو اسم نبيّ الإسلام، ويعني كثير الحمد (أحمد ومحمد).

ثمّ ناولني مفتاح تلك الغرفة، التي كنت أظن أنّها مخصّصة للذهب والمجوهرات، وقال لي: افتحها وسوف تجد فيها صندوقاً بموضع كذا، وفي الصندوق كتابان قد كتبا على جلود الحيوانات، وقد كتبا بالخط اليوناني قبل ظهور الإسلام، احضرهما وسترى بعينك

تفسير (فارقليط) بها ذكرتُ لك.

يقول ذلك القسّ التلميذ: ومُنذ تلك اللحظة تمكّن عشق الدين الإسلامي من قلبي وأيقنت أنّ واجبي هو دعوة الناس إليه.

وبعد إشهار إسلامه، أطلق على نفسه اسم (محمد صادق فخر الإسلام)، وألّف كتاباً في رد المسيحيين ويروي فيه قصّة إسلامه، بعنوان (أنيس الأعلام)^(١). وقد طبع الكتاب مؤخراً في ستّة أجزاء^(٢).

إذن، لبس الحقّ بالباطل من لباس اليهود وتلاميذهم؛ ولذا أكّدت عليه الآية تأكيداً حثيثاً.

فقالت: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُمَا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

فإضلال الغير يحصل بأحد طريقين: وذلك لأنّ الغير إمّا أنّه سمع دلائل الحقّ، وإمّا أنّ الغير لم يسمع دلائل الحقّ.

فعلى الأول يكون إضلاله بتشويش تلك الدلائل عليه، وعلى الثاني إضلاله إنّما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه، ومنعه من الوصول إليها، فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ إشارة إلى تشويش الدلائل عليه، أو منع وصول الدلائل إليه.

وقوله: ﴿وَتَكُنْهُمَا الْحَقَّ﴾ إشارة إلى القسم الثاني وهو منعه من الوصول إلى الدلائل. والكلام وإن كان موجهاً إلى بني إسرائيل، ولكن هو تنبيه إلى سائر الخلق وتحذير من مثله، فصار الخطاب وإن كان خاصاً في الصورة لكنّه عامٌّ في المعنى^(٣).

فعلى طول التاريخ يجرى لبس الحقّ بالباطل وكنتم الحقّ مع العلم به جزءاً، فترى أُمّة من الناس وبكلّ صلافة يخلطون السمّ بالعسل، من زمن النبيّ الأكرم ﷺ وما بعد

(١) الألف في الطبعة الإسلامية: ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) طابع تاليفات: ص ٢٥.

(٣) تفسير الكبير (مفتاح النبأ): ج ٣ ص ٢٠٠.

زمنه ﷺ ترى هذا الخلط، إلى أن وصل بهم الأمر أن يسبّوا عليّاً عليه السلام، بل أكثر من ذلك إذ أن لبس الحقّ بالباطل الذي وصل به معاوية إلى ذروته جعل الناس يُصدّقون بأن أمير المؤمنين عليه السلام لا يصليّ، وذلك عندما انتشر خبر شهادته في المحراب، قالوا: ولم في المحراب؟ قيل: لأنّه كان يصلي صلّاته فيه.

قالوا: عجباً أو يصلي ابن أبي طالب؟!

هكذا وصل الأمر بالناس، منع معاوية وصول الحقائق إليهم، بل حتّى الذين وصلت إليهم الحقائق استطاع بمكره وخداعه وكذبه أن يُشوِّش تلك الحقائق، فكان مصداقاً حقيقياً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُوَ الْحَقُّ وَأنْتُمْ تَعْمُونَ﴾. فألبس الحقّ بالباطل بتشويشه أفكار الناس، وكنتم الحقّ أن يصل إلى الناس، والحقّ مع علي بن أبي طالب عليه السلام كما جاء في أكثر من حديث عن النبي الأعظم ﷺ: «عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ»^(١)، «عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ لا يفترقان»^(٢)، إلى غير ذلك من المضامين الصريحة.

ولكنّه غير عقول الناس، فمثلاً: في قتل عمار بن ياسر عليه السلام مع أنّه وردت أحاديث متواترة في أنّ عمّار تقتله الفئة الباغية^(٣)، ولكن ترى كيف أنّ معاوية ألبس على الناس الحقّ؟! عندما قُتل عمّار يوم صفين ماج أهل الشام بقتله لهذا الحديث؛ إذ كان معلوم التواتر، فموّه عليهم معاوية وقال: قاتله الذي جاء به من العراق وألقاه بين رماحنا - يعني به عليّاً عليه السلام - فقال الإمام عليه السلام: «يلزم على هذا أن يكون النبي ﷺ قاتل عمّه حمزة؛ لأنّه ألقاه بين رماح المشركين»^(٤).

(١) المعجم الصغير: ج ١ ص ٢٥٥، الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٦٧، كنز العمال: ج ١١ ص ٢٠٢.

(٢) تبيين نبيخ الطوسي: ص ٢٦٩، المستدرک عن الصحاح: ج ٣ ص ١٠٢.

(٣) مسجّع البخاري: ج ٣ ص ٢٠٧، مسند أحمد: ج ٢ ص ١٠٥، المستدرک: ج ٢ ص ١٠٢.

(٤) مناقب الأخبار: ص ٣٥، تاحتاج: ج ١ ص ٢٠٩، بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٧ ص ٣٠٥.

وهكذا في تفسير معركة صفين عندما أمر الجيش بأن يرفعوا القرآن على الرماح بعد أن أوشكت الهزيمة أن تقع بهم، فقال الإمام علي عليه السلام: «كلمة حق يُراد بها باطل»^(١).
معنى ذلك أن نفس القرآن حق، لكن رفعه في هذا الوقت وفي هذه الساعة ما أُريد به إلا الأباطيل والحيل.

وهناك الكثير ممّا قام به معاوية وأضرابه؛ ولذا ترى تلاميذ معاوية صنعوا كما صنع معاوية، وأقرب هؤلاء التلاميذ المخلصين لمعاوية ابنه يزيد قاتل الحسين عليه السلام.
فقد زاد على أبيه وشيخته، وألبس الحقّ بالباطل وكنم الحقّ عن الناس، حيث أشاع بين الناس بأنّ الحسين خارج على إمام زمانه.

يقول مسلم الجصاص: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة فيينا أنا أجصّص الأبواب وإذا بالزرعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبل عليّ خادمٌ كان معنا، فقلت: مالي أرى الكوفة تضجُّ؟ قال: الساعة يؤتى برأس خارجي خرج على يزيد.
فقلت: من الخارجيّ؟
فقال: الحسين بن عليّ.

قال مُسلم: فتركت الخادم حتّى خرج، لطمت وجهي حتّى خشيت على عينيّ أن تذهباً، وغسلت يديّ من الجصّ، وخرجتُ من ظهر القصر، وأتيت على الكناس، فيينا أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس وإذا بالمحامل نحو ثمانين شُقة على أربعين جملاً، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة الزهراء، وإذا بعليّ بن الحسين على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً.

(١) نهج البلاغة ج ١، ص ٨٤، وج ٤، ص ٤٠٤، نهج البلاغة ج ١، ص ٢٦٣، حصانصر لأنتفة: ص ١١٣، مصدق في طالب ج ٢، ص ٣٠٩، القصة، ص ٣٢، فتح الباري ج ١٤، ص ٢٠١، تزيين تطبير ج ٤، ص ٥٢، وقعة صفين، ص ٥٩، نشر تنظيم، ص ٣٢٤، بحار الأنوار ج ٢٤، ص ٥٢٢، وج ٣٢، ص ٣٢٧، ج ٤٠، ص ٥٤٠، نهج، وج ١٠، ص ٣٢٧.

وا حزنه على بنات رسول الله، وا ويلاه على زين العابدين.
والذي عظم على زين العابدين وبنات رسول الله: أن نساء الأنصار اللاتي كنَّ مع
السبايا لما وصلن إلى الكوفة تشفع فيهنَّ بعض أرحامهن فأمر ابن زياد بتسريحهن، وبقيت
بنات رسول الله ﷺ، وكأني بالحوراء زينب تخاطب الحسين عندما رأت ذلك:

يحسين كلَّ إلهه عشيره إجت ناهضه ابخدمه چبیره
اوطلعت الكلَّ منهم يسيره بس الفواطم غُرب ديره
ما من عشيرتهن ذخيره

يهلنه ما دريتوا ابعمله احسين بالطف فصل لليطلب بدين
أهو وأخوته ظلَّوا مرايين يهلنه ليش ما جيتوا امطلبين
تطلعون مسيبة النساوين

(أبوذية)

المرض والگيد للسجّاد باريه يصد شمر اوزجر للظعن باريه
راس الدين من الجسد باريه ابراس الرمح رأس ابن الزچيه
ورأسك أم رأس الرسول على القنا بآية أهل الكهف راح يُردّد

الحاضرة العربية السليمانية

التوكّل



أَوْ مَا أَتَاكَ حَدِيثٌ وَقَعَهُ كَرِيلاً
فَانْهَضْ إِلَى الذِّكْرِ الْجَمِيلِ مَشْمِراً
يَوْمَ أَبُو الْفَضْلِ اسْتَجَارَ بِهِ الْهُدَى
وَالْبَيْضُ فَوْقَ الْبَيْضِ تَحْسَبُ وَقَعَهَا
مَنْ بَاسِلٌ يَلْقَى الْكُتَيْبَةَ بِاسِماً
بَطْلٌ أَطْلَلَ عَلَى الْعِرَاقِ مُجَلِّياً
فَكَأَنَّه صَقْرٌ بِأَعْلَى جَوْهَا
أَوْ ضَيْغَمٌ شَتْنُ الْبِرَائِنِ مُلْبِدٍ
فَهَذَا لَكُمْ مَلِكُ الشَّرِيعَةِ وَاتَكَى
وَأَبَتْ نَقِيَّتُهُ الزَّكَاةَ رِيّاً

أَتَى وَقَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ قَتَامُهَا
الذِّكْرَ أَبْقَى مَا اقْتَتَهُ كِرَامُهَا
وَالشَّمْسُ مِنْ كَدْرِ الْعَجَاجِ لثَامُهَا
زَجَلَ الرُّعُودُ إِذَا اكْفَهَرَ غَمَامُهَا
وَالشَّوْشُ يَرِشُّ بِالْمُنْيَةِ هَامُهَا
فَاعْصُوصَتْ فِرْقاً تَمُورُ لثَامُهَا
جَلَّى فَحَلَّقَ مَا هُنَاكَ حَامُهَا
قَدْ شَدَّ فَاَنْثَرَتْ هَباً أَنْعَامُهَا
مَنْ فَوْقَ قَائِمِ سَيْفِهِ قِمَامُهَا
وَحْشَى ابْنِ فَاطِمَةَ يَشْبُ صَرَامُهَا^(١)

(١) «القصيدة للشاعر الشيخ محمد رضا الأزدي رحمه الله، قال عنه السيد جواد سبزواري في ادب الطف: «الشيخ محمد رضا الأزدي ولد سنة ١٢٦٥ هـ وتوفي ١٣٥٠ في بغداد. درس العلوم العربية على أخيه الشيخ يوسف الأزدي وعلى غيره من فضلاء عصره، وولم يحفظ اقتصاد الضوال من شعر العرب بقدر روايته عنه أنه كان يحفظ الملتقات سبع وقسمًا كبيرًا من أشعار الجاهلية والإسلام، مضافًا إلى الخطب والأحاديث المروية عن العرب. أهم شعره في رثاء أهل البيت، وقد حدث في زمانه واقعة الدهشير المعروفة في تاريخ حيفا حدثًا كريبًا، ونهبوها وقتلوا من أهلها ما يزيد على خمسة آلاف نسمة. وذلك سنة ١٣١١ بسطهم على أهلها ثلاث فصائد تشتمل على مائتين وستين بيتًا ذكر فيها الواقعة المذكورة وحتم كل منها تاريخ. وإذا لاحظنا تاريخ قصائده رأينا أنها غنيت بعد وفاة أخيه الشيخ كاظم الأزدي... والشيخ محمد رضا الأزدي يصف بطولته «عباس بن أمير المؤمنين يوم كربلاء».

أَوْ مَا أَتَاكَ حَدِيثٌ وَقَعَهُ كَرِيلاً
يَوْمَ أَبُو الْفَضْلِ اسْتَجَارَ بِهِ الْهُدَى

أَتَى وَقَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ قَتَامُهَا
وَالشَّمْسُ مِنْ كَدْرِ الْعَجَاجِ لثَامُهَا

وصل للماي لاچن ما شرب ماي
 گبل احسين وأطفاله البرجواي
 عاف الماي والجربة ملاها
 وصل واخته الجافلها لگاها
 گلها او غورگت بالدمع عينه
 گالتله يحماي الظعينه
 ناداها ابوجودي لا تخافين
 بس لو طاحت إيساري وليمين
 او گال اشلون أبرد جمرة احشاي
 علي ماي الفرات العذب يحرم
 او گصد للضحاية إيروي حشاها
 ما لومه او علاها الهظم والهـم
 يزنب ليش مهمومه او حزينه
 اشوف الجيش من کل کتر حوّم
 يختي او أمّني کلّ النساءين
 اوراسي بعمديا زينب تهشم

ذیج إسا أریدیج تعذرني
 يزنب وأبو اليمه اخلاف عيني
 الگدر لوحال ما بينچ أوييني
 ذخر ليكم أوييه الشمل يلتم

لكن يلعتيله لومشه احسين
 ذاك الوكت يا زينب تضيعين
 عن عينچ يخويه او غييه البين
 اوتهم هالعهه النهب المخيم

قال الله في محكم كتابه الكريم: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١).

القول:

هو اعتماد القلب على الله في الأمور كلّها وانقطاعه عمّا سواه، فما فعل بك كنت راضياً

(١) التوبة: ٣٥.

تعلم أنّ الحكم في ذلك له وتُسَلِّم أنّ ما جاء من الأوامر والنواهي هو خير لك، وتعمل بها من دون عنادٍ وكرهٍ.

قال ابن الأثير : «توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به. ووكّلت أمري إلى فلان: أي أُلجّأته إليه واعتمدتُ فيه عليه. ووكّل فلان فلاناً، إذا استكفاه أمره ثقةً بكفائته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه»^(١)، وينبغي للمؤمن أن يجعل نفسه بين يدي الله تعالى، يفعل بها ما يشاء، ولكنَّ الحركة في طلب الرزق لا تنافي التوكل؛ لأنَّ الله أمر بها بقوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾^(٢).

ومن هنا فلا يعترض البعض بأن يجلس في داره مدّعياً التوكل على الله في أن يرزقه، فإنَّ مثل هذا ليس من التوكل، وإنَّما التوكل والاعتماد على الله تبارك وتعالى إنَّما يكون مع العمل ومع السعي والجِدِّ والمثابرة والعزم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣).

ومن هنا نجد أنّ النبي الأكرم ﷺ نهى الأعرابي لما أهمل بعيه وقال: «توكلت على الله، قال له ﷺ اعقلها وتوكل»^(٤). أي: اربط البعير وتوكل على الله.

وسأل رسول الله ﷺ جبرائيل: «ما التوكل على الله عز وجل؟ فقال: العلم بأنَّ المخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا يُعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله، ولم يرجُ ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله، فهذا هو التوكل»^(٥).

(١) نيفايه بي عريب الحديث: ج ٥، ص ٢٢١.

(٢) طه: ١٣٥.

(٣) آل عمران: ١٥٨.

(٤) خطب الترمذي: ص ١٩، مسند التتوار: ص ٥٤١، فتح الباري: ج ٣، ص ٣٠٥، صحيح ابن حبان:

ج ٢، ص ٥١١.

(٥) مناقب الأعيان: ص ٢٠١.

ثمرات التوكل على الله:

هناك عدّة نتائج وثمرات مترتبة على التوكل، أشارت إليها بعض الأحاديث والروايات التي وردت عن المعصومين عليهم السلام منها:

١ - الشعور بالقوّة والهمّة؛ لأنّ التوكل على الله مع العمل يجعل الإنسان يشعر أنّه أدّى ما عليه، فيكون قوي القلب بقوّة الله عز وجل.

٢ - المتوكل يكون عزيزاً وغنياً بين الناس.

٣ - من توكل على الله ذلّت له الصعاب وتسهّلت عليه الأسباب.

فعن النبيّ الأعظم عليه السلام: لو أنّ رجلاً توكل على الله بصدق النية لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم، فكيف يحتاج هو ومولاه الغني الحميد^(١).

فإذا توكل الإنسان على الله تبارك وتعالى كفاه الله أموره كلّها، حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٢).

ولذا يُحكى أنّه في إحدى المدن كان هناك تاجر مؤمن يتوكل على الله دائماً، خصوصاً فيما يتعلّق بتجارته وتعامله مع القوافل، وبسبب ذلك التوكل لم تتعرّض تجارته للسرقة من اللصوص وقطّاع الطرق الموجودين بكثرة خارج المدينة، فأراد أصحابه أن يؤذوه يوماً ما عندما خرجوا جميعاً للتجارة، فحينما نام التاجر المؤمن أخذوا بضاعته ودفنوها في الصحراء، حتّى إذا أصبح الصباح قالوا له: إنّ بضاعتك قد سرقها اللصوص، ولكن وبعد أن انتهوا من عملهم وذهبوا للنوم هجم قطاع الطرق على القافلة وسرقوا كلّ ما كان لديهم من بضاعة، ولم يأخذوا بضاعة الرجل المؤمن؛ لأنّهم لم يكونوا يعرفون مكانها، وعندما أصبح الصباح أخذ الرجل بضاعته حامداً شاكراً لله تعالى متوكلاً عليه^(٣).

(١) روضة القوطين: ج ٢، ص ٢٠، والنظر: الأخلاق والأدب الإسلامية، ج ١، ص ١٠٧.

(٢) القرآن: القصص: ٢٧.

(٣) الأخلاق والأدب الإسلامية، ج ١، ص ١٠٧.

ثُمَّ إِنَّ الْكَلَامَ فِي الْآيَةِ مَوْجَّهٌ إِلَى الْجَمِيعِ، حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، فَلَا تَتَصَوَّرُوا أَنَّهُ سَيَبْقَى لَكُمْ؛ لِأَنَّهُ كَالْوَمِضِ الَّذِي يَبْرُقُ ثُمَّ يَخْبُو، وَكَالشَّمْعَةِ فِي مِهْبَبِ الرِّيحِ، وَالفَقَاعَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، وَلَكِنْ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فَلَوْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَسْتَبْدِلُوا هَذَا الْمَتَاعَ الدُّنْيَوِيَّ الزَّائِلَ الْمَحْدُودَ النَّافِعَ بِمَتَاعٍ أَبَدِيٍّ خَالِدٍ، فَتِلْكَ هِيَ التِّجَارَةُ الْمَرْبُوحَةُ الْعَدِيمَةُ النَّظِيرُ.

فَالْمَوَاهِبُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو مِنَ الْمَشَاكِلِ، حَيْثُ تَوْجَدُ الْأَشْوَاكُ دَائِمًا إِلَى جَانِبِ الْوُرُودِ، وَالْمَحَبَّاتُ إِلَى جَانِبِ الْأَمَالِ، فِي حِينٍ أَنَّ الْأَجْرَ الْإِلَهِيَّ لَا يَحْتَوِي عَلَى أَيِّ إِزْعَاجَاتٍ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ خَالِصٌ وَمُتَكَامِلٌ.

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَوَاهِبَ مَهْمَا كَانَتْ، سَتَزُولُ حَتْمًا، إِلَّا أَنَّ الْجِزَاءَ الْآخِرِيَّ أَبَدِيَّ خَالِدٍ، عِنْدَهَا هَلْ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ الْإِنْسَانُ عَنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ الْمَرْبُوحَةِ، أَوْ يَصَابُ بِالْغُرُورِ وَالْغَفْلَةِ وَتَبْهَرُهُ زَخَارِفُ الدُّنْيَا؟

إِذَنْ، لَا قِيَمَةَ لِلدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ لِلْآخِرَةِ؛ وَلِذَا فَقَدْ رُويَ عَنِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَاللَّهِ، مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ أَنْ يَجْعَلَ أَحَدُكُمْ إصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ»^(١).

وَالْمَلْفَتُ لِلنَّظَرِ أَنَّهُ وَرَدَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ التَّأَكِيدُ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوَكُّلِ، وَهَذَا بِسَبَبِ أَنْ نِيلَ الْأَجْرَ الْإِلَهِيَّ هُوَ لِلَّذِينَ يَفُوضُونَ أُمُورَهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ، وَيَسْتَسْلِمُونَ لَهُ تَعَالَى إِضَافَةً إِلَى الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ التَّوَكُّلَ يَعْنِي تَفْوِيزُ الْأُمُورِ. وَيَقَابِلُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةَ أَشْخَاصٌ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِسَبَبِ حُبِّ الدُّنْيَا وَالْإِرْتِبَاطِ بِالْمَتَاعِ الزَّائِلِ وَيَقْلِبُونَ الْحَقَائِقَ^(٢)، بَلْ يَحَاوِلُونَ إِخْفَاءَ الْحَقِّ عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ.

(١) مسند أحمد: ج ٤ ص ٢٢٦. صحيح مسلم: ج ٤ ص ١٠.

(٢) سير الأئمّة: ج ١ ص ٥٠٧ - ٥١٧.

ولذا نرى يزيد (لعنه الله) قلب جميع الحقائق، قتل أولاد النبیین وأدخلهم إلى الشام على هيئة السبايا، ظاناً بأنه سوف يخفي الحقيقة أبداً، ولكن الله تبارك وتعالى أبى إلا أن يُظهر نورَه ولو كره المشركون.

أخفى الحقائق حتى على زوجته هند، وهي ممن قُتل أبوها وبقيت عند الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولما قبض أمير المؤمنين (عليه السلام) بقيت في دار الحسن (عليه السلام)، فسمع بها معاوية فأخذها من الحسن وزوجها من ولده يزيد، فبقيت عند يزيد إلى أن قُتل الحسين (عليه السلام)، ولم يكن لها علم بأن الحسين (عليه السلام) قد قُتل، ولما قُتل وأتوا بنسائه وبناته وأخواته إلى الشام، دخلت امرأة على هند وقالت لها: يا هند، الساعة أقبلوا بسبايا ولم أعلم من أين هم، فلعلك تمضين إليهم وتتفرجين عليهم، فقامت هند ولبست أفخر ثيابها وأمرت خادمة لها أن تحمل الكرسي، فلما رأتها الطاهرة زينب التفتت إلى أختها أم كلثوم، وقالت لها: أختي أتعرفين هذه الجارية؟ قالت لا والله، قالت: هذه هند بنت عبد الله خادمتنا، فسكتت أم كلثوم ونكست رأسها. فقالت هند: أراك طاطأت رأسك؟ فسكتت زينب ولم ترد عليها جواباً، ثم قالت لها: أختي من أي البلاد أنتم؟ فقالت لها زينب: من بلاد المدينة، فلما سمعت هند بذكر المدينة نزلت من الكرسي، وقالت: على ساكنها أفضل السلام، ثم التفتت إليها زينب وقالت: أراك نزلت عن الكرسي؟

قالت هند: إجلالاً لمن سكن في أرض المدينة، ثم قالت لها: أختي أريد أن أسألك عن بيت في المدينة، قالت لها العقيلة زينب: أسألي ما بدا لك. قالت هند: أسألك عن دار علي بن أبي طالب (عليه السلام). قالت لها زينب: وإن لك معرفة بدار علي؟ فبكت وقالت: إني كنت خادمة عندهم. قالت لها زينب: وعن أيها تسألين؟ قالت أسألك عن الحسين وإخوته وأولاده وعن بقية أولاد علي، وأسألك عن سيدي زينب، وعن أختها أم كلثوم، وعن بقية مخدرات فاطمة الزهراء (عليها السلام)؟

فبكت عند ذلك زينب بكاءً شديداً، وقالت لهند: أمّا إن سألت عن دار علي عليه السلام فقد خلفناها تنعى أهلها، وأمّا إن سألت عن العباس وبقية أولاد علي، فقد خلفناهم على الأرض مجزّرين كالأضاحي بلا رؤوس، وإن سألت عن زين العابدين عليه السلام فهي هوعليل نحيل لا يطيق النهوض من كثرة المرض والأسقام، وهذه أمّ كلثوم، وهذه بقية مخدرات فاطمة الزهراء، وإن سألت عن زينب فأنا زينب بنت علي:

أنه زينب اليحجون عني سليت المصايب ما سلني
مصايب احسين الدوهني نزلن على اعيوني او عمي

(فايزي)

زينب تجاوبها او غلبها فسرّهم
يالتنشدن احسين جسمه ابركبله تم
والراس جابوه إليزيد اوهاي چلثم
وآنه الذي ابخدري الوادم تضرب أمثال
يا هند خلصت كلّ عمامي بأرض الطفوف
وعباس ظل جسمه بلا راس ولا اچفوف
ما چنت أظن من بلد لاخر بالسبي انطوف
او تنفرج اعليه الخلگ ما خطر عبال
فلما سمعت هند هذا الكلام - كلام زينب - رقت وبكت ونادت: وا إماماه، وا سيداه،
وا حسيناه، ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء ولا أنظر بنات فاطمة الزهراء على هذه الحالة.
ثمّ تناولت حجراً وضربت به رأسها، فسال الدم على وجهها ومقنعتها وغشي عليها،
فلما أفادت من غشيتها قيل: فقامت وحسرت وشققت الثياب وهتكت وخرجت حافية
إلى يزيد وهو في مجلس عام، وقالت: يا يزيد أنت أمرت برأس الحسين يُشال على الرمح

عند باب الدار؟ رأس ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مصلوب على فناء داري، فوثب إليها يزيد فغطّاها، فقالت: يا يزيد أخذتك الحميّة عليّ فلم لا أخذتكَ الحميّة على بنات رسول الله؟ هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ، وأنزلتهن في دار خربة؟ والله، لا أدخل حرمك حتّى أدخلهن معي. وفعلاً أدخلتهن دارها بموافقة من يزيد، فاقمن المآتم ثلاثة أيام.

(أبوزية)

سهر بالعين يوم احسين ورث على امصابه دليلى ابنار ورث
هند تلبس جديد الهدم والرت على سكنه او تطب ديوان أمية^(١)

أوصى النبيُّ بوصلِ عترةِ أحمدٍ فكأنما أوصى بها أن تُقطعا

(١) مجمع مصنف ابن أبي شيبة: ٢٠٠ ص ١٢٠ - ١٢١، مع تصريف يسير في عبارة.

الحاضرة المعروفة بالسابع

الرجاء والخوف



حُرِّمَ السَّبْطُ مِنْ فِرَاتٍ مَبَاحٍ	كَيْفَ أَهْنَا بِشَرْبِ ذَاكَ الْقِرَاحِ
حَرَّ قَلْبِي لِزَيْنَبٍ مُذْ رَأَتْهُ	تَرَبَّ الْجِسْمُ مُثَخَّنًا بِالْجِرَاحِ
أَخْرَسَ الْخُطْبُ نُطْقَهَا فِدَعْتَهُ	بِدُمُوعٍ بِمَا تُجْنُ فِصَاحِ
يَا مَنْارَ الضَّلَالِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ	وِظِلَالُ الرِّمِيضِ وَالْيَوْمُ ضَاحِي
أَتَرَى الْقَوْمَ إِذْ عَلَيْكَ مَرَرْنَا	مَنْعُونَا عَنْ الْبُكَاءِ وَالنِّيَاحِ
إِنْ يَكُنْ هَيِّنًا عَلَيْكَ هَوَانِي	وَإِغْتِرَابِي مَعَ الْعَدَى وَاتِّزَاحِي
وَمُسِيرِي أُسِيرَةٍ لِلْأَعْدَادِي	وَرُكُوبِي عَلَى النِّيقِ الطَّالِحِ
فَبِرْغَمِي أَنِّي أَرَاكَ مُقِيمًا	بَيْنَ سُمْرِ الْقَنَا وَبَيْضِ الصَّفَاحِ
لَكَ جِسْمٌ عَلَى الرَّمَالِ وَرَأْسٌ	رَفَعُوهُ عَلَى رُؤُوسِ الرِّمَاحِ ^(١)

وَكَاَنِّي بِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ تَوَجَّهَ خُطَابُهَا لِأَخِيهَا أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَنْوَرُ الْعَيْنَ مَتْنَهُ الْيَاسَافُ	أَوْ يَبْدُوكَ يَا عَزِيزِي رَكْبَتِي
لَيْشَ الْيَوْمِ يَا خَوِيهِ عَفْتَنِي	وَحَيْرَتُوا عَزِيزَتَكَ يَطْيِينِ
لِجَنِّي وَحِجْ عَوْدِكَ عَذْرَتَكَ	لَا يَجْفُوكَ وَلَا رَأْسَ أَعْلَهُ جَثَّتَكَ
تَدْرِي بِالصَّبِيِّهِ الْيَاسَافُ	أَتَسَكَّتْ حَرَمَ يَوْمَتَعَهُ أَعْلَهُ مَيْتَيْنِ

وَلِسَانُ حَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تَعْتَبِينَ يَا زَيْنَبَ عَلَيَّ	أَنَّهُ وَيْنُ رَأْسِي وَيْنُ أَدْيِيهِ
حَالِجٍ يَخْجُوهِ أَيْعِزُّ عَلَيَّ	أَنْتِي الْعَزِيزَةُ أَوْهَا السَّبِيهِ

(١) تَصْدِيقُ السَّبْطِ زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ بْنِ هَاشِمٍ فِي الْحَاضِرَةِ الْخَامَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ هـ جـ.

روي عن إمامنا الصادق عليه السلام: «أرج الله رجاءً لا يجرتك على معاصيه وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»^(١).

الرجاء: هو توقع الشيء المحبوب ولا معنى له إذا لم يكن عن عمل، فمن رجا شيئاً طلبه وسعى إليه، فمن رجا الجنة سعى إليها بالعمل الصالح. وأما الخوف: فهو التألم من توقع مكروه ممكن الحصول أو عدم الحصول. والخشية والوجل والرهبة والهيبة، كلها من أنواع الخوف.

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعًا﴾^(٢).

وهناك خوف ممدوح: وهو الخوف من الله عز وجل، والخوف من ارتكاب الذنوب، والخوف من التقصير في أمور دينه وطاعته. وهذا الخوف يدعو الإنسان إلى السعي في طاعة الله، واجتناب معاصيه.

وأما الخوف المذموم: فهو الخوف من الأمور الواقعة لا محالة وليس للإنسان القدرة على دفعها، مثل الخوف من الموت.

فلا بُدَّ من إعمال توازن للخوف والرجاء، بأن لا يرجح أحدهما على الآخر، ومن هنا ورد مرويًّا عن النبي الأكرم عليه السلام أنه قال: «لو تعلمون قدر رحمة الله لا تكلمتم عليها وما عملتم إلا قليلاً، ولو تعلمون قدر غضب الله لظنتم بأن لا تنجوا»^(٣).

ثم إنَّ الخوف يزداد بقدر معرفة الإنسان وعلمه، فكلما كان الإنسان عالماً لا بُدَّ أن يزداد خوفه وعمله، خوفه من الله، وعمله إلى الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤).

(١) أمالي الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٥٤، منقاة لأخبار، ص ٢١٦، اندر المختار، ج ٥، ص ١٠٥، وسافل.

الشيخان، ج ١، ص ٢١٩، ج ٧، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٠٥، ج ٢٠، عن الإمامي.

(٢) السجدة، آية ١٧.

(٣) نزهة المجال، ج ٣، ص ١٠٠، ج ٥٤٤.

(٤) شاطر، آية ٢٨.

وما ورد عن نبي الرحمة ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخَوْفَ»^(١).
ويروى أَنَّ نبيَّ الله عيسى (على نبينا وآله وعليه السلام): «مَرَّ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ قَدْ نَحَلَتْ
أَبْدَانَهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا الَّذِي بَلَغَ بِكُمْ مَا أَرَى؟
فَقَالُوا: الْخَوْفُ مِنَ النَّارِ. فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُؤْمِنَ الْخَائِفُ. ثُمَّ جَاوَزَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ
آخَرِينَ فَإِذَا هُمْ أَشَدَّ نَحْوَلًا وَتَغَيَّرًا، فَقَالَ: مَا الَّذِي بَلَغَ بِكُمْ مَا أَرَى؟
قَالُوا: الشُّوقُ إِلَى الْجَنَّةِ. فَقَالَ: حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ مَا تَرْجُونَ، ثُمَّ جَاوَزَهُمْ إِلَى
ثَلَاثَةِ آخَرِينَ فَإِذَا هُمْ أَشَدَّ نَحْوَلًا وَتَغَيَّرًا كَأَنَّ عَلَى وَجُوهِهِمُ الْمَرَايَا مِنَ النُّورِ فَقَالَ: مَا الَّذِي
بَلَغَ بِكُمْ مَا أَرَى؟

فَقَالُوا: نَحَبُّ اللَّهَ ﷻ. فَقَالَ: أَنْتُمْ الْمُقَرَّبُونَ، أَنْتُمْ الْمُقَرَّبُونَ»^(٢).
ثُمَّ إِنَّ لِلْخَائِفِينَ وَالرَّاجِينَ اللَّهَ تَعَالَى مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَعْرِفُونَ بِهَا، وَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ
يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَدَّعِي بَأَنَّهُ خَائِفٌ أَوْ رَاجٍ، وَمِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ:
الأولى: الهروب من الذنوب والمعاصي؛ لِأَنَّ الذَّنْبَ تَدْخُلُ الْعَبْدَ النَّارَ. وَالْخَائِفُ خَائِفٌ
مِنْ عِقُوبَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ الَّتِي تَتِمُّ بِدُخُولِ الْإِنْسَانِ إِلَى النَّارِ، وَالرَّاجِي كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَرْجُو
رَحْمَةَ اللَّهِ، وَيَرْجُو الْجَنَّةَ، وَهِيَ مُمَثِّلَةٌ بِالْهَرُوبِ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.
الثانية: يطلب دائماً الأعمال التي تقربه إلى الله ﷻ، ويختار الشاق منها؛ لما ورد «أَفْضَلُ
الْأَعْمَالِ أَحْمَرُهَا»^(٣) بِمَعْنَى أَشَقَّهَا.

الثالثة: يحاسب نفسه دائماً ويصلح عيوبه.

الرابعة: لا يخاف إلا الله ﷻ حتى أنه روي عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «مَنْ
خَافَ اللَّهَ ﷻ خَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٢٦٣، ح ١٠٠.

(٢) تبيين العوائد: ج ١، ص ٢٣٤. وانظر: الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ١٠٠.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٠، ص ١٦١.

(٤) المصدر نفسه: ج ١، ص ٥.

ولذا ترى أنَّ المعصوم عليه السلام لا يخاف من شيء؛ لأنَّه خاف من الله تبارك وتعالى.

روي أنَّه خرج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في بعض الأيام من المدينة إلى ضيعة له خارجة عنها، فتبعته - الراوي - وكان راكباً على بغلة وأنا على حمار، فلما صرْتُ إلى بعض الطريق اعترضنا أسدً فأحجمتُ خوفاً، وأقدم أبو الحسن عليه السلام غير مكترثٍ، به فرأيتُ الأسدَ يتدلَّل لأبي الحسن عليه السلام ويُمهمهم، فوقف له أبو الحسن عليه السلام كالمصغي إلى مهمته ووضع الأسد يده على كفل بغلته وخفتُ من ذلك خوفاً عظيماً، ثُمَّ تنحَّى الأسد إلى جانب الطريق وحوَّل أبو الحسن عليه السلام وجهه إلى القبلة، وجعل يدعو، ثُمَّ حَرَّكَ شفتيه بما لم أفهمه، ثُمَّ أوماً إلى الأسد أن أمضِ، فهمهم الأسد مهمةً طويلة، وأبو الحسن عليه السلام يقول: آمين آمين، وانصرف الأسد حتَّى غاب عن أعيننا ومضى أبو الحسن عليه السلام لوجهه واتبعته، فلما بعدنا عن الموضع لحقته، فقلت له: جعلت فداك ما شأن هذا الأسد؟ ولقد خفته والله عليك وعجبت من شأنه معك. فقال لي أبو الحسن عليه السلام: «إنَّه خرج إلي يشكو عسر الولادة على لبوته، وسألني أن أدعو الله ليفرِّج عنها، ففعلت ذلك وألقي في روعي أنَّها تلد ذكراً، فخبَّرته بذلك، فقال لي: إمض في حفظ الله، فلا سلَّط الله عليك ولا على ذريتك ولا على أحدٍ من شيعتك شيئاً من السباع. فقلت: آمين»^(١).

الخامسة: يعلم أنَّ الله يراه فلا يعمل ما يغضبه، وأمَّا إذا رأى أنَّ الله لا يراه فهذا الكفر بعينه، فقد ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام أنَّه قال لإسحاق: «يا إسحاق، خفِ الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنَّه يراك، فإن كنت ترى أنَّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنَّه يراك ثُمَّ برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك»^(٢).

(١) الإبراهيم: ج ٢، ص ٢٢٢ - ٢٢١، روضة الواعظين، ص ٢١٥، انشاد في مناقب، ص ٥٠، ج ٢، البحار والجواهر: ج ٢، ص ٢٠٠، ج ١، مدينة المأثورات، ج ٦، ص ٢١٢، ج ٢، كنز النسا، ج ٢، ص ١٠٠، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٥٩، ج ١٠، من مناقب الإمام والجواهر.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ١٠٠، ج ٢، وسائل النجاة، ج ١٢، ص ٢٢١، ج ٦، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢٢٠، ج ٢، عن الكافي.

والحديث الذي صَدَّرنا به كلامنا يقول: لا بدَّ أن يكون خوف الإنسان ورجاؤه ككفتي الميزان، لا أن يخاف الله تبارك وتعالى خوفاً يوصله إلى اليأس من رحمة الله تبارك وتعالى، ويقع في القنوط واليأس من روح الله الذي عُدَّ من الكبائر، ولا يرجو الله تبارك وتعالى رجاء يأخذ به إلى التجرّي بالمعصية على الباري عز وجل.

فالمُتَّقُونَ حقّاً مَنْ كانوا بين خوفٍ ورجاء؛ ولذا ترى كلام الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في الأدعية وكأنتهم قد ارتكبوا معاصي الخلق أجمعين، وهم معصومون، ولكنَّ هذا كله خوفٌ من الله تبارك وتعالى؛ لعلمهم بالله وعظمته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١).

بلى والله هم العلماء ولكنَّ القوم ما عرفوا حقَّهم ولا قدرهم. وإلّا ما الذي صنعه أهل البيت (عليهم السلام) بحيث أصبحوا أسارى وسبايا من بلدٍ إلى بلدٍ، والدم يجري من ساقِي الإمام زين العابدين (عليه السلام) من شدَّة ما لاقاه من مصائب ومحن. يقول المنهال بن عمر: كنت أتمشّي في أسواق دمشق وإذا أنا بعليّ بن الحسين (عليه السلام) يمشي ويتوكأ على عصاةٍ في يده، ورجلاه كأنهما قصبَتان، والدم يجري من ساقيه والصُفْرَةُ قد علت عليه.

قال المنهال: فخنقنني العبرة، فاعترضته وقلتُ له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال (عليه السلام): «يا منهال، وكيف يُصبح مَنْ كان أسيراً ليزيد بن معاوية، يا منهال، والله مُنذ قُتل أبي، نساؤنا ما شبعن بطونهن، ولا كسَوْنَ رؤوسهنَّ، صائحات النهار، نائحات الليل»^(٢).

لهذا روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنّه قال: «دخلتُ على عمّتي زينب في طريقنا إلى الشام فرأيتها تُصلي من جُلوس، فسألتهَا عن ذلك فقالت: أصليّ من جلوس لشدَّة الجُوع والضعف. لأنّها منذ ثلاثة أيام لم يدخل في جوفها طعام، لأنّها كانت تقسِّم ما يُصيّها من الطعام على الأطفال».

(١) شطر: ٢١١.

(٢) منجزة طوسي: ج ٢، ص ٣٦١، عن الثوري السانبة.

ولسان حال الإمام عليه السلام:

يا عمّه أشوفنچ تصلّين
مالچ خلگ لو طيحت احسين
وانتي ابگعدتچ ما تگومين
نحلت جسمچ يا ضوه العين
فأجابته بلسان الحال:

يا عمّه راح الحيل منّي
اولوعة اطفاله المحتني
من راح أبوك إحسين عني
والضعف يا عمّه هلكني
وانشعب گلبي ابکثر وني
ميتہ عسن من زغر سني
او حچي الشماته الي كتلني
اولا أشوف هالمظمه اللفتني

ثمّ قال له: «يا منهال، أصبحنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، أصبحت العرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً منهم، وتفتخر قريش على العرب بأنّ محمداً منهم، وإنّا عتره محمّد أصبحنا مقتولين مذبحين مأسورين مشرّدين شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك أو كابل، هذا صباحنا أهل البيت. يا منهال، المكان الذي نحن فيه ليس له سقف، والشمس تبهرنا، فأفرّ منه سوية لضعف بدني، وأرجع على عماتي وأخواتي خشيةً على النساء.

قال المنهال: فبينما أنا مخاطبه وهو يخاطبني، وإذا أنا بامرأة قد خرجت من الخربة وهي تناديه: إلى أين تمضي يا قرّة عيني، فتركني ورجع إليها، فحققت النظر إليها وإذا هي زينب بنت علي^(١).

(أبوذية)

انزرع بالعين شوچ السهر وانبات
او گلبي امن الهظيمه انگطع وانبات
يصير أحنه ابخرايه إنجيم وانبات
او هند بقصورها إتبات اوسميّه

بنات زياد في القصور مصونة
وأل رسول الله في الفلوات

(١) مجلس مصنف عن البيت عليه السلام: ٢٠، ص ١٢١ - ١٢٢.

الحاضرة العربية الشامية



كبار الذنوب
وصغارها



أبا صالح يا مُدرِكِ الشَّارِكِمْ تَرى
وهلْ يملكُ الموتورُ صَبْرًا وحوْلَه
أَتَنسى أبى الضَّيْمِ في الطِفِّ مفردًا
أَتَنساه فوقَ التُّرْبِ منْفطرَ الحشا
وربَّ رضيعٍ ارضعتهُ قِسْيُهُمْ
فلَهفي لَهُ مُذْ طَوَّقَ السَّهْمُ جِيْدَه
ولَهفي لَهُ لَمَّا أَحَسَّ بحرَّه
ولَهفي على أُمِّ الرضيعِ وقد دجا
فمُذْ لاح سَهْمُ النحرِ ودَّتْ لو أنَّها
وغيضُك وإِغْيَرَ أَنَّكَ كاظِمُه
يَروحُ ويغدو آمنَ السربِ غارِمُه
تحوُّمٌ عليه للوداعِ (فواظِمُه)
تناهيه سُمرُ الردى وصوارِمُه
من النبلِ ثدياً درَّه الثرُّ فاطِمُه
كما زَيَّتَه قَبْلَ ذاكَ تَمائِمُه
وناغاه من طيرِ المنى حائِمُه
عليها الدُّجى والدَّوْحُ ناحِتَ حمائمُه
تشاطرُه سَهْمَ الردى وتُساهِمُه^(١)

(١) الشاعر محمد تقي انصاري رحمه الله. قال عنه صاحب كتاب شعراء الفري: «هو شيخ محمد تقي بن الشيخ عبد غفور بن رسول بن سبيح ميرزا بن السبح عبد الحسين بن الشيخ الأكبر محمد حسن صاحب جوهر الكلام، عالم فاضل، وأديب بازم، وشاعر مطبوع. ولد في المجر ٢٠ جمادى الأولى عام ١٢٥١ هـ، وسماها على زنده الحجة نقيب، فقرأ عليه المقدمات وعنى بتوجيهه وتدريبه. فقال انعلم احسن عن شعره، واختص على خلفات اسلام عصره، كخلفه والده في نقبه، وفي الأسير على حقة السيد أبو القاسم الجوني، والشيخ ميرزا باقر الترنجايي، والمراجع له نسب بحسن عقل السبوح، وامنان يتصف بصفات الإنسان الصحيح. له من المؤلفات: (إعانة المأمول من علم الأصول) حصل فيه بحث أستاذ السيد الجوني زيتي في جرين، (مدارك المروءة الوتر في النقة الاستاذية) وحصل به (إبر باب الوفاء)، (منظومة في شروء العلم لأجمالي استدلالاً) قد أكمل منه ستة عشر جزءاً» كتاب شعر - الفري: ج ٧ - ص ٣٢٧.

طفل حسين ظامي والوكت حرّ
 تكله الطفل راح اللون عنه
 جف دمه وجف اللبن عنه
 يبويه ما بعيني دمع واسجيه
 گامت شالته اوجت الوليها
 تحيّل جايه أميه بديها
 گامت تستدير اعيون طفله
 أيس شاف أميه ما حصله
 شمّه وحبّه بصدرة اوخده
 يبويه ما بعد للعيش ردّه
 اويلي من العطش چيده تفطر
 يبويه ما بگت بالطفل ونّه
 اوظل ايلوچ بلسانه اوينغر
 يرضى الموت بيّ اساع لفديه
 فك اعويتته اويحمر عليها
 شاله احسين ودموعه تشر
 شبح عينه لبوه وعين لهله
 رد غمض عويناته واسكر
 چبد حسين يابس مثل چيده
 اهو يحاچيه اولن سهم المگرد

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾^(١).

لا ريب في دلالة الآية على انقسام المعاصي إلى كبائر، وصغائر وهي التي عبّرت عنها الآية المباركة (بالسيئات).

ونظير هذه الآية في الدلالة الآية الأخرى التي يقول فيها سبحانه وتعالى على لسان المجرمين: ﴿يُؤْتِلْنَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٢)؛ إذ اشفاقهم ممّا في الكتاب يدلّ على أنّ المراد بالصغيرة والكبيرة صغائر الذنوب وكبائرها. ولا ريب أيضاً في أن الآية في مقام الامتنان، وهي تفرع أسماع المؤمنين بعناية لطيفة إلهية أنّهم إنّ اجتنبوا البعض من المعاصي كفّر عنهم البعض الآخر.

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) النحل: ٦١.

فليس في ذلك إغراء على ارتكاب المعاصي الصغار، فإنّ ذلك لا معنى له؛ لأنّ الآية تدعو إلى ترك الكبائر بلا شك، وارتكاب الصغيرة من جهة أنّها صغيرة لا يعبأ بها ويتهاون في أمرها، يعود مصداقاً من مصاديق الطغيان والاستهانة بأمر الله سبحانه، وهذا من أكبر الكبائر، بل الآية تعدّ تكفير السيئات من جهة أنّها سيئات، لا يخلو الإنسان المخلوق على الضعف المبني على الجهالة من ارتكابها بغلبة الجهل والهوى عليه، فمساق هذه الآية مساق الآية الداعية إلى التوبة التي تعد غفران الذنوب، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

فكما لا يصح أن يقال هناك: إنّ الآية تغري بالمعصية بفتح باب التوبة، وتطيب النفوس بذلك، فكذا ههنا، بل أمثال هذه الخطابات إحياء للقلوب الآيسة بالرجاء. ومن هنا يعلم أنّ الآية لا تمنع عن معرفة الكبائر بمعنى أن يكون المراد بها اتقاء جميع المعاصي مخافة الوقوع في الكبائر، والإبتلاء بارتكابها، فإنّ ذلك معنى بعيد عن مساق الآية، بل المستفاد من الآية أنّ المخاطبين هم يعرفون الكبائر ويميّزون تلك الموبقات من النهي المتعلّق بها، ولا أقل من أن يُقال: إنّ الآية تدعو إلى معرفة الكبائر حتّى يهتّم المكلفون في الاتقاء منها كلّ الاهتمام، من غير تهاون في تجنّب غيرها، فإنّ ذلك التهاون - كما عرفت - إحدى الكبائر الموبقة.

وذلك أنّ الإنسان إذا عرف الكبائر وميّزها وشخصها، عرف أنّها حرّمات لا يغمض من هتكها بالتكفير إلّا عن ندامة قاطعة وتوبة نصوح، ونفس هذا العلم ممّا يوجب تنبّه الإنسان وانصرافه عن ارتكابها^(٢). وعليه فلا بدّ أن نحدد ضابطاً لمعرفة كبائر الذنوب من صغائرها.

(١) سورة الزمر: ٥٣.

(٢) تفسير الميرزا: ج ٢ - ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

يذهب البعض إلى أن وصف الكبيرة والصغيرة من الأمور النسبية، تكون كل معصية بالنسبة إلى ما هو أكبر منها صغيرة، وبالنسبة إلى ما هو أصغر منها كبيرة^(١).

ولكن من الواضح أن هذا المعنى لا ينسجم مع ظاهر الآية الحاضرة؛ لأنها تقسم الذنوب إلى صنفين مستقلّين، وتعتبرهما نوعين متقابلين، وتعتبر الاجتناب عن صنف موجباً للعتق والتكفير عن الصنف الآخر.

ولكننا إذا راجعنا المعنى اللغوي للكبيرة وجدنا أن الكبيرة هي كل معصية بالغة الأهمية من وجهة نظر الإسلام، ويمكن أن تكون علامة تلك الأهمية أن القرآن لم يكتفِ بالنهي عنها فقط، بل أردف ذلك بالتهديد بعذاب جهنم، مثل قتل النفس والزنا - نستجير بالله - وأكل الربا وأمثال ذلك، ولهذا جاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام): «الكبائر التي أوجب الله عليها النار»^(٢).

وعلى هذا الأساس تسهل معرفة المعاصي الكبيرة إذا أخذنا بنظر الاعتبار الضابطة المذكورة، وما قد ذكر في بعض الروايات من أن عدد الكبائر سبع وفي بعض عشرون، وفي بعضها سبعون، لا ينافي ما ذكرنا قبل قليل؛ إذ إن بعض هذه الروايات يشير - في الحقيقة - إلى المعاصي الكبيرة من الدرجة الأولى، وبعضها الآخر يشير إلى المعاصي الكبيرة من الدرجة الثانية، وبعضها الثالث يشير إلى جميع الذنوب الكبيرة.

مضى تنقلب الصغيرة إلى كبيرة

إلا أن هاهنا نقطة مهمّة لا بدّ من الالتفات إليها، وهي أن المعاصي الصغيرة تبقى صغيرة ما لم تتكرّر، مضافاً إلى كونها لا تصدر عن استكبار أو غرور وطغيان؛ لأنّ الصغائر - كما يستفاد من الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة - تبدّل إلى الكبيرة في عدّة موارد منها:

(١) سيد الشريفة (عليه السلام) في مجمع البحار - على ما خطي عند تفسير الامثل - إن غلبت نسيعة ربه العلامة الغنيّة في حاسبة تفسيره إلى الفزالي.

(٢) أنظر: مجمع البحرين: ج ٤ ص ١٠.

الأول: إذا تكررت الصغيرة قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا صغيرة مع الإصرار»^(١).

الثاني: إذا ستصغر صاحب المعصية معصيته واستحقرها، فقد جاء في نهج البلاغة «أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه»^(٢).

الثالث: إذا ارتكبها مرتكبها عن عناد واستكبار وطغيان وتمرد على أوامر الله تعالى، وهذا هو ما يستفاد من آيات قرآنية متنوّعة إجمالاً، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾^(٣).

الرابع: إن صدرت المعصية ممن لهم مكانة اجتماعية خاصّة بين الناس، وممن لا تحسب معصيتهم كمعصية الآخرين، فقد جاء في القرآن الكريم حول نساء النبي صلى الله عليه وآله في سورة الأحزاب: ﴿يَسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ يَضَعُفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٤).

الخامس: أن يفرح مرتكب المعصية بما اقترفه من المعصية، ويفتخر بذلك، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك»^(٥).

السادس: أن يعتبر تأخير العذاب العاجل عنه على المعصية دليلاً على رضاه تعالى، ويرى العبد نفسه محصناً من العقوبة آمناً من العذاب، أو يرى لنفسه مكانة عند الله لا

(١) تكملي: ج ٢، ص ٢٨٨، منكاة الأنوار، ص ٢٠١، تفسير جوامع الجامع، ج ١، ص ٢٦٢، تفسير مجمع

البيان، ج ٢، ص ٢٦٥، التفسير المصافي، ج ١، ص ٢٨٢، تفسير در الخطوب، ج ١، ص ٢٦٥، ص ٢٠٤.

رسائل مشيئة، ج ١٥، ص ٢٢٨، ج ٣، بحار الأنوار، ج ٨٤، ص ٢.

(٢) مجمع ليلاليف، ج ٤، ص ٨١، ج ٢٤٤، رسائل مشيئة، ج ١٥، ص ٢١٢، ج ٦، شرح تكميل تكملي، ج ١،

ص ١٦، مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٢٤١، ج ١٤.

(٣) السجدة، آية ٢٧، يونس، آية ٢٦.

(٤) الأحزاب، آية ٢.

(٥) تواب الأعمال، ص ٢٢٢، رسائل مشيئة، ج ١٥، ص ٢١٥، ص ٢١٥، السلام الديني، ص ٢٠١، بحار

الأنوار، ج ٦، ص ٢، ج ٥٧.

يعاقبه الله على معصية لأجلها، كما جاء في سورة المجادلة، الآية الثامنة حاكياً عن لسان بعض العصاة المغرورين الذين يقولون في أنفسهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ ﴿ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَائِلاً: ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ﴾﴾^(١).

ثمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَيْسَتْ عَدِيمَةُ النِّظِيرِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الْآخَرَى؛ فَإِنَّ لَفْظَ السَّيِّئَاتِ وَرَدَ بِالْأَفْظَاقِ مُتَّحِدَةً مَعَهَا فِي الْمَعْنَى مُتَغَايِرَةً بِلَفْظِهَا، كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ التَّعْبِيرِ بِ(اللَّئِمِّ)، كَمَا فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ النَّجْمِ، بَدَلًا عَنِ التَّعْبِيرِ بِالسَّيِّئَةِ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّئِمَ﴾.

إِذْنًا، هَذَا الْبَحْثُ يُوصلنا إِلَى هَذِهِ النَتِيجَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَجَنَّبَ الْكِبَائِرَ وَصَدَرَتْ مِنْهُ الصَّغَائِرُ - لَكِنْ لَا عَلَى نَحْوِ الْإِصْرَارِ وَالْعِنَادِ وَالِاسْتِخْفَافِ - كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الصَّغَائِرَ.

وَأَمَّا إِذَا صَدَرَتْ هَذِهِ الصَّغَائِرُ نَفْسُهَا بِشَكْلِ مُسْتَمِرٍّ وَدَائِمٍ مَعَ الْإِصْرَارِ وَالْعِنَادِ فَسَوْفَ تَتَحَوَّلُ هَذِهِ الصَّغَائِرُ إِلَى كِبَائِرَ، بَلْ إِلَى أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ فَيَكُونُ مِثْلُهَا كَمِثْلِ بَقِيَةِ الْكِبَائِرِ مِثْلَ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالْإِصْرَارِ بِالْمُسْلِمِ وَمَنْ بِحُكْمِهِ، فِي نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ عَرْضِهِ.

فَمَا حَالُ مَنْ تَعَرَّضَ لَجَمِيعِ الْبَلَاءَاتِ بِسَبَبِ كِبَائِرِ الْعَصَاةِ وَجَنَائِبَاتِهِمْ، فَقَدْ أَضَرَّ الْقَوْمَ بِنَفْسِهِ وَبَعِيَالِهِ وَأَطْفَالِهِ، بَيْنَ صَغِيرَةٍ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَمَرُهَا الثَّلَاثَ سِنِينَ وَهِيَ رَقِيَّةُ بِنْتُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ وَأُمُّهَا الرَّبَابُ؛ إِذْ لَدَتْ رَقِيَّةَ عليها السلام أَوَّخِرَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ لِلْهَجْرَةِ، وَبَعْدَ أَنْ أَخَذَتْ عليها السلام مَعَ الْأَسِيرَاتِ مِنْ بَيْتِ النَّبُوَّةِ إِلَى الشَّامِ اسْتَمَرَّتْ فِي الْبُكَاءِ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا؛ لِفِرَاقِ أَبِيهَا الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَكَانُوا يَقُولُونَ لَهَا: إِنَّ أَبَاكَ فِي السَّفَرِ (يَقْصِدُونَ سَفَرَ الْآخِرَةِ) فَرَأَتْهُ لَيْلَةً فِي مَنَامِهَا، وَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ أَخَذَتْ بِالْبُكَاءِ الشَّدِيدِ وَهِيَ تَقُولُ: ائْتُونِي بِوَالِدِي وَقَرَّةَ عَيْنِي.

وكلّمًا أراد أهل البيت إسكاتهما ازدادت حزنًا وبكاءً، ولبكائهما زاد وكثر حزن أهل البيت عليه السلام، فأخذوا في البكاء الشديد، فسمع يزيد صيحتهم وبكاءهم، فقال: ما الخبر؟ قيل له: إنّ بنت الحسين الصغيرة الموجودة مع السبايا في الخربة رأت أباهما في نومها، فاستيقظت وهي تطلبه وتبكي وتصرخ، فلما سمع يزيد ذلك قال: ارفعوا إليها رأس أبيها وضعوه بين يديها تتسلّى به، فأتوا بالرأس الشريف في طبق مغطى بمنديل، ووضعوه بين يديها، فقالت: ما هذا؟ إني أطلبُ أبي، ولم أطلبُ الطعام، فقالوا: هذا أبوك، فرفعت المنديل فرأت رأساً، فقالت: ما هذا الرأس؟ قالوا: رأس أبيك، فرفعت الرأس وضمتها إلى صدرها، وهي تقول: يا ابتاه من الذي أيتمني على صغر سني؟ يا أبتاه، من للعيون الباقيات؟ يا أبتاه منّ للضائعات الغريبات؟ يا أبتاه من بعدك وا خيبتاه، من بعدك وا غربتاه، يا أبتاه ليتني كنت لك الفداء، يا أبتاه ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء، يا أبتاه ليتني توسّدت التراب ولم أرَ شبيك مخضّباً بالدماء، ثمّ وضعت فمها على فم أبيها الشهيد المظلوم وبكت حتّى غشي عليها!!

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «عمّه زينب، ارفعي اليتيمة من على رأس والدي فإنّها فارقت الحياة»^(١).

يا عمّه زينب گومي ليها شيليه من راسه وليها
ماتت الطفله من بچيهها وأختي إنكسر گلي عليها

فلما حرّكتها زينب وإذا بها قد فارقت روحها الدنيا فارتفعت الأصوات وعلا الصّراخ.
(فائزي)

عمتها من گامت اوشالتها بديهها
من راس أبوها اوعاينت ويلى عليها

(١) الأختين والابن السابغية: ص ٧٣١ - ٧٣٢.

لنها اليتيمة امغمضة اولا نفس بيهها
صاحت يعمّه امصيتج زادت إيجانه
غامن فرد گومه الحرم كلهن سويه
هاي التحبها وذيجه اتشمها رقيه
قيل: وأحضر لها أهل البيت مغسلةً لتغسلها، فلما جرّدها عن ثيابها قالت: لا
أغسلها، فقالت لها زينب عليها السلام: ولم لا تغسلها؟ قالت: أخشى أن يكون فيها مرض، فأني
أرى أضلاعها زرقاً، قالت زينب: والله، ليس فيها مرض ولكن هذا من ضرب سيّاط
أهل الكوفة.

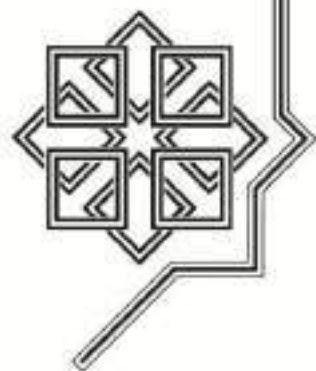
من جلّة الوالي عليه يضربونه اونشگف بدينه
اويشتمون حامينه اوولينه^(١)

لا أضحك الله سنّ الدهر إن ضحك
وأل أحمد مظلومون قد فُهِروا

(١) مجمع مصنف ابن البيت عليه السلام: ٢٠ من ١٢٣ - ١٢٤.

الحاضرة المعروفة بالتأثير

الرسالة السماوية



يا بَنَ النَّبِيِّ لَنَا بِبَابِكَ وَقْفَةٌ
ونرى ضياءَكَ مشرقاً وكأنَّهُ
ولنا ببابك وقفةٌ نلقى بها
ونقولُ إِنَّكَ قد خُلقت بطولَةً
ولأنت رمزُ الحقِّ حينَ يَؤدّه
ولأنت رمزُ الحقِّ حينَ رُفِعته
واشتدَّ جُنْدُ الظالمينَ وضيقوا
وخرجتَ وحدَكَ تلتقي بجموعهم
وجبهتهم إن كان ما تبغونه
لن تزهقوا رُوحِي بكلِّ جِوشكم
ومضيتَ لكن ما قضيتَ وإنما

للروح فيها منهلٌ يترقرقُ
من نورِ جدِّك جذوةٌ تتألقُ
عبراً تُطيلُ لنا الحديثَ وتصدقُ
لله فيها حكمةٌ تتحقَّقُ
ظلمٌ يبدّدُ شمله ويمزّقُ
والكفرُ حولك في عنادٍ يطبّقُ
وتزاحموا وتواكبوا وتحلّقوا
يا واحداً مانال منه الفيلقُ
موتي فإنِّي للردى أتشوقُ
لكنَّ باطلكم بحقِّي يزهقُ
تحيا وتسعدُ في الوجود وتُرزقُ^(١)

المثلک عدل ما مات یحسین
ابذچرک تضج الخلگ صوین
یاهو الغیرک شیّد الدین
اوجسمه بگه فوگ الثره اطعین
ابعالی الرماح اویصد بالعین

یعمود بیت الهاشمیین
وتصیح یا المظلوم کل حین
ابدم صحبته وأهله المیامین
اوراسه مشه ویه المظننین
إل صوب الیتامی والنسلاوین

(١) الشاعر محمد التهامي المصري رحمه الله، قال عنه كامل سبيل الجيزي في كتابه (معجم شعراء): ج، ٤، ص. ٢٠، ص. ٢٠٧: «محمد التهامي، سيد أحمد زك في قرية غالاتون محافظة الموفية - مصر سنة ١٢٠٠هـ. حصل على إجازة في الشنن والاقتصاد من كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية ١٢٤١هـ، اختل بالحمادة والصحافة والاعلام، فكان مدير، تحرير صحيفة الجمهورية ١٢٥٢هـ، ١٢٥٤هـ... استمر في أكثر من ثلاثين مؤسراً ومهرجاناً شعرياً. نشر ديوانه شعري الأول وهو منتخب بالمرحة الثانوية من يد الشعيرة (أشياء عسان نوطن) (أنا مسلم) شعر إسلامي... بيت البداية الخطبة شعر معركة بورسعيد ١٢٥٤هـ...»

والآن هلمّوا معي ننظر ماذا يجري على الرأس الشريف:

من يصد لعياله يساره فوگ الهزل دمعاه اويحجي اويه زينب
يكلها وظن نصّ يختي الدهر تاره وي والدمج شفتي
اسمعوا جواب العقيلة عليها السلام:

(بحراني)

أصبر ولو كلفه اوصعبه هالرزيه
أصبر ولا خَلّي العده ايشمتون بيه
بس امن اصد الراسك اعلى السمهره
ذاك الوكت ما أكدر أحبس دمة العين
يحسين راسك من يشيلونه اگبالي
ما يمكن أصبر من اصدّ له على العوالي
سامحني لونا ديت يا ابن أمّي الغالي
ولو سال دم راسي وخشت أخلودي الاثنين

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

النبوة سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عباده، لتدبير حياتهم في أمر معاشهم،
والنبيّ هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفة^(٢).

إذا عرفنا معنى النبوة والنبيّ تعال معي لنعرف ما هي الطرق التي تعرفنا بصدق

(١) الحديد: ٢٥٥.

(٢) انظر: التمهيد: ص ٢٠٠.

دعوى النبوة؟ إذ من الممكن لأي إنسان أن يدَّعي النبوة والسفارة الإلهية بين الله تبارك وتعالى وبين ذوي العقول، كما ذكرنا في تعريف النبوة!

فمن هنا - إذن - يجب أن تقترن دعوى النبوة بدليل يثبت صحتها، وإلا كانت دعوى غير قابلة للإذعان والقبول، وهذا طبيعي جداً وتقتضيه الفطرة الإنسانية.

هناك طرق ثلاث للوقوف على صدق مدَّعي النبوة في دعواه، وهي:

١ - الإعجاز.

٢ - تصديق النبي السابق نبوة النبي اللاحق.

٣ - جمع القرائن والشواهد من حالات المدَّعي وتلامذة منهجه^(١).

ولذا نرى أنَّ الآية المباركة ابتدأت أولاً بذكر البيِّنات والدلائل الواضحات الشامل للمعجزات والدلائل العقلية التي يتسلَّح بها الأنبياء والرسل الإلهيون^(٢).

والمعجزة: «أمر خارق للعادة مقرونٌ بالتحدي مع عدم المعارضة»^(٣).

إذ إنَّ هناك أموراً تُعدُّ خارقة (مضادة) للعقل، كاجتماع النقيضين وارتفاعهما، ووجود المعلول بلا علَّة ونحو ذلك مع أنَّها ليست كذلك في واقع الأمر، بل هي ممَّا يخالف القواعد العادية، بمعنى أنَّها تُعدُّ محالاً بحسب الأدوات والأجهزة العادية، وهي المُسمَّاة بالمعاجز، وذلك كحركة جسم كبير من مكان إلى مكانٍ آخر بعيد عنه في فترة زمانية لا تزيد على طرفة العين بلا تلك الوسائط العادية فإنَّ ذلك غير ممتنع عقلاً ولكنَّه محال عادةً.

ومن هذا القليل ما يحكيه القرآن من قيام مَنْ أوتي علماً من الكتاب^(٤) بإحضار عرش

(١) المصدر نفسه: ٢: ٧.

(٢) تفسير الأمل: ١: ١٠٠.

(٣) سراج التجريد: ٢: ٥٠.

(٤) كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَهُكَ يَا قَوْمِ. قَبْلِ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾. النمل: ٢٤.

بلقيس - ملكة سبأ - من بلاد اليمن إلى بلاد الشام في طرفه عين، بلا توسط شيء من تلك الأجهزة المادية المتعارفة.

إذن، الإعجاز أمرٌ خارق للعادة لا للعقل، فإذا جاء إنسانٌ بما هو خارق للعادة لا يسمّى نبياً إلا إذا كان مقترناً بدعوى النبوة، وأما إذا تجرّد عنها وصدر من بعض أولياء الله تعالى يسمّى حينئذٍ (كرامة).

ومع هذا حتّى ولو تمّ الأمران وهما: إتيان المعجزة مع التحدي ودعوى النبوة إذا لم يكن معها أمرٌ ثالث - وهو عدم تمكن باقي الناس من الإتيان بمعارضة ما أتى به مدّعي النبوة - لم يكن المدّعي نبياً حينئذٍ.

ومن شرائط كون الإعجاز دليلاً على صدق دعوى النبوة أن يكون فعل المدّعي مطابقاً لدعواه، فلو خالف ما ادّعاه لما سُمّي معجزة، وإن كان أمراً خارقاً للعادة، ومن ذلك ما حصل من مسيلمة الكذاب عندما ادّعى أنّه نبيّ، وادّعى أن آية نبوته أنّه إذا تغل في بئرٍ قليلة الماء يكثر ماؤها، فتغل فغار جميع ماؤها^(١).

الطريق الأول: معاجز النبي الأكرم ﷺ

بعدما عرفنا معنى الإعجاز والمعجزة، وأنها من الطرق الثلاث الدالة على صدق دعوى النبوة، تعال معي الآن لتتعرف على قطرة من معاجز النبي الأكرم ﷺ، وهي كثيرة دالة على نبوته سوى القرآن الكريم.

منها: مجيء الشجرة إليه، ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة قال: «لقد كنتُ معه ﷺ لما أتاه الملائكة من قريش فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادّعت عظيمًا لم يدّعه أبؤوك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنّك نبيٌّ ورسولٌ، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحرٌ كذاب.

فقال لهم: وماتسألون؟

قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك.

فقال ﷺ: إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل ذلك بكم أتؤمنون وتشهدون بالحق؟!

قالوا: نعم.

قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القلب^(١)، ويُحزب الأحزاب، ثم قال: أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقي حتى تقفي بين يدي بإذن الله.

فو الذي بعثه بالحق، لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رأس رسول الله، وبيعض أغصانها على منكبي، وكنت على يمينه عليه السلام.

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً وكادت تلتف برسول الله. فقالوا كفراً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه، فأمره ﷺ فرجع.

فقلت أنا: لا إله إلا الله، إني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من آمن بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً لنبوتك وإجلالاً لكلمتك.

فقال القوم: بل ساحرٌ كذاب، عجيبُ السحر، خفيفٌ فيه، وهل يُصدّقك في أمرك غير هذا؟! يعنوني^(٢).

ومنها: خروج الماء من بين أصابعه، وذلك أنهم كانوا معه في سفر فشكوا أن لا ماء

(١) القلب: الخبز، والمراد منه قلب يد، طرح فيه نيف وعشرون من أذير قويس.

(٢) نهج الجاهل: ج. ٢، ص ١٥٨، ١٥٩، ذيل حنية ١٥٢، نسخة بانقاسعة، تطرق في معرفة مصائب

الطوائف، ص ٥١، عطاءم الوزني: ج ١، ص ٢٠٠، الدرر الطيِّم، ص ١٢٠، نهج الإيمان، ص ٥٢، بحار

الأنوار، ج ١، ص ٥٢٠، ج ١٦، ص ٣٩٠، ج ٢٤، عن العلام الوزني وسهي، ج ٣، ص ٣٢١.

معهم وأنهم بعرض التلف وسبيل العطب، فقال: «كَلَّا، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ»، ثُمَّ دعا بركة فصَبَّ فيها ماء ما كان ليروي رجلاً ضعيفاً، وجعل يده فيها فنبع الماء من بين أصابعه، وصيح في الناس، فشربوا وسقوا حتى نهلوا وعلّوا وهم ألوف، وهو يقول: «أشهد أني رسول الله حقاً».

ومنها: حنين الجذع الذي كان يخطب عنده ﷺ.

ومنها: كلام الذراع المسمومة التي أهدتها له امرأة من اليهود بخير.

ومنها: انشقاق القمر له نصفين بمكة في أول بعثته ﷺ.

هذا غيْضٌ من فيض وقطرة من بحار معاجز النبي ﷺ، وهو أكثر الأنبياء معاجز وكرامات، وقد ذكر بعض المصنِّفين: أن معاجزه تبلغ ألفاً، فالأولى الاختصار على الاختصار^(١).

الطريق الثاني: تنصيص النبي السابق

إذا ثبت نبوة نبيِّ بدلائل مفيدة للعلم بنبوته، ثُمَّ نَصَّ هذا النبي على نبوة نبيٍّ لاحق يأتي من بعده، كان ذلك حجة قطعية على نبوة اللاحق، لا تقل في دلالتها عن المعجزة؛ وذلك لأن النبي الأول، إذا ثبتت نبوته يثبت كونه معصوماً عن الخطأ والزلل لا يكذب ولا يسهو، فإذا قال - والحال هذه - سيأتي بعدي نبي اسمه كذا، وأوصافه كذا وكذا، ثُمَّ ادَّعى النبوة بعده شخص يحمل عين تلك الأوصاف والسمات، يحصل القطع بنبوته.

ومن هذا الباب تنصيص المسيح عيسى بن مريم ﷺ على نبوة النبي الخاتم ﷺ، كما يحكيه سبحانه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعْ إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢).

ويظهر من الذكر الحكيم أن السلف من الأنبياء وصفوا النبي الأكرم بشكل واضح،

(١) معجم النبوة: ج ١، ص: ٦٦٠.

(٢) ص: ٦٦٤.

وَأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ كَمَعْرِفَتِهِمْ لِأَبْنَائِهِمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

بناءً على رجوع الضمير إلى النبي المعلوم من القرائن، لا إلى الكتاب.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢).

وقد آمن كثيرٌ من اليهود والنصارى بنبوة النبي الخاتم في حياته وبعد مماته لصراحة التبشير الواردة في العهدين.

هذا وإنَّ الاعتماد على هذا الطريق في مجال نبوة النبي الخاتم في عصرنا هذا يتوقف على جمع البشائر الواردة في العهدين وضمِّها إلى بعضها، حتَّى يخرج الإنسان بنتيجة قطعية على أنَّ المراد من النبي المبشَّر به فيها هو النبي الخاتم، وقد قام بهذا المجهود لفيفٌ من العلماء وألَّفوا فيه كُتُباً^(٣) منها: «كتاب أنيس الأعلام، ومؤلفه كان قسيساً مُحِيطاً بالعهدين وغيرهما، وقد تشرَّف بالإسلام، وألَّفَ كُتُباً كثيرة منها هذا الكتاب، وقد طُبِعَ في ستَّة أجزاء»^(٤).

الطريق الثالث: جمع القرائن والشواهد

هذا هو الطريق الثالث لتمييز النبي الصادق عن المتنبِّي الكاذب، وهذا الطريق ضابطة مطَّردة في المحاكم القانونية، معتمداً عليه في حلِّ الدعاوى والنزاعات، يسلكه القضاة في إصدار أحكامهم، ويستند إليه المحامون في إبراء موكلهم، وتقضي هذه الطريقة

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) الأنعام: ١١٠.

(٣) الأنبياء: ٣٠٥، ٣٠٦.

(٤) هامس الأنبياء: ٣٠٦.

بجمع كلِّ القرائن والشواهد التي يُمكن أن تؤيد دعوى المدّعي، أو إنكار المنكر، وضمّهما إلى بعضها حتّى يحصل القطع بصحّة دعواه أو إنكاره.

ويمكن تطبيق هذه الطريقة بعينها في مورد دعوى النبيّ للنبوة، فتحرّى جملة القرائن التي يُمكن أن نقطع معها بصدق الدعوى.

وأوّل من طرق هذا الباب وجعل القرائن المفيدة للقطع بصدق المدّعي دليلاً على صحّة الدعوى، هو قيصر الروم، فإنّه عندما كتب إليه النبيّ الأكرم ﷺ رسالة يدعوه فيها إلى اعتناق دينه الذي أتى به، أخذ - بعد استلامه الرسالة - يتأمّل في عبارات الرسول، وكيفيّة الكتابة، حتّى وقع في نفسه احتمال صدق الدعوى، فأمر جماعة من حاشيته بالتجوّل في الشام والبحث عمّن يعرف الرسول عن قُرب، ومطلّع على أخلاقه وروحياته، فأنتهى البحث إلى العثور على أبي سُفيان وعدّة كانوا معه في تجارة إلى الشام، فأحضره إلى مجلس قيصر، فطرح عليهم الأسئلة التالية:

كيف نسبه فيكم؟

قال أبو سفيان: محض، أو سطنا نسباً.

أخبرني، هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلاً يقول، فهو يتشبّه به؟

قال أبو سفيان: لا، لم يكن في آبائه من يدّعي ما يقول.

قال قيصر: هل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إيّاه، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه

ملكه؟

أبو سفيان: لا.

قيصر: أخبرني عن أتباعه منكم من هم؟

أبو سفيان: الضّعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، وأمّا ذوو الأسنان

والشرف فلم يتبعه منهم أحدٌ.

قيصر: أخبرني عمّن تبعه، أيّبه ويلازمه؟ أم يقلّيه ويفارقه؟

أبو سُفيان: ما تبعه رجلٌ ففارقه.

قيصر: أخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟

أبو سُفيان: سجال، يُدال علينا وندال عليه.

قيصر: أخبرني هل يغدر؟

أبو سُفيان: (لم أجد شيئاً مما سألني عنه أغمره فيه غيرها) فقلتُ: لا ونحن منه في هدنة، ولا نأمنُ غدره. (وأضاف أبو سُفيان بأنَّ قيصر ما التفت إلى الجملة الأخيرة منه). قال قيصر - بعد هذه الأسئلة العديدة -: سألتك كيف نسبه فيكم، فزعمت أنه مُحض، من أوسطكم نسباً، وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً، وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به، فزعمت أن لا. وسألتك هل كان له فيكم مُلك فاستلبتموه إياه، فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه، فزعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان. وسألتك عَمَّن يتبعه، أُحِبُّه ويلزمه، أم يَقلِّيه ويُفارقُه؟ فزعمت أن لا يتبعه أحد فيفارقه، وكذلك حلاوة الإيَّان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا. فلئن صدقتني عنه ليغلبنني على ما تحت قدميَّ هاتين، ولوددتُ أني عنده فأغسل قدميه، انطلق لشأنك.

قال أبو سُفيان: «فقمْتُ من عنده وأنا أضربُ إحدى يديَّ بالأخرى وأقول: أي عباد الله، لقد أمرَ أمرُ ابن أبي كبشة، أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام»^(١).

فإذن، ملكات النبي النفسية، ومضمون دعوته، والأدوات التي يستفيد منها في دعوته، والمؤمنون به، كلُّها شواهد على صدق دعواه ﷺ.

(١) الكامل في التاريخ: ٢، ص ٩٠ - ٩١، حوادث السلف السادة للحجيرة، تاريخ الطبري: ٢، ص ٣٦٠.

هذا ثُمَّ نرجع إلى الآية حيث قالت: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
الْأَنَاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أرسل الله تبارك وتعالى الرُّسل - بما فيهم النبي الخاتم ﷺ - ومعهم
الحجج القاطعة التي يتبين بها أَنَّهُم مرسلون من جانب الله سبحانه وتعالى، وأنزل معهم
الكتاب، وهو الوحي المشتمل على معارف الدين من اعتقاد وعمل، والكتب خمسة:
كتاب نوح، وكتاب إبراهيم، والتوراة، والإنجيل، والقرآن.

والميزان يعني الدين، فهو الذي يوزن به الأعمال والعقائد، وهذا المعنى هو الملائم
لحال الناس من حيث خشوعهم وقسوة قلوبهم^(١)؛ ولذا ترى أَنَّ مَنْ قسا قلبه ولم تنزل فيه
رحمة الله تبارك وتعالى ينكر النبوة والوحي، وينكر الدين. وإلَّا كيف تُفسر موقف يزيد
عندما جاؤوه برأس الحسين عليه السلام وسبوا بيت الرسالة؟!

يقف يزيد (عليه لعائن الله) فيتجاسر على رأس سيد الشهداء مُظهِراً كُفْره بقوله:
ليت أشياخي يبدرو شهدوا
لأهللوا واستهللوا فرحاً
لعبت هاشم بالملك فلا
جزع الخرج من وقع الأسل
ثم قالوا يا يزيد لا تشل
خبرٌ جاء ولا وحي نزل^(٢)

فقامت إليه ابنة أمير المؤمنين عليه السلام وهي تحمل قلب علي؛ لتقول: «الحمد لله ربّ
العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ
عَنْقَبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣) أَظُنْتَ يَا يَزِيدُ
حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء أن بنا

(١) تفسير الميزان، ج ١، ص ١٦٢، ١٦٣ (مختصراً).

(٢) شعر السيد (ابن الزحرى): وهو من الأندلس، رسول الله ﷺ، واسمته عبد الله بن الزهرى،
انتهى. وقد أبيت قالها. لعنه الله. في معركة أحد. وفي موقف حية مع رسول الله ﷺ وسائر
المسلمين. انظر: بحار الأنوار، ج ٣، ص ١٢.

(٣) الروم، آية ١٠.

على الله هواناً وبك عليه كرامة، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة، وحين صفا لك مُلكنا وسُلطاننا، فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١).

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرُك حرائرك وإماءك وسوقك بناتِ رسولِ الله سبايا؟! قد هتكت ستورهنَّ وأبديت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الأعداء من بلدٍ إلى بلدٍ...»^(٢).

فمن بلدةٍ تُسبى إلى شرِّ بلدةٍ ومن ظالمٍ تُهدى إلى شرِّ ظالمٍ
وكأنِّي بالخوراء زينب عليها السلام لما نظرت إلى رأس أخيها على رأس الرمح الطويل:

لَمَنْ شَافَتْهُ صَفْكَتْ بَدِيهَا	أَوْ شَگَتْ ثَوْبَهَا وَيْلِي عَلَيْهَا
مَاتَنَامٌ مِّنْ شَافَتْ وَلِيَهَا	أَبْرَاسَ الرَّمْحِ رَاسَهُ أَيْلُوحٌ بِالْبِرِّ
يَشَايِلُ رَاسَ حَامِيْنِهِ أَوْ وَلِيْنِهِ	رِيضٌ خَلِّيَ أَتَوَدَعُهُ إِسْكِيْنُهُ
لَيْشَ أَحْسِنَ سَاجِدَةً عَنْ وَنِيْنِهِ	كَلِيَّ تَعَبٍ لَوْ جَرَحَهُ تَخْدِرُ

(عاشوري)

على الجثث مروا بالنساوين	أويلا وشافنهم مطاعين
او متعفّره إشبول الميامين	منهم يسار ومنهم ايمين
واعلى الوجه مطروح الحسين	زينب لخواها شبحت العين
رادت عليه فخر الخواتين	من على الناكه اّططّيح بالحين

(١) أن ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) اللبيب، ص ١٥٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١،

(نعي)

ناده الولي اوضنوة الطيين	يعمّه عليهم من تطيحين
هالچيف ياعمّه تركبين	وانه عليل اويّيه تدرين
لاچن يعمّه من تريدين	وانتي على الناكه تودعين
ونت ونين المرمرايلين	منّه ويصير الكلب نصين
اوحتى العساكر غدت صوبين	والخيل تسجب دمعة العين
نادت يبو السجّاد هالحين	للشام بينه العده امغرين

(أبوزية)

زجر يحسين من عگبك محنه	ابسفر واعداك ما ييهم محنه
على راس الرّمح شيك محنه	بدماه اوبس يدير العين اليّه

وشيتّه مخضوبة بدمائّه	يُلاعُبها غادي النسيم ورائحه
-----------------------	------------------------------

الحاضرة السكون



عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِينَ



قم جَدِّ الحَزْنِ في العَشْرينَ من صَفْرِ
يا زائري بَقعةِ أَطفالَهُم ذُبَحَتْ
والهفتا لَبَناتِ الطُّهْرِ يومَ رَنَتْ
رَمينَ بالنَفْسِ مِن فوقِ النِياقِ على
فَتلكَ تَدعو حُسَيْناً وَهي لا طَمَّةٌ
وَتلكَ تَصرُخُ وَأجداهُ وَأَبتاهُ
فلو تَروا أُمَّ كُثُومٍ مُنْاشِدَةً
يا دافني الرَأْسِ عِنْدَ الجِثَّةِ احْتَفَظُوا
لا تَدفِنوا الرَأْسَ إِلَّا عِنْدَ مَرقَدِهِ
لا تَغسلوا الدَّمَ عَن أَطرافِ لَحيتِهِ
رَشُّوا على قَبْرِه مَاءً فَصاحِبُهُ
لا تَدفِنوا الطِفْلَ إِلَّا عِنْدَ وَالِدِهِ
لا تَدفِنوا عَنهُمُ العَبَّاسَ مَبْتَعِداً

ففيهِ رُدتِ رُؤُوسُ الآلِ لِلحُفْرِ
فيها خَدُّوا تُرَبَّها كُحْلاً إلى البَصْرِ
إلى مِصارِعِ قَتَلاهُنَ وَالْحُفْرِ
تَلَكَ القُبُورِ بِصَوْتِ هائلٍ ذَعِرٍ
مِنها الخَدُودُ وَدمعُ العَينِ كالمَطَرِ
وَتلكَ تَصرُخُ وَائْتِمَاهُ في الصَغْرِ
ولَهي وَتَلثمُ تَرَبَ الطِفْلِ كالعَطْرِ
بِالله لا تَتشَرُّوا تُرَباً على قَمَرٍ
فإنَّه جَنَّةُ الفَرْدوسِ وَالزَّهَرِ
خَلَّوا عَلَیْها خُضابَ الشَّيْبِ وَالكَبَرِ
مَعطَّشٌ بَلَّلُوا احشاهُ بِالقَطْرِ
فإنَّه لا يُطِيقُ اليُتَمَ في الصَغْرِ
فالرَأْسُ عَن جِسمِهِ حَتَّى اليَدَينِ بُري^(١)

وكانَ يَهنِ بِمُخاطَبَتِ أَبا عبد الله الحُسَينِ (عليه السلام):

جِينَه اوعَلَه كَبرِكَ كَعَدَنَه
هاي المَحامِلُ كَومِ رَدَنَه

اوندَبناكَ يا عَزَنَه اوضَمَدَنَه
لأَرضِ المَدِينَةِ اووَطَنِ جَدَنَه

(١) القصيدة لسيد هاشم المستري البحراي (رحمته الله) قال عنه في أنوار البدرين - ص ٢٢٣: «السيد نجيب لأديب السيد هاشم المعروف بنصايح (رحمته الله) مستري البحراي كان أنبيا ساراه يد فتوى في علم التجويد، ولما بلغه بقرآن سمعت من سبحا التلة العلامة المرجوم الصانع نفيج أحمد ابن المقدس «الشيخ صالح (رحمته الله) أن له كتابا في قراءة سماء هدية القارئ إلى كلام نبارك) وله القصيدة الغر - التي أوجها:

قم جد: الحزن في العشرين من صفر ففبه ردت رؤوس الآل تحفر

وهي مسبوقة».

قيل: وأجالت زينب بطرفها يميناً وشمالاً فقليل لها: لعلك تريدين شيئاً؟ قالت: قوموا بنا إلى قبر أبي الفضل العباس.

صاحت بالحرم گومن امشنته	لعد الي تكفلنه من أهلنه
نريده ايگوم ويردنه الوطنه	او مثل ما جابنه بينه ايتوزم
زينب والحرم كلهن تعنن	إلشاطي العلگمي او علگبر گعدن
گامن وثة الشکلي يوئن	او حمام الدّوح من عدهن تعلّم
يخويه اگعد يراعي العلم والجود	اوشوف امتونه من أسياطهم سود
اوشوف امن الحبال اشمال الزنود	بگت لليوم منها ينضح الدم ^(١)

وأما الحوراء زينب عليها السلام:

زينب تصب دموعات العيون	وتصيح يالبلحد مدفون
اگعد اوشوف بحالنه اشلون	وانظر يتاماك الي نوحون
بدموع عبرى او گلب محزون	او ضرب السياط أثّر بالمتون

روي عن إمامنا الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢).

(١) مجمع مصنف فحول البيت عليه السلام: ج ٢، ص ١٠١، ١٠٢.

(٢) تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٥٢. باب زيارة الحسين عليه السلام، ج ٣٧، روضة الواعظين: ص ١٠٥، وفيه بدل الحسين، الحسن، والحسين، وبك الحار (الشيخ النجاشي)، ص ٥٢، ج ١، وإيضاح الأحكام: ج ٢، ص ١، وموئي التالي: ج ٤، ص ٣٧، لكن رواد عن الإمام الصادق عليه السلام، ومسل السيف: ج ١٣، ص ١٧٨، ج ١، عن تهذيب، بحار أنوار: ج ٨٢، ص ١٢، ج ١، ورجز: ص ١٠٤، ج ١، عن الأقبال، ورجز: ص ١٠٧، ج ١، عن تهذيب، ورجز: ص ٣٣، ج ١، عن مصباح الزائر.

شهر محرّم وصفر شهران لم يشهد المؤمن مثلهما على طول أيام السنة؛ لتجدد أحزان محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين فيهما، وإن كانت أحزانهم ومظلومياتهم غير مختصة بهذين الشهرين، ولكن لمصيبة سيد الشهداء عليه السلام أبي الضيم خصوصية، خصّه الله تبارك وتعالى بها؛ ولهذا ترى المعصومين عليهم السلام من النبي الخاتم إلى الإمام الحجة القائم عليه السلام، عندما يتعرّضون لمصيبة سيد الشهداء عليه السلام يجعلون لها الحظّ الأوفر، وليس معنى هذا سهولة مُصيبة باقي المعصومين عليهم السلام، بل المقصود عظم مصيبة أبي عبد الله عليه السلام، وقد عبّر عن ذلك الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: «إنَّ يومَ الحسينِ أقرَحَ جفوننا، وأسبلَ دموعنا، وأذلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء...»^(١).

وسوف لا نخوض في الحديث عن العلامات الأربع الأولى التي جعلها الإمام عليه السلام من صفات المؤمنين، فهي وإن كانت جديرة بالبحث والبيان إلا أنَّ المناسبة تقتضي تسليط الضوء على العلامة الثانية، أعني، (زيارة الأربعين).

زيارة الأربعين في التاريخ غير الإسلامي

من النواميس المطردة عند الناس هو الاعتناء بالفقيد بعد مضيَّ أربعين يوماً من وفاته، بإسداء البرِّ إليه وتأيينه، وعدّ مزايه في جلسات تعقد، وذكريات تردد وتدوّن؛ تخليداً لذكره، على حين أن الخواطر تكاد تنساه، والأفئدة أوشكت أن تهمله، فبذلك تعاد إلى ذكره الفئات صورة جديدة ترسمها ألسنُ المؤبّنين.

وقد ورد عن أبي ذر الغفاري وابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله «إنَّ الأرضَ والسَّماءَ لتبكي على المؤمنِ إذا ماتَ أربعينَ صباحاً»^(٢).

(١) أمالي الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٠٠، مناقب أبي طالب، ج ٢، ص ٢٦٨، انقياد الأنصار، ج ٢، ص ٢٨، بحار

الأنوار، ج ٦، ص ٢٨٢، ج ١٧، عن الأمالي، اليوم للإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٢٨، عن الأمالي أيضاً.

(٢) مناقب ابن سيرين، ج ٢، ص ١٠٠، ومنه بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٨، ج ٢، ص ٩.

وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإنّ الجبال تقطّعت وانتشرت، وإنّ البحار تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام، وما اختضبت منّا امرأة ولا اذهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتّى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، ومازلنا في عبّرة من بعده»^(١).

وكُلّ هذا يؤيد ويؤكد هذه الطريقة المألوفة، والعادة المستمرة بين الناس، من الحداد على الميّت أربعين يوماً، فإذا كان يوم الأربعين أُقيم على قبره العزاء بتأبينه، ويحضره أقاربه وخاصّته وأصدقاؤه، وهذه العادة لم تختصّ بالمسلمين، بل تشمل حتّى اليهود والنصارى؛ فإنّ النصارى يقيمون حفلة تأبينية يوم الأربعين من وفاة فقيدهم يجتمعون في الكنيسة، ويعيدون الصلاة عليه المسماة عندهم بصلاة الجنازة، ويفعلون ذلك في نصف السنة، وعند تمامها.

وكذا اليهود يُعيدون الحداد على فقيدهم بعدَ مُرور ثلاثين يوماً، وبمرور تسعة أشهر، وعند تمام السنة^(٢).

وكُلّ ذلك إعادة لذكراه وتنوياً بآثاره وأعماله إن كان من العظماء مثلاً. إذن، الفكرة لا تختصّ بفتة دون فئة ولا بطائفة دون أخرى، ولا يمكن لأيّ إنسان منحه الله عقلاً سليماً، وفكراً صحيحاً أن يتعدّى سيّد الشهداء عليه السلام دون أن يُعطيه حقّه الذي منحه الله تبارك وتعالى له، فهو الأولى بكلّ ذلك من كلّ أحدٍ، وهو الجدير بأن تُقام له الذكريات في كلّ مكانٍ، وتُشدّ إليه الرحال للوقوف عند قبره المقدّس.

(١) كامل الزيارات: ص ١٠٧، ج ٤، باب بكاء جميع خلق الله على الحسين عليه السلام. مدينة المدائن: ج ٤،

ص ١٠٠، ج ١٠٧، ص ٢٤٦، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٠٥ - ٢٠٠، ج ١٢، ص ٢٤٤، الزيارات: العوام

(الأمام الحسين عليه السلام)، ص ٢٠٢.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام لسيد عبد الرزاق المقرّم: ص ٢٠٥.

ولهذا اطرّدت عادة الشيعة على تجديد العهد بتلكم الأحوال يوم الأربعين من كل سنة، ولعل رواية أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلّع حمراء وتغرب حمراء»^(١) تلمح إلى هذه العادة المألوفة بين الناس.

هل تشمل زيارة الأربعين سائر المعصومين عليهم السلام أم لا؟

إنّ الأئمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وإن كانوا كلّهم أبواب نجاة، وسفن رحمة، وبولائهم يعرف المؤمن من غيره، وكلّهم استشهدوا على أيدي طواغيت عصرهم، فكان الواجب إقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كلّ واحدٍ منهم، وحديث الإمام العسكري عليه السلام لم يشتمل على قرينة لفظية تصرف هذه الجملة (زيارة الأربعين) إلى خصوص الحسين عليه السلام، إلا أنّ القرينة الحالية أوجبت فهم العلماء الأعلام (قُدس سرّهم) من هذه الجملة خصوص زيارة الحسين عليه السلام؛ لأنّ قضية سيّد الشهداء عليه السلام هي التي ميّزت بين دعوة الحقّ والباطل؛ ولذا قيل: الإسلام بدؤه محمدي وبقاؤه حسيني، وحديث الرسول صلى الله عليه وآله «حسين مني وأنا من حسين»^(٢) يشير إليه.

ومن هنا لم يرد التحريض من الأئمة على إقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كلّ واحدٍ منهم، حتّى نبيّ الأئمة صلى الله عليه وآله مع إيماننا بأنّه الأعظم من الحسين عليه السلام، ومن هنا فالذي يتجلّى للسامع هو اختصاص زيارة الأربعين بالحسين عليه السلام، ويتجلّى أيضاً أنّها من صفات المؤمنين وليس لكلّ أحد أن يتّصف بها، وكذا العلامات الأخر.

هل يمكن حمل زيارة الأربعين على زيارة أربعين مؤمناً؟

قد يشكل البعض، أو قد يأتي إلى ذهن أحد، أو يلتوي آخرون في أن المقصود من

(١) انظر: كتاب الزيارات، ص ١٤٣، باب بقاء السماء والأرض عن الحسين عليه السلام. وانظر: مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٠٥.

(٢) كتاب الزيارات، ص ١١، ج ١، باب حديث رسول الله صلى الله عليه وآله للحسين عليه السلام.

زيارة الأربعين هو زيارة أربعين مؤمناً، فيكون معنى الحديث: إنّ من علامات المؤمن صلاة الخميس وزيارة أربعين مؤمناً.

وهذا فهم يأباه الفهم السليم لسياق الحديث وقرائنه، مع أنّه عارٍ عن أي قرينة، ولو كان الفرض هو الإرشاد إلى زيارة أربعين مؤمناً لقال عليه السلام «وزيارة أربعين» «أو زيارة أربعين مؤمناً»، فالإكتفاء بالجملة من غير ذلك، والإتيان بالآلف واللام العهدية، كلّ ذلك يبعد الحمل الموهوم ويُقرب المطلوب.

أضف إلى ذلك كلّ أنّ زيارة أربعين مؤمناً ليست من مختصات المؤمنين وعلاماتهم التي يعرفون بها، بل هي من علائم الإسلام والمسلمين.

نعم زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين من قتله ممّا يدعو إليه الإيمان الخالص بأهل البيت عليه السلام، وقد وردت زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين عن صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام ولم ترد زيارة الأربعين لباقي المعصومين عليه السلام، ممّا يؤكّد اختصاص أربعين الحسين عليه السلام بميزة خاصّة. ومعلوم أنّ الذين يحضرون في الحائر الحسيني الأطهر - بعد مرور أربعين يوماً من مقتل سيد الشهداء سيد شباب أهل الجنة - خصوص المتابعين له السائرين على أثره^(١).

كلام الفقهاء الأعلام وفهمهم للحديث

إنّ فهم الفقهاء الأعلام وكلماتهم في المراد من زيارة الأربعين هو الفصل في هذا المقام. منهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رحمه الله في التهذيب^(٢)، فإنّه بعد أن روى الأحاديث في فضل زيارته المطلقة ذكر منها المقيّد بأوقات خاصّة، ومنها يوم عاشوراء، وبعده روى هذا الحديث، وهذا دليل واضح وصالح على ما أردناه من أنّ المقصود من

(١) مفقّد تمام النص: الحسين عليه السلام، السبب المفقّد: ص ٣٦٨.

(٢) التهذيب: ج ٦، ص ٥٢، ٥٣؛ زاد: زيارة الحسين عليه السلام، ج ٢٧.

زيارة الأربعين زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام، وإلا لما ذكره هناك ولذكره في باب التزاور بين المؤمنين واستحباب عيادة المريض - مثلاً - إلى غير ذلك من الأبواب التي هي الأنسب من غيرها جزماً.

وفي مصباح المتعبد ذكر شهر صفر وما فيه من الحوادث، ثم قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبد الله عليه السلام من الشام إلى المدينة - مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وورود جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله عليه السلام فكان أول من زاره من الناس، وهي زيارة الأربعين. فروي عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «علامات المؤمن خمس...»^(١).

وقال العلامة الحلي في المنتهى، كتاب الزيارات بعد الحج: يستحب زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، ثم ساق الحديث نفسه^(٢).

وفي الإقبال للسيد بن طاووس عند ذكر زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، وساق الحديث المذكور أيضاً^(٣).

ونقل العلامة المجلسي (أعلى الله مقامه الشريف)، في مزار البحار هذا الحديث عند ذكر فضل زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين^(٤).

وفي الحقائق للشيخ يوسف البحراني في الزيارات بعد الحج قال: وزيارة الحسين في العشرين من صفر من علامات المؤمن^(٥).

وحكى الشيخ الجليل المحدث عباس القمي في المفاتيح هذه الرواية عن التهذيب

(١) مصباح المتعبد، ص ٧٨٨.

(٢) أنظر: انتهى المطالب، ج ٢، ص ٤٦٢.

(٣) أنظر: إقبال الأنصار، ج ٢، ص ١٠٠.

(٤) أنظر: بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٣٠٨، ج ١.

(٥) أنظر: الحقائق الناصرة، ج ١٧، ص ٢٥٥.

ومصباح المتهجد في الدليل على رجحان الزيارة في الأربعين من دون تعقيب باحتمال إرادة أربعين مؤمناً^(١).

وكذا نصّ على الاستحباب الشيخ المفيد في كتابه (مسارّ الشيعة)^(٢)، والعلامة الحليّ في التذكرة^(٣) والتحرير^(٤)، وملاً محسن الفيض الكاشاني في تقويم المحسنين^(٥). وفي ذكر هؤلاء الأعلام ممّن هم أهل الدراية والرواية من أمثال شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله ما فيه غنى وكفاية.

زِيَارَةُ جَابِر رحمته الله لكَرْبَلَاءَ

ولنذكر هنا رواية محيي جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء.

يقول عطية بن سعد بن جنادة العوفي: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رحمته الله زائرين قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثمّ اتّزر بإزار، وارتنى بآخر، ثمّ فتح صرّة فيها سُدع، فنثرها على بدنه، ثمّ لم يخطُ خطوةً إلّا ذكر الله، حتّى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيهِ - أي خذ بيدي إلى القبر؛ إذ أنّ جابراً قد فقد بصره آنذاك - فألمسته فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فأفاق وقال: يا حسين. ثلاثاً، ثمّ قال: حبيبٌ لا يحيب حبيبه. ثمّ قال: وأنّى لك بالجواب، وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفَرَّق بين بدنك ورأسك... ثمّ جال ببصره حول القبر، وقال: السلام عليكم أيّها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله.. إلى أن قال: لقد شاركناكم فيما دخّلتكم فيه.

(١) أنظر: مضائق الجسد، ص ١٨٥.

(٢) أنظر: مسارّ الشيعة (مجموعه فقهية)، ص ٢٧، وص ٢٠٠.

(٣) أنظر: تذكرة الفقهاء، ج ١، ص ٥٠٠.

(٤) أنظر: تحرير الأحكام، ج ١، ص ١٢١.

(٥) أنظر: كتاب مفتاح المحسنين رحمته الله للسيد الميرزا، ص ٢٦٢. إلخ. غير من كتاب تقويم المحسنين.

قال عطية: فقلتُ لجابر: وكيف لم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرقَ بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُيِّمت أولادهم، وأُرملت الأزواج؟

فقال لي: يا عطية، سمعتُ حبيبي رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِمْ...»

والذي بعث محمداً بالحق نبياً إِنَّ نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه.

قال الراوي: فلما صرنا في بعض الطريق فقال لي: يا عطية، هل أوصيك؟ وما أظنَّ إنني بعد هذه السفرة ملائيك، أَحَبَّ حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ما أَحَبَّهُمْ، وَأَبْغَضَ مُبْغَضِ آلِ مُحَمَّدٍ ما أَبْغَضُهُمْ، وَإِنْ كَانَ صَوَاماً قَوَاماً، وارفق بِمُحِبِّ آلِ مُحَمَّدٍ، فَإِنَّهُ إِنْ تَزَلَّ لَهُمْ قَدَمٌ بِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ تَثَبَّتْ لَهُمْ أُخْرَى بِمُحِبَّتِهِمْ، فَإِنَّ مُحِبَّهُمْ يَعُودُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمُبْغَضُهُمْ يَعُودُ إِلَى النَّارِ^(١). ثُمَّ التَّقُوا بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال في معالي السبطين: فلما بلغوا أرض كربلاء نزلوا في موضع مصرعه ووجدوا جابر بن عبد الله مع جماعة من بني هاشم وغيرهم، وقد وردوا إلى زيارة الحسين عليه السلام فتلاقوا في وقت واحد، وأخذوا بالبكاء والنحيب والللطم، وأقاموا العزاء إلى مدة ثلاثة أيام^(٢)، وكأني بزینب عليها السلام وهي عند قبر أخيها الحسين عليه السلام تخاطبه:

جيتك وجبت الراس ويّاي	إمن السي اوچانت بيه بلوای
اوهسه يخويه صار منوای	أشچيلك أحوالي ابممشاي
دانهض يعزّي اوجلعة احمای	اونشف ابردنك دمع عینای
ما واعدتني سابج ابهاي	أنخاك ما تنهض النخوای

معذور يالمذبوح علمای

(١) بشارة الصغرى: ص ٢٥، ٢٦. عنه بحار القلوب: ج ١٠، ص ١٢١، ١٢٢، ١٢٣.

(٢) معالي السبطين: ج ٢، ص ١٦٧.

فقام جابر ومَن معه واستقبلوهم، فلمَّا التقوا قال الإمام زين العابدين عليه السلام: أنت جابر؟ قال: نعم سيدي، أنا جابر، فقال عليه السلام: «يا جابر، ههنا قُتل أبو عبد الله، يا جابر، ههنا دُبِحت أطفال أبي، يا جابر، هاهنا والله قُتلت رجالنا، وسُبيت نساؤنا وأُحرقت خيامنا».

يجابر ما دريت اشصار بينه	يجابر هالأرض بيها أنولينه
يجابر وانذبح بها ولينه	يجابر ذبّحوا واحد وسبعين
يگلّه والدمع فيّض الوديان	چتل خلصوا عمامي إيهذا المچان
ظلّت بس يتامه اوجمع نسوان	او عندي إلهها الفواطم عدل ماتم
يجابر فوگ هذا الهظم كله	سبونه والييارينه خوّلّه
شبعنه امن الهظم وامن المذلّة	يفكنه ظالم اونوگع ابأظم

(أبوزية)

كسير او محمد إلكلبي يجابر	او تدري بالگدر حُكمه يجابر
عن احسين لا تشد يجابر	هذي عيلته الجانت سيّه

حُمِلت على الأكوارِ بعدَ خدورها	الله ماذا تحملُ الأكوارُ
---------------------------------	--------------------------

الحاضرة
الحديثة والقدوة



المصائب
من آثار الأعداء



كُلِّمَا تَعْدِلَانِ زِدْتُ نَحْيَا	يَا خَلِيلِي إِنْ ذَكَرْتُ حَيَا
يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ رَزُوكَ مَهْمَا	ذَكَرْتَهُ الرَّائِثُونَ شَقَّ الْقُلُوبَا
يَا وَحِيداً حَامَيْتَ دُونَ وَحِيدٍ	حَيْثُ لَا نَاصِراً يَرَى أَوْ مُجْبِياً
بَعَثَ نَفْساً نَفِيسَةً فَاشْتَرَاهَا	بَارِئُ النَّفْسِ مِنْكَ وَالرَّبُّحُ طُوبَى
إِنْ نَصَرْتَ الْحُسَيْنَ غَيْرَ عَجِيبٍ	إِنْ تَخَلَّفْتَ عَنْهُ كَانَ عَجِيبَا
يَا وَزِيرَ الْحُسَيْنِ حَزْتَ مَقَاماً	كُلُّ أَنْ يَزْدَادُ عُرفاً وَطِيبَا
كَمْ عَنِ السَّبْطِ قَدْ كَشَفْتَ كُروِباً	بَعْدَ مَا قَدْ لَقِيتَ يَا حَبِيبُ حُرُوبَا
إِنْ يَوْماً أَصَبْتَ فِيهِ لِيَوْمٍ	فِيهِ طَهَ وَالْمُرْتَضَى قَدْ أَصْبَا
يَا مُصَاباً أَصَابَ قَلْبَ حُسَيْنٍ	أَيُّ قَلْبٍ لَذَكَرِهِ لَنْ يَذُوبَا ^(١)

(نصاري)

أَوَّلِي مَنْ غَرَبَ حَتْفُهُ أَوْ تَدَانِهِ	أَوْ صَابُوهُ الْعَدَهُ الْكَلْبَهُ إِبْزَانِهِ
هُوَ وَابْنُ النَّبِيِّ إِنْ هَدَّتْ أَرْكَانُهُ	أَوْ طَاحَ الْبَيْرُغُ الْمَنْصُورُ كُلُّ دُورِ
شَبَّحَ عَيْنُهُ أَوْ عَجَّ الْخَيْلُ ثَايِرِ	أَوْ دَمَهُ يَسْفَحُ أَعْلَاهُ الْكَعَافُ فَايِرِ
أَوْ كَلْبَهُ مِنَ الْعَطَشِ وَالطَّعْنِ طَايِرِ	مَنْ فَرَفَرَتْ رُوحُهُ أَوْ بَغَهُ مَعْفُورِ
يُوسُفُهُ ظَنُوءُهُ أَمْظَاهِرُ يَمِيمِرِ	تَخْلِي أَحْسِينَ ظِلَّ عُكْبَكِ أَحْمِيرِ
تَنَامُ أَوْ يَبْرَغُكَ يَمَّكَ أَمْكَسَّرِ	وَأَبُو الْيَمَةِ عَلَيْهِ الْعَسْكَرُ أَيْدُورِ

(١) تصحيفاً لـ سيد سالج الحلي عليه السلام، وقد قدمت ترجمته في «الحاضرة العشرة من هذا الكتاب

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١).
 المقصود من المصيبة: النّاتبة، تصيب الإنسان كأنّها تقصده، والمراد بما كسبت أيديكم: المعاصي والسيئات، وقوله: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي عن كثير ممّا كسبت أيديكم وهي السيئات.

والخطاب في الآية اجتماعي موجه إلى المجتمع، والمراد بالمصيبة التي تصيبهم المصائب العامّة الشاملة، كالقحط والغلاء والوباء والزلازل وغير ذلك.
 فيكون المراد أنّ المصائب والنوائب التي تصيب مجتمعكم وتصابون بها إنّما تصيبكم بسبب معاصيكم، والله يصفح عن كثيرٍ منها فلا يأخذ بها.

فالآية في معنى قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢)، وغير ذلك من الآيات الدالّة على أنّ بين أعمال الإنسان وبين النظام الكوني ارتباطاً خاصّاً، فلو جرى المجتمع الإنساني على ما تقتضيه الفطرة من الاعتقاد والعمل لنزلت عليه الخيرات وفتحت عليه البركات، ولو أفسدوا أفسد عليهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا...﴾^(٣).

هذا ما تقتضيه هذه السنّة الإلهية إلّا أن ترد عليه سنّة الابتلاء أو سنّة الاستدراج والإيملاء فينقلب الأمر.

هذا، ويمكن أن يكون الخطاب في الآية عامّاً، منحلّاً إلى خطابات الأفراد، فيكون ما يُصاب - كلّ إنسان - بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه وما يتعلّق به مستنداً إلى معصية أتى بها، وسيئة عملها، ويعفو الله عن كثير منها.

(١) التوبة: آية ٣٠.

(٢) الروم: آية ٤١.

(٣) الأنعام: آية ٥٨.

والمراد بها كسبته الأيدي، المعاصي والسيئات دون مطلق الأعمال.
والمصائب التي تصيب إنَّما هي آثار الأعمال في الدنيا لما بين الأعمال وبينها من الارتباط والتداعي^(١).

والطريف في الأمر: إنَّنا نقرأ في حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه نقل عن الرسول ﷺ قوله: «خيرُ آيةٍ في كتاب الله هذه الآية، يا علي ما من خدشٍ عودٍ ولا نكبةٍ قدمٍ إلَّا بذنب، وما عفا الله عنه في الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه، وما عاقب عليه في الدنيا فهو أعدل من أن يثني على عبده»^(٢).

ولو رجعنا إلى سيرة بني البشر لوجدنا شواهد كثيرة محسوسة وملموسة تدلُّ على أنَّ المصائب ما هي إلَّا من آثار أعمالنا ليس غير، اللهم إلَّا ما قلناه آنفاً من استثناء كونها لأجل الابتلاء، أو ما ستأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى في آخر البحث.

فيرى الإسلام أنَّ للمعاصي التي يقترفها الإنسان دوراً أساسياً فيما يواجهه من متاعب ومصائب في الحياة الدنيا.

ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية: «توقَّوا الذنوب، فما من بليةٍ ولا نقص رزقٍ إلَّا بذنب، حتَّى الخدش والكبوة والمصيبة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾»^(٣).

فلو آمن الإنسان حقَّ الإيمان بأنَّ ما يقترفه من الذنوب والمعاصي تنعكس عليه بالآلام والمصائب ليس في حياته الأخروية فحسب، بل وحتَّى في حياته الدنيوية أيضاً، لما أقدم على معصية قط، ولما تعمَّد الإتيان بأيِّ عمل قبيح، وكلَّما ترسَّخ هذا الإيمان، توفَّرت

(١) تفسير الميزان: ج ١، ص ٤٩٠، ٤٩١، بتصرف يسير.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٩، ص ٥٢.

(٣) العنبر: ص ١٠٠، حيث أورد المصنف رحمه الله تعالى: ج ١، ص ٢٠١، ٢٠٢، والآية في سيرة النبي: ص ٢٠٢.

الأرضية المناسبة لبناء الإنسان الصالح أكثر فأكثر.

ولذا قال أحد الطلاب من أهل العلم: في أحد الأيام بال ابني الذي يبلغ من العمر ستين على الفراش، فضربتُه أُمُّهُ ضرباً مبرِّحاً حتَّى كاد أن ينقطع نَفْسُهُ، وبعد ذلك بساعة ارتفعت حرارة بدنِها ارتفاعاً شديداً حتَّى اضطررنا على أثر ذلك إلى مراجعة الطبيب، وكلفنا الدواء والوصفة مبلغاً باهضاً في تلك الظروف الاقتصادية الصعبة، ولم تنخفض حرارتها، بل أخذت ترتفع أكثر، فراجعنا الطبيب ثانية ودفعنا هذه المَرَّة مبلغاً آخر أقل من المبلغ الأول لغرض معالجتها، وكان المبلغ بالنسبة لي مبلغاً ضخماً، وفي الليل ركب ساحة الشيخ رجب علي الخياط - وكان من العرفاء - في سيارتي لنذهب إلى المجلس، وكانت زوجتي في السيارة. قلت: إنَّ زوجتي ارتفعت درجة حرارتها وأخذتها إلى الطبيب ولكن دون جدوى.

فنظر الشيخ وتوجَّه بالكلام إلى زوجتي قائلاً:

الأطفال لا يُضربون بتلك الصورة، استغفري ربَّك، وطبِّي خاطر الطفل واسترضيه واشتري له شيئاً، تتحسَّن حالُكِ. وفعلنا ما أمرنا به الشيخ فانخفضت درجة حرارتها^(١).

ومثل هذه القصص يوجد الكثير الكثير الذي يطول المقام بذكره وسرده، وهذا ممَّا لا ينبغي الشكُّ فيه، وآثاره واضحة جداً للإنسان الملتفت.

ولكن للأسف قد يستنتج البعض من هذه الحقيقة القرآنية استنتاجاً خاطئاً، ويقول بوجوب الاستسلام لآيَّة حادثةٍ مؤسفةٍ، إلَّا أنَّ هذا الأمر خطير للغاية؛ لأنَّه يستفيد من هذا الأصل القرآني التربوي بشكل معكوس، ويستنتج نتيجةً تخديرية.

فالقرآن لا يقول أبداً بالاستسلام حيال المصائب وعدم السعي لحل المشاكل، والركون للظلم والجور والمرض، بل يقول: إذا اشتملتك المصائب بالرغم من سعيك ومحاولاتك

(١) انظر: نبيه النجعة، ص ١٢٤.

لدفعها، فاعلم أن ذلك هو كفارة الذنوب التي قمت بها وارتكبتها، عليك أن تفكر بأعمالك السابقة، وتستغفر لذنوبك، وتصلح نفسك وتكتشف نقاط ضعفك. ولذا ورد - كما ذكرنا آنفاً - في الروايات أن هذه الآية من أفضل آيات القرآن، بسبب تأثيرها التربوي المهم، ولأنها تقوم بتخفيف هموم الإنسان، وتعيد الأمل وعشق الخالق إلى قلبه وروحه^(١).

ولكن - مع كل ما تقدّم من البيان التام للآية - قد يشكل البعض ويقول: إن الآية - التي نحن بصدددها - مخالفة لظواهر ما دلّ من بعض الآيات على أن موطن جزاء الأعمال هي الدار الآخرة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢) وغيرها من الآيات التي دلّت على أن كل مظلمة ومعصية مأخوذ بها، وأن موطن الأخذ هو ما بعد الموت وفي القيامة، إلا ما غُفر بالتوبة، أو ما أذهب بحسنة تتبعه، أو بشفاعاة في الآخرة، ونحو ذلك^(٣).

وهذا مدفوع بما ذكرته نفس الآية التي نحن في صدددها - أعني ما أصابكم من مصيبة - إذ قال عز وجل ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾، فلو أراد الله سبحانه وتعالى أن يؤاخذ العباد بما عملوا وارتكبوا من ذنوب ومعاصٍ لكان ما كان من عدم بقاء واحد على وجه الأرض. لكنّ الباري عز وجل عفا عن كثير من هذه الأمور.

وإلا فماذا يقال في الدعاء الوارد والمنسوب لأمر المؤمنين ﷺ، وهو الدعاء المعروف بدعاء كميل، حيث جاء فيه: «اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم» والتي فُيرت بمثل شرب الخمر^(٤). وفي دعاء آخر: «واغفر لي الذنوب التي تورث الندم» التي فُيرت

(١) غير الأصل: ج ١ ص ٥٢٦، ص ٥١١.

(٢) انجيل - يوحنا -.

(٣) تفسير الميزان: ج ١ ص ٦١.

(٤) انظر: معاني الأخبار: ص ٢٧١، انكليبي: ج ٢ ص ١١٨، ج ١ ص ١٦٦، مساقن ضعيف:

ج ١ ص ٢٨١، ص ٢٨٢، حسن حديث ٨، بحار الأنوار: ج ١ ص ٣٦٥، ج ١٢، عن المديني.

بقتل النفس المحترمة^(١).

ومثل هتك العصم والندم وحبس الدعاء لا يناسب الآخرة، بل هي من شؤون عالم الدنيا، ولا أقل من حبس الدعاء، فإن الآخرة دعاؤها لأهلها غير محجوب، وأما غيرهم فلا ينفع.

وهناك فوائد تربوية للمصائب لا يمكن التغافل عنها بحال من الأحوال، وإليك الحديث عنها:

الفوائد التربوية للمصائب:

فالبلايا والمصائب إذا لم تواجه الإنسان، والمشاكل إذا لم تعتره، لا تتفتح طاقاته ولا تنمو. ومن فوائدها العظيمة أنها جرس إنذار؛ لأن الإنسان يغفل عن حقيقته وينسى ضعفه وفقره بمجرد أن ترقى حالته، ولذا يقول الباري عز وجل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ * أَنْ رَأَاهُ * اسْتَغْنَى﴾^(٢).

وأما ثمراتها في حياة الأنبياء والأوصياء والصالحين فهي ألطاف إلهية وشرط لوصولهم إلى المقامات العالية في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا...﴾^(٣). وما ورد من الروايات في أن للعبد مقاماً ومنزلةً عند الله لا ينهاها إلا بالبلايا والمصائب إلى غير ذلك^(٤).

(١) انظر: الطبري ج ٢، ص ٥٥٨، ج ١، علل الشرائع ج ٢، ص ٥٨، ج ٢٧، لأخصاص، ص ٢٢٨، معاني الأخبار، ص ٢٠٩، ج ١، وسائل الشريعة ج ١، ص ٢٦٥، ج ٢، بحار الأنوار ج ٥، ص ٣٦٥، ج ١١، ص ٤١١، ج ١٠، ص ٣٣٣، ج ١، عن الطلبي.

(٢) الطلبي، ص ٦٦.

(٣) البقرة، آية ٢٦٥.

(٤) تنبيهات، ص ١٢٨، ١٢٩.

ولذا فقد ورد في الحديث، أنه عندما دخل علي بن الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية، نظر إليه يزيد وقال: يا علي، ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم (إشارة إلى أن مأساة كربلاء هي نتيجة أعمالكم).

إلا أن الإمام عليه السلام أجابه مباشرة: «كَلَّا مَا نَزَلَتْ فِيْنَا، إِنَّمَا نَزَلَ فِيْنَا، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ * فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا من أمر الدنيا ولا نفرح بما أوتينا»^(١).

فعلى الحسين فليكن الباكون ويضحّ الضاحّون ويعجّ العاجّون؛ لأنّه ليس من أمر الدنيا. نعم، ومثل الحسين فلتندرف الدموع^(٢).

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «بكى عليُّ بنُ الحسين عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتّى قال له مولاّه: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنّى أخاف أن تكون من الهالكين، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ *، إنّى لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا وخنقتني العبرة»^(٣).

وفي ذات يوم دخل عليه أبو حمزة الثمالي وسأله عن بكائه قائلاً: سيدي ما هذا البكاء والجزع؟ ألم يقتل عمُّك حمزة؟ ألم يقتل جدُّك علي بالسيف؟ (سيدي): إنّ القتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة. فقال له الإمام عليه السلام: «شكر الله سعيك يا أبا حمزة، كما ذكرت،

(١) غير الأفعال: ج ١ ص ٥٢.

(٢) من لُغَةِ التَّعْبِيرِ: أَنْفَرُوا: بَحَارُوا: انْتَوَوْا: ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) كامل الزيارات: ج ٢ ص ٢١٣، باب بكاء علي بن الحسين عليه السلام. ج ١ ص ١٠١، أماني السبع الصدف: ج ٢ ص ٢٠٠، الحصول: ج ٢ ص ٢٢٢، ج ٢ ص ٢٢٣، حسن حديث: ج ١ ص ١٢٠، روضة الواعظين: ج ١ ص ١٢٠، مخارط الأخلاق: ج ١ ص ٢١، مسند أبي طالب: ج ٢ ص ٢٠٠، كشف الغمّة: ج ٢ ص ١٢٠، بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٢٥، ج ١ ص ١٢٥، الحصول: ج ٢ ص ٢٢٢، ج ١ ص ٢٢٣، عن المصنف: ج ٢ ص ١٢٠، ج ١ ص ١٢٠، ج ٢ ص ١٢٠، ج ٢ ص ١٢٠.

القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة، ولكن يا أبا حمزة، هل سمعت أذنك أم رأيت عينك
أن امرأة منا سبيت وهتكت قبل يوم عاشوراء؟ والله يا أبا حمزة، ما نظرت إلى عماتي
وأخواتي إلا وذكرت فرارهن في البداء من خيمة إلى خيمة ومن خباء إلى خباء، والمنادي
ينادي أحرقوا بيوت الظالمين»^(١).

(فايزي)

كلبي ييو حمزه تراهو اتفطر وذاب
مثل المصيبة الي دهنني محد انصاب
ذيچ الأقمار الي ابمنازلنه يزهرن
والليل كلّه من العبادة ما يهجعون
سبعة وعشرة عايتهم كلهم اغصون
فوك الوطيّه مطرّحين ابحر الاتراب
اولوشفت جسم الي على امسناة مطروح
وذاك الشباب الي بصبح العرس مذبح
اولوشفت الأكبر مالمّتي ابكثرة النوح
ما خلتّنه كربله شيب ولا شاب
بعيني نظرت احسين بيده الطفل منحور
وامّه الرباب اتعاينه وادموعها اتفور
وكلوبنه فتهها بونينه او عينه إدور
وكلّمها طلع منه بدر للمعركة غاب

(١) مجلس مصائب نوح النبي ﷺ: ج ١، ص ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥.

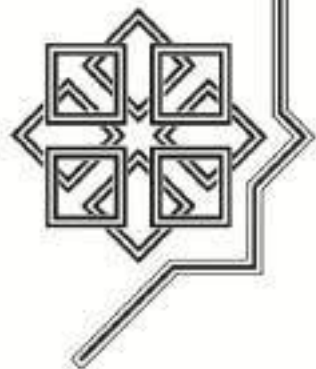
ومصيبة الّلي هيّجت حزني عليّ
عاينت صدر احسين تحت الأعوجيه
اوحرگوا خيمنه اوسيرّوا زينب سبيه
شحچي ييو حمزه اوشعدد من هالمصاب
مانگست راسي لجل ذيچ الصناديد
ماگصّروا بالغازريه زلزوا البيد
نكّسه الراسي ادخول زينب مجلس يزيد
حسره او من نوح اليتامه راسها شاب

هذه زينبُ ومن قبلُ كانتُ بفنادرها تُحطُّ الرجالُ

الحاضرة
النافذة للآفاق



الشَّجَاعَةُ



أدرُكْ تَرَاتِكْ أَيُّهَا المَوْتُورُ
عَذِبْتُ دِمَاؤُكُمْ لِشَارِبِ عَلَّهَا^(١)
وَلَسَانُهَا بَكَ يَابْنَ أَحْمَدَ هَاتِفُ
مَا صَارُمُ إِلَّا فِي شَفَرَاتِهِ
أَنْتَ الْوَلِيُّ لَنْ يَظْلَمَ قَتْلُوا
غَضَبُوا الْخِلَافَةَ مِنْ أَيْبِكَ وَأَعْلَنُوا
وَالْبَضْعَةُ الزَّهْرَاءُ أُمُّكَ قَدْ قَضَتْ
وَأَبُو عَلَى الْحَسَنِ الزَّكِيِّ بَأْنَ يُرَى
وَاسْأَلْ يَوْمَ الطَّغْيِ سَيْفَكَ إِنَّهُ
بِأَبِي الْقَتِيلِ وَغُسْلُهُ عُلِقَ الدِّمَاءُ
ظَمَانٌ يَعْتَلِجُ الْغَلِيلُ بِصَدْرِهِ
وَتَحَكَّمَتْ بِيضُ السِّيُوفِ بِجَسَمِهِ
وَعَدَتْ تَدُوسُ الْخَيْلُ مِنْهُ أَضَالَعًا
فَلَكُمْ بِكُلِّ يَدٍ مَهْدُورُ
وَصَفْتُ فَلَا رَنْقٌ وَلَا تَكْدِيرُ
أَفْهَكَذَا تُغْضِي وَأَنْتَ غَيُورُ
نَحْرُ لَالِ مُحَمَّدٍ مَنَحُورُ
وَعَلَى الْعِدَى سُلْطَانُكَ الْمَنْصُورُ
أَنَّ النَّبُوَّةَ سَحَرُهَا مَأْثُورُ
قَرَحَى الْفَوَادِ وَضَلَعُهَا مَكْسُورُ
مَشَوَاهِ حَيْثُ مُحَمَّدٌ مَقْبُورُ
قَدْ كَلَّمَ الْأَبْطَالَ فَهُوَ خَبِيرُ
وَعَلَيْهِ مِنْ أَرْجِ الثَّرَا كَافُورُ
وَتَبَلُّ لِلْخَطِيئِ مِنْهُ صُدُورُ
وَيَحُ السِّيُوفِ فَحَكْمُهُنَّ يَجُورُ
سَرُّ النَّبِيِّ بِطَيْهَا مَسْتُورُ^(٢)

وَكَاثِيَّ بِالْحَوْرَاءِ زَيْنَبَ عليها السلام تَنْظُرُ إِلَى تِلْكَ الْخَيُْولِ وَهِيَ تَدُوسُ أَضْلَعُ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ أَبِي

عَبْدَ اللَّهِ عليه السلام:

(١) عَنْهَا: جَرَسَاتُهَا.

(٢) "الْفَصِيحَةُ" لِلْسَيِّدِ جَعْفَرِ عليه السلام زِيَادِ الْمَدْحِ وَالرَّنَاءِ. ص ٢٢١ - ٢٢٢. وَهِيَ فَصِيحَةٌ حَلِيلَةٌ اقْتَضَتْهَا بَعْضُهَا لَا عَلَى نَحْوِ تَرْتِيبٍ. مِمَّا يَحْدُثُ مَا يَنْسَبُ الْمَقَامُ. وَفِيهِ مَعْنَى لُحْظَاتٍ. وَفِيهِ تَقَدَّمَ تَرْجُمَةُ السَّيِّدِ فِي الْمَحَاضِرَةِ الْعَامَّةِ فِي رَجَبٍ.

(عاشوري)

يحسين خويه اشيو جعك گول او من يا جرح ياخوي معلول
لونا شدونه الناس شنگول يا لچنت سور اوسيف مسلول
وسافه اعله حگك تمسي مچتول مرمي او عليك اتجول الخيول
تمنيت الك من هاشم اشبول يشوفون جسمك فوگ الرمول

ولكن سلني ما حال النسوة والأطفال بعد مصرع هُماهم:

(بحر طويل أو تغريد الحزين)

يفترن خوات احسين من خيمه لعد خيمه
اوكلّ خيمه تشب ابنار ردن ضربن الهيمه
ينخن وين راحوا وين ماكو بالعده شيمه
والسجاد اجو سحبوه اودمعه اعلى الوجن ساله

(نعي مجاريد)

فرّن اوكلّ وحده ايمشيها تتعثر او تندب وليها
وأطفالها تبجي إلبجيهها وسيطأ أميّه ادّك عليها

❖❖❖

روي عن إمامنا الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاث مواطن؛ لا يُعرفُ الحليمُ إلا عند الغضب، ولا الشجاعُ إلا عند الحرب، ولا أخٌ إلا عند الحاجة»^(١).

(١) بحار الأنوار: ج ٦، ص ٢٢٣، ٩٠.

الشجاعة من المعاني العظيمة، فالشجاعة هي قوّة القلب والإقدام والجرأة والصبر في وقت الشدّة، وقد تكون الشجاعة باللسان، وقد تكون باليد، وقد تكون بالبنان، كأن يكتب الإنسان شيئاً يظهر فيه حقيقة من الحقائق الخطيرة ولو كانت لا ترضي القوم بل تسخطهم، والشجاعة تحتاج إلى التحديد وإلا إذا زادت عن حدّها انقلبت إلى التهور، وبخلاف ذلك ما لو نزلت عند الإنسان صفة الشجاعة إلى دون المتعارف، فسوف يكون الإنسان جباناً، وهكذا الحال في باقي الصفات، فكل صفة لها حدّ معيّن، فالكرم - مثلاً - إذا زاد عن حدّه الطبيعي المناسب لشأن الإنسان سوف يكون إسرافاً وتبذيراً، وإذا نزل دون المتعارف سوف يكون بخلاً، وهكذا الحال في الصفات الباقية. إلا أنّ هناك آفة للشجاعة، كما في باقي الصفات أيضاً، فإن لكل شيء آفة، كما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بيان آفة القوّة والشجاعة، حيث قال: «وآفة القوي استضعاف الخصم، وآفة الشجاعة إضاعة الخزم»^(١).
ثم إنّ هناك عدّة صفات تلازم الشجاعة منها:

الأول: الصدق

فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لو تميّزت الأشياء لكان الصدق مع الشجاعة، وكان الجبن مع الكذب»^(٢).

ولذا ترى الإنسان الشجاع لا يكذب؛ لأنّ الإنسان إنّما يكذب بسبب جبنه، وإلا فما الداعي ليخفي الإنسان الحقائق؟ ليس هناك سبب سوى أنّه يخاف من الحقيقة، أو أنّها لا تصبّ في مصلحته، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم بالبداهة.

الثاني: السخاء والكرم

الشجاع تجده كريم النفس وسخي اليد عادة؛ لأنّه لا يخاف من الفقر ولا يخشى منه؛ ولذا يقدم على السخاء والجود.

(١) عيون الحكماء في السخاء، ص ١٠٢.

(٢) عيون الحكماء في السخاء، ص ١٧.

الثالث: قول الحق وطاعة الله

وهاتان من أهم الصفات التي ينبغي أن تلازم الشجاعة، وهي أن يكون الإنسان قوياً وشجاعاً في قول الحق مطيعاً لله تبارك وتعالى.

ومن هنا روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم يرفعون حجراً، قال ما هذا؟ قالوا: نعرف بذلك أشدنا وأقوانا. فقال صلى الله عليه وآله: «ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرج منه سخطه من قول الحق، وإذا قدير لم يتعاط ما ليس له بحق»^(١).

وحريّ بالإنسان الشجاع أن يكون عنده هدف مقدّس، وغاية نبيلة، ونية خالصة لله تبارك وتعالى، وأن يكون الإنسان الشجاع مشخّصاً للهدف الإلهي حتّى يعطى ثوابها، ويُحْتَم لصاحبها بالشرف الرفيع، قال المتنبي:

لا يسلم الشرف الرفيعُ من الأذى حتّى يُراق على جوانبه الدّم^(٢)

فقول الحق وطاعة الله تبارك وتعالى صفتان تلازمان الشجاعة الحقيقية التي يريدّها الله تبارك وتعالى، حتّى روي: «حقّ عند سلطانٍ جائر» أو «أنّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطانٍ جائر»^(٣).

هذه هي الشجاعة التي امتلكتها حتّى نساء المسلمين، حكى أنّه خرج الحجاج يوماً ما إلى الصّحراء والتقى بجاريةٍ عربيّة، فقال لها: هل تحفظين القرآن؟

(١) أمّامي شيخنا تصوف: ص ٥٤، ج ٣١، معاني الأخبار: ص ٣٠، روضة الواعظين: ص ٣٦٦، مسكّة الأخبار: ص ٥٤، رسائل الشيخ: ج ١، ص ٣٠، ج ١، بحار الأنوار: ج ٥٤، ص ٢٠، ج ١، عن معاني الأخبار: ويوجد في مصادر مختلفة بسير، كالاختلاف في كلمة (يرضون حجر) أو (يرضون) أو (يتسابلون) أو (يريدون) بمعنى يرفعون حجراً.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ٣، ص ٢٠٨، شرح أصول الكافي: ج ١، ص ١٤٠.

(٣) عوالي اللئالي: ج ١، ص ٥٢٢، مسند أحمد: ج ٣، ص ١٠١، برهان ما جاء: ج ٢، ص ١٢٢، مسند أبي داود: ج ٢، ص ٣٢٤، ج ٢٣٥، تفسير تبيان: ج ٢، ص ٥٢٢، تفسير مجمع البيان: ج ٢، ص ٢٠٣.

قالت: نعم، وبدأت تقرأ: إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجاً.

فغضب الحجاج، وتلاها صحيحة وقال لها: لقد حرّفت الآية، إنها: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، وليس يخرجون من دين الله.

فقالت له: كان ذاك في عهد رسول الله ﷺ، أما في عهدك فهكذا يخرج الناس من الدين بسبب أعمالك^(١).

هذه مرتبة عالية من الشجاعة في أن تواجه امرأة والياً فظاً غليظاً ليس عنده إلا لغة النطع والسيوف.

وصفة الشجاعة برزت وبشكل مثير للانتباه في أمير المؤمنين عليه السلام حتى شهد بها العدو قبل الصديق - والفضل ما شهدت به الأعداء - فقد ظهر منه عليه السلام من الشجاعة ما حير العقول، وأذهل النفوس في مواطن عديدة وكثيرة بين يدي الرسول الأكرم ﷺ في يوم بدر، والذي كان بعد مرور ثمانية عشر شهراً من قدوم النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، تلك الواقعة حصلت فيها المعجزات وكانت تعتبر المعركة الأولى والكبرى بالنسبة للمسلمين، قال تعالى فيها: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(٢).

وبعد أن انهزم المشركون فيها أخذوا يعدّون العدة والعدد - كردّ فعل لما أصابهم في بدر - ليرجعوا إلى وجوههم الماء الذي أريق منها في معركة بدر، فتجمّعوا وبذلوا الأموال وجيّشوا الجيوش، وتولّى ذلك أبو سفيان بنفسه، وقصدوا النبي ﷺ، وأمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة، فخرج النبيّ بالمسلمين، ودخل النفاق والشك والريب قلوب جماعة منهم، فرجع ما يقارب من ثلثهم إلى المدينة، وبقي النبي ﷺ في سبعائة من المسلمين، وحصلت الهزيمة وانكسر جيش المسلمين، ولم يبق مع النبي ﷺ إلا نفر قليل يتزعمهم أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) مؤلف: منيع، ج ٣، ص ٢٠٥.

(٢) آل عمران: ١٢٣.

وذكر أهل السير قتلى (أحد) من المشركين، فكان جلُّ جمهورهم مقتولين بسيف أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكان الفتح له، وسلامة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المشركين بسبب سيفه (عليه السلام).

ثم حصلت معركة الخندق وخلاصتها: أن جماعة من اليهود جاؤوا إلى أبي سفيان - لعلمهم بعداوته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - وسألوه المعونة فأجابهم وجمع لهم قريشاً وأتباعهم من كنانة وتهامة وغطفان وأتباعها من أهل نجد، واتفق المشركون مع اليهود وأقبلوا بجمع عظيم فاشتد الأمر على المسلمين، فحفر المسلمون خندقاً وخرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف، والمشركون مع اليهود يزيدون على عشرة آلاف، وجعلوا الخندق بينهم وبين المسلمين، وركب عمرو بن عبد ود ومعه فوارس من قريش، وأقبلوا حتى وقفوا على أضيق مكان في الخندق، ثم ضربوا خيلهم فاقتحمت وصاروا بين الخندق والمسلمين فخرج إليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقال عمرو: «هل من مبارز؟» قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا»، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه عمرو» فسكت، ونادى عمرو: «هل من مبارز؟» فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا له يا رسول الله»، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه عمرو»، فسكت، ونادى عمرو ثالثة، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أنا له يا رسول الله» فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه عمرو». وكل ذلك يقوم علي (عليه السلام) فيأمره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالثبات انتظاراً لحركة غيره من المسلمين، هذا وهم يسمعون كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونداء عدو الله وعدو رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وطال نداء عمرو وهو يطلب المبارزة وتتابع قيام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما لم يقدم أحد من الصحابة قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): «ادنُ مني يا علي»، فدنا منه، فنزع عمامته عن رأسه وعممه بها، وأعطاه سيفه، وقال: «امضِ لشأنك». ودعا له، ثم قال: «برز الإيمان كُلُّه إلى الشرك كُلِّه».

فدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) نحو عمرو حتى انتهى إليه فقال له: «يا عمرو، إنك كنت تقول: لا يدعوني أحد إلى ثلاثٍ إلَّا قبلتها، أو واحدة منها»، فقال عمرو: أجل، قال أمير

(١) أنظر: مصاب بن سير: أنبوب: ج ١، ص ١٠٥، وما بعدها.

المؤمنين ﷺ: «إني أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وأن تسلم لرَبِّ العالمين»، قال عمرو: آخر هذه عني، فقال أمير المؤمنين ﷺ: «أما أنَّها خير لك لو أخذتها»، ثُمَّ قال ﷺ: «ههنا أُخرى»، قال: وما بقي؟ قال ﷺ: «ترجع من حيث أتيت»، قال: لا تتحدَّث نساء قريش عني بذلك أبداً، قال ﷺ: «فها هنا أُخرى»، قال: وما هي؟ قال ﷺ: «أبارزك أو تبارزني»، فضحك عمرو وقال: إنَّ هذه الخصلة ما كنتُ أظنُّ أحداً من العرب يطلبها مِنِّي، وأنا أكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك نديماً لي، فقال علي ﷺ: «وأنا كذلك، لكنني أُحِبُّ أن أقتلك ما دمت أيباً للحقِّ»، فحمى عمرو ونزل عن فرسه وضرب وجهه حتَّى نفر، وأقبل على أمير المؤمنين ﷺ مسلطاً سيفه وبادره بضربة فلبث السيف في ترس علي ﷺ وضربه أمير المؤمنين ﷺ.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: فتجاولا وثارت بينهما غيرة، وبقيت ساعة طويلة لم نرهما ولا سمعنا لهما صوتاً، ثُمَّ سمعنا التكبير، فعلمنا أن علياً ﷺ قد قتل عمراً، وسرَّ النبي ﷺ سروراً عظيماً لما سمع صوت أمير المؤمنين ﷺ بالتكبير، وكبَّر وسجد لله تعالى شكراً، وانكشف الغبار، وعبر أصحاب عمرو الخندق وانهزم عكرمة بن أبي جهل وباقي المشركين، وكانوا كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا...﴾^(١).

هذا غيظ من فيض، وقطرة من بحر شجاعة أمير المؤمنين ﷺ، وما لم نذكره أكثر بكثير ممَّا ذكرناه. فأصبحت بيوت مشركي قريش تطلب الثأر من أمير المؤمنين ﷺ؛ لأنَّه لم يترك بيتاً إلَّا وقد وتره، فأخذوا يتحينون الفرصة به ﷺ إلى أن جاء الموعد المحدد الذي رسمه أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أمير المؤمنين ﷺ، وذلك في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان. أتى أمير المؤمنين ﷺ بعد أن صلَّى المغرب وما شاء من النفل ليفطر، وكان يفطر ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، فقدَّمت إليه ابنته أمَّ

كلثوم (زينب) قرصين من شعير، وقصعة فيها لبن وجريش ملح، فقال لها: «قدّمتِ آدمين في طبق واحد، وقد علمت أنّي متّبِعٌ ما كان يصنَعُ ابنُ عمّي رسول الله ﷺ، ما قدّم إليه أدامان في طبق واحد حتّى قبضه الله إليه مكرّماً، ارفعي أحدهما فإنّ من طاب مطعمه ومشربه طال وقوفه بين يدي الله»، فرفعت اللبن الحامض بأمر منه، ثمّ أكل قليلاً وحمد الله كثيراً، وأخذ في الصلاة والدعاء إلى أن غفت عيناه فاستيقظ وقال لأولاده: «رأيت النبي ﷺ فشكوت إليه ما أنا فيه من التبلّد بهذه الأُمّة فقال لي: ادعُ عليهم فإنّ الله تعالى لا يرد دعاءك، فقلت: اللهمّ أبدلني بهم خيراً وأبدلهم بي شراً». وكان ﷺ يكثر الدخول والخروج وينظر إلى السماء ويقول: «هي والله الليلة التي وعدنيها حبيبي رسول الله ﷺ». وكان يكثر من قوله: «لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم»، حتّى ذهب بعض الليل ثمّ جلس للتعقيب فهوّدت عيناه وهو جالس، ثمّ انتبه مرعوباً فقال لأولاده: «إنّي رأيت رؤيا أهالتي وأريد أن أقصّها عليكم»، قالوا: وما هي؟ قال: «إنّي رأيت الساعة رسول الله ﷺ في منامي وهو يقول: يا أبا الحسن، إنّك قادم علينا عن قريب يحيي إليك أشقاها فيخضّب شيتك من دم رأسك، وأنا والله، مشتاق إليك وإنّك عندنا في العشر الأواخر من شهر رمضان، فهلّمّ إلينا فما عندنا خير لك وأبقى» فلمّا سمع أولاده كلامه ضجّوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل، فأقسم عليهم بالسكوت فسكوتوا ثمّ عاد إلى البكاء من خشية الله والتضرّع والعبادة.

تقول أمّ كلثوم: «سمعتُه يقول - بعد ما نظر إلى الكواكب -: والله، ما كذّبتُ ولا كُذّبت وإمّا الليلة التي وعدتُ بها. إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم»، وصلى على النبي ﷺ واستغفر الله كثيراً، فلمّا رأيته كذلك قلقاً متململاً أرقت معه ليلتي، وقلت: «يا أبتاه، ما لي أراك هذه الليلة لا تذوق طعم الرقاد؟ قال: يا بنية، إنّ أباك قتل الأبطال وخاض الأهوال وما دخل الخوف له جوفاً، وما دخل قلبي رعب أكثر ممّا دخل في هذه الليلة. ثمّ قال: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون». فقلت: «يا أبتاه، ما لك تنعى نفسك هذه الليلة؟ قال: يا بنية، قد قرب الأجل وانقطع الأمل».

تقول أم كلثوم: «فبكيت، فقال لي: يا بنية، لا تبكي فإنّي لم أقل ذلك إلا بما عهد إليّ النبي ﷺ. ثُمَّ قال: يا بنية، إذا قرب الأذان فأعلميني. فجعلت أراقب الأذان، فلما لاح الوقت أتيت به ومعي إناء فيه ماء، فأسبغ الوضوء وقام ولبس ثيابه، وفتح الباب ونزل إلى الدار، وكان في الدار إوز قد أهدي إلى أخويّ الحسن والحسين، فلما نزل خرجن وراءه ورفرن وصحن في وجهه ولم يكن قد صحن في وجهه من قبل، فقال ﷺ: لا إله إلا الله، صوائح تتبعها نوائح وفي غداة غد يظهر القضاء. فلما وصل إلى الباب وعالجه ليفتحه تعلق مئزره بالباب فانحلّ حتّى سقط، فأخذه شدّه وهو يقول:

أشدد حيازيمك للموت	فإن الموت لا ييكأ
ولا تجزع من الموت	إذا حلّ بناديكأ
كما أضحكك الدهر	كذلك الدهر ييكأ

ثُمَّ فتح الباب وخرج متوجّهاً إلى المسجد، وكان عدو الله ابن ملجم متخفياً في بيوت الخوارج بالكوفة يتحين الفرصة بأمر المؤمنين ﷺ، وقد اتفقت معه قطام أنّه إذا قتل عليّاً تزوجه؛ لأنّ ذلك يشفي غليلها ويظفي جمرة غيظها، إذ إنّ أمير المؤمنين ﷺ قتل أباه وأخاها في النهروان. وانبرى لمساعدة ابن ملجم شخصان آخران من الخوارج هما: شبيب بن بجرة، ووردان بن مجالد، واتفقوا جميعاً على أن تكون ليلة التاسع عشر ليلة اغتيال الإمام ﷺ، فجاء ابن ملجم (لعنه الله) إلى المسجد ونام مع الناس مخفياً سيفه تحت إزاره، ولما وصل الإمام إلى المسجد صلى ركعتين، ثُمَّ صعد المئذنة فأذن، ثُمَّ نزل وهو يُسبّح الله ويكثر من الصلاة على النبي ﷺ، وكان من عادته أنّه يتفقد النائم في المسجد، وهو يقول: «الصلاة يرحمك الله، إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»، حتّى وصل إلى ابن ملجم (لعنه الله) وهو نائم على وجهه، فقال له: «يا هذا، قم من نومك فإنّها نومة يمقتها الله، وهي نومة الشياطين». ثُمَّ اتّجه نحو المحراب يصلي، وكان يطيل الركوع والسجود في صلاته، فقام الشقي ابن ملجم حتّى وقف بإزاء الأسطوانة التي يصلي عندها الإمام،

فأمهله حتّى ركع وسجد السجدة الأولى ورفع رأسه منها، فتقدّم اللعين وأخذ السيف وهزه، ثمّ ضرب الإمام عليه السلام على رأسه الشريف فوقع الإمام على وجهه قائلاً: «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله». ثمّ صاح: «فزت وربّ الكعبة، قتلني ابن اليهودية».

(نصاري)

بالمحارب اويلي طاح أبو احسين	اودم الراس يتفايض على العين
يوم الطاح أبو الحسنين مجروح	ثار اصياح لهل العرش بالنوح
طبره اشلون طبره تشعب الروح	تشوف السم اودم الراس لونين

أجركم الله، فاصطفقت أبواب الجامع، وضجّت الملائكة في السماء، وهبّت ريح عاصفة سوداء مظلمة، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كلّ مستيقظ: «تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التّقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتل ابن عمّ المصطفى، قُتل الوصي المجتبى، قُتل عليّ المرتضى، قُتل سيّد الأوصياء، قتله أشقى الأشرقياء»، فلمّا سمعت أمّ كلثوم نعي جبرائيل لطمت على وجهها وخذّها، وصاحت وأبتاه وا عليها.

(فايزي)

الله يالناعي إفجعت غلبي اومردته
يا ريت صوتك لا عَليّ مرّ اوسمعته
چن عودي ماتم ابحرابه سجدته
الله يالناعي افجعتنه اهذا المصاب
گلها يويلي راح أبوچ اوهليّ العين
صابه المرادي ابسيفه اوطر راسه نصين
من سمعته صاحت يخويه حسن واحسين
گوموا لبونه اتلاحگوا بالمسجد انصاب

فخرج الحسنان إلى المسجد وهما يناديان: «وا أبتاه! وا عليها! ليت الموت أعدمنا الحياة»، حتى وصلا إلى المسجد، وإذا بالإمام في محرابه والدماء تسيل من رأسه على وجهه وشيئته، فتقدم الحسن عليه السلام وصلى بالناس وصلى أمير المؤمنين عليه السلام إيماءً من جلوس، وهو يمسح الدم من وجهه وكريمته، يميل تارة ويسكن تارة أخرى، والحسن ينادي: «وا انقطاع ظهراه، يعزُّ عليَّ أن أراك هكذا»، ثمَّ شاع الخبر في الكوفة، فهرع الناس رجالاً ونساءً حتى المخدرات خرجن من خدورهن إلى الجامع، وهم ينادون: وا إماماه! قُتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل الناس إلى المسجد، فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره، وقد شدَّ الضربة وهي لم تزل تشخب دماً، ووجهه قد زاد بياضاً بصفرة، وهو يرمق السماء بطرفه ولسانه يُسبِّح الله ويوحده، ثمَّ أمر أن يحملوه من ذلك المحراب إلى موضع مصلاه في منزله.

قال محمد بن الحنفية: فحملناه إليه والناس حوله، وهم في أمر عظيم باكون مخزونون قد أشرفوا على الهلاك من شدة البكاء والنحيب، وكان الحسين عليه السلام يبكي ويقول: «وا أبتاه، مَنْ لنا بعدك، ولا يوم كيومك إلا يوم رسول الله صلى الله عليه وآله»^(١).

وكأنِّي يزنب لما نظرت إلى أمير المؤمنين وهو محمول على الأكتاف نادى: وا أبتاه، وا عليها! (مجايد)

ونت اونادات يلـمـجـبـلـين	هلشايلىنه اويـاـكـم امنين
أسمع هضـل وصياح صوبين	خوفي انچتل عـودـي يطيين
لمن سمعها الحسن وحسين	صاحوا يزنب زيدي الوين
أبـوچ انطبر والراس نصين	صاحت اوهلّت دـمـعة العين
يا عيد الكشر علمسلمين	عگبك يويـه اوـجـوـهـنا وين

(١) انظر: بحار الأنوار: ج ٢: ص ٢٠٠، الإمامة واليافة: ج ١: ص ١٣٩-١٤٢.

(أبوزية)

اشلون الي رسول الله وصابه^(١) عليه سل سيفه المرادي وصابه
على امصابه الدمع سيله وصابه مثل ما سال دمّه اعلى الوطيه

شهر الصّيام به الإسلام قد فجعا وفي رزيتيه قلب الهدى انصدعا

(١) مخر (وصابه) هذا في أن الرسول الأنتم ﷺ وصلى بامير المؤمنين عليه السلام: ويملك في موطن عديدة لا
يسع المجال لتذكره. ومعه - لا على سبيل الحصر -: «حرب علي حربي، وسلم علي سلمتي». و«مخر»
كنت مذكرا لهذا علي مذكرا. ملهم من من والاد وعاد من عازله ز نصر من نصره وانفد من حمله»
في غير ذلك.

الحاضرة
العلمية والفكرية



آية الخيرة



لَيْسَ الْإِسْلَامُ أَبْرَادَ السَّوَادِ
لَيْلَةٌ مَا أَصْبَحَتْ إِلَّا وَقَدْ
وَالصَّلَاحُ انْخَفَضَتْ أَعْلَامُهُ
مَا رَعَى الْغَادِرُ شَهْرَ اللَّهِ فِي
وَبَيْتِ اللَّهِ قَدْ جَدَّلَهُ
يَا لَيْلَالِ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا
مُحِيتَ فِيكَ عَلَى رَغْمِ الْهُدَى
قَتَلُوهُ وَهُوَ فِي مَحْرَابِهِ
سَلْ بَعِينِهِ الدُّجَى هَلْ جَفَّتَا
وَسَلِ الْأَنْجُمَ هَلْ أَبْصَرْنَاهُ
وَسَلِ الصَّبِيحَ أَهْلَ صَادَفِهِ
وَهُوَ لِلْمَحْرَابِ وَالْحَرْبِ أَخٌ
نَفْسُهُ الْحَرَّةُ قَدْ عَرَّضَهَا
سَلْبُوهَا وَهُوَ فِي غَرَّتِهِ
عَاقِرُ النَّاقَةِ مَعَ شَقَوْتِهِ
فَلَقَدْ عَمَّمُ بِالسَّيْفِ فَتَى
فَبَكَتُهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ مَعًا
وَبَكَاهُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى دَمًا
هَدَمَتْ وَاللَّهُ أَرْكَانُ الْهُدَى

يَوْمَ أَرْدَى الْمُتَرْضَى سَيْفُ الْمُرَادِ
غَلَبَ الْغَيُّ عَلَى أَمْرِ الرِّشَادِ
فَعَدَتْ تُرْفَعُ أَعْلَامُ الْفَسَادِ
حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ الْعِبَادِ
سَاجِدًا يَنْشِجُ مِنْ خَوْفِ الْمَعَادِ
سُورَ الذِّكْرِ عَلَى أَكْرَمِ هَادِ
آيَةً فِي فَضْلِهَا الذِّكْرُ يُنَادِي
طَاوِي الْأَحْشَاءِ مِنْ مَاءٍ وَزَادِ
مَنْ بُكَاءُ أَوْ ذَاقَتْ طَعْمَ الرُّقَادِ
لَيْلَةٌ مُضْطَجِعًا فَوْقَ الْوَسَادِ
مَلٌّ مِنْ نُوحٍ مَذِيبٍ لِلْجَمَادِ
فَجَفَا النَّوْمَ عَلَى لَيْنِ الْمَهَادِ
لِلضُّبِّ الْبَيْضِ وَلِلسَّمْرِ الصَّعَادِ
حَيْثُ لَا حَرْبٌ وَلَا قَرْعٌ جَلَادِ
لَيْسَ بِالْأَشْقَى مِنَ الرَّجْسِ الْمُرَادِ
عَمَّ خَلَقَ اللَّهُ طَرًّا بِالْأَيْدِي
وَطَيُورَ الْجَوْمِ وَحَشَّ الْبُؤَادِ
وَعَدَا جَبْرِيلُ بِالْوَيْلِ يُنَادِي
حَيْثُ لَا مَنْ مَنُذِرٍ فِينَا وَهَادِ^(١)

(١) تحفة السبب جعفر الجني، وقد تقدمت ترجمته في المحاضرة الخامسة، ص ٢١٠.

(موشح)

نوح يا ناعي اودمعتك سيلها	اوصيح طاح الليث حامي ادخيلها
طاح والدنيا الفگده مُظلمه	أهل بيته تهل دمعته دمهم
والأملاك اتنوح لجله بالسمة	اتبذل ابنوح اوبجه تهليلها
اتبذل التهليل منها بالعويل	جل أبو الحسنين حمّاي الدخيل
ويل گلبي من وگع دمهم يسيل	فيض المحراب وأشبه سيلها
فيض المحراب دمهم اوهامته	غدت نصّين اوتحنّت شييته
اوضجت الأملاك كلّها الوگعته	اوصاح وأعول بالسمة جبريلها
صاح طاح الدين ركنه وانهدم	اوراس أبو الحسنين نصّين انجسم

قال تعالى: ﴿إِنهَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

جاء في تفسير مجمع البيان - وتفسير وكتب أخرى - نقلاً عن عبد الله بن عباس أنّه قال: إنّّه كان في أحد الأيام جالساً إلى جوار بئر زمزم ويروي للناس أحاديث النبي ﷺ، فتقرّب إليهم - فجأة - رجلٌ كان يرتدي عمامة، ويضع على وجهه نقاباً، وكان كلّما تلا ابن عباس حديثاً عن النبي ﷺ قال هو حديثاً عن النبي. مستهلاً قوله بعبارة: «قال رسول الله...» فأقسم عليه ابن عباس أن يعرف نفسه، فرفع هذا الشخص النقاب عن وجهه وصاح: أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا جُنْدُب بن جنادة البصري أبو ذرّ الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمّتا، ورأيت بهاتين وإلا فعميتا، يقول: «عليّ قائد البرّة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله» وأضاف أبو

ذَرَّ: أما إني صَلَّيتُ مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائلاً في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم اشهد بأنِّي سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحدٌ، وكان عليّ أمير المؤمنين عليه السلام راکعاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتَّى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي ﷺ، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم موسى سألك فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَؤُلَاءِ أَخِي * أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ قِرْآنًا نَاطِقًا: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ اللهم وأنا مُحَمَّدٌ نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً عليّاً أشدد به ظهري». قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: فما استتم رسول الله ﷺ كلامه حتَّى نزل جبرائيل من عند الله عز وجل فقال عليه السلام: يا مُحَمَّد، اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١).

وفي مصنفات بعض علمائنا: إنَّ عمر بن الخطَّاب قام ووقف أمام النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، أجاوِزُ هذا؟ إنَّ عليَّ بن أبي طالب يعبث في صلاته، ويشير إلى السائل أن يتترع الخاتم من يده - وأراد أن يسند إلى الإمام سيئة -؟ فقال النبي ﷺ: «والله الذي لا إله إلا هو إنَّه لجائز لعلِّي أن تصدَّق بالصلاة وهو في حالة الركوع».

وفي ذلك اليوم العظيم - يوم الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة المبارك، يوم تصدَّق فيه أمير المؤمنين عليه السلام وفرض الله ولايته على جميع المسلمين والمسلمات فرضاً واجباً - قام حسان بن ثابت الأنصاري وقال: يا رسول الله، فداؤك أبي وأمي! أتأذن لي أن أنشد أبياتاً في هذه المناسبة؟

فقال عليه السلام: «شأنك يا حسان»، فأنشد حسان تلك الأبيات التي اشتهرت بعد ذلك:

(١) تفسير الأئمَّة: ج ٤، ص ١٠٠، ذكره عن مجلس البيان: ج ٢، ص ٢١١، في دليل ندية المبيحة.

أبا حسنٍ تفديك نفسي ومُهجتي وكلُّ بطيءٍ في الهدى ومُسارعٍ
أيزهَبُ مدحي والمحبِّين ضائعاً وما المدحُ في ذاتِ الإله بضائعٍ
أأنتَ الذي أعطيتَ إذ أنتَ راعٍ فدتك نفوسُ القومِ يا خيرَ راعٍ
بخاتمك الميمونِ يا خيرَ سيِّدٍ ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خيرَ بائعٍ
فأنزلَ فيك الله خيرَ ولايةٍ وبَيَّنَّها في محكماتِ الشرائعِ^(١)

ومَّا لا شك فيه أنَّ هذا الشعر صدر من حسان بن ثابت، فأنظر إليه بعين الإنصاف
ماذا يقول:

فأنزلَ فيك الله خيرَ ولايةٍ وبَيَّنَّها في محكماتِ الشرائعِ
وكانت القصيدة واضحةً بدرجةٍ أنَّ حسان يقومُ - وعلى البداهة - فيقرأ هذه الأبيات.
وقد وردت هذه الأبيات باختلافات طفيفة في كتب كثيرة منها: كتاب تفسير (روح
المعاني) للآلوسي، وكتاب (كفاية الطالب) للكنجي الشافعي وكتب كثيرة أخرى^(٢).
ففضائل أمير المؤمنين عليه السلام لا يُحصيها كتابٌ ولا كاتبٌ ولا شاعرٌ ولا مفوّه، لا
يُحصيها إلَّا الله تبارك وتعالى.

ابتدأت هذه الآية بكلمة: ﴿إِنَّمَا﴾ التي تفيد الحصر، وبذلك حصرت ولاية أمر
المسلمين في ثلاثٍ هم: الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وآله، والذين آمنوا وأقاموا الصلاة وأدّوا الزكاة في
حالة الركوع في الصلاة كما تقول الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

ولا شك في أنَّ الركوع المقصود في هذه الآية هو ركوع الصلاة، ولا يعني الخضوع؛
للدلالة عليه من الروايات حيث ذكرت أنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تصدَّق بخاتمه في حال

(١) كشف النقاب: ج ١ ص ٢٠٧. خواهد التزيين: ج ١ ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) انظر: تفسير: ج ٤ ص ٢٠٠.

الصلاة وبالخصوص في حال الركوع، كما ذكرنا ذلك في سبب النزول في صدر المحاضرة، ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الَّذِي أُعْطِيَ خَاتَمَهُ هُوَ صَهِرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَضُرُّ سِوَاهُ فُسْرُ الرُّكُوعِ بِالرُّكُوعِ الْمُصْطَلَحِ، أَمْ فُسْرُ الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

ولو رجعنا إلى اللغة وعملية وضع الألفاظ للمعاني واستعمالها يكون استعمال الركوع في معنى الخضوع والخشوع استعمالاً مجازياً يحتاج إلى قرينة؛ إذ المعنى الحقيقي للركوع هو الركوع الذي بمعنى الانحناء وطأطة الرأس.

ثُمَّ إِنَّهُمْ قَدْ أَشْكَلُوا عَلَى التَّصَدُّقِ فِي أَثْنَاءِ الرُّكُوعِ بِهَا مَفَادَةٌ: تَقُولُونَ بَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) إِذَا قَامَ لِلصَّلَاةِ يَصِلُ بِهِ الْخُشُوعُ وَالْخُضُوعُ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا أَرَادُوا انْتِزَاعَ سَهْمٍ مِنْهُ (عليه السلام) لَا يَسْتَطِيعُونَ إِلَّا فِي وَقْتِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يَذُوبُ فِي ذَاتِ اللَّهِ، فَكَيْفَ تَوَجَّهَ إِلَى السَّائِلِ وَأَعْطَاهُ الْخَاتَمَ، أَلَيْسَ ذَلِكَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ انصَرَفَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ حِينَ التَّفَاتِهِ إِلَى السَّائِلِ وَإِشَارَتِهِ إِلَى الْخَاتَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(١).

وهذا الكلام لا قيمة له؛ لأنَّ إعطاء الخاتم وهو في الصلاة هو تنقل بين طاعة وطاعة أخرى، وهذا العمل - التصديق بالخاتم - بنفسه عبادة ولم يخرج عن عنوان العبادة والعبودية. ثُمَّ إِنَّ سَمَاعَ صَوْتِ السَّائِلِ وَالسَّعْيَ لِمُسَاعَدَتِهِ لَا يَعْتَبَرُ دَلِيلًا عَلَى الْانصِرَافِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى النَّفْسِ، بَلْ هُوَ عَيْنُ التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ، وَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ نُوَكِّدَ هُنَا وَنَقُولَ: إِنَّ الذُّوبَانَ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى اللَّهِ، لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يَفْقِدَ الْإِحْسَاسَ بِنَفْسِهِ، وَلَا أَنْ يَكُونَ بِدُونِ إِرَادَةٍ، بَلْ الْإِنْسَانُ بِإِرَادَتِهِ يَصْرِفُ عَنْ نَفْسِهِ التَّفَكِيرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ لَا صِلَةَ لَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى^(٢).

كما لا شكَّ أَنَّ كَلِمَةَ (الْوَلِيِّ) الْوَارِدَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، لَا تَعْنِي النَّاصِرَ وَالْمَحَبَّ؛ لِأَنَّ الْوَلَايَةَ الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى الْحُبِّ وَالنَّصْرَةِ لَا تَنْحَصِرُ فِي مَنْ يُوَدُّونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

(١) نَسْتَعِظُ هُوَ النِّصْرُ الرَّائِي فِي تَفْسِيرِهِ: ج ١، ص ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥.

(٢) تَفْسِيرُ الْأَمَلِ: ج ٤، ص ٥٦.

وهم راعون، بل تشمل كل المسلمين الذين يجب أن يتحابوا فيما بينهم وينصر بعضهم البعض، حتى أولئك الذين لا زكاة عليهم، أو لا يملكون - أساساً - شيئاً ليؤدوا زكاته، فكيف يدفعون الزكاة وهم في حالة الركوع؟! هؤلاء كلهم يجب أن يكونوا أحبباء فيما بينهم ينصر بعضهم البعض الآخر.

ومن هنا يتضح لنا أن المراد من كلمة (ولي) في هذه الآية، هو ولاية الأمر والإشراف، وحق التصرف والزعامة المادية والمعنوية، خاصة وقد جاءت مقترنة مع ولاية النبي ﷺ وولاية الله - تبارك وتعالى - حيث جاءت الولايات الثلاث في جملة واحدة. وبهذه الصورة فإن الآية تعتبر نصاً قرآنياً يدل على ولاية وإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام للمسلمين^(١). هذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أعطى الزكاة للسائل وهو راع، وأعطى رأسه لله وهو ساجد، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

ما حال الإمام في مثل هذه الليلة - ليلة العشرين -؟

في هذه الليلة كان أمير المؤمنين عليه السلام في داره بين أولاده وأهل بيته، إلا أن الدماء كانت تنزف من رأسه الشريف.

يقول محمد بن الحنفية: فبينما نحن في ليلة العشرين من شهر رمضان عند أبي علي عليه السلام وقد سرى السم في بدنه الشريف، وكان يُصلي تلك الليلة من جلوس، وهو يعزينا بنفسه ويوصينا بما هو أهله، من أفعال الخيرات، واجتناب الشرور، ويكثر من ذكر الله تعالى وقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

يقول الأصبغ بن نباته: «دخلت على الإمام فإذا هو مستند ومعسوب الرأس بعمامة صفراء قد نزع دمه، واصفر وجهه، فما أدري وجهه أشد صفرة أم العمامة، فأكببت عليه فقبلته وبكيت، فقال لي: لا تنك يا أصبغ فإنها الجنة».

(١) المصدر نفسه: ج ١، ص ١٥١.

قلت: جُعلت فداك يا أمير المؤمنين، ثُمَّ نظر الإمام إلى أولاده فرآهم تكاد أنفسهم تزهق من النوح والبكاء، فجرت دموعه على خديه ممزوجة بدمه.

وقال ﷺ: «أتبكي عليّ؟ ابكيا كثيراً وضحكاً قليلاً، أمّا أنت يا أبا محمد، ستقتل مظلوماً مسموماً مضطهداً، وأمّا أنت يا أبا عبد الله، فشهيد هذه الأمة، وسوف تذبح ذبح الشاة من قفاك، وتُرَضّ أعضاؤك بحوافر الخيل، ويُطاف برأسك في ممالك بني أمية، وحرّيم رسول الله ﷺ تُسبى وأنّ لي ولهم موقفاً يوم القيامة».

وأقبلت إليه زينب وأمّ كلثوم وهما يندبانه ويقولان:

مَنْ للصغير حتّى يكبر؟ وَمَنْ للكبير بين الملا، يا أبتاه، حزنا عليك طويل، وعبرتنا لا تبحر ولا ترقأ.

فضجّ مَنْ كان حاضراً بالبكاء، وفاضت دموع أمير المؤمنين ﷺ على خديه، وهويّقلّب طرفه وينظر إلى أهل بيته:

ها ليليه أبونه أمسى بشدّه	اوجرحه الذي ابراسه مضهده
والسم لعد جسمه تعدّه	وابروحه أشوفه ايلوج وحده
لونكم يخوتي تجعدونه	اوجرح إبراسه تشدّونه
بهداي بس لا تلجمونه	اوشنهو اليهيسه اتسايلونه
بلچن اصوابه اتعالجونه	اوعيناك بس تغمض عيونه
الوادم بعد ما يعرفونه	اوعند الشدايد يخذلونه

وفي هذه الليلة أحضر عنده عروة السلوي، وكان أعرف أهل زمانه بالطبّ، فذبح شاة، وأخرج منها عرقاً فأدخله في جراحة الإمام ثُمَّ أخرجه وإذا عليه بياض الدّماغ فقال الطبيب - بعد أن استعبر وبكى -:

إعهد عهدك يا أمير المؤمنين، فإنَّ الضربة وصلت إلى الدماغ^(١):

بس ما فحص جرحه طيبه	صاح اودمعتة عاخذ سجيبة
يشراف مكه اوفخر طيبه	امن الطبره والدكم الهيبه
مسموم جسمه إبهالمصيه	عزّ النبيّ الهادي اوحيبه

وكانّي بزینب تسأل أخاها الحسن عليه السلام عن أبيها عليه السلام وما قاله الطيب:

ياحسن والدنه اودخرنه	جرحه الطيب اشغال عنه
حين السمع منها المچنه	هل دمعتة اوظهره تحنه
غال الجسم مسموم منه	امن الطبره يّحتي وحك جدنه

او من والدچ گطعي الظنّه

(أبوذية)

ولي امن الله على المخلوگ ينصاب	اوراسه ابسيف أشقى الناس ينصاب
او مخه ویه الدمع عالعين ينصاب	او جرحه يعصّبه حسين الشفيه

مُصابٌ قد لوى للدين جيداً وهَدَّ من الهدى رُكناً مشيداً

الحاضرة
الرابعة والثلاثون



آية التطهير



وَمَنْ أَرَدَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ	أَلَا مَنْ هَدَى رُكْنَ الْمُسْلِمِينَ
فَخَضَّبَ وَيَجْه مِنْهُ الْجِينَا	وَمَنْ أَدْمَى أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا
فَلَا قَرَّتْ عَيُونَ الشَّامِتِينَ	فَكَمْ قَرَّتْ لِمَقْتَلِهِ عَيُونُ
لَمَنْ أَقْذَى بِهِ تِلْكَ الْعَيُونَا	وَكَمْ قَذِيتْ عَيُونَ فِيهِ وَيْلُ
وَيَتَّبِعُهُ الْحَسِينُ لَهُ أُنِينَا	فَلِلْحَسَنِ الزَّكِيِّ عَلَيْهِ نَوْحُ
وَتَتَّبِعُ نَعْشَهُ السَّامِي حِينَا	وَأَضَحَتْ زَيْنَبُ تَبْكِي عَلَيْهِ
أَرَاكُمْ قَدْ سَرَيْتُمْ بِأَيْنِنَا	أَلَا يَا حَامِلِينَ النِّعْشَ مَهْلًا
وَمَطْعَانَا وَقُرْآنَا مُبِينَا	حَمَلْتُمْ فِيهِ لِلْإِسْلَامِ طُودًا
وَمَنْ يَحْمِي تُغَوَّرَ الْمُسْلِمِينَ ^(١)	فَمَنْ لِلْوَافِدِينَ إِذَا أَنَاخُوا

(مَوْشَح)

وَمَنْهُو يَحْمِي الثَّغْرَ مِنْ خَصْمِ الْيَضْدِ	إِخْلَافَ حَيْدَرِ يَاهُو يَتَلَكَّهَ الْوَفْدِ
بُورِهِ يَا حَيْدَرِ يَبُو الشِّيمَةِ تَصِيحِ	أَكْبَلْتَ تَمْشِي الْعَقِيلَةَ أَوْ مَرَّةً تَطِيحِ
كَبَلِ جِسْمِكَ رَيْتَ ضَمِّ جِسْمِي	صَدَّكَ يَا بُورِهِ ابْنَعِشْ تَصْبِحْ طَرِيحِ
أَمْصَابُ جَدِي كَبْلُكَ أَوْ فُكْدُ أُمِّي چَانِ	چَمِ مَصِيبَةِ حُزْنِ رَاوَانِي الزَّمَانِ
أَبْشَدَةُ أَحْزَانِي أَوْ جَبْدِي الْمَنْمَرْدِ	أَوْ هَذَا يَوْمِكَ صَارَ إِلَى شَاهِدِ عِيَانِ
الْفَرْكَتَهُ سَبَّاحُ الْكَلْبِ يَتَبَيَّنُ	أَوْ بَعْدَ عِنْدِي الرَّابِعَةِ سَمِّ الْحَسَنِ

(١) نَسَبَهُ يَحْيَى الْأَنْدَلُسِيُّ مَوْلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِبَعْضِ السُّمَرَاءِ زَيْلَمٍ يَدَّكُرُهُ. وَلَوْ أَنَّ عَرَفَ عَلَيْهِ
زَيْلَمُ الْبَحْثِ التَّضْوِيلَ لَمَنْعَهُ دَرَجَتُهُ وَعَنْهُ الْمَلِكُ الْأَجْمَرُ.

او عندي يوم الطف او قبل الطف عسن ميته أولا عيني لابن أمي تصد
 اشلون أشوف احسين نايم على تراب جسمه عاري اوراسه من فوگ الحراب
 اشلون أصدّ للنار تسعر بالأطناب اوبعد أبو اليمه اعليمن أعمد
 بويه والليله إمصابك يا العميد ما يخلي امن البجه عيني تهيد
 ريت لا عشنه اويهل إعلينه عيد واحنه ما تمنه يچي أعلى البعد

إجه العيد ريته لا إجانّه اولا بين اهلاله اسمانه
 واحنه ابميا تمنه اوبچانه من المصاب اللي دهانه
 البيه انفكد منه همانه بالعيد يتجدد عزانه

الحامي الحمه الخالي مجانه

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١).
 العصمة ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع وجود القدرة على ذلك،
 وهي واجبة على مَنْ وجبت له الطاعة، وبيده مقاليد أمور الأمة الدينية والدنيوية، وأنّ
 الله عزّ وجلّ هو مَنْ يختار النبي والإمام؛ لأنّه أعلم بخلقّه، ويريد الله عزّ وجلّ إتمام دينه وتوضيحه
 لمخلوقاته عن طريق أناس معصومين من الخطأ^(٢).

ومن هنا لا يمكن أن نلتزم أو يلتزم أيّ عاقل بأنّ يلقي تعيين الإمام إلى الأمة؛
 لقصور إداركات البشر عن الوصول إلى الصحيح الواقعي وتمييزه من السقيم كذلك؛
 ولذا تجد أنّ البشر اليوم تارة - وبحسب المنظار العلمي - يتوصّلون إلى نظرية، تعكف على

(١) الأنحزاب: ٣٣.

(٢) أنظر: الأخلاق والأدب الإسلامي، ص: ٣٥.

دراستها الأجيال عشرات بل مئات السنين، ثم بعد مدة مديدة من الزمن ينكشف لهم بأنها كانت خاطئة، ويؤتى بنظرية جديدة على نقيض تلك الأولى، بل يُستهزأ بعقل وعلم كل إنسان يتنصر لتلك النظرية الأولى مع أن الأجيال عكفت عليها مئات السنين.

فالذي ينبغي أن يقال: إنَّ النَّاسَ قاصرون - بكلِّ ما تعطي هذه الكلمة من معنى - عن إدراك ما ينفعهم واقعاً ممَّا ليس كذلك، وهذا أمر يدركه العقل ولا يمكن لأي عاقل أن ينكره؛ لأنَّه بالبديهيِّ أشبه.

فالحاصل: لا بدَّ أن يقع تعيين الإمام والخليفة من قِبَل الله تبارك وتعالى، فإذا عرفنا هذا فما هي المواصفات التي ينبغي أن يتَّصف بها الإمام؟

وهذا السؤال واسع النطاق؛ إذ هناك من الصفات ماتعجز الأفلام عن ذكرها مع كونها من صفات الإمام، ولكنَّ المهمَّ هنا في هذه المحاضرة بيان صفة مهمَّة يجب أن يتَّصف بها الإمام الخليفة بعد الرسول ﷺ، وهي صفة العصمة التي قد أشرنا إلى تعريفها إجمالاً.

ولنرجع إلى الآية المباركة ولنبحث فيها، ولنرى هل تدلُّ على العصمة أو لا؟ ولودلَّت على العصمة يأتي السؤال الثاني وهو: فيمَن نزلت؟ إلى غير ذلك.

إنَّ التعبير بـ (إنَّما) - والذي يدلُّ عادةً على الحصر - دليل على أنَّ هذه المنقبة خاصَّة بأهل البيت ﷺ، والمقصود من أهل البيت المذكورين في الآية القرآنية هم خصوص أهل بيت النبي ﷺ دون أزواجه ﷺ، لأنَّ كبار علماء العامة قد رووا في غير واحدٍ من صحاحهم، ومنهم أبو داود في صحيحه - على ما ذكره أفذاذ العلماء عنه - أنَّه روى عن أمِّ سلمة زوجة النبي ﷺ: أنَّ هذه الآية نزلت في بيتها قالت: وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله، ألسنت من أهل البيت؟

فقال: «إنَّكَ إلى خير، إنَّكَ من أزواج رسول الله». قالت: وفي البيت رسول الله وعليَّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ فجللهم بكساء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم

الرجس وطهّرهم تطهيراً»، وروي نحو هذا في أكثر كتبهم بطرق متعددة، وغيرها يُوجب التطويل، وإنّ دلالة هذه الآية على عصمتهم ظاهرة لتفسير عامّة المحققين والمفسّرين (الرجس) في الآية بالذنب، ويُراد من (التطهير) الطهارة من السوء والعيب والقبائح.

والظاهر من سياق الآية والأحاديث التعميم لجميع القبائح والأرجاس، والإرادة الواردة في الآية في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾، يراد منها الإرادة التكوينية، بمعنى أنّ الله تبارك وتعالى أذهب عنهم الرجس تكويناً في تكوينهم ﷺ، لا أنّ المقصود هو الإرادة التشريعية، بمعنى يجب عليهم أن يطهّروا أنفسهم؛ وذلك لأنّ هذا الوجوب لا ينحصر بأهل بيت النبي ﷺ لوضوح أنّ كلّ إنسان مكلف بتطهير نفسه، وأنّ المطهّر والمزكّي لنفسه هو المفلح حقيقةً وواقعاً. وأمّا الإرادة التكوينية فهي التي لا تتخلّف عنهم؛ لأنّها خلّقت في تكوينهم بخلاف الإرادة التشريعية، فقد يريد الله تبارك وتعالى التطهير بالإرادة التشريعية، لكن ما أكثر الذين لم يمثلوا لأوامر الله تبارك وتعالى.

إذن، فعصمتهم ثابتة، ومتى ما ثبتت عصمتهم لا يصحّ منهم الكذب؛ لأنّ المعصوم لا تصدر منه المعصية، والكذب معصية، بل من أكبر المعاصي، ومن المعلوم أنّهم ﷺ قد ادّعوا الإمامة فادّعائهم هذا لا بدّ وأن يكون صدقاً وحقاً، وعليه فهم معصومون من الرّجس ومطهّرون من الدنس، وهم الأئمة الهادون المهديون^(١).

وقد يُقال: إنّ الإرادة التكوينية توجب أن يكون ذلك [أي إذهاب الرجس عنهم] جبراً.

والجواب: إنّ المعصومين ﷺ لهم أهلية اكتسابية عن طريق أعمالهم، ولهم لياقة ذاتية ماهوية لهم من قبل الله تبارك وتعالى، يستطيعون من خلالها أن يكونوا أسوة للناس.

وبتعبير آخر: إنّ المعصومين - ونتيجة للرعاية الإلهية وأعمالهم الطاهرة - لا يقدمون على المعصية مع امتلاكهم القدرة والاختيار في إتيانها تماماً، كما أنّنا لا نرى عاقلاً يرفع

(١) أنظر: عين النعيّة؛ ج ١، ص ١٠٠.

جمرة من النار ويضعها في فمه مع أنه غير مُجَبَّر ولا مُكْرَه على الامتناع عن هذا العمل، فهذه الحالة تنبعث من أعماق وجود الإنسان نتيجة المعلومات والاطلاع والمبادئ الفطرية والطبيعية، من دون أن يكون في الأمر جبر وإكراه^(١).

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ بِالرَّغْمِ مِنْ أَتَمَّا وَرَدَتْ ضَمْنِ الْآيَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِنِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا أَنَّ تَغْيِيرَ سِيَاقِهَا - حَيْثُ تَبَدَّلَ ضَمِيرُ الْجَمْعِ الْمُؤَنَّثِ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ - دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالذَّاهِبُونَ إِلَى عَدَمِ اخْتِصَاصِهَا بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اعْتَقَدُوا أَنَّ لَهَا مَعْنًى وَاسِعاً يَشْمَلُ هَؤُلَاءِ الْعِظَامَ مَعَ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَقْصُرُوهَا عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فَحَسَبَ. إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَاتِ الْكَثِيرَةَ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا هِيَ الَّتِي تَبَيَّنَ لَنَا اخْتِصَاصُ هَذِهِ الْآيَةِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ الْخَاصِّينَ، وَلَا تَشْمَلُ نِسَاءَهُ وَلَا تَشْمَلُ حَتَّى أَقَارِبِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ كَانُوا فِي مَسْمَعٍ وَمَرَأَى مِنَ الرُّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ، إِلَّا أَنَّ الْآيَةَ لَا تَشْمَلُهُمْ، وَهَنَّاكَ رَوَايَاتٌ عَدِيدَةٌ قَدْ تَصَلَّ إِلَى حَدِّ التَّوَاتُرِ ذُكِرَتْ فِي مَصَادِرِ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً فِي أَنَّ الْآيَةَ خَاصَّةٌ بِالنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

فَقَدْ رَوَى الثَّعْلَبِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا عِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ حَرْبِ الْجَمَلِ وَتَدَخُّلِهَا فِي تِلْكَ الْحَرْبِ الْمَدْمُورَةِ الطَّاحِنَةِ، قَالَتْ بِأَسْفٍ: كَانَ ذَلِكَ قِضَاءَ اللَّهِ، وَعِنْدَمَا سُئِلَتْ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَتْ: تَسْأَلُنِي عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَزَوْجِ أَحَبِّ النَّاسِ كَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَوْبٍ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَّتِي، فَادْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا مِنْ أَهْلِكَ! قَالَ: «تَنْحِي فِئَتَكَ إِلَى خَيْرٍ».

وهنا سؤال يُلفت النظر وهو: ماهو الهدف من جمعهم تحت الكساء؟ والجواب هو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُجَدِّدَ هَؤُلَاءِ وَيَعْرِفَهُمْ تَمَامًا، وَيَقُولُ: إِنَّ الْآيَةَ أَعْلَاهُ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ

خاصّة؛ لثلا يرى أحدٌ أو يظنّ ظانٌّ أنّ المخاطب في هذه الآية كلّ من تربطه بالنبيّ ﷺ قرابة، وكلّ من يُعدّ جزءاً من أهله، حتّى جاء في بعض الروايات أنّ النبيّ ﷺ بقي ستّة أشهر بعد نزول هذه الآية يُنادي عند مروره من جنب بيت فاطمة عليها السلام وهو ذاهب إلى صلاة الصبح: «الصلاة يا أهل البيت، إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». فإنّ تكرار هذا الأمر ستّة أشهر، أو أكثر من ذلك بصورة مستمرة إنّما هو لبيان هذه المسألة تماماً وإتماماً للحجّة، كما هو الحال في وضعهم تحت الكساء؛ حتّى لا يبقى مجال للشكّ لدى أيّ شخص بأنّ هذه الآية نزلت في شأن هؤلاء النفر فقط، خاصّة وأنّ الدار هذه هي الوحيدة التي بقي باؤها مفتوحاً إلى داخل المسجد بعد أن أمر الله نبيه بأنّ تغلّق جميع أبواب بيوت الآخرين، هي دار فاطمة عليها السلام، ولا شكّ أنّ جماعة من الناس كانوا يسمعون ذلك القول من النبيّ ﷺ حين الصلاة^(١).

ومع هذا كلّهم اعتدوا على أهل بيت الوحي والعصمة والطهارة بعدما فارق النبيّ ﷺ الدنيا، فجرت عليهم المصائب واحدة تلو الأخرى، هجموا على تلك الدار التي كان يوصي بها النبيّ وأحرقوها إلى أن اعتدوا على من فيها.. ومن فيها؟! فيها عليّ المرتضى، فيها فاطمة الزهراء، فيها الحسنان، هؤلاء بعدما فقدوا تلك الشمعة التي كانت تضيء لهم دارهم، في مثل هذه الليلة دار أمير المؤمنين عليه السلام - وهي خالية من فاطمة الزهراء عليها السلام - في الكوفة تضجّ بالعويل والبكاء، أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أولاده وشيعته بوصايا عديدة، إلى أن اشتدّ عليه الألم، وتزايد ولوج السّم في جسده الشريف، حتّى نُظر إلى قدميه وقد احترتا فكبُر على أهل بيته ذلك، ويئسوا منه، ثمّ أصبح ثقيلاً، فدخل النَّاسُ، أمرهم ببعض الأوامر، ونهاهم عن بعض المناهي.

ثمّ عُرض عليه الأكل والشرب فأبى أن يأكل أو يشرب، فنظرنا - يقول مُحَمَّد بن الحنفية - إلى شفّتيه وهما يختلجان بذكر الله، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه.

(١) تيسير الألفاظ: ج ١ ص ٢٠٠.

ثُمَّ نادى أولاده صغيراً وكبيراً بأسمائهم، وجعل يُودّعهم واحداً واحداً، وهو يقول: «الله خليفتي عليكم أستودعكم الله» ثُمَّ نادى أبا مُحَمَّد الحسن عليه السلام وقال: «أوصيك بأبي عبد الله خيراً، فأنتما مني وأنا منكم».

ثُمَّ قال: «وعليكم السلام يارسل ربّي، لمثل هذا فليعمل العاملون». وما زال يشهد الشهادتين، ثُمَّ استقبل القبلة وغمّض عينيه، ومدّ رجله، وأسبل يديه، ثُمَّ قضى نحبّه، فعند ذلك صرخت زينب (أم كلثوم) وجميع نسائه وعياله، فعلم أهل الكوفة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قضى نحبّه، فأقبل الرجال والنساء أفواجا، وصاحوا صيحةً عظيمةً، ارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب، تغيّر الأفق وارتجت الأرض، وسمع الناس جلبةً وتسييحاً وبكاءً في السماء، فعلموا أنّها أصوات الملائكة، وصار ذلك اليوم كيوم مات فيه الرسول^(١).
وكأنّي بزینب عليها السلام تتّجه إلى المدينة:

يُجِدِّي لوتحي والوالده اويّاك	او تعصّب كون راس الولي ايمنّاك
بلّجت من يشوفك صاحب الواك	ترد روحه وتغر بيكم اعيونه
تركب ناكتك ورخي صرعها	او جيب الوالده الكسروا ضلعها
ابن عمّك الويلاده جمّعها	يودّعهم او همّه يودّعونّه
تون زينب وهي تندب ابجدّها	وتسيل العين من شدّة وجدّها
نوب اونوب بس تصفج بيدها	او تنادي اهنّا يشايل نعش أبونّه
دريّض خل نودع راعي الزود	اوننشده ايعود يولا بعد ميعود
اوتراهي تگوم بس تخمش بالحدود	وتنادي ريت كلنّه انموت دونّه

(١) أنظر: بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٢٩١، ج ٢٩١.

أبو حَسَنِ مَاتَمَّ أَصِيَامَهُ أَجَهَ الْعِيدَ وَوَلَادَهُ يَتَامَهُ
 أَبْعِيدَ الْبَلَهَ يَاحَارِسَ الدِّينِ يَمْلَفُهُ الْأَرَامِلَ وَالْمَسَاكِينَ
 مَنْ بَعْدَكَ يَبُونَهُ أَوْجُوهُنَا وَيَنْ يَأْعِيدُ الْكَشَرَ عَالُمُ السَّلَامِينَ

حملوا أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مثواه الأخير - بأبي هو وأُمِّي - هذا وزينب تنظر إلى ذلك
 الموقف العظيم وكأنَّيها:

مدري اشلون شالوا صعب المراس حسن واحسين ومحمد او عباس
 زينب واجفه او صاحت يها الناس نعشمن هالنعش هالجاي ليّه
 نعشمن هالنعش هالشايلىنه اشوفن كلّ إخوتي حافينّه
 غالوا هذا حيدر چاتلىنه بچت ويلى او هوت فوگ الوطيّه
 ريته ايشوفهه حيدر ايباحال يوم الي مشت من فوگ الجمال
 وأبو السجاد ظل مرمي على الرمال وهيه احيّره بين آل أميّه

تدْعُو فتحترقُ القلوب كأنَّما يرمي حشاها جَمْرَه من فيها^(١)

(١) من يزور شيخ الإسلام الأديب محمد سعيد بن عبد العزيز (رحمه الله).

الحاضرة
الخامسة



فَضَائِلُ أَهْلِ الْبَيْتِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ



مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الزَّمَانُ عَتَابَا
دهرٌ تعامى في هُداه كَأَنَّهُ
نكصوا على الأعقاب بعد مماته
سَلَّ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ يَشْهَدُ فِيهِمْ
فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا حُجًّا وَلَا
وَبَخِيرَ مَنْ رَاحَ يَرِفُلُ بِاللَّوَا
وَمَنْ اشْتَرَى إِلَاهَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ
مَنْ فِي الصَّلَاةِ يَرَى الصَّلَاتِ فَرِيضَةً
مَنْ بَابُ حِطَّةٍ غَيْرُ حِيدَرَةٍ وَمَنْ
وَعَجِبْتُ مِمَّنْ أَخْرَوْا مَقْدَامَهُمْ
نَسَبُوا لَهُ هَجْرًا لَحَذَفَ كِتَابَهُ
مَا كَانَ يَنْطِقُ عَنْ هَوَاهُ وَإِنَّمَا
وَأَمْضَى مَا يَدْمِي الْفُؤَادُ مِنَ الْأَسَى
لَمَّا عَلَى بَيْتِ النَّبِوَّةِ أَجْلَبُوا
يَا بَابَ فَاطِمَ لَا طُرُقَتِ بِخَيْفَةٍ
أَوْ لَسْتُ أَنْتَ بِكُلِّ آتٍ مَهْبِطٍ
أَوْهَاً عَلَيْكَ أَمَا اسْتَطَعْتَ تَصَدِّمَهُمْ
نَفْسِي فَذَاكَ أَمَا عَلِمْتَ بِفَاطِمٍ
أَوْ مَا رَقَّقْتَ لَضَلْعِهَا لَمَّا انْحَنَى
أَوْ مَا دَرَى الْمَسَارُ حِينَ أَصَابَهَا

وَمَقَرَّعٌ مَنِّي لَهُ أَعْتَابَا
أَصْحَابُ أَحْمَدَ أَشْرَكُوا مُذْ غَابَا
سَيَرُونَ فِي هَذَا النُّكُوصِ عَقَابَا
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْقَهُ لَذَاكَ خَطَابَا
بَذْرًا وَلَا أَحَدًا وَلَا الْأَحْزَابَا
مَنْ قَدْ مَرَّحَبَ سَيْفُهُ وَأَصَابَا
فِي نَفْسِهِ لَمَّا دُعِيَ فَأَجَابَا
مَنْ نَالَ خَاتَمَهُ الشَّرِيفُ جَوَابَا
لِمَدِينَةِ الْمُخْتَارِ كَانَ الْبَابَا
بَعْدَ النَّبِيِّ وَقَدَّمُوا الْأَذْنَابَا
فَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كِتَابَا
وَحْيٍ تَلَقَّاهُ النَّبِيُّ خَطَابَا
وَيَذِيبُ مَنْ صَمَّ الصَّخُورَ صَلَابَا
ظُلُمًا كَأَنَّ هُتَمَ بِذَاكَ طِلَابَا
وَيَدُ الْهُدَى سَدَلْتُ عَلَيْكَ حِجَابَا
الْأَمَلَاكِ فِيكَ تُقَبَّلُ الْأَعْتَابَا
لَمَّا أَتَاكَ بَنُو الضَّلَالِ غَضَابَا
وَقَفْتَ وَرَاكَ تَوَيَّخَ الْأَصْحَابَا
كَسْرًا وَعَنْهُ تَزَجَّرُ الْخَطَّابَا
مَنْ قَبْلَهَا قَلَبَ النَّبِيُّ أَصَابَا

عتبي على الأعتاب فيها محسنٌ مُلقيٌ وما انهالت عليه تُراباً^(١)

يا باب فاطم أم الأطياب	السدلت عليك إيد الهدى إحجاب
موش إته لبكل حين يا باب	أملاك السما إتقبّل الأعتاب
منك اوطن كاصدك ماخاب	إلك شان بيه يا باب تنهاب
بيت أرد انشدك واسمع اجواب	اعليك اشجرة او مترد الأصحاب
الكصدوك حين المصطفى غاب	او كفروا برّبهم مثل الأحزاب
واتجسروا على الطهر الذناب	او كسروا ضلعها كسر ما طاب
او محسن سگط من هاي الأسباب	وَوطن مادره المسهار مَن صاب

صدرها لعد گلب النبي صاب

(١) القصيدة تنسب لشيخنا محمد حسن سليم رحمته الله، قال عنه في ذنب الطلعة: ج ٩ ص ٢١ . . .

«أسرة آل سليم . استهرت بهذا اللقب لأن جدنا سميع بن خميس بن نصار بن حافظ سليم نزعاً في بني لام بن منرج بن سلفان بن نصير أمير بني لام . حيث نزع من السام جدودسة ٢٠٢ هـ وأسر منيحة بني لام في ذاء الغمارة (ميسر) فأعتق حافظ وهو لقب ولد بن نصار زحمر وفيهما : عمته بني لام . وفي أسرة آل سليم . اليوم . علماء وأدباء وحفويون . وكان المترجم له علم الأسرة وعلمها لما يتحلّى به من فضل وأدب ومجاهد مضاعف إلى ديانتته ووطنه . وطيب سريرته وحسن سيرته يتحلّى بأبنا . وسهم . ويعتبر بقوميته وعزّيته لا عن عصبية . . . وقد سنة ١٣٧٩ هـ . كما ترجم له الحفاني في شعراء نوري . وذكر جملة من تروى ونسبوا . وأهم الأهل في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ . وكان لمعد رقة أسند على عازميد . وأتته بصعدة من الشعراء سليم انخضب الشيخ محمد علي . يعطوي بقصيدة عامرة كان مطلعها :

أيسر قد فطنت أبا انجوا
هنا انجوا أنت ولا ليجوا

والمترجم له قصيدة في زعماء عاتمة است النبي صلى الله عليه وسلم جد في أوتها :

من مبعثي لروان عذابا
ومقرع مني نه أبوابا

لا انت أردف في النجائل القاطمية . فنداء ملك برحمتك وأسكنك مسج جناحة .»

(أبودية)

لبست الحزن طول العمر يلباب ذهيل اوما بگتلي أفكار يلباب
أنشدك وين محسن سگط يلباب يوم العصوروا الزهره الزجيه

قال رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «واعلم يا أبا ذر، أن الله ﷻ جعل أهل بيتي في أمّتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله كان آمناً»^(١).

وصية النبي الأكرم ﷺ رواها الشيخ أبو علي الطبرسي رحمته الله في كتاب مكارم الأخلاق مسنداً^(٢)، ورواها أيضاً العالم الكامل الشيخ ورام بن أبي فراس في مجموعته الأخلاقية المسماة (مجموعة ورام) أو (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر)^(٣)، ووردت مقاطع منها في طيّات بعض الكتب المطوّلة والمختصرة^(٤)، وعُلّقت عليها عدّة تعليقات، وشُرّحت بأفضل ما شُرّحت به وبقلم خير نحير ألا وهو حبر الشيعة العلامة الشيخ المجلسي رحمته الله، صاحب الموسوعة القيّمة بحار الأنوار، وطُبعت - بعد ترجمتها من الفارسية إلى العربية - بمجلدين^(٥).

يقول الراوي: دخلت على أبي ذر رضي الله عنه فحدثني أبو ذر قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده، فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول الله ﷺ وعلي إلى جانبه، فاغتنمتُ خلوة المسجد، فقلت: يا رسول الله،

(١) من وصية النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه، راجع عن الحياة، ج ١، ص ٢١٤.

(٢) منظوم الأخلاق، ص ٥٨ - ٦١.

(٣) تنبيه الخواطر، ج ٢، ص ٥٦ - ٥٩.

(٤) أنوار بحار الأنوار، ج ١، ص ٥٣ - ٥٦، ج ٣.

(٥) سمع هذا نثر: عن طبعة طبعة جماعة المدرّسين بقم المقدّسة.

بأبي أنت وأُمِّي، أو صني بوصية ينفعني الله بها. فقال: «نعم وأكرم بك يا أبا ذرّ، أنت منّا أهل البيت، وإنّي موصيك بوصية فاحفظها، فإنّها وصية جامعة لطرق الخير وسُبُلّه، فإنّك إن حفظتها كان لك بها كفلان...». وبدأ النبيّ الأعظم ﷺ، وأول ما بدأ به - بأبي هو وأُمِّي - أن أوصى أبا ذرّ بالعبودية، قال له: «يا أبا ذرّ، اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنّه يراك».

ثمّ بدأ بذكر وصايا عديدة في فضل التوحيد والصلاة وأمور أخرى، إلى أن يصل الدور ليوصي النبيّ الأعظم ﷺ أبا ذرّ بالتمسك بأهل البيت ﷺ فقال ﷺ لأبي ذرّ الغفاريّ: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل أهل بيتي في أُمّتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق»، هذا هو المقطع الأول من الوصية.

والمقطع الثاني: «ومثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله كان آمناً».

أما المقطع الأول: فشبه النبيّ الأكرم ﷺ أهل بيته بسفينة نوح، فما هو الوجه في ذلك التشبيه، وما هي العلاقة بين أهل البيت ﷺ وسفينة نوح (على نبينا وآله وعليه السلام)؟
الجواب: إنّ العلاقة بين أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ وسفينة نوح ﷺ وثيقة للغاية؛ إذ الطوفان المستوعب لجميع سطح الأرض لا يفرق بينه وبين الطوفان العقائدي الخاطيء، والنجاة غير موقوفة على سفينة من الخشب والحديد، والخلاص من كلّ طوفان بحسبه، فالطوفان الذي حصل بالماء يُمكن النجاة منه بالركوب في سفينة من خشب وحديد، وأمّا الخلاص من العقاب الأخروي والخلاص من الضلال، بل النجاة الحقيقية لا تتحقق إلّا بالركوب في سفينة النجاة، فما أحسن أن تكون هذه السفينة ديناً يُقوّم السلوك! ويهب الحياة الطيبة، ويُقاوم الأمواج والأفكار الانحرافية، ويوصل أتباعه إلى ساحل النجاة، وعلى هذا الأساس وردت روايات كثيرة عن النبيّ ﷺ في مصادر المسلمين تعبّر عن أهل بيته - وهم الأئمة الطاهرون وحملة الإسلام - بأنّهم (سفينة النجاة).

يقول حنش بن المغيرة: وأبو ذرٍّ أخذ بحلقة باب الكعبة، وهو يقول: أنا أبو ذرٍّ الغفاري، مَنْ لم يعرفني فأنا جُنْدُبُ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا»، وفي الوصية التي افتتحنا بها المحاضرة: (وَمَنْ رَغِبَ عَنْهَا غَرِقَ). فهذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُبَيِّنُ بصراحة: أَنَّهُ حين يطغى الطوفان الفكري والعقائدي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي، فإنَّ طريق النجاة الوحيد هو الالتجاء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام دون المذاهب التي اصطنعتها السلطات التي لا علاقة لها بأهل البيت عليهم السلام لا من قريب ولا من بعيد^(١).

فسفينة نوح لم تكن سفينة عادية، ولم تنته بسهولة مع وسائل ذلك الزمان وآلاته؛ إذ كانت سفينة كبيرة تحمل بالإضافة إلى المؤمنين الصادقين زوجين اثنين من كلِّ نوع من الحيوانات، وتحمل متاعاً وطعاماً كثيراً، يكفي للمدة التي يعيشها المؤمنون والحيوانات في السفينة حال الطوفان، ومثل هذه السفينة بهذا الحجم وقدرة الاستيعاب لم يسبق لها مثيل في ذلك الزمان، فهذه السفينة ستجري في بحر بسعة العالم، وينبغي أن تمر سالمة عبر أمواج كالجبال فلا تتحطم بها^(٢).

وهكذا أهل البيت عليهم السلام فسفيتهم واسعة جداً، وستجري إلى يوم البعث والنشور في بحر هو العالم، ولا بُدَّ أن تبقى سالمةً مهما كَلَّفَ الأمر؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى متمَّ نوره ولوكره الكافرون والمعاندون والمنحرفون وجميع تيارات العالم، بل أكثر من ذلك أنَّ سفينة نوح، النجاة فيها نجاةٌ من الموت وسفينة أهل البيت عليهم السلام النجاة فيها من الموت الروحي والعقائدي إلى الحياة الخالدة الأبدية، فهم عليهم السلام كسفينة نوح من جهة النجاة، إلَّا أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين النجأتين وبين السفيتتين.

(١) انظر: تفسير «المعاني»: ج ٦، ص ١٢٥، مع تصريف في العبارة.

(٢) تفسير «المعاني»: ج ٦، ص ١٢٥.

ومن هنا فيمكن تلخيص وجه الشبه بين سفينة نوح وبين سفينة نجاة أهل البيت عليهم السلام بأمور:

الأول: إنَّ نبيَّ الله نوحاً (على نبينا وآله وعليه السلام) كان - عندما يصنع السفينة - موضع استهزاء من القوم، والسخرية به وبأصحابه، وذلك ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(١)، وكذا في سفينة نجاة أهل البيت عليهم السلام، ففي الزمان الغابر إلى يومنا هذا يستهزئ مَنْ ليس من شيعتهم بهم وبشيعتهم، فهذا وجه شبه بين سفينة نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) وسفينة أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: التهديد بالعذاب والسخط الإلهي لكلِّ مَنْ لم يركب سفينة نوح، وهكذا التهديد بالعذاب والسخط الإلهي لكلِّ مَنْ لم يعتقد بسفينة أهل البيت عليهم السلام، ولم يركب معهم ويسير على نهجهم وطريقتهم، فكما أنَّ الله تبارك وتعالى ابتلى المعاندين الذين لم يركبوا مع نوح عليه السلام في سفينته بالطوفان، فكذلك سوف يُعَذَّب الله تبارك وتعالى المعاندين الذين لم يهتدوا بهدى أهل البيت عليهم السلام.

الثالث: أنَّ سفينة نوح عليه السلام جرت فيهم في موجٍ شبهه الباري عز وجل بأنَّه كالجبال لعظمته، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾^(٢).

وكذا الاعتصام والركوب في سفينة أهل البيت عليهم السلام، فهي تجري في أمواج كالجبال من الزخارف والاعتقادات الباطلة إلى ما شابه، ذلك فلا يستغرينَّ أحدُ المهالك والمزالق التي يتعرَّض إليها، وهو موالٍ لأهل بيت العصمة والطهارة.

الرابع: إنَّ مَنْ لم يركب في سفينة نوح - كابنه مثلاً وغيره - لا ينفعه لاجبَل ولا شيء آخر، فمصييره إلى الهلاك والعذاب الأخرى حتَّى ولو كان من ذرية نفس صاحب الرسالة والدعوة.

(١) عبـد: - يـفـ: ٢٠٠.

(٢) عبـد: - يـفـ: ٢٠٠.

قال تعالى - على لسان ابن نوح عليه السلام عندما قال له: ﴿يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا﴾^(١) -: ﴿قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، قال نوح عليه السلام: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ^(٢) وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾^(٣).

وهكذا من لم يتمسك بأهل البيت عليهم السلام ولم يركب سفيتهم، لا تنفعه جبال رضوى، ولا عقائد أهل نجد، أو غير ذلك، فالنجاة من الطوفان بالركوب في سفينة نوح عليه السلام، والنجاة من الضلال في الدنيا والعذاب في الآخرة في ركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام.

الخامس: إن الشفاعة لا تنفع العاصين الذين لم يركبوا في سفينة نجاة نوح عليه السلام ولو كان من ذرية الداعي والمرسل، وإنما الشفاعة تنفع العاصين الذين تمسكوا بنوح وركبوا في سفينته، فهم حيث لم يكونوا معصومين كانت الشفاعة لهم ولأمثالهم من المؤمنين العاصين - إن كانوا قد عصوا - وأمّا أمثال ابن نوح نفسه فلا تنفعه الشفاعة؛ لأنه لم يتمسك بأبيه عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَكَلَّمْ لَهُ إِنْ يَدْعُكَ^(٤) أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٥).

وهناك تأملات أخرى تركناها للاختصار.

هذا كله في المقطع الأول من الوصية، وهو تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام.

وأما المقطع الثاني من الوصية: وهو التشبيه بكونهم عليهم السلام ك(باب حطة) في بني إسرائيل، فقد أشار إليه القرآن الكريم في سورة البقرة، حيث قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا أَبْابَ سُجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾^(٦)، وفي الرواية معنى حطة أي: حطّ عنا.

(١) حديد - ينفذ :-

(٢) حديد - ينفذ :-

(٣) حديد - ينفذ :-

(٤) البقرة - ينفذ :-

أي: اغفر لنا^(١). ولا نطيل في هذا المقطع للتشابه بينه وبين المقطع الأول.

ووجه التشابه هو: إِنَّ النجاة كُلَّ النجاة في التمسك بأهل البيت عليهم السلام، فبنو إسرائيل كانت معاصيهم المتراكمة قد ازدادت فأرادوا تكفيرها، وذلك بعد التيه الذي امتد بهم مايقارب أربعين سنة، فأمرهم الله أن يدخلوا باب قرية أريحا، ويقولوا: اللهم اغفر لنا، وخطّ عنا ذنوبنا. فدخل بعضهم من غير هذا الباب، وقال بعض غير هذا القول، فقالوا: حنطة بدلاً عن حِطّة، فخالفوا فابتلاهم الله تعالى بالطاعون.

ثمَّ إِنَّ هذين التشبيهين البليغين قد تواترا في أحاديث المسلمين، وهذا يدل على وجوب الانقياد والتسليم لأهل البيت عليهم السلام في كل شيء وعدم مخالفتهم، ولكن ابتلي أهل البيت عليهم السلام بالناس.

ومن هنا روي بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «بلية الناس عظيمة، إن دعوناهم لم يحييونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»^(٢) فباب حِطّة بني إسرائيل هو باب قرية أريحا، وأما باب حِطّة المسلمين فهو أهل البيت عليهم السلام.

روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «نحن باب حِطّكم»^(٣)، هذا ما سمعته من فضائلهم عليهم السلام وهم باب حِطّة ولا بدّ وأن يأتيهم كل إنسان ليدخل إليهم، ولكن القوم خلاف ذلك، فبدل أن يدخلوا باب أهل البيت عليهم السلام؛ ليحطّوا ذنوبهم جاؤوا بالخطب ووضعوه على باب دار علي وفاطمة، وهي قاعدة خلف الباب قد تحلّ جسمها في وفاة

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٢٩.

(٢) أمالي شيخ الصديق: ص ٧٠، ج ٤. كنز العمال: ص ١٦٧. بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٩، ج ١ ص ١١٤.

(٣) تفسير النجاشي: ج ١ ص ٤٥، ج ٥٦. تفسير جوامع الجامع: ج ١ ص ١٠٤. تفسير مجمع البيان: ج ١ ص ٢٢٩. تفسير نور الثقلين: ج ١ ص ٨٢، ج ٢١٢. تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٢١. تفسير كنز الدقائق: ج ١ ص ٢٤٥. بحار الأنوار: ج ١ ص ١٠٤، ج ٢ ص ٢٢٢، ج ٢ ص ٢٢١. تفسير المياني.

رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مُعَصِّبَةُ الرَّأْس، فأقبل عُمرَ حَتَّى ضَرَبَ الباب، ثُمَّ نادى يا بن أبي طالب افتح الباب. فقالت فاطمة عليها السلام: «يا عُمر، ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟!» قال: افتحي الباب وإلا أحرقناه عليكم. فقالت: «يا عُمر، أما تتقي الله عز وجل، تدخل علي بيتي وتمجم علي داري؟!» فأبى أن ينصرف، ثُمَّ دعا عُمر بالنار فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثُمَّ دفعه فاستقبلته فاطمة وصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله»، فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها^(١). رحم الله الشيخ الأصفهاني حيث قال في الأنوار القدسية:

وآيَةُ النُّورِ عَلَى مَنَارِهَا	أُضْرمَ النَّارُ بِيَابِ دَارِهَا
وَبَابُ أَبْوَابِ نِجَاةِ الْأُمَّةِ	وَبَابُ بَابِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ
وَمِنْ وَرَائِهِمْ عَذَابُ النَّارِ	مَا اكْتَسَبُوا بِالنَّارِ غَيْرَ الْعَارِ
تُطْفِئُ نَوْرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا	مَا أَجْهَلَ الْقَوْمَ فَإِنَّ النَّارَ لَا

لكنَّ الأدهى من هذا كله والأصعب، والأمر على قلب كل غيورٍ قوله صلى الله عليه وآله أيضاً:

إِلَّا بِصِمَامٍ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ	لكنَّ كسر الضلع ليس ينجبر
رَزِيَّةٌ مِثْلُهَا رَزِيَّةٌ	إِذْ رُضُّ تِلْكَ الْأَضْلَعِ الزَّكِيَّةِ
شُلَّتْ يَدُ الطَّغْيَانِ وَالتَّعَدِّي ^(٢)	وَجَاوَزُوا الْحَدَّ بِلَطَمِ الْخَدِّ

فاستعبرت باكية من شدة ألمها وعظم اهتظامها:

أَوَيْهَا هَوَالِي يَشْـَـحْنِي	عَدَمَنْ أَشْتَجِي هَمِّي
يَحِيدِرْ وَأَنْطَفَتْ عَيْنِي	وَأَنَّهُ ضَلَعِي انْكَسَرَ بِالْبَابِ
وَتَبَاوَعَ الْمُتَنِينِي	تَعَالَ أَنْظِرْ بَدْيَهُ أَشْـَـحَارِ

(١) كتاب سليم بن قيس، ج ١، ص ١٠٦، بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٠٣.

(٢) الأنوار القدسية، ص ٢٠٠.

(بحراني)

ياليت عينك شاهدتني وشافت اشصار

يا والدي امن اختارك الواحد القهار

هجموا اعلي ونبتوا بالصدر مسمار

واسياط قنفذ اثرت بمتوني ارسوم

بنْتُ مَنْ؟ أُمُّ مَنْ؟ حَلِيلَةُ مَنْ وَيْلٌ لِمَنْ سَنَّ ظُلْمَهَا وَأَذَاهَا

جَرَّعَاهَا مِنْ بَعْدِ وَالدَّهَا الْغِيْظَ مَرَاراً فَبُسَّ مَا جَرَّعَاهَا

الحاضرة
السادسة



الأصطفاء



إِنَّ قَيْلَ حَوًّا قَلْتُ فَاطِمُ فخرُها
 أفهل لحوًّا والدُّكُمحمد
 كُلُّ لها عندَ الولادة حالة
 هذي لنخلتها التجت فتساقطت
 ولدت بعيسى وهي غيرُ مَروعةٍ
 والى الجدارِ وصفحةِ البابِ التجت
 سقطت وأسقطت الجنينَ وحوها
 هَذَا يُعْتَفُّهَا وذاك يَدْعُهَا
 وأمامها أسدُ الأسود يقوده
 ولسوف تأتي في القيامة فاطم
 ولترفعنَ جنيها وحينها
 أو قيل مريم، قلت: فاطمُ أفضلُ
 أم هل لمريمَ مثلُ فاطمَ أشبُلُ
 فيها عُقولُ أولي البصائر تذهلُ
 رُطباً جنيّاً فهي منه تأكلُ
 أتى وحارِسُها السَّريُّ الأَبْلُ^(١)
 بنتُ النبيِّ فأسقطت ماتحُمِلُ
 من كلِّ ذي حَسَبٍ لئيمٍ جحفِلُ
 ويردُّها هذا وهذا يرْكُلُ
 بالحبلِ قَنْفُذُهل كهذا معْضَلُ
 تشكو إلى ربِّ السَّماءِ وتُعَوِّلُ
 بشكايةٍ منها السما تنزلزلُ^(٢)

(١) تنص: ها جبرائيل عليه السلام.

(٢) انقصية للشاعر محمد الحويضي الحائري المعروف بلقب (الحاج) عليه السلام. قال عنه في أدب العلماء:

ج. ص. ٥ - ٥٧: «الشيخ محمد حبيب بارز وشاعر واسع الأفق غصب النحيان. ولد سنة ١٢٢٤ هـ بسبأ بادية أبيه وتربته. وتحدث من أسرة عربية تُعرف بأل نبي الحب. وتمت بسببها إلى قبيلة حاتم. وتدرج على نظم الشعر ومحافل الأدب وسرقات العلم. ولا سيما ومجالس أبي انشهيد. مدرّس ميارة. وهي من أفخم الوسائل لنشر الأدب وفرض الشعر. فقد جاء في يوم الحسين عليه السلام من الشعر والحطب ما يتعلّق على الأدياء والعقيد. فأدب جمعه أو الإضافة له. وغامرنا بسبح محمد نظم هاجد. وأكثر من الوجد والبقاء على سيد انشهيد عليه السلام. وصيّر بضوئه نهجاً. اعلم تصويره شعرياً لا أنت الأدب. ومجالس الغناء تترنّفه وتستعيد وتشرق... توفي ليلة الاثنين ٢ من القعدة عام ١٣١٤ هـ. ودفن في الروضة الحسينية المقدسة إلى جوار مرقد السيد إبراهيم الحجاب».

(موشح)

یافارس بدر وحنین ویوم الحرب فتاک
تصبر یا علیّ چندوب صبرک عجب الأملاک
صبرک عجب المخلوگ وأملاک السمه کلها
وامصیتک یا کرار ما من نبی الیحملها
من جاک الرجس للدار اونیتہ ابنار یثعلها
ما هابک یو الحسنین وانتہ محمد الیدناک
من یدناک یابو احسین وأنت الطوّعیت الجن
لاجن العجب تصبر اوتسمع بالزچیه إتوّن
بین الباب والحايط عصرها وأسگطت محسن
اورض اضلو عها الطاغي اوروعها ولا رعاک
وکافی بها:

تصحیح ایصوت یافضّه تعالی
انکسر ضلعي اووگع محسن الغالی
یفضّه اویاچ خل زینب تجیني
یفضّه اوفوگ هذا اصواب عیني
ومن الباب شوفي إشجره إیحالی
یفضّه اوبعد صدري انصاب مسمار
تشوف اشصار وتوّن إلونیني
هضمني أكثر من الی علی صار

قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(۱).

الاصطفاء في اللغة هو: أخذ صفوة الشيء وتخليصه مما يُكدره، فهو قريبٌ من معنى الاختيار^(١).

تقول الآية: إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ جَمِيعًا، وهذا الاختيار قد يكون اختياراً تكوينياً، وقد يكون اختياراً تشريعياً، والاختيار التكويني بمعنى أَنَّ اللَّهَ قد خلق هؤلاء مُنْذُ الْبَدْءِ خَلْقًا مَتَمِّزًا وَإِنْ لم يكن في هذا الامتياز ما يجبرهم على اختيار طريق الحق، بل إنَّهم بملء اختيارهم وحرية إرادتهم اختاروه، غير أَنَّ ذلك التميّز أعدَّهم للقيام بهداية البشر، ثُمَّ على أثر إطاعتهم أوامر الله والتقوى والسعي في سبيل هداية النَّاسِ نالوا نوعاً من التميّز الاكتسابي الذي امتزج بتميّزهم الذاتي فكانوا من المصطفين.

وتُشير الآية أيضاً إلى أَنَّ هؤلاء المصطفين كانوا من حيث الإسلام والطهارة والتقوى والجهاد في سبيل هداية البشر متشابهين، كمثّل نُسخٍ عدّة من كتاب واحد يقتبس كُلٌّ من الآخر؛ ولذا قالت الآية بعضها من بعض^(٢).

وهنا يُطرح سؤال وهو: ما هو الوجه في اصطفاء مَنْ ذُكر في الآية وهم: ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ أو ليس الأنبياء جميعهم قد اصطفاهم الله تبارك وتعالى، فما هو الوجه؟ أو قل: ما هي العلة في ذكر هذه الثلّة العظيمة من هؤلاء ﷺ؟

ويمكن الجواب عن هذا السؤال بأن يُقال: إِنَّ الآية ليست بصدد ذكر جميع الذين اصطفاهم الله، بل تُعدّد بعضاً منهم، فإذا لم يكن بعض الأنبياء من بين هؤلاء، فلا يعني ذلك أنَّهم ليسوا مصطفين.

ثُمَّ إِنَّ (آل إبراهيم) يشمل موسى بن عمران ونبيّ الإسلام والمصطفين من أهله

(١) تفسير الميراث: ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) تفسير الأنبياء: ج ٢ ص ٦١٠، ٦١٢.

أيضاً؛ لأنهم جميعاً من (آل إبراهيم)، وفي نفس الوقت لا يعني ذلك اصطفاء آل إبراهيم بجمعهم؛ إذ يُحتمل أن يكون بينهم حتى من الكفار، إنَّما المقصود هو (بعض) من آل إبراهيم وآل عمران^(١).

ثم إنَّ هؤلاء قد تميَّز كلُّ منهم بخصوصيات لم يوجد بعضها في سائر الأنبياء ﷺ، فأما آدم فقد اصطفى على العالمين بأنَّه أوَّل خليفة من هذا النوع الإنساني جعله الله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢)، وأوَّل مَنْ فتح به باب التوبة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اجْنِبْهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾^(٣) وأوَّل مَنْ شَرَّع له الدين، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾^(٤)، فهذه أمورٌ لا يُشاركه فيها غيره، ويالها من منقبة له ﷺ!

وأما نوح ﷺ فهو أوَّل الخمسة أوَّلِي العزم، صاحب الكتاب والشرعة، كما أنَّه الأب الثاني لهذا النوع، وقد سلَّم الله تعالى عليه في العالمين، إذ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾^(٥).

ثمَّ ذكر سبحانه وتعالى آل إبراهيم وآل عمران من هؤلاء المصطفين، والآل خاصَّة الشيء، وأمَّا آل إبراهيم، فالظاهر منه أنَّهم الطيِّبون من ذرِّيته كإسحاق وإسرائيل والأنبياء من بني إسرائيل وإسماعيل والطاهرين من ذرِّيته، وسيدهم مُحَمَّد ﷺ والمملحون بهم في مقامات الولاية، إلَّا أنَّ ذكر آل عمران مع آل إبراهيم يدلُّ على أنَّه لم يستعمل على تلك السعة.

(١) تفسير الثموني، ج ٢، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) البقرة، آية ٢٨.

(٣) طه، آية ١٢٢.

(٤) طه، آية ١٢٣.

(٥) نجات، آية ١٠٧، ١٠٨.

فالمراد بآل إبراهيم هم الطاهرون من ذريته من طريق إسماعيل، والآية ليست في مقام الحصر، فلا تنافي بين عدم تعرّضها لاصطفاء نفس إبراهيم واصطفاء موسى وسائر الأنبياء الطاهرين من ذريته من طريق إسحاق، وبين ما تثبتتها آيات كثيرة من مناقبهم وسمو شأنهم وعلو مقامهم؛ فإنّ إثبات الشيء لا يستلزم نفي ما عداه.

وأما آل عمران، فالظاهر أنّ المراد بعمران أبو مريم، كما يُشعر به تعقيب هاتين الآيتين بالآيات التي تذكر قصّة امرأة عمران، ومريم ابنة عمران، وقد تكرّر ذكر عمران أبي مريم باسمه في القرآن الكريم، ولم يرد ذكر عمران أبي موسى حتّى في موضع واحد يتعيّن فيه كونه هو المراد بعينه، وهذا يؤيّد كون المراد بعمران في الآية أبا مريم عليه السلام؛ وعلى هذا فالمراد بآل عمران هو مريم وعيسى عليه السلام، أو هما وزوجة عمران.

﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ فيه دلالة على أنّ كلّ بعض فرع منها يبتدي وينتهي من البعض الآخر وإليه، ولازمه كون المجموع تشابه الأجزاء لا يفترق البعض من البعض في أوصافه وحالاته، وإذا كان الكلام في اصطفائهم أفاد ذلك أنّهم ذرية لا يفترقون في صفات الفضيلة التي اصطفاهم الله لأجلها على العالمين، إذ لا جُزاف ولا لَعِب في الأفعال الإلهية، ومنها الاصطفاء الذي هو منشأ خيرات هامة في العالم.

ثمّ قالت الآية: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي سميع بأقوالهم الدالة على باطن ضمائرهم، عليم بباطن ضمائرهم وما في قلوبهم؛ فالجملة بمنزلة التعليل لاصطفائهم، كما أنّ قوله: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾، بمنزلة التعليل لشمول موهبة الاصطفاء لهؤلاء الجماعة.

فالمحصّل من الكلام: إنّ الله اصطفى هؤلاء على العالمين، وإنّما سرى الاصطفاء إلى جميعهم؛ لأنّهم ذرية متشابهة الأفراد، بعضهم يرجع إلى البعض في تسليم القلوب وثبات القول بالحق، وإنّما أنعم عليهم بالاصطفاء على العالمين؛ لأنّه سميع عليم، يسمع أقوالهم ويعلم ما في قلوبهم^(١).

(١) انظر: تيسير الميزان: ٣٦، ١٠٧، ١٠٨.

ولعلَّ معنى (أنَّ الله سميع عليم): أنَّه تعالى سميع عليم بأقوال النَّاس، فيصطفي مَنْ له المصلحة في اصطفاؤه^(١).

ثمَّ إنَّه ورد في الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أنَّه قال في وصية له لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، إنَّ الله عزَّ وجلَّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثمَّ أطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثمَّ أطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمَّ أطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين»^(٢).

هؤلاء هم ذرية النبي صلى الله عليه وآله، وبهم يُدفع البلاء ويكشف الكرب. نقل بعض العلماء عن العالم العامل الثقة الجليل آية الله الشيخ العلامة المعروف بـ(آقاي علامة) بمدينة بـم الإيرانية، قال: جاء إلى مدينة يزد جماعة من علماء النصارى - وكان ذلك أيام حُكم رضا شاه - ليسألوا العلماء والخطباء عن بعض مسائل الإسلام، وكان الغرض الأصلي من ذلك هو إلقاء الشكِّ والشبهة في قلوب النَّاس؛ ليلتعدوا عن الإسلام وعلماء الدين، فاختاروا إحدى الباحثات العامَّة لذلك، وتجمَّع النَّاس من مختلف الطبقات، واستمرت هذه الحال ثلاثة أيام قال الشيخ: وكنتُ غائباً فأُخبرتُ بالموضوع فحضرت، فقال لي بعض العلماء: إنَّ هؤلاء القوم الغرباء ألقوا الشكَّ في قلوب النَّاس، فانظر ماذا تصنع أنت؟ قال الشيخ: فتقدَّمتُ - بعد التوكُّل على الله تعالى - لأستمع إلى بعض أسئلتهم، فقال لي رئيسهم: أتؤمنون بالمسيح عيسى؟ قلتُ: نعم نؤمن به نبياً من الأنبياء، وهو الذي بَشَّرَ نبينا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وبذلك صرَّح القرآن.

(١) انظر: تفسير تفسیر کبیر، ج ٢، ص ٧٧.

(٢) انحصار: ص ٦٦ - ٦٧، ج ٢، مكارم الأخلاق: ص ٢٢٢، تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ٢٢٢.

ج ١، بايع الميقات: ج ٢، ص ٢٢٢، ج ٧٨٣، بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٢٢٢، فتن حبيبت: ١١.

فقال: أنتم تروون حديثاً عن نبيكم وهو قوله: «علماء أُمّتي كأنياء بني إسرائيل»، قلتُ: نعم.

فقال: إن أنبياء بني إسرائيل يُحيون الموتى أتفعلون ذلك أنتم؟ قلتُ: إن أنبياء بني إسرائيل لا يفعلون ذلك إلا إذا توقف الاعتقاد بنبوّتهم عليه، ويكون ذلك بإذن الله تعالى، ونحن نفعل ذلك بشرط أن تذهب وتأتينا من كلّ بلدٍ مسيحيٍّ بمندوب وتأتون إلى هنا، وهذه مقبرة المسلمين نحيتها لكم بمن فيها رجالاً ونساء صغاراً وكباراً.

قال الشيخ: نظرتُ إليهم وهم ينظر بعضهم بوجه بعضٍ في غاية الدهشة والتعجب، ولم يجدوا سبيلاً غير قبول كلامي.

فقالوا - بعد المشاورة -: نذهبُ إلى الفاتيكان ونعرض عليهم الأمر، ثمّ انتهت الجلسة وخرجوا من ذلك المكان.

فانهال الناس عليّ يقبلون يدي، ويتشكرون مني ويباركون عملي، واجتمع العلماء فسألوني: كيف تستطيع أن تحيي الموتى؟

فقلتُ: إنكم غفلتم عن شيء أساسي وهو وجود الإمام المهدي صاحب الزمان عليه السلام، فإنّ القوم إن جاؤوا إلى هنا فسأفرش عباةي وسط الطريق وأصلي لربي ركعتين وأتوسّل بالحجة المنتظر عليه السلام، وهو الذي يأتي ويحيي الموتى بقدره الله عز وجل لا أنا وأمثالي، وشاع الخبر في كلّ مكانٍ.

يقول الشيخ: وبعد هذه القضية بمدةٍ قصيرةٍ وبيننا أنا في البيت إذ طُرق الباب، فذهبتُ بنفسي وفتحتُ الباب، وإذا برجلٍ ومعه امرأةٌ طلب مني أن أسمح له بالدخول؛ لأنّه يُريدني لأمرٍ، فدخل، وعندما استقرّ به المجلس قال: أنا رجلٌ من الزردوشت - وهم فرقة يعبدون النار - ولستُ من المسلمين، وهذه المرأة زوجتي وقد سمعت بمحاججتك مع النصاري، وقد جئتُ أطلبُ منك أن تهديني إلى عملٍ أعمله لأرزق به مولوداً، فقد

مضى على زوجي عشرون عاماً وأنا من غير ذرية، أستطيع مساعدتي في ذلك؟ فقلتُ له: نعم، ولكن بشرط أن تنوي نيةً صادقة أنت وزوجتك الدخول في دين الإسلام، فقال: نعم أوافق على هذا الشرط، وها أنا نويتُ وكذا قالت الزوجة.

قال الشيخ: فقلتُ له: اذهب إلى خراسان حيث المرقد المقدس للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ولا تدخل إلى داخل الحرم، ولكن اطلب حاجتك من خارج الحرم تُفَضَّى بإذن الله تعالى.

قال الشيخ: ذهبَ الرجل ومَرَّتْ مدةٌ طويلةٌ كدت أن أنسى الموضوع، وإذا رجل يأتي ومعه زوجته وطرق الباب فعندما فتحتُ له الباب حيّاني بتحية الإسلام، فقال: السلام عليكم. فرددتُ عليه السلام، ودخل.

فقال: البشري يا شيخ، إن امرأتي حامل في شهرها الخامس، وأنا منذ الشهر الأول أصبحت مسلماً وكذلك زوجتي، وقد جئنا نُجَدِّدُ إسلامنا على يديك وقد بقيتُ هذه الأشهر مأنوساً عند الإمام الرضا عليه السلام، حتّى تحرّك الجنين في بطن أمّه، ثمّ تشهدا الشهادتين وأقرأ بالائمه من آل محمد عليهم السلام.

فقلتُ: الحمد لله على قضاء حاجتك وإسلامك، ها أنت قد أصبحت من المسلمين، فسأختر لك اسماً جديداً وهو (عليّ) فقال: حُبّاً وكرامة.

وقلتُ: واخترتُ لجنينكم اسماً وهو (رضا)، وأمّا أنتِ أيتها المرأة المسلمة فأختر لك اسماً وهو (نجمة) باسم أمّ الإمام الرضا عليه السلام، فقلت: ولكنّي أسمع الشيعة في مجالسهم ينوحون ويندبون وينادون: زهراء يا زهراء يا زهراء فأحببتُ هذا الاسم، وأرغبُ أن يكون لي هذا الاسم الشريف.

الله أكبر، اسم فاطمة في قلب هذه المرأة الطيبة، لكنّ القوم كانوا يعرفون من هي فاطمة؟ ومع هذا آذوها.

أَيُّهَا النَّاسُ بَابُ فَاطِمَ بِأَبِي
أَيُّهَا النَّاسُ فَاحْفَظُونِي فِيهَا
حَرَّ قَلْبِي لَهَا عَشِيَّةً وَافَتِ
لَسْتُ أَدْرِي وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَدْرِي
أَحْدِثِ النَّارَ الَّتِي أَضْرَمُوهَا
أَمْ حَدِيثِ الْجَنِّينِ إِذْ أَسْقَطْتَهُ
وَكَأَنِّي بِهَا تَخَاطَبُ أَبَاهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

(نصاري)

گومک ییویه مارعوني
وامن البچه اعليک امنعوني
للحايط اوليه اعصروني
واخلاف عينک مرمروني
اووره الباب لمن هيسوني
كسروا اضلوعي اوسگطوني

اوبره المدينه طلّعونني

رضوا أضالعتها أجروا مدامعها
أدموا نواظرها ميراثها غصبوا^(١)

(١) مجلس مصنف نفع البين عليه السلام : ج ٤ ، ص ١٠٠ .

الحاضرة
السابعة والثمانون



الشكر



أياراكباً مهريّة شأت الصّبا
إذا جُزّت في وادي فُباقل بعولةٍ
لقد حلّ فيكم حادثٌ أيّ حادثٍ
قضى السّبطُ ظمآنَ الفؤادِ وشلّوه
وقد قطّعت أوداجه بشّبا الظّبا
وأعظم خطبٍ زلزل الكون شجّوه
هجومُ العدى بغياً على حُجبٍ أحمدٍ
فبينّا بناتُ الوحي في الخدرِ إذ به
فقرّت من الأعداءِ حسرى مروعةً
تُحيلُ بطرفٍ للحياة فلا ترى

كأنّ لها خيطَ الحَيالِ زمامٌ
أهاشمٌ هُبّوا فالقعودُ حرامٌ
هوت فيه للدينِ الحنيفِ دعاءٌ
لبيضِ المواضي والرّماحِ طعامٌ
ورُصّت له بالصفاتِ عِظامٌ
ودكّ الرواسي فهَيّ منه رِمامٌ
ولم يُسرّع فيها للنبيّ ذِمّامٌ
أحاطت لِسلبِ الطّاهراتِ طُغامٌ
لها الصّونُ سِتْرٌ والعفافُ لثامٌ
سوى جُثثٍ قد غاهنَ حِمامٌ^(١)

(١) القصيدة لسبب غيابة البغدادي عليه السلام. قال عنه السيد جواد قمي في اذنة الطلعة: ج ٤، ص ٢٠٦-٢٠٧:

«السيد غيابة الحسيني البغدادي، ابن علي بن حسين، يزوي... ابن ابراهيم لمعات بن محمد، عابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام... كان من خُطباء بندان البارزين بل خُطيبها الأوّل. سَهر بالنظر والصلاح. وأدب سنة إحدى وسبعمائة ومات في بعد الألف هجرية (١٢٧١هـ) بعديّة بندان ونشأ فيها. درس النحو والمنطق. وقد سَجّ المترجم له ميّداً قد رُجِد عن الحضرة في كتابه (أنام سر زام تعزية) فقال: كلُّ في سؤال الغياب سديد الاستيفاء إلى استماع المرثي الحسينيّة. وأتغلب المجلس التي تُعدّ مصدّية. هو زوجني أبي من ابنة عطفي. وذلك سنة (١٢٨٧هـ) وبقيت معه القُطُف من نائحه ست سنوات. ثم مضى بعدها الحجة زهيراً فبقيته وسيرته. ولم يُبق من أسرارها مَنكث غير سنة أنهر. وتوفي فيها سنة ألف ومائتين وثلاث وتسعين (١٢٩٣هـ). تَقَدّم عليه مرحسته... له قصيدة في المجلس الحسينيّة وميّه.

أياراكباً مهريّة شأت الصّبا كأنّ لها خيطَ الحَيالِ زمامٌ

... لقد قضى البَد غيابه غُمره في خدمة أمير الحسيني وعظما وفردا ومُحدثا ونصحا. ومناير بندان تشهد له ومحافلها تذكره بكلّ اعزازٍ وهُجر).

ولذا لما سأل أبو حمزة عليه السلام الإمام زين العابدين عليه السلام عن سبب حُزنه كَأَنِّي بِهِ يَحِيه:

(موشح)

اعله التراب وبالسيوف موزعه	اگبال عيني شفت گومي امصرعه
والذجرها اعلي صعب ما هو سهل	والمُصيبة المنهادم دمعي يهل
ذاك عندي من چتل گومي أمر	ارکوب عمّاتي وخواتي اعله الهزل
أولها كل يوم اليمر ماتم جديد	والرزية النارها توج ما تهيد
أصعب الكل وأنته عندك بيه خبر	ادخول عمّاتي بعد مجلس يزيد

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(١).

موضوع هذه الآية الشريفة - كما هو واضح - هو الشكر، فما هي حقيقته وأقسامه، وكيف نشكر المنعم؟

قال الراغب: «الشكر تصوّر النعمة وإظهارها، قيل: وهو مقلوب عن الكشر، أي: الكشف، ويضادّه الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها، ودابة شكورة مظهره بسمنة إسداء صاحبها إليها»^(٢).

وينبغي الكلام في عدّة مقامات:

المقام الأول: أنواع الشكر

١- شُكْرُ القلب: وهو تصوّر النعمة، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَهَا»^(٣).

(١) أبو حمزة: ٧٩.

(٢) مصدرت: تصادف، تصادف: ٣٠٥.

(٣) انكليبي: ج ٢، ص ٩، ج ١، ص ١٠٠، ج ٢، ص ٣٢، ج ١٠.

٢- شُكْرٌ باللسان: وهو الثناء على المنعم.

٣- شُكْرٌ بسائر الجوارح: وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما كان الله ليفتح على عبدٍ باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة»^(١).

وفي الاحتجاج عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفرَّ وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عُوتب في ذلك، فقال تعالى: ﴿طه﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ بل لتُسعد به»^(٢).

المقام الثاني في محل الاستدراج:

الاستدراج وهو أنَّ العبد كُلَّمَا جَدَّدَ خَطِيئَةً جَدَّدَ اللهُ عز وجل له نعمة وأنساه الاستغفار، وأن يأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته.

وأول ثمرة من ثمرات الشكر تظهر لمنع الاستدراج، ففي الكافي الشريف عن عمر بن يزيد، قال: قُلْتُ لأبي عبد الله عليه السلام: «إِنِّي سَأَلْتُ اللهَ عز وجل أَنْ يَرْزُقَنِي مَالاً فَرَزَقَنِي، وَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَلِداً فَرَزَقَنِي وَلِداً، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَرْزُقَنِي دَاراً فَرَزَقَنِي، وَقَدْ خَفْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجاً، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ مَعَ الْحَمْدِ فَلَا»^(٣).

فلا استدراج إذن لا يحصل مع الشكر والحمد لله تبارك وتعالى.

(١) نهج نبلاء ج ٤، ص ١٠٢، رقم ٢٥٤، بحار الأنوار ج ٦، ص ٢٠٤، ج ٥، و ج ١٠، ص ٢٠٤، و ج ١٠، ص ٢٠٤.

(٢) الاحتجاج ج ١، ص ٣٢، وأنظر حلية الأولياء ج ١، ص ٢٤٥، التفسير الصافي ج ٣، ص ٢٦٦، تفسير نور الثقلين ج ٣، ص ٣٠٧، ج ١٠، و ج ٤، ص ٣١٧، بحار الأنوار ج ١٠، ص ٢٨٧، و ج ١٠، ص ٢٨٧، والجميع ما بعد الحلي في كتب الاحتجاج.

(٣) الكافي ج ٢، ص ٢٧، ج ١٠، ص ٣١٧، ج ٥، ص ٢٨٧، بحار الأنوار ج ١٠، ص ٢٨٧، ج ١٠، ص ٢٨٧، ج ١٠، ص ٢٨٧.

المقام الثالث: في أهم أقسام الشكر

من أهم أقسام الشكر هو الشكر لمن أُجريت على يديه النعمة، حتّى عدّ الشاكر لله تعالى، ولم يشكر من أُجريت النعمة على يديه من الذين لم يشكروا النعمة، كما في غير رواية، منها:

عن أبي الصّلت الهروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آباءه عن أجداده عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: «يؤتى بعد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به إلى النار! فيقول: أي رب، أمرت بي إلى النار وقد قرأت القرآن، فيقول الله: أي عبدي، إني أنعمت عليك ولم تشكر نعمتي. فيقول: ربّي أنعمت عليّ بكذا شكرتُك بكذا، وأنعمت عليّ بكذا فشكرتُك بكذا. فلا يزال يُحصى النعم ويُعدّد الشكر، فيقول الله تعالى: صدقتَ عبدي، إلّا أنّك لم تشكر من أُجريت لك نعمتي على يديه، وإني قد آليتُ على نفسي أن لا أقبلُ شكرَ عبدٍ لنعمة أنعمتها عليه حتّى يشكر من ساقها من خلقي إليه»^(١).

المقام الرابع: كيفية شكر المتعم

إنّ لشكران كلّ نعمة أنعم بها الله تبارك وتعالى - سواء صارت وأُجريت على يد إنسان آخر أم لا - شروطاً ينبغي معرفتها:

الأول: أن يعرف نعمة ولا ينسب إلى ذاته وصفاته ما لا يليقُ به، وكلّ ما قابل هذا المعنى فهو الكفران، وقد ذمّ الله تبارك وتعالى في كثير من الآيات الكفار لكفرانهم بالنعم، وإنكار وجود منعمهم، وجعل الشريك له^(٢).

(١) أمالي الشيخ الخطيب: ص ١٠٠. وسائل الشيعه: ج ١، ص ٢١٢، ج ١٠. بحار الأنوار: ج ٧، ص ٢٢٣.

ص ٢٢٤، ج ١٠، من أمالي: ج ١، ص ١٠.

(٢) مثل قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا بِبَيِّنَاتٍ وَمَنْ يَدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البقرة: ٢١١. ونيات آخر كثيرة بهذا المضمون.

الثاني: أن يعلم هذه النعمة من قَبْلِ مَنْ جاءت؟ ولا ينسب نِعَمَ الله إلى غيره.

الثالث: أن يُظهر تلك النعمة ويجري ثناء المنعم على اللسان، كما رُوي بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «ما أنعم الله على عبدٍ بنعمةٍ صَغُرَتْ أو كَبُرَتْ فقال: الحمدُ لله، إلَّا أدَّى شكرَها»^(١).

الرابع: أن يُصرفَ تلك النعمة فيما يُرضي المنعم، وأن يُؤدِّي الحقَّ الذي جعله الله تعالى في تلك النعمة، فمثلاً: شكر نعمة اللسان التحدُّث بها أوجب الله تعالى والتحدُّث عنه، وحفظه عن المحرِّمات والمكروهات.

وكذلك شكر العين والأذن واليد والرجل وسائر الأعضاء والجوارح والقوى، وشكر المال صرفه فيما يرضي المنعم، وأداء ما أوجبه فيه، وشكر نعمة العلم بذله إلى طلابه والعمل به، ولا يجعله آلةً للباطل، وفي كلِّ هذا يُعوِّضه الله وفقاً لما أوَّعده.

ومن جُملة شُكر المنعم التفكير في نِعَمِهِ والإقرار بأنَّها لا تُحصى، ولو تفكَّر شخصٌ في نعم الله التي تترتَّب على أكلِ كُلِّ لُقْمَةٍ خُبِزَ من طريقة تحصيلها إلى صيرورتها بهذه الهيئة القابلة للأكل وما يترتَّب عليها بعد الأكل إلى صيرورتها جزءاً في الجسم، لأدَّعَن باستحالة عدَّ نعم الله، بل لو تفكَّر جيداً لرأى أنَّ كُلَّ نعمةٍ أنعمها الله تعالى إلى غيره تكون نعمةً له أيضاً؛ لأنَّ الإنسان مدنيٌّ بالطَّبع ومُحتاج إلى الآخرين؛ لأنَّ كُلَّ نعمةٍ أنعمت على كُلِّ شخصٍ من لدن آدم عليه السلام إلى زمان الشُّكر، لها دخلٌ في وجودك وبقائك وكمالك.

فهذا هو التفكير الممدوح والذي أمر به الأئمة عليهم السلام، وله فوائد جمة؛ لأنَّه يُوجب مزيدَ المعرفة بالمنعم، ويعرِّف عجزَ الإنسان ونقصه واحتياجه، فيكون باعثاً على العبادة ومانعاً عن المحرِّمات، ويوجب الرضا بقضاء الله وعدم كفران النعمة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَعُدُّوا

(١) انكليبي: ج ٢، ص ٢٠١، ح ١٠٠. التفسير المصافي: ج ١، ص ٨٢. تفسير نور الثقلين: ج ١، ص ١٠١، ح ٥٨٩.

و ج ٢، ص ٥٨٩، ح ٢٠٢. بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٢٠، ح ٩٠٠. سنن نخاعي.

نِعِمْتَ اللَّهُ لَا تُحْصُوهَُا^(١)، وَرُوي عن الإمام الجواد عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «دعا سلمانُ رضي الله عنه أَبَا ذَرٍّ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَغِيفِينَ، فَأَخَذَ أَبُو ذَرٍّ الرَغِيفَيْنِ يُقَلِّبُهُمَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: يَا أَبَا ذَرٍّ لَأَيِّ شَيْءٍ تُقَلِّبُ هَذَيْنِ الرَغِيفَيْنِ؟ قَالَ: خَفْتُ أَنْ لَا يَكُونَا نَضِجَيْنِ. فَغَضِبَ سَلْمَانُ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: مَا أَجْرَاكَ حَيْثُ تُقَلِّبُ هَذَيْنِ الرَغِيفَيْنِ، فَوَاللَّهِ، لَقَدْ عَمِلَ فِي هَذَا الْخُبْزِ الْمَاءُ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ، وَعَمِلَتْ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى أَلْقَوْهُ إِلَى الرِّيحِ، وَعَمِلَتْ فِيهِ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ إِلَى السَّحَابِ، وَعَمِلَ فِيهِ السَّحَابُ حَتَّى أَمْطَرَهُ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَمِلَ فِيهِ الرَّعْدُ وَالْمَلَائِكَةُ حَتَّى وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ، وَعَمِلَتْ فِيهِ الْأَرْضُ وَالْخَشَبُ وَالْحَدِيدُ وَالْبَهَائِمُ وَالنَّارُ وَالْخَطَبُ وَالْمَلْحُ، وَمَا لَا أَحْصِيهِ أَكْثَرُ، فَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَقُومَ بِهَذَا الشُّكْرِ؟! فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: إِلَى اللَّهِ أَتُوبُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا أَحْدَثْتُ، وَإِلَيْكَ أَعْتَذِرُ مِمَّا كَرِهْتُ»^(٢).

ولذا يكون الإنسان عاجزاً عن أداء الشُّكر لله تعالى.

أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عليه السلام: «يَا مُوسَى، اشْكُرْنِي حَقَّ شُكْرِي، فَقَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ؟ وَلَيْسَ مِنْ شُكْرٍ أَشْكُرُكَ بِهِ إِلَّا وَأَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ. فَقَالَ: يَا مُوسَى، شَكَرْتَنِي حَقَّ شُكْرِي حِينَ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ مِنِّي»^(٣).

وقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في الصَّحِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ السَّجَّادِيَةِ فِي دُعَائِهِ فِي الْإِعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ تَأْدِيَةِ الشُّكْرِ قَوْلُهُ: «فَأَشْكُرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ»^(٤).

(١) ابن عديم: ٢١٤.

(٢) أنماي الشيخ الصدوق: ص ٥٢٧ - ٥٢٨، ج ٦. نيل أعيان الرضا: ج ١، ص ٥٧، ج ٢٠٣. صبح بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٢١، ج ٨، وج ١، ص ٥٦.

(٣) الكافي: ج ٢، ص ٢٨، ج ٢٧، قصص الأنبياء (الرواسي)، ص ١٠٠، ج ١٦٨. قصص الأنبياء (الجزائري)، ص ٥٠. رياض السالكين: ج ١، ص ٢١٥، ج ٥، ص ٢٢٢. بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١١، ج ١٠، وج ١، ص ٣١، ج ٢٢، ص الكافي.

(٤) الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ: ص ١٠٥ (سماوة في شكر)، صبح الكفعمي: ص ١٦٣.

ويقول أيضاً في مُناجاة الشَّاكرين: «كَيْفَ لي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْرٍ، فَكَلِّمْ قُلْتَ: لَكَ الْحَمْدُ وَجِبَ عَلَيَّ لَذَلِكَ أَنْ أَقُولَ لَكَ الْحَمْدُ»^(١).

وأيضاً كُلَّ معصية هي كفران لنعم غير مُتناهية من نعم الله تعالى، سواء في أصول الدِّين أم في فروعه، مثلاً: أَنَّ وجود نبيِّ آخر الزمان ﷺ وبعثته من أعظم النعم الإلهية على العباد، فقد جعله الله تعالى وسيلة للسَّعادة الأبدية، وواسطةً للنَّعم الدُّنيوية والأخروية، وكذلك أوصياؤه ﷺ.

وشكر هذه النِّعمة الإقرار بعظمتهم وإطاعتهم في الأوامر والنواهي، فإنكارهم أقبح مصاديق الكُفران بنعمة وجودهم، وبعد الإقرار ففي كُلِّ ذَنْبٍ يكون كافراً لهذه النعمة العظيمة، والذنب لا بُدَّ أَنْ يصدر من عضوٍ من الأعضاء، فيكون الكفر بنعمة ذلك العضو.

لكن للأسف لم يُعرف قدر النبيِّ الأكرم ﷺ وقدر أهل بيته ﷺ، ولم يُشكروا على النعمة التي أجزاها الله تبارك وتعالى على أيديهم، وقدموها إلى هذه الأُمَّة، فجاءت الظلامات تترا على أهل بيت العصمة والطَّهارة.

فعندما توفي النبيُّ الأكرم ﷺ بدأت تظهر قساوة القوم، وظلمهم أخذ ينتشر انتشار النار في الهشيم، فأوَّل حقٍ اغتصبوه هو حقُّ الولاية لأمر المؤمنين ﷺ الذي ندب به القرآن، ولهجت به السُّنة المطهرة، وعظَّمه أهل البيت ﷺ.

ومن هُنا نجد أنَّ الحوار الصِّدامي الذي خاضته فاطمة الزهراء ﷺ ضد أبي بكر، وتحت لافتة (فدك) لم يكن من أجل (فدك)، وهي العزوفة المتقشَّفة في كُلِّ مراحل حياتها، وإنَّما كانت تُحاول مجابهة الخلافة التي لم تعترف بها من جهةٍ، والدِّفاع عن قُدسيتها كمعصومة.

وفي الجانب الآخر نجد أنَّ حرص أبي بكر على مُصادرة (فدك) لم يكن حرصاً على فدك بمقدار ما كان حرصاً على صرف الخلافة عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ، كما كان

(١) - معجزة السجادية (أبوظبي) - ص ١١١ (مناجاة الشَّاكرين) - بحار الأنوار: ج ١٠ - ص ١١٠.

لضرب العصمة بدليل مطالبة الزهراء عليها السلام بكون فذك كانت لها نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله بالشهود، رغم أن ذا اليد لا يطالب بالشهود، ورغم أن كل من عصمه الله بنص القرآن لا يطالب بالشهود، فشاهده القرآن وكفى به شاهداً^(١).

فعندما ألقت الحجة على القوم بخطبتها التي بينت فيها ملخصاً كاملاً عن الشريعة الإسلامية، وما اشتملت عليه من المعارف الإلهية، رجعت بعد ذلك إلى الدار، فلما استقرت بها الحال، قالت لأمر المؤمنين عليهم السلام: «يا بن أبي طالب، إشمئت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين ويلاي في كل شارق، مات العمد ووهن العضد! شكواي إلى أبي! وعدواي إلى ربّي! اللهم أنت أشد قوة وحولاً، وأحد بأساً وتنكيلاً».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا ويلَ عليك، الويل لشائتك، نهني عن وجدك يا ابنة الصفوة وبقية النبوة، فما وهنت عن ديني ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت تريدين البلغة فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك خير مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله. وأمسكت وجلست في دارها حزينة باكياً»^(٢).
آه:

طبت دارها وظلّت عليلة	وجفنها من السهر ما نام ليلة
تروح الكبر أبوها وتشتجيله	وهو بغيره وعلى الزهرة يتهظّم
من تسمع بذكر النبي الهادي	تسمع للمنابر والنوادي

(١) سورة البقرة: ١٢٩. حيث يقول عز وجل: «لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سُبْحًا وَلَا مُمْسِكًا بِمَنْزِلَتِهِمْ وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْكُمْ فَلْيَسْأَلْهُمْ نَفْسَهُمْ إِنَّهُمُ آخِذُونَ بِالْحَقِّ».

(٢) أنظر: غيبة الزهراء عليها السلام في المصادر ثمانية.

الاحتجاج: ج ١، ص ١٥٠. مصدق: أنبي طالب: ج ٢، ص ٥. الدرر العظيم: ص ٢٠٠. بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٢٢٠. شرح الأخبار: ج ٢، ص ٢٠٠. الطرائف في معرفة مذهب الطوائف: ص ٢٠٠. بلاغات الساد: ص ١٢. ٢. نقاي في الإمامة: ج ٤، ص ١٠٠. وهناك الكثير من المصادر قد ذكرتها.

تغيب الروح من عدها وتنادي يريت وياك ياخذني المحتم

ظلت تَوْن والوْنه شجيه يَوْن يمها الحسن وحسين أخيه
لَمَن غربت منها المنيّه وصّت تندفن بليل الأظلم

وكأني بها تقول: يا أبتاه جرحوا عيني وكسروا قلبي

(بحراني)

ظَلَّيتُ أسبح بالهظم والظلم والجور

من فارغت وجهك ووجهك مصدر النور

وبعين مجروحه أعيش وضلع مكسور

من عصرت الباب الذت بيها عن الكوم

ياليت عينك شاهدتني وشافت الصّار

يا والدي من اختارك الواحد القهار

هجمو عليّ ونبتوا بالصدر مسمار

وسياط قنفذ سوّت بمتني الرسوم

لَمَن تتوجه؟! لأبيها وقد صافح الترابُ جبينه!

عندها توجّهت لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام:

(تغريد الحزين)

عدمِ اشتكي همّي ويا هو الشكّيني

وأنا ضلعي انكسر بالباب يحيدر وانظفت عيني

تقول اظهر اشبيدي الصار وتفطّن المتنّيني

فبنى لها أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً سمّاه بيتَ الأحران، فقامت تأخذ بيد الحسن والحسين عليهما السلام وتبكي عند قبر والدها، وتشكي ما جرى عليها بعد فراق والدها^(١)، وكأني بها:

بويه الغوم بعدك لوّعوني إجو للدار بويه وروّعوني
وره الباب يا بويه اعصروني وطحت بويه وتجري منّي العين

والله مدله بيام أبوها بس ما غاب عنها روّعوها

اجوا للباب ويلي واعصروها

ذكر بعضهم أنّ أسماء سألت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن شدّة بكائه على فاطمة عليها السلام؟ فقال: «عندما أوصتني فاطمة أن أغسلها من وراء الثياب، غسّلتها فينينا أنا أغسلها وإذا نظرت إلى ثيابها قد ارتفعت، ففتشت عن السبب فوجدتُ أحد أضلاعها مكسورة»^(٢).
الشاعر يتوجّه لأمر المؤمنين عليه السلام يُخاطبه يقول له: ضلعٌ واحد هكذا أثر بك وأخذ منك هذا المأخذ يا أمير المؤمنين! فكيف بك لو رأيت تلك الأضلاع المهشومة المكسورة والمرضوضة، وهي أضلاع سيد الشهداء أبي عبد الله؟!
آه:

ضلع واحد عليّ رخص دموع العين وظل يجذب الحسرة ويصفج ايدين
بالله اشلون لو عاين اضلوع حسين وخيل الغوم ذاك اليوم رضنه

وبرض ذاك الضلع رُضت أضلع في طيّها سر الإله مصون

(١) أنظر: بحار الأنوار: ج ٣ - ص ١٦٧.

(٢) مجمع مصنف ابن أبي شيبة: ج ٤ - ص ١٠٠.

المحاضرة
القائمة بالوفاء



مُعْطَيَاتُ آيَةِ الْقُرْبَى



يا خليلي خبران بصدق
 من عدى ظلةً ومَن راعَ ظلماً
 من حمى لذة الكرى مُقلتيها
 مَن زوى حقَّها ومَن أضرمَ
 أو ما قال خاتمُ الرُّسلِ فيها
 فاطمٌ رُوحِي التي بينَ جنبيَّ
 أيُّها النَّاسُ فاحفظوني فيها
 حرَّ قلبي لها عشيَّةً وافت
 لستُ أدري وليتني كُنتُ أدري
 أحديث النَّارِ التي أضرموها
 أم حديثَ الجنين الَّذي أسقطته

رُبَّما يطلبُ النِّيهُ انتباهها
 بضعةُ المُصطفى ومَن أشجاها
 وعَن الإرثِ عدوَّةٌ نَحَّاهَا
 النَّارَ على بابِ بيتِها ومَن أذكاها
 فاطمٌ بضعتي ولاي ولاها
 وريحانتي التي أهواها
 تاه في الغي مَن بسوءِ أتاها
 لأبيها تبثُّه شكواها
 أيَّ أمرٍ تبثُّ مَداهاها
 بفنِّ دارها المشيد ذراها
 أم نبوتَ المسار في أحشاها^(١)

(بحراني)

بنت النبي ماتت بعلتها خفية
 ظلوا يتامه من بعدها حسن وحسين
 نادى علي المرتضى واصفك الجفين
 مكسورة الأضلاع وحزني عليها
 گوموا دعيني اوجيوا النعش ليها

آجرك الله يا علي في هالرزيه
 كلمن يگول أُمْنه البتولة خويه چاوين
 آجركم الله يا أولادي في الزچيه
 دهري فجعني بالنبي واليوم بيها
 أو ظلّت نواديها مُظلمه هالعشيه

(١) تصدقة السامر ننيخ محمد عن روايتي الخاطمي عليه السلام. في عشر على ترجمته.

(أبودية)

أريد أگعد ونوحن ييك ياييت على الكسروا ضلعها وغصب يابت
يَمُ حسين تبجي عليج يابت أظنها الي انسبت بالغازية

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْذَرُ بُذْرًا﴾^(١).

بعد ما رجع النبي ﷺ إلى المدينة المنورة نزل جبرائيل من عند الرب الجليل بالآية الكريمة، فانشغل فكر النبي بذي القربى من هم؟ وما حقهم؟ فنزل جبرائيل ثانياً عليه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَ فِدْكَ لِفَاطِمَةَ عليها السلام، فطلب النبي ﷺ ابنته فاطمة عليها السلام وقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي أَنْ أَدْفَعَ إِلَيْكَ فِدْكَ. فمِنْحَهَا وَتَصَرَّفَتْ هِيَ فِيهَا وَأَخَذَتْ حَاصِلَهَا، فَكَانَتْ تُنْفِقُهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ»^(٢).

والرويات التي في مصادرنا في تفسير هذه الآية فهي كثيرة، روى عدداً منها السيد هاشم البحراني في تفسيره البرهان في ذيل هذه الآية المباركة، وقد ذكر ما يقارب العشرين رواية وهي بهذا المضمون وإن اختلفت بالألفاظ، وفي بعضها الصحيح من الروايات، وهو كافٍ لنا في تحقّق الواقعة^(٣).

وأما من طريق العامة، فقد ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور^(٤) والحاكم الحسكاني

(١) التفسير: ج ٢، ص ٢٠٠.

(٢) الكافي: ج ١، ص ٥٣، ج ٥، ص ٥٠٠ (الراوندی)، ج ١، ص ٢٠٨، التفسير: ج ٣، ص ١٠٠،

عن كافي، تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ١٥٠، ج ١٥٨، ضاية المرآة: ج ٣، ص ٢٨٥، ج ١، بحار الأنوار:

ج ٢، ص ١٥٠، ج ٢٩، عن كافي.

(٣) تيسر البرهان: ج ٤، ص ٥٥١، ص ٥٥٥.

(٤) أنظر: تفسير الدر المنثور: ج ٤، ص ١٧٧.

في شواهد التنزيل^(١) والمُتقي الهندي في كنز العُمال^(٢)، والشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة^(٣)، وغيرهم.

فكانت فذك في يد فاطمة عليها السلام، يعملُ عليها عُمَلُها، وبأتون بحاصلها في حياة النبي ﷺ، وهي عليها السلام كانت تتصرّف فيها كيفما شاءت، تُنفقُ على نفسها وعيالها وتتصدق منها على الفقراء والمعوزين.

ولكن بعد وفاة رسول الله ﷺ أرسل أبو بكر جماعة فأخرجوا عُمَالَ فاطمة من فذك، وغصبوها وتصرّفوا فيها تصرفاً عدوانياً.

فعندما سُئل عن ذلك، قال: سمعنا النبي ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»^(٤).

ولكن بغض النظر عن إسناد الحديث ومعارضته لكتاب الله. أولاً: هل يُصدقُ إنسان هذا الكلام، بعدما سمعتَ من هؤلاء بأن فذكاً كانت نحلة وهبة من النبي ﷺ، وهي استلمتها وتصرّفت فيها، فهي عليها السلام كانت متصرّفة في فذك حين أخذها أبو بكر، وما كانت إرثاً.

وثانياً: إنَّ الحديث الذي استند إليه أبو بكر مردود وغير مقبول؛ لأنَّه حديث موضوع، لوجود إشكالات فيه، فإنَّ واضع الحديث عندما وضعه قد غفل عن آيات الموارث التي جاءت في القرآن الكريم، ولو كان يقول، مثلاً: «أنا لا أورث» لأمكن لمحتمل أن يَحتمل - ولو احتمالاً غير معتد به - أن هذا من مختصات النبي محمد ﷺ دون

(١) أنظر: شواهد التنزيل: ج ١، ص ٢٦٩. ح ١٠٠، ح ١٠١، ح ١٠٢، ح ١٠٣، ح ١٠٤، ح ١٠٥.

(٢) أنظر: كنز العُمَل: ج ٣، ص ١٧١، ح ١٠١.

(٣) أنظر: ينابيع المودة: ج ١، ص ٢٦٩، ح ١٠١، ح ١٠٢.

(٤) التعجب: ص ١٢٦. وقد كتب الشيخ ابن عبد الله رداً في هذا الحديث وفيه من نخب مراجعتها غير جها. وفيه انخداع لمن له أدنى ذرة فطنة فبذلك أن الحديث من موضوعات السلطة لم ينزهه عليها السلام من ذلك. ولم يعرفه ولم يسمه ولم يرو عنه حتى ذلك اليوم غير أبي بكر.

سائر الأنبياء في مسألة وراثته الأموال التي ذُكرت فيها آيات عديدة في القرآن، أمّا على الصيغة الأولى فتكذيب أبي بكر وردّه أولى من نسبة ما يُخالف القرآن إلى النبي ﷺ.

ولذلك احتجّت فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها التي نُقلت في كثير من كتب المؤرخين من العامّة والخاصّة، ومَن ذكرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(١).

وجاء فيها: «ثُمَّ أَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا أَرِثُ لِي، أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْعُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. إِيهَا مُعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ابْتَرِثُوا رِثَ أَبِي.

يا ابن أبي قحافة! أفي كتابِ الله أن تَرِثَ أبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي؟! لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا. أَفَعَلَى عَمَدٍ تَرْكُمُ كِتَابَ اللَّهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ؟! إِذْ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾^(٢)، ويقول فيما اقتَصَّ من خبر زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِنُ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾^(٣)»^(٤).

وثالثاً: روى المُحدِّثون أنَّ علياً جاء إلى أبي بكر وهو في المسجد، وحوله حشدٌ من المهاجرين والأنصار، فقال عليه السلام: «يا أبا بكر، لِمَ مَنَعْتَ فَاطِمَةَ نَحْلَتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ مَلَكَتْهَا فِي حَيَاتِهِ؟»

فقال أبو بكر: فدك فيء للمُسلمين، فإن أقامت شهوداً أنَّ رسول الله أنحلها فلها، وإلا فلا حق لها فيه.

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٦١.

(٢) النمل: ٢٤.

(٣) مريم: ٦٥، وألقا: مصادر الحظية فيما تقدم.

(٤) أنظر: خطبة الزهراء عليها السلام في المصادر التالية: الاحتجاج ج ١ ص ٥٨٠، مساند أبي طالب ج ٢،

ص ٥، الدر الطليم ص ٢٨٨، بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٢٥، شرح الأخبار ج ٢ ص ٢٠٠،

الطوائف في معرفة مدافع الطوائف ص ٢٠٠، بلاغات السلف ص ١٢، ٢، النفاي في الامامة

ج ٤ ص ٦١، ونيرها.

فقال عليٌّ عليه السلام: «يا أبا بكر، تحكم فينا بخلاف حُكم الله تعالى!»، قال: لا. قال عليه السلام: «إِنْ كان في يد المسلمين شيء يملكونه، فادَّعيتُ أنا فيه مَنْ تسأل إليه؟» قال: إِيّاكَ أسأل. قال عليه السلام: «فما بالُ فاطمةَ سألتها البيّنة منها على ما في يديها، وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله».

فسكت أبو بكر هُنيئَةً، ثُمَّ قال: يا علي، دعنا من كلامك، فإنّا لا نقوى على حُجَّتِكَ، فإنَّ أُنيتْ بشهودِ عدولٍ وإلاّ فهي فيءٌ للمسلمين، لا حقّ لك ولا لفاطمة بها. فقال عليٌّ عليه السلام: «يا أبا بكر، تقرأ كتاب الله!» قال: نعم. قال عليه السلام: «أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟» قال: بل فيكم! قال عليه السلام: «فلو أنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنتِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله بفاحشة - والعياذ بالله - ما كُنْتَ صانعاً بها؟» قال: أقمْتُ عليها الحدَّ كما أقيم على نساء المسلمين. قال عليه السلام: «كنت - إذاً - عند الله من الكافرين».

قال: ولم؟ قال: «لأنّك رددتْ شهادةَ الله بطهارتها وقبلتْ شهادةَ الناس عليها كما رددتْ حُكمَ الله وحكمَ رسوله أن جعلَ لها فداً وزعمتْ أنّها فيءٌ للمسلمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله البيّنة على المدّعي واليمين على مَنْ ادّعي عليه».

فدمدم النَّاس وأنكروا على أبي بكر، وقالوا: صدق - والله - عليٌّ^(٢). رابعاً: إنّنا نعلم بأنَّ الإمام علياً عليه السلام هو عيبةُ علمِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وهو الَّذي قال فيه النَّبيُّ صلى الله عليه وآله - كما نقله علماء الفريقين - «أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابها، وأنا دار الحكمة وعليٌّ بابها،

(١) التَّحْزِيب: ٢٣٥.

(٢) للاحتجاج: ج ١، ص ١٢٢ - ١٢٣، تفسير الضمّي: ج ٢، ص ١٥٦ - ١٥٧، تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ١٠٨ - ١٠٩، نهاية المرام: ج ٥، ص ٣١٤ - ٣١٥، بحار الأنوار: ج ٢٩، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، عن 'الاحتجاج'.

وَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ»^(١).

والحديث النبوي الآخر الذي اشتهر أيضاً بين المُحدِّثين من الفريقين قوله ﷺ: «عَلَيَّ أَقْضَاكُمْ»^(٢) فكيف يمكن أن يُبَيِّنَ النبي ﷺ حكماً خاصاً في الإرث، وقاضي دينه، ومنجز عاداته، وباب علمه لا يعلم ذلك؟ وخصوصاً الحكم الذي يكون في شأن فاطمة وهي زوجة أمير المؤمنين عليه السلام وهو وصي رسول الله؟!!

خامساً: نسأل إذا كان الحكم كذلك بأنَّ صاحبَ اليد يُطالب بالبيّنة، والمُدَّعي يطلب الشهود، فلماذا لا يسري هذا الحكم إلى جميع المسلمين، مع أنَّ أبا بكر بنفسه قَبَلَ ادِّعاء جابر بن عبد الله الأنصاري ولم يطلب منه البيّنة، مع أنَّ جابر بن عبد الله الأنصاري - مع تقديرنا له واحترامنا لمواقفه - ليس إلّا صحابي، لم ينزل فيه القرآن ولم يُطهَّره تعالى من الرِّجس. ولكن أبو بكر يردّ فاطمة وعلياً عليه السلام، ولا يقبل كلامهما في حقِّ ثابت كثبوت الشمس في رابعة النهار.

وسادساً: لو كان هذا الحديث الذي رواه أبو بكر صحيحاً سمعه من رسول الله ﷺ، فلماذا لم يحكم في سائر ممتلكات النبي ﷺ بحكم فذك ولم يضمّها إلى بيت المال لعامة

(١) انظر شهر الحديث، في مصادر تانيف، مستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ١٢ - ١٧، المعجم الكبير، ج ١١، ص ٥٤، الامتياز، ج ٢، ص ١١١٢، الاتفاق في غريب الحديث، ج ٢، ص ١، شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٢١٩، احكام تصغير، ج ١، ص ١٥٥، ج ٢، ص ٢٧١٥، تحفة الأئمة، ج ١٠، ص ١٥٥، وإحدى مستفيض مسند.

(٢) المسائل النصائبية، ص ١٠٩، الحاشية، ص ٥٤١، سيون أخبار نرضا، ج ٢، ص ٨، الايضاح، ص ٢٢١، شرح الاخبار، ج ٢، ص ٢٢٣، أصول الحنابلة، ص ١٢٥، الاحتجاج، ج ١، ص ١٢٥، شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ١٠٩، «وقد روت العامة وانجاسة قوله ﷺ: أَقْضَاكُمْ عَنِّي» زمكة في الشريعة، ص ٥٠، معالم الإسلام، ج ١، ص ٢٤، المواضع، ج ٢، ص ٢٧، كشف الغطاء، ج ١، ص ١٠٢، ج ٢، ص ٥٠٩، الانصاف فيما تضمنه الكتاب، ج ٢، ص ٢٧٢، احكام القرآن، ج ٤، ص ٢٠٢، تفسير القرطبي، ج ١٢، ص ١٠٢، الزاقي بسوغيات، ج ٢١، ص ١٢٩، وغيره كثير.

المسلمين، أو يجعلها صدقات يتمتع بها المساكين، ولكن نرى أنه ترك حجرة فاطمة لها، وحجرات زوجات الرسول لكل واحدةٍ منهنَّ الإرث من باب حجرتها.

وسابعا: إذا كان أبو بكر يؤمن بما يقول، ويعتقد بالحديث الذي رواه «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» فلماذا ردَّ فذك - بعد أيامٍ - على فاطمة وكتب لها كتاباً في ذلك، إلا أنَّ عمر أخذ منها الكتاب ومزقه ومنعها من التصرف في فذك، كما رواه في السيرة الحلبية^(١) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة^(٢)، ولماذا أرجع عمر نفسه فذكاً لأولاد فاطمة عليها السلام بعد موتها - كما في كتاب معجم البلدان^(٣) - مع أن عمر بصق في كتاب أبي بكر الذي أمر به بإرجاع فذك لفاطمة في زمان حياته!!.

وثامناً وأخيراً: نسأل ما هو المبرر لأبي بكر في أن يعتدي على أمير المؤمنين ويسبّه، إذا كان له مسوِّغٌ في ردِّ شهادته، فما هو المسوِّغ في سبّه وشتمه وإيذائه؟!

نقل ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي بكر الجوهري بإسناده إلى جعفر بن محمد بن عمار، قال: فلما سمع أبو بكر خطبتها شقَّ عليه مقالتها، فصعد المنبر، وقال: «أيها الناس، ما هذه الرعة إلى كلِّ قالة؟ أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله ﷺ ألا من سمعَ فليقل، ومن شهد فليتكلم، إنما هو ثعالة شهيدُه ذنبُه، مربِّ لكلِّ فتنة، هو الذي يقول: كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفاء، ويستنصرون بالنساء، كأُمَّ طَّحال أحبَّ أهلها إليها البغي...!!»^(٤).

ثمَّ إنَّ ابن أبي الحديد يستغرب من جواب أبي بكر، يقول: قرأت هذا الكلام على

(١) انظر: سيرة النخبة: ج ٣، ص ٨٨.

(٢) انظر: شرح نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ «إلا أنه ما خلف في ثبوت انتضية» فراجع كلامه قري.

ما فيه من استبعاد محض بلا دليل ولا حجة.

(٣) انظر: معجم البلدان: ج ٤، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج ١، ص ٢١٥.

وحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح^(٣٧)

(٢) من تسمية زائدة للحجر يصر ولها قصة فريفة، أنطوا: "الوحي بأوغياث: ج ١٥، ص ١١٥، "المصدر المهمة في معرفة الأئمة" ج ٢، ص ٤٤٦، وجد في ترجمته في خمس المصادر المذكور أنه: أبي الموارس سعد بن محمد بن سعد بن عيسى التميمي، لقوي في بغداد سنة (١٢٥٥هـ) عليه شافعي جدي غلب عليه "النسر مشهور به، وتُلب بالحجر يصر لأنه زار روما في اضطراب من سيء بينهم ففارق ما بال القوم في حجر حص، أي في سنة وصيق.

وقد قال رسول الله ﷺ: «أنا سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم»^(١) وقد روى كثير من أعلام العامة ومحدثيهم أنّ النبي ﷺ قال في عليٍّ وفاطمة: «مَنْ آذَاهمَا فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ»^(٢) «وَمَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ»^(٣). وليتهم اكتفوا بالسبِّ فقط، بل وصل الأمر بهم إلى أن يمدّوا أيديهم إلى وجهِ فاطمة الزَّهراء عليها السلام فيضربوها، ويكسروا ضلعها، فرجعت إلى أبيها مُحَمَّرَةً العين، مسوِّدَةً المتن، ناحلة الجسم، منهَّدة الرُّكن.

رَضُوا سَلِيلَةَ أَحْمَدَ بِالْبَابِ حَتَّى	أُنْبِتُوا فِي صَدْرِهَا مَسَامِرَهَا
عَصَرُوا ابْنَةَ الْهَادِي الْأَمِينِ وَأَسْقَطُوا	مِنْهَا الْجَنِينَ وَأَخْرَجُوا كَرَارَهَا
وَالْعَبْدُ سَوَّدَ مَتْنَهَا فَاسْتَنْصَرَتْ	أَسْفًا فَلَيْتَكَ تَسْمَعُ إِسْتِنْصَارَهَا
فَقَضَتْ وَأَثَارَ السَّيَاطِ بِمَتْنِهَا	يَالَيْتَ عَيْنَكَ عَايَنْتَ آثَارَهَا ^(٤)

(١) بدء الفتنة العظمى، ص ١٥١، وأنظر: المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٥٥، نفع درر سمعته، ص ٣٣٢.

الإصابة، ج ٨، ص ٢١٠، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٦، ص ٢١٩، (والصائر ما عدا الأول فيها تقييم وتأخير).

(٢) أنظر: بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٣٢٢، تفسير البرهان، ج ٦، ص ٢١٥، ج ٦، نهج الأعيان، ص ١٠٢.

انفصيل الخفايا، ص ٨٩، مستجد، ص ١٢٥، الملاحم والفتن، ص ٢٥٣.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق، ص ١٥٧، ج ٢، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ٥٢، ج ٢، المستدرک على

الصحاحين، ج ٢، ص ١٢١، الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٠٨، ج ٨٨٦، فخر المصنف، ج ١، ص ٥٥٣.

اساقب، ص ١٢٧، وغيره كثير.

(٤) هذه الأبيات من قصيدة رائعة للمرحوم السيد علي التبرك، أنظر: مجلس مصانف أهل البيت (عليه السلام).

الحاضرة
التاسعة



شذرات من حياة
الحقيل المنزيب



اليومُ يومٌ حُزنُهُ لا يذهبُ
ماتت ونازلُ الوجدِ بينَ ضلوعِها
قد أوصلتُ أيَّامَها بأنينِها
ما انفك رُزءُ الطِّفِّ يأكلُ قلبَها
قلبٌ تحمَّلَ من صُروفِ زمانِه
رأتِ الأحبَّةَ والحُسَيْنَ لجنبِهم
فمشتُ وسائقُ ظعنِها شمرُ الحنا
وقضتُ زمانَ الأسرِ من بلدٍ إلى
قد أوضحتُ بخطابِها عَمَّا خفى
لم لا تكون أُميرةً بخطابِها
بقيت ببحرِ الحُزنِ تسبحُ والأسى
حتَّى انتهت منها الحياةُ وقلبُها
ماتت وما ماتت عقيلةُ هاشمٍ
وهي التي إن غُيِّتْ في حَداها

ماتت به أمُّ المصائبِ (زينبُ)
مما جرى في الغاضريةِ تلهبُ
وحينها ودموعُها لا تنضبُ
ذاك الصبورُ لدى الخطوبِ (الطيبُ)
ما منه يذبلُ خيفةً يتهيبُ
ثاوٍ وكُلُّ بالدماءِ مُحضَّبُ
وإذا بكتُ وجداً تُسبُّ وتضربُ
بلد تُؤنَّبُ في الخصومِ وتخطبُ
للناسِ من فضلٍ لها فتعجبوا
وأُميرُ كُلِّ المؤمنينَ لها بُ
بعد الحسينِ وللمنيَّةِ تطلبُ
سِفراً كبيراً بالشجونِ ومكتبُ
فلها الوجودُ من المهيمنِ مُوهبُ
فلها مواقفُ شمسُها لا تغربُ^(١)

زينب بعد يوم الطف ما بطلت بواجيها

لَمَن ذبل منها العود اوعمت كربلاء اعليها

(١) القصيدة لأخانا الأديب السبح محمد سعيد المصري رحمه الله. وقد تقدمت ترجمته في الحاضرة:

الروضة من هذا الكتاب ص ١٠١.

ص: ٢١، نعيد إلى المتبقي، وإثارة أظهر.

نزل في يوم من الأيام إلى خيمة أعرابية، وكانت عندها دجاجة وقد أمسى عندها، فذبحتها وجاءت بها إليه، وقالت: يا بن جعفر، هذه دجاجة كنت أطعمها من قوتي وأمسها في آناء الليل، فكأنها ألمس بتناً نزلت من كبدي، فنذرت لها أن أدفنها في أكرم بقعة، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك، فأردت أن أدفنها فيه، فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم^(١).

ولدت العقيلة زينب الكبرى لعبد الله بن جعفر الطيار علياً وعوناً الأكبر وعبّاساً، وأمّ كلثوم.

أما عون فقد استشهد مع خاله الحسين في كربلاء يوم الطفّ، قُتل في جملة آل أبي طالب^(٢).

ولما ولدت الحوراء زينب عليها السلام استبشر بها أبوها الإمام علي عليه السلام وأخذها من أمّها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إذ قالت: «سمّ هذه المولودة»، فقال: «ما كنتُ لأسبق أباك رسول الله صلى الله عليه وآله» وكان في سفر له، وأجرى عليها مراسيم الإسلام في المولود، فقد أذن في أذنها اليمنى وأقام في اليسرى.

ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله احتضنها، وسأل الإمام علياً عليه السلام عن اسمها، قال: «ما كنتُ لأسبقك يا رسول الله»، فقال صلى الله عليه وآله: «ما كنتُ لأسبق ربّي تعالى»، فهبط الأمين جبرائيل يقرأ على النبيّ السلام من الله الجليل العلّام، وقال له: «سمّ هذه المولودة زينب، فقد اختار الله سبحانه لها هذا الاسم».

ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب، فبكى النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال: «من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام»^(٣).

(١) انحصار في أيام التخصيص، ص: ٢٠٠.

(٢) مقتل الإمام الحسين عليه السلام (أبي مخنف)، ص: ١٠٥، ١٠٧، مقتل الطالبين، ص: ١٠٠.

(٣) وفيات النجف، ص: ٢١٠.

هكذا يُشير النبي الأكرم ﷺ إلى ثواب الباكي على العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين ﷺ.

نسبها من خير الأنساب وزوجها من خير الأزواج، فجدها الرسول الأعظم ﷺ وأبوها أمير المؤمنين ﷺ وأُمُّها فاطمة الزهراء ﷺ وإخوتها الحسن والحسين ﷺ.

وإذا ضمنا إلى ذلك كله علمها وفضلها وورعها وعبادتها وتقواها وعمق معرفتها بالله تعالى كان لشرفها شرفٌ خاصٌّ لا يبلغ كنهه العادّون، ولا يحصيه المحصّون إلّا مَنْ كان من أهل بيت العصمة والطهارة.

ومّا زاد في شرفها أنّ الخمسة الطاهرين أهل الكساء كانوا يحبّونها حبّاً جمّاً، ويكفيك معرفة في عفتها ما رواه يحيى المازني قال: جاورت أمير المؤمنين عليّاً ﷺ في المدينة المنورة مدّة مديدة وبالقرب من البيت الذي تسكنه ابنته السيدة زينب، فلا والله، ما رأيت لها شخصاً ولا سمعت لها صوتاً، وكان إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها تخرج ليلاً، الحسن عن يمينها والحسين عن شمالها، وأمير المؤمنين ﷺ أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف، سبقها أمير المؤمنين ﷺ فأخذ ضوء القناديل، فسأله الإمام الحسن ﷺ مرّة عن ذلك، فقال: «أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أُختك زينب»^(١). وجاء في بعض الأخبار، أنّ الإمام الحسين ﷺ إذا زارته أخته زينب يقوم لها إجلالاً ويجلسها في مكانه^(٢).

وقد شاركت أمُّها الزهراء ﷺ في هذه المرتبة عندما كان يقوم رسول الله ﷺ حينها تدخل فاطمة تجلسها في مكانه، وفي بعض الأخبار يقبلها ويجلسها في مكانه^(٣).

ومن هنا سمّيت الحوراء زينب ﷺ بالصدّيقة الصغرى؛ لاقتراانها بعدّة صفات من صفات أمّها فاطمة الزهراء ﷺ، حيث كانت أمُّها الصدّيقة الكبرى.

(١) بحبّيات الشيعة، ص ٢٠٢.

(٢) أنظر: المصدر نفسه.

(٣) أنظر: المعن الكبرى، ج ٥، ص ٣٦٢، لأدب المفرد، ص ٢٠٢.

وأما علمُها ومعرفُها بالله تبارك وتعالى فهي المتريّة في مدينة العلم النبويّ، المعتكفة بعده ببابها العلويّ، المتغذّية بلبانه من أمّها الصديقة الطاهرة عليها السلام، وقد طوت عمراً من الدّهر بين الإمامين السّبطين، فهي من عيبة علم آل مُحَمَّد عليه السلام، وفضائلهم التي اعترف بها عدوّهم الألدّ يزيد الطاغية بقوله في الإمام السجادة عليه السلام: «إنّه من أهل بيت زقوا العلم زقاً»^(١).

ويكفيها في المقام كلمة الإمام السجادة عليه السلام التي افتتحتها بها كلامنا حيث قال: «أنت بحمد الله عالمةٌ غيرُ معلّمةٍ وفهمّةٌ غيرُ مُفهمّةٍ»، معنى ذلك أنّ علمك من الله وفهمك كذلك. فالإمام عليه السلام يريد أن يشير إلى أنّ مادّة علمها من سنخ ما منح رجال بيتها الرفيع أفيض عليها إلهاماً.

ولا شك أنّ الذي يخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه^(٢)، فكيف بالحوراء زينب التي أخلصت لله في كلّ أطوار عمرها وأدواره، فما ظنّك بالمتفجر من قلبها عليها السلام؟!

وروي أنّها في طفولتها كانت جالسة في حجر أبيها - وهو عليه السلام يلاطفها بالكلام - فقال لها: «يا بنيتي قولي: واحد». فقالت: «واحد». فقال لها: «قولي اثنين». فسكتت، فقال لها: «تكلمي يا قرّة عيني». فقالت عليها السلام: «يا أبتاه، ما أطيق أن أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد». فضمّها عليه السلام إلى صدره وقبلها بين عينيها^(٣).

وإنّ زينب عليها السلام - في رواية أخرى - قالت لأبيها: «أُتَحَبَّنَا يا أبتاه؟» فقال عليه السلام: «وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي!» فقالت عليها السلام: «يا أبتاه، إنّ الحبّ لله تعالى والشفقة لنا»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) أنوار العيون أجود الرضاه عليه السلام: ج ١، ص ٢٢٠، ج ٢، ص ٣١١.

(٣) نجرة طلوس: ج ٢، ص ٦٢.

(٤) المصدر نفسه.

وإذا تأمل المتأمل هذا الكلام رأى فيه علماً جمّاً، فإذا عرف صدوره من طفلة كزينب عليها السلام يوم ذاك بانت له منزلتها في العلم والمعرفة^(١).

وأما مشاطرتها لمصائب أخيها الحسين عليه السلام فهي بيت القصيد، وهي أبرز معلّم من معالم حياة الحوراء زينب عليها السلام، حتّى أنّها تحمّلت ما يضعف عن حمله الرجال.

ورحم الله الشاعر حيث يقول:

ولو أنّ النساء كمن ذكرنا لفضّلنّ النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهِلال

فلا مبالغة في أن نقول: إنّ الحوراء زينب كانت شريكة أخيها الحسين في نهضته، ومشاطرة له في جهوده التي بذلها في سبيل تحقيق أمنيّته، ولولا الإمام زين العابدين عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام؛ لذهبت جهود الإمام الحسين عليه السلام أدراج الرياح، إذ أنّ يزيد وأتباعه - وهم أتباع معاوية - أشاعوا بأن الحسين عليه السلام خارجي خرج على سلطان المسلمين، وإذا بصوت الإمام زين العابدين عليه السلام وصوت الحوراء زينب عليها السلام يجلجل في ذلك الجو الصاخب، ويدوي في مجلس يزيد الحاشد بجماهير الوفود والمتفرّجين والمهتّين له في عيده عيد الظفر، فالقى الإمام زين العابدين عليه السلام خطبته التي فضح بها يزيد، وكذلك صنعت الحوراء زينب عليها السلام.

وقد يعترض البعض قائلاً: أليس في زين العابدين عليه السلام كفاية لإتمام مهمّة الحسين والقيام بها عن حمل زينب معه فضلاً عن غيرها من النساء، مع أنّه إمام زمانها وحيّة عصرها، وأين قوّة إرادة الإمام من المأمومين؟!

وهذا الاعتراض مردود بالآتي:

أولاً: بالنقض برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الله قد زوّده - لما أراد إرساله - من القوّة البشرية

(١) أنظر: نعقبه: بسبب الضياع - ج ٣ - ٣.

فضلاً عن الإلهية بما يستطيع أن يقابل بها الجيوش وحده، فلماذا يدعو الناس أن يجيروه من أيدي الأعداء والاعتداء ليلبغ رسالته السأوية؟ ولماذا يدعو لنصرته المستضعفين من النساء والصبيان؟!

وثانياً: فإن زينب قد قامت بأعمال كثيرة ليس من شأن الإمام زين العابدين عليه السلام القيام بها إلا من باب المعجزة، وقد شاء الله أن يسير دينه في الخلق سيراً طبيعياً.
ومن الأمور التي قامت بها الحوراء زينب عليها السلام على نحو الاختصار لا الحصر:

١- لقد ألقى الإمام الحسين عليه السلام على عاتقها مسؤولية حفظ عياله وأطفاله، وما كانت تنهض بهذا العبء الثقيل، وهي في مثل تلك الحالة لو لم يستجب الله دعاءها بأن يربط على قلبها بالصبر حينما ناءت بهذا الحمل الثقيل، فأخبر عنها حجة عصرها الإمام زين العابدين عليه السلام أنه عاد قلبها بعد مصرع الحسين كزبر الحديد، وبهذا الصبر كافحت تلك الخطوب وثبتت لتلك الأهوال، ولم تحرقواها أمام تلك الفوادم، ولم تتزلزل جبال حلمها بهاتيك العواصف، ولم تتحرك قيد شعره لتلك القواصف.

بأبي التي ورثت مصائب أمها فعدت تُقابلها بصبر أبيها
لم تله عن جمع العيال وحفظهم بفرار إخوتها وفقد بنيها

٢- ما جاء في كثير من الأخبار أن الحوراء زينب عليها السلام قامت مقام أخيها في ترويج أحكام الشريعة، وكانت الكهف الذي يأوي إليه الكثير من المسلمين والشيعة في الملمات، وأنها حملت الكثير من وصايا أخيها الحسين، حتى أدتها إلى خليفته زين العابدين، وأنها كانت الحجة الظاهرة والقائمة مقام إمام زمانها وحجة عصرها السجادة عليه السلام.

٣- وكانت مع هذه الشواغل التي تفت الصخر الأصم؛ من حماية الأطفال واليتامى، وتسليّة الثوكل، إلى غير ذلك، تنوب عن أخيها الحسين عليه السلام في وفادة وفوده وهم الكثرة الهائلة من الناس ومنهم من له عادة سنوية.

وفي يوم من الأيام طرق أحدهم الباب، وعرفت زينب أنّه أحد الوفود لأخيها الحسين الذين يفدون عليه في كلّ عام مرّة، دفعت له من وراء الباب قلادة، وقالت له: خذها وانصرف إلى أهلك فإنّ صاحب المنزل غائب. قال: أنتظره أياماً، قالت: ما يعود، قال: فأسبوعاً، قالت: ما يعود. وأخذ كلّما زاد في آجال الانتظار والوعود أجابته زينب - بحرقة وشجى مضاعف قائلة: ما يعود، حتّى انتهى الأمر به من الأسابيع إلى الأشهر المتعدّدة ووصل إلى العام، وهو في تلك المراجعات يضع على جرح فؤاده جرحاً ويذرّ عليها بكثرة إلحاحه ملحاً، ولم يكن ذكياً ليعرف المعنى الذي ترمي إليه، بل كان حريصاً أشدّ الحرص على حضور مولاه والمثول بين يديه؛ ليُسرح طرف ناظره برياض قسماته، ويتمتع بسماع حديثه الشهي، إلى أن انتهى بها الجواب أنّه لا يعود ولو بعد عام، أحسّ قلبه بالكرب والبلاء، ولم يكن خياله ليحدّثه بأنّ تلك الكف الكريمة يأكلها التراب والبلاء، وكأنّه كان نائماً فاستيقظ، فسألها بلهفة التطلّع وحرقة السؤال. قال لها: إذن قولي: مات مولاي الحسين؟

قالت له: ويحك، ويحك أيّها الوافد، إنّ الأمر فوق ما تظنّ، والخطب أجل وأعظم ممّا تتصوّر، فهل تستطيع أن تسمع جوابها لك «عظم الله أجرك بمولاي الحسين فقد قُتل في كربلاء عطشاناً غريباً، وقُتل معه أهل بيته ولم يرجع إلى أوطانهم إلّا نساؤهم الأيامي وأطفالهم اليتامي»^(١).

بقيت الحوراء زينب عليها السلام على هذه الحالة محزونة مكروبة إلى أن أخذ الزمان بها وبزوجها عبد الله أن يزورا الشّام، وفي الطريق نظرت الحوراء زينب عليها السلام إلى شجرة، التفتت إلى ابن عمّها قالت له: أترى هذه الشجرة وهي مختنقة بعبرتها؟ قال لها: بلى، قالت له: هذه الشجرة قد علّقوا عليها رأس الحسين عليه السلام، دارت بها الذكريات وذكّرت تلك الساعات التي

(١) انظر: ميسرة النعمين عليه السلام: ٢٣، ص: ١٠ - ١١.

طاف بها القوم في تلك الديار، وما كان يغمرها عندها من الآلام والأحزان.

فطلبت من زوجها أن يستقرَّ بها عند هذه الشجرة، فاستجاب ابن عمِّها لها، آه آه:

من وصلت لأراضي الشَّام	أوشافت عينها الشجره
التفتت صوب ابن عمِّها	وگامت تجذب الحسره
گالت حط ظعنه اهنّا	ولا يمشي بعد منّا
بگت إملازمة الشجره	المظلومه ثلث تيام
تگوم اوتگعد ايهما	المنهّا عانت الآلام
اورابع يوم بس أصبح	گضت أمّ الحزن بالشَّام
ماتت والگلب دامی	الفگد الميمر السّامي

بالشَّام ريت الشَّام مهجوم	ماتت عزيزة حيدر اليوم
ابجفن اليسح اوبگلب مالوم	أمّ المصايب وأمّ الهموم

(بحراني)

يا آل هاشم ما تجون ابسود الأعلام
ماتت عقليتكم غريبه ابلدة الشَّام
من عُگب وقعة كربلا ظلّت حزينه
اتحنّ اعلى حتتها جميع أهل المدينه
اوتصدع الممر من تصيح احسين وینه
اووين النفل عبّاس والأکبر وجسّام

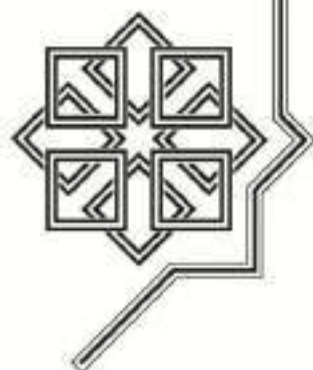
راحت ليالي السعد وياهم والأفراح
 اوصيوان عزنه الجان يا ويلى هوه اوطاح
 ابغلبى اجروح ايفور دمها اشلون أرتاح
 جرح السيوف ايهون عنها وجرح السهام^(١)

هاجَ وَجْدِي لِزَيْنَبَ إِذْ عَرَاهَا فَادْحُ فِي الطَّفُوفِ هَدَّ قُورَاهَا

(١) من نصوص أستاذنا الشيخ محمد سعيد المنصورى رحمه الله مع تصانيفه بدير.

الحاضرة الأربعة

شَدَّاتٍ مِنْ حَيَاةِ
السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الْمُعْصُومَةِ
عَلَيْهَا السَّلَامُ



لهفَ نفسي لبنتِ (موسى) سقاها
فارقَت والدًا شفيقًا عطوفًا
أودعتهُ قعرَ السَّجونِ أناسُ
وإلى أن قضى سَميًا فراحَت
وأتى بعدهُ فراقُ أخيها
كلُّ يومٍ يَمُرُّ كانَ عليها
أقبلتُ تقطعُ الطَّريقَ اشتياقًا
ثمَّ لما بها الظَّعينةُ وافت
قامَ (موسى)^(١) لها بحسنِ صنيعٍ
نزلتُ بيتَهُ فقَامَ بِما استطاع
ما مضتُ غيرَ برهةٍ من زمانٍ
وإلى جانبِهِ سقامُ أذابَ الجسمَ
فقضتُ نحبَها غريبةَ دارٍ
أطبقتُ جفَنَها إلى الموتِ لكنْ

الدَّهرُ كأسًا فزادَ منهُ بلاها
حاربتُ عينَها عليهِ كراها
أنكرتُ ربَّها الذي قدِّبَ براها
تتكلُّ النَّاسَ في شديدِ بُكاها
حينَ في مروٍ أسكتتهُ عداها
مثلُ عامٍ فأسرعتُ في سراها
لأخيها الرِّضا وحامي حِماها
أرضَ قَمٍّ وذاك كانَ مُناها
إذْ ولاءُ الرِّضا أخيها ولاها
منْ خدمةٍ لها أسداها
فاعترأها من الأسي ما اعترأها
منها وثقلُها اظناها
بعدما قطَّعَ الفراقُ حشاها
مارأتُ والدَ الجوادِ أخاها^(٢)

من شوغها إتعت لخوا
أهل المودّة إيتلگوها

اووصلت بلدقم اوأجوها
لاچن بعد مدّه افگدوها

(١) موسى بن حنّان، المعروف بـ"موسى بن حنّان".

(٢) الضبط لأستاذنا العفيف الشيخ محمد سعيد الموسوي (رحمته الله). وقد تقدّمت ترجمته في المحاضرة "تاريخ".

(٣) فقام الزيدان. ص ٢٠٥، باب ١٠، ج ١، ٢٠١.

تعالى عليها وعلى الإمام الكاظم عليه السلام بمولودة تكون أختاً للإمام الرضا عليه السلام.
ولأجل العلاقة الخاصة بين الإمام الكاظم عليه السلام وجدته فاطمة الزهراء عليها السلام سمى
الإمام عليه السلام ابنته الجديدة (فاطمة) تيمناً بفاطمة الزهراء (روحي فداها)، وهذا ديدن
الأئمة عليهم السلام، ولعلك لا تجد إماماً إلا وقد سمى واحدة أو اثنتين من بناته بفاطمة، وهذا
ناشئ من العلاقة الحميمة بين الأئمة عليهم السلام وأمهم الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام.
ولفرط تقوى هذه السيدة الجليلة وصلاحتها عرفت فيما بعد بـ (المعصومة)، واقتدت
بأبيها في العصمة عن الرجس من كل إثم ولم.

ولهذا الاسم (فاطمة) عند أهل البيت عليهم السلام شجاءه الخاص بما يحمل ويحكي من
ذكريات حلوة ومرة تعرضت لها الصديقة فاطمة الزهراء، هذه الصديقة الكبرى، حتى
أنهم عليهم السلام كانوا إذا سموا واحدة من بناتهم بفاطمة حظيت بمكانة خاصة من الإحترام
والتقدير، لعلها لا تدنو إليها منزلة وتقدير سائر بناتهم عليهم السلام، والسيدة المعصومة عليها السلام لم تكن
مستثناة من تلك العادة الحسنة والطريقة الصائبة عند أهل البيت عليهم السلام، فإنها عليها السلام حظيت
من أبيها بتربية خاصة، ورعاية صالحة لا نظير لها^(١).

عاشت السيدة المعصومة في كنف والديها الكريمين - الإمام الكاظم عليه السلام ونجمة عليها السلام -
تكتسب منهما الفضائل والكارم؛ إذ كان أبوها إماماً معصوماً، وليس له في الفضائل
والتقى من نظير، وأمها نجمة أيضاً من النساء الصالحات المؤمنات اللواتي تعلمن في
مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبالأخص في مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وبالأخص
عند زوجة الإمام الصادق عليها السلام، أم الإمام الكاظم عليه السلام، والتي اختارها الإمام الباقر عليه السلام،
والتي كان يُعبر عنها الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة
الذهب مازالت الأملاك تحرسها...»^(٢).

(١) نسخة من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام: ص ٧.

(٢) الخافي: ج ١، ص ١٧، ج ٢، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٢٤، بحار الأنوار: ج ٩، ص ٦، ج ١٠، عن الكافي.

وهذه المرأة المصفاة هي أم الإمام الكاظم عليه السلام، وهي التي أشارت عليه السلام أن يتزوج بـ (نجمة).

فكانت السيدة المعصومة عليها السلام تستفيد كل يوم من والدها وأخيها المعصومين عليهم السلام وأُمّها التقية الصالحة العاملة، بحيث نالت المقام الرفيع والمنزلة العالية من العلم والمعرفة والفضيلة وصارت عارفة بالكثير من العلوم والمسائل الإسلامية في أيام صباها. ومن هذه الدلائل ما حدث في أحد تلك الأيام حيث أتى جمع من الشيعة إلى المدينة؛ لكي يعرضوا بعض أسئلتهم الدينية على إمامهم آنذاك، وهو الإمام الكاظم عليه السلام حتى يأخذوا العلم من معدنه وأصله، إلا أن الحظ لم يُحالفهم، إذ أن الإمام الكاظم عليه السلام وابنه الإمام الرضا عليه السلام كانا في سفر ولم يكونا حاضرين في المدينة، فاغتمّ الجمع الصالح من شيعة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم لم يعثروا على ضالّتهم المنشودة حيث لم يجدوا حجة الله، ومن يقدر على جواب مسائلهم.

فاضطّروا للتفكير جدّاً بالرجوع إلى بلدتهم، وعندما عرفت السيدة المعصومة عليها السلام حُزن هؤلاء النفر من الشيعة أخذت منهم أسئلتهم التي كانت عندهم مكتوبة وأجابت عنها برمتها، وعندئذٍ تبدّل حُزن الجماعة بفرحٍ شديد ورجعوا - بعد ما ظفروا على أجوبة لمسائلهم - فرحين ومسرورين إلى بلادهم وديارهم، وفي الطريق التقوا بالإمام الكاظم عليه السلام خارج المدينة وحدثوه بما جرى عليهم من أجوبة ابنته المعصومة عليها السلام لمسائلهم، وبعد ما رأى الإمام الكاظم عليه السلام جواب ابنته على تلك المسائل أثنى عليها بعبارة مختصرة، وهي: «فداها أبوها»^(١)، ولكن هذه العبارة مع اختصارها تحمل أسراراً كثيرة؛ إذ كيف يقولها الإمام عليه السلام لولا أنه رأى أنها تستحق ذلك، وهذه من تعابير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بحق الزهراء عليها السلام.

لكن بعد هذا العزّ وتلك المنزلة - ولقاعدة أن الدنيا صفوها لا يدوم لأحد - فقدت

(١) نسخة: «سيدة شامسة المعصومة عليها السلام»: ٩.

أبأها الإمام الكاظم عليه السلام، وانتقلت الإمامة إلى ابنه الإمام الرضا عليه السلام، الذي كان في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف، وكان عليه السلام - بالإضافة إلى إمامته الإلهية وهداية الأمة الإسلامية - الوصي الوحيد لأبيه الكاظم عليه السلام الذي يتولّى مسؤولية أبناء الإمام الكاظم عليه السلام إخوانه وأخواته، ومنهم السيّدة الجليلة فاطمة المعصومة عليها السلام وكانت تُحبّ الإمام الرضا عليه السلام حبّاً خاصّاً، ولما حمله المأمون إلى خراسان^(١) قسراً ليسلمه ولاية العهد - والتي كانت مؤامرة على أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام غير خفية عليهم ولا على خواصهم - اشتدّ شوقها إلى أخيها الإمام الرضا عليه السلام؛ فخرجت في أثره، وذلك في سنة (٢٠١هـ)، كما حدّث بذلك العلامة المجلسي رحمته الله، وكانت قد قطعت تلك المفاوز والصحاري، ووجه أخيها الإمام الرضا عليه السلام يترأى لها ممّا أدّى بها إلى مواصلة المسير لبصيص الأمل هذا.

فلما وصلت إلى (ساوة) وهي قرية من قرى قم، مرضت فسألت كم بيني وبين قم؟ قالوا: عشرة فراسخ^(٢)، فأمرت خادمها فذهب بها إلى قم، ولما وصل الخبر إلى آل سعد أن فاطمة بنت موسى بن جعفر تنزل في بلدة قم، اتفقوا وخرجوا وكلّ منهم يطلب نزولها عنده في داره، فخرج من بينهم موسى بن خزرج وأخذ بزمام الناقة - ناقتها - وجرّها إلى قم وأنزلها في داره، وكانوا مسرورين لدخول السيدة فاطمة عليها السلام دارهم.

وكان موسى بن خزرج ذا يسرٍ وبيتٍ وسيع، وأنزل السيدة في داره، وتكفل بضيافتها ومرافقتها، واستشعر موسى بن خزرج فرط السعادة بخدمته لضيوف الإمام الرضا عليه السلام القادمين من المدينة، وهياً لهم كلّ ما يحتاجونه.

وانتخدت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام معبداً لها في منزل موسى بن خزرج؛ لكي تبتهل إلى الله عزّ وجلّ، وتعبده وتناجيه وتشكو إليه ألامها وتستعينه على ما ألمّ بها.

(١) وذلك في سنة ٢٠١ للهجرة.

(٢) الفرسنج بمقدار (٥,٥) كيلو متراً تقريباً، انتهى، (فدس - سرهم).

وهذا المعبد باقٍ وموجود إلى الآن ويسمى بـ(بيت النور)^(١).

إلى أن مرضت بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مرضاً شديداً حتى أقلق مرافقيها وأهالي قم كثيراً مع أنهم لم ييخلوا عليها بشيءٍ من العلاج، إلا أن حالها يزداد سوءاً، يوماً بعد يوم؛ لأن المرض قد تجدد في بدن الشريفة، وفي العاشر من ربيع الثاني سنة (٢٠١ هـ) توفيت السيدة المعصومة عليها السلام دون أن ترى أخاها، وما زالت دمة عينها لفراق أخيها مغرورة في الأحداق بعد أن أحاطها الدهر بمصائبه من كل جانب. أُنْجِعَ أَهْلُ قَمِ بَتْلَكَ المصيبة، وفي غاية الحزن لوفاتها أقاموا العزاء عليها، وأمر موسى بن خنجر بتغسيلها وتكفينها ثم صلى عليها موسى بن خنجر في حشد كبير من شيعة أهل البيت عليهم السلام في قم المقدسة، ولكن اختلفوا بالذي ينزلها في قبرها ويدفنها.

تبادل الحاضرون الرأي وأخيراً اتفقوا أن يوكلوا هذا العمل إلى شيخ كبير صالح اسمه (قادر)، وأرسلوا شخصاً لإحضاره، ولكن مشيئة الله كانت غير ذلك، فلم يجدوا هذا الرجل الصالح، فبينما هم كذلك وإذا بفارس مُلثم أقبل إلى الجنائزة، فتولّى إنزالها في القبر، ثم أهال التراب عليها وعاد من حيث أتى ولا أحدٌ يدري مَنْ هو^(٢).

صار لهم عليها من البچه ويد	وبعض من الوسف ظل يصفج الإيد
شريفه او كاصده إخيها امن ابعيد	او بأرض قم گربت منها المنيه
وينه الي يوصل ليه الأخبار	ابها لساعة اويگلّه بالجره اوصار
همّه ابل حچي اولن شعت أنوار	يم جثمانها او ونه شجيه

نعم، لقد ماتت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام غريبة، ولكن شاء الله أن يكون لها قبرٌ شامخ يؤمّه آلاف الناس كل يوم، ولكن أسفي على فاطمة الزهراء عليها السلام التي ماتت بين أهلها وأصحاب أبيها، وليس لها قبر معروف يقصده الزائرون!!

(١) نسخة من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام: ص ٢٠.

(٢) نسخة من: ١- ص ٢٢، (٢) اختلاف يسير، ومجموع مصانف أهل البيت عليهم السلام: ج ٣ ص ٢٠٣.

(أبوزية)

عُـگـب عـزها عليها الدهر ينـصاب فجـعها اوخله دمع العين ينـصاب
إـهي بـتـمـن اوـمنها الضلع ينـصاب اوـحـماها مـكـيـد إـجـبـل الوـصـيه

ولأَيِّ الأُمـور تُـدْفـنُ سِرًّا بـضـعة المـُـصـطـفـى وِيعْفـى ثـراها
بـنـتٌ مـنْ أُمٍّ مـنْ حـلـيلـة مـنْ وِيلَ لَمَن سَنَ ظَلمَها وآذاها

تَمَّ الكُتَابُ بِعَوْنِ اللَّهِ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ

بِقَلَمِ الْمَذْنِبِ كَاطِمِ الْبِهَادِلِي

فهرست اهم المصادر

القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى.
نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام المستشهد سنة (٤٠هـ)، تحقيق الشيخ محمد عبدة، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
الصّحيفة السّجّادية، الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام المستشهد سنة (٩٤هـ)، المطبعة والناشر جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

- حرف الألف -

- ١ - إِبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمّد السماوي (ت ١٣٧٠هـ) تحقيق الشيخ محمد جعفر الطبسي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٣٧٧ش، منشورات حرس الثورة الإسلامية.
- ٢ - الأحاد والمثاني، الضحّاك (ت ٢٨٧هـ) تحقيق باسم فيصل أحمد الجوابرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، منشورات دَر الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية - الرياض.
- ٣ - الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) تحقيق وتعليق السيّد باقر الخراسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، سنة ١٣٨٦هـ.
- ٤ - أحكام القرآن، الجصاص (ت ٣٧٠هـ) تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٥ - الأخبار الطوال، أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢هـ) تحقيق عبد المنعم عامر، الدكتور جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى ١٩٦٠م، منشورات دار إحياء الكتب العربي، منشورات الشريف الرضي.
- ٦ - الاختصاص، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣هـ) تحقيق عليّ أكبر الغفاري، انتشارات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة.
- ٧ - الأخلاق الحسينيّة، جعفر الببائي (معاصر) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات أنوار الهدى.
- ٨ - الأخلاق والآداب الإسلامية، هيئة محمّد الأمين، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مكتبة الأمين، قم - إيران.
- ٩ - الإخوان، ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) تحقيق محمد عبد الرحمن طوالبه، بإشراف نجم عبد الرحمن خلف، انتشارات دار الاعتصام.

- ١٠ - أدب الطفّ، السيد جواد شبّر، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، دار المرتضى، بيروت - لبنان.
- ١١ - الأدب المفرد، البخاري، محمد بن إسماعيل، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، منشورات مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
- ١٢ - الإرشاد، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.
- ١٣ - أسباب النزول (الواحي) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، (ت ٤٦٨ هـ) مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع - القاهرة.
- ١٤ - الاستبصار، الشيخ الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ) تحقيق وتعليق السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة ١٣٦٣ هـ ش، منشورات دار الكتب الإسلامية، طهران.
- ١٥ - الاستيعاب، ابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق علي محمد الياوي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، منشورات دار الجليل، بيروت - لبنان.
- ١٦ - أسد الغابة، ابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ) منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ١٧ - الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي (معاصر) الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ، منشورات مؤسسة الزائر في الروضة المقدّسة للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، قم المقدّسة.
- ١٨ - الاعتقادات، الشيخ الصدوق، محمد بن بابويه القميّ (ت ٣٨١ هـ) نشر وتحقيق غلام رضا المازندراني، المطبعة العلمية، قم المقدّسة ١٤١٢ هـ.
- ١٩ - إعلام الوري، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة.
- ٢٠ - أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) تحقيق السيّد حسن الأمين منشورات دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٢١ - إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ) تحقيق محمد جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، منشورات مكتب الإعلام الإسلامي.
- ٢٢ - إكسیر المحبّة، مجهولة.
- ٢٣ - أمالي الشيخ الصدوق، محمد بن عليّ بن بابويه القميّ، (ت ٣٨١ هـ) الناشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم المقدّسة.
- ٢٤ - أمالي الشيخ الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، تحقيق مؤسسة البعثة، منشورات دار الثقافة.
- ٢٥ - أمالي الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ) تحقيق حسين الاستادومي، علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.

- ٢٦ - الإمامة والسياسة، ابن قُتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تحقيق طه محمد الزيني، منشورات مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع.
- ٢٧ - الانصاف فيما تضمنه الكشاف، ابن المنير الأسكندري (ت ٦٨٣هـ) منشورات مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٢٨ - أنوار البدرين، الشيخ عليّ البحراني (١٣٤٠هـ) تحقيق محمد علي الطبسي، سنة الطبع ١٣٧٧هـ في مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
- ٢٩ - الأنوار القدسية، الشيخ محمد حسين الأصفهاني (ت ١٣٢٠هـ) تحقيق الشيخ علي النهاوندي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم - إيران.
- ٣٠ - آيات متتخبة، السيد مهدي الخطيب الهنداوي (ت ١٤٢٧هـ)، مطبعة ستارة، قم المقدسة، الناشر المؤلف رحمته الله.
- ٣١ - إيضاح الفوائد، فخر المحققين، محمد بن الحسن بن المطهر الحليّ (ت ٧٧١هـ) تحقيق وتعليق السيّد حسين الموسوي الكرماني، الشيخ علي بنه الأشتهاردي، الشيخ عبد الرحيم البروجردي، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ، المطبعة العلمية، قم المقدسة.
- حرف الباء -
- ٣٢ - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ) الطبعة الثانية المصححة سنة ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- ٣٣ - البداية والنهاية، الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٣٤ - بشارة المصطفى، محمد بن علي الطبري الإمامي (ت ٥٢٥هـ) تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدسة.
- ٣٥ - بصائر الدرجات، الشيخ محمد بن الحسن الصفار، (ت ٢٩٠هـ) تحقيق ميرزا محسن كوجه باغي، الطبعة ١٣٦٢هـ ش ١٤٠٤هـ ق منشورات مؤسسة الأعلمي، طهران.
- ٣٦ - بغية الباحث، الحارث بن أبي سلمة (ت ٢٨٢هـ) تحقيق مسعد عبد الحميد محمد السعدني، منشورات دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصوير، القاهرة.
- ٣٧ - بلاغات النساء، أبو الفضل ابن طاهر، المعروف بابن طيفور (ت ٣٨٠هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.
- ٣٨ - بناء المقالة الفاطمية، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ) تحقيق السيد علي العدناني الغريفي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م، منشورات مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة.

- حرف التاء -

- ٣٩- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) الناشر مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
- ٤٠- تاريخ الإسلام، الذهبي، (ت ٧٤٨هـ) تحقيق د. عُمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م. منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٤١- تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق نخبة من العلماء، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٤٢- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، (ت ٥٧١هـ) تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، منشورات محمد علي ييضمون.
- ٤٣- تحرير الأحكام، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) تحقيق الشيخ إبراهيم البهادري، إشراف الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة.
- ٤٦- التحصيل في أيام التعطيل، السيد علي نقى الطبسي، مجهولة.
- ٤٧- تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، المتوفى في القرن الرابع، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٣٦٣ ش، ١٤٠٤هـ، منشورات جماعة المدرّسين، قم المقدسة.
- ٤٨- تحفة الأحوذى، المباركفوري، (ت ١٢٨٢هـ) الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٤٩- التحفة السنية، السيد عبد الله الجزائري (١١٨٠هـ) مخطوط.
- ٥٠- تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، قم المقدسة.
- ٥١- تذكرة الموضوعات، الفتني، محمد طاهر بن علي الهندي (ت ٩٨٦هـ) مجهولة.
- ٥٢- ترتيب إصلاح المنطق، ابن السكّيت الأهوازي (ت ٢٤٤هـ) تحقيق الشيخ محمد حسن بكائي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة - إيران.
- ٥٣- ترجمة الإمام الحسين (ابن عساكر)، ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ٥٤- ترجمة الإمام الحسين (طبقات ابن سعد)، ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، الطبعة الأولى، منشورات الهدف للإعلام والنشر.
- ٥٥- التعجب، أبو الفتح الكراچكي (ت ٤٤٩هـ) تحقيق فارس حسّون كريم.
- ٥٦- تفسير أبي السعود، أبو السعود، (ت ٩٥١هـ)، طباعة ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٥٧- تفسير أبي حمزة الثمالي، أبو حمزة الثمالي، ثابت بن دينار (ت ١٤٨هـ) تحقيق عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الشيخ محمد هادي معرفة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات الهادي، قم المقدسة.

- ٥٨ - تفسير الإمام العسكري عليه السلام، المنسوب للإمام العسكري عليه السلام (ت ٢٦٠هـ) الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام قم المقدسة.
- ٥٩ - تفسير الأمل، الشيخ مكارم الشيرازي، معاصر، طبعة جديدة منقحة مع إضافات.
- ٦٠ - تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٦١ - تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٦٢ - تفسير البيضاوي، البيضاوي (ت ٦٨٢هـ) منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٦٣ - تفسير التبيان، الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠هـ) تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.
- ٦٤ - تفسير الثعلبي، الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٦٥ - التفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني، (ت ١٠٩١هـ) تحقيق الشيخ حسين الأعلمي الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ، مطبعة مؤسسة الهادي، قم المقدسة، منشورات مكتبة الصدر، طهران - إيران.
- ٦٦ - تفسير العياشي، أبو النصر، محمد بن مسعود بن عياش السلمي، السمرقندي (ت ٣٢٠هـ) تحقيق الحاج هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية طهران.
- ٦٧ - تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق أحمد بن العليم البردوني، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٦٨ - تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، (ت ٣٢٩هـ) تصحيح وتعليق وتقديم السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف ١٣٨٧هـ، منشورات مكتبة الهدى.
- ٦٩ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، المطبعة البهية المصرية.
- ٧٠ - تفسير الكشاف، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) سنة الطبع ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م منشورات شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر.
- ٧١ - تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.
- ٧٢ - تفسير فرات الكوفي، أبو القاسم، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٥٢هـ) تحقيق محمد الكاظم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
- ٧٣ - تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدي (ت ١١٢٥هـ) تحقيق مجتبی العراقي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرسين، ١٤٠٧هـ، قم المقدسة.

- ٧٤ - تفسير مجمع البيان، أمين الإسلام الطبرسي (ت ٥٦٠هـ) تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٧٥ - تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ) تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ، مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة.
- ٧٦ - تنبيه الخواطر (مجموعة ورام)، أبو الحسين، ورام بن أبي فراس المالكي الأشثري (ت ٦٠٥هـ)، منشورات مكتبة الفقيه، قم - إيران.
- ٧٧ - تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات، محب الدين الأفندي (ت ١٠١٦هـ)، منشورات مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- ٧٨ - تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.
- ٧٩ - تهذيب الأحكام، الطوسي، محمد بن الحسن، (ت ٤٦٠هـ)، المطبعة خورشيد، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ ش، دار الكتب الإسلامية.
- ٨٠ - تهذيب التهذيب، شهاب الدين، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٨١ - تهذيب الكمال، جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ) تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٨٢ - التوحيد، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، سنة الطبع ١٣٨٧هـ من منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.
- حرف الثاء -
- ٨٣ - ثمرات الأعواد، السيد علي بن الحسين الهاشمي النجفي (ت ١٣٩٦هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة.
- ٨٤ - ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١هـ) المطبعة أمير، قم، الطبعة الثانية ١٣٦٨ ش، منشورات الشريف الرضي.
- حرف الجيم -
- ٨٥ - جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية ١٣٩٩هـ، قم المقدسة.
- ٨٦ - جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ) تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، تقديم الشيخ محمد رضا المظفر، الطبعة الرابعة، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
- ٨٨ - الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار الفكر

- للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٨٩ - جامع المقاصد، المحقق الكركي (ت ٩٤٠هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، قم المقدسة.
- ٩٠ - الجمل، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، مكتبة الداوري، قم - إيران.
- ٩١ - جواهر المطالب، محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت ٨٧١هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، منشورات مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة.
- حرف الحاء -
- ٩٢ - الحدائق الناضرة، الشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ)، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.
- ٩٣ - حقيقة علم آل محمد وجهاته، السيد عاشور (معاصر) مجهولة.
- ٩٤ - حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق الشيخ غلام الرضا البروجردي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.
- حرف الحاء -
- ٩٥ - الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، (ت ٥٧٣هـ) تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.
- ٩٦ - خزنة الأدب، البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق محمد نبي طريفي، إميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٩٧ - الخصال، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ، قم المقدسة.
- ٩٨ - خصائص الأئمة، الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق محمد هادي الأميني منشورات مجمع البحوث الإسلامية. الأستانة الرضوية المقدسة، مشهد - إيران.
- ٩٩ - الخصائص العباسية، الحاج محمد إبراهيم الكلباسي، الطبعة الأولى ١٣٧٨ ش - ١٤٢٠ هـ، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة.
- ١٠٠ - خصائص الوحي المبين، ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي (ت ٦٠٠هـ)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، منشورات دار القرآن.
- حرف الدال -
- ١٠١ - الدرّ النضيد، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٨ ش، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.

١٠٢ - الدرّ النظيم، ابن حاتم العاملي (ت ٦٦٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

١٠٣ - الدرجات الرفيعة، السيد علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات مكتبة بصيرتي، ١٣٩٧هـ، قم المقدّسة.

١٠٤ - الدروع الواقية، السيّد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدّسة، سنة ١٤١٤هـ.

١٠٥ - دعائم الإسلام، القاضي النعمان المصري (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، منشورات دار المعارف القاهرة ١٩٦٣م.

١٠٦ - دلائل الإمامة، الشيخ الطبري الإمامي المتوفّي أوائل القرن الرابع الهجري، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، مؤسسة البعثة، قم المقدّسة.

١٠٨ - ديوان دعل الخزاعي، دعل بن عليّ الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

١٠٩ - ديوان سيد رضا هندي، السيد رضا الموسوي الهندي (ت ١٣٦٢هـ)، تحقيق السيد موسى الموسوي، مراجعة وتعليق السيد عبد الصاحب الموسوي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان.

١١٠ - ديوان مفاتيح الدموع، الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، الناشر ولده المرحوم عبد الحسين المنصوري.

١١١ - ديوان ميراث المنبر، الشيخ محمد سعيد المنصوري (ت ١٤٢٨هـ)، طبع ونشر دار المنصوري، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

- حرف الذال -

١١٢ - ذوب النضار، ابن نما الحليّ (ت ٦٤٥هـ)، تحقيق فارس حسن كريم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

- حرف الراء -

١١٣ - رسائل الشهيد الثاني، الشيخ زين الدين الجبعي العاملي (ت ٩٦٦هـ)، الطبعة الحجرية، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدّسة.

١١٤ - الركب الحسيني، مجموعة (معاصرة) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ، إعداد ونشر مركز الدراسات الإسلامية ممثلة الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، قم المقدّسة.

١١٥ - روضة الواعظين، محمّد بن الفتال النيسابوري، (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق السيد محمد مهدي الخراسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة.

- ١١٦ - رياض السالكين، السيد علي خان المدني الشيرازي (ت ١١٢٠هـ)، تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
- ١١٧ - رياض المدح والثناء، الشيخ حسين علي آل الشيخ سليمان البلادي البحراني، تصحيح وتعليق حسن عبد الأمير، انتشارات المكتبة الحيدريّة، قم المقدسة، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ.
- حرف الزاي -
- ١١٨ - زهر الربيع، السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) مجهولة.
- حرف السين -
- ١١٩ - سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري (ت ٣٤١هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٣٧١ ش، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة.
- ١٢٠ - سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام، العلامة الشيخ عبد الواحد المظفر الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨ م، مطبعة الآداب في النجف الأشرف.
- ١٢١ - سفينة البحار، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ) مطبعة دار الأسوة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ، قم المقدسة.
- ١٢٢ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ١٢٣ - سنن أبي داود، أبو داود، ابن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م، منشورات دار الفكر.
- ١٢٤ - سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ١٢٦ - السنن الكبرى، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الغفار سليمان البغدادي، سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٢٧ - سنن النبي، العلامة الطباطبائي، محمد حسين (ت ١٤٠٢هـ)، تحقيق الشيخ محمد هادي الفقهي، ١٤١٩هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي.
- ١٢٨ - سياسة الحسين، الشيخ عبد العظيم الربيعي (ت ١٣٩٩هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات المكتبة الحيدريّة، قم المقدسة.
- ١٢٩ - سير أعلام النبلاء، الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق العرقسوسي، ثامون صاغر جي، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ، منشورات الرسالة، بيروت - لبنان.
- ١٣٠ - سيرة الأئمة، الشيخ مهدي البيشوائي (معاصر) تعريب حسين الواسطي، طباعة ونشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، تقديم الشيخ جعفر السبحاني.

- ١٣١- السيرة الحلبية، الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) منشورات دار المعرفة ١٤٠٠هـ، بيروت - لبنان.
- ١٣٢- السيرة النبوية (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٤٧هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٦م، بيروت - لبنان.
- حرف الشين -
- ١٣٣- الشافي في الإمامة، السيد مرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦هـ) الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، منشورات مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة.
- ١٣٤- شجرة طوبى، الشيخ محمد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ)، الطبعة الخامسة ١٣٨٥هـ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف.
- ١٣٥- شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، (ت ١٤١١هـ) تصحيح السيد إبراهيم الميانجي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة.
- ١٣٦- شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١هـ).
- ١٣٧- شرح الأخبار، النعمان بن محمد التميمي، (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٣٨- شرح التجريد، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق الشيخ حسن زاده آمل، الطبعة السابعة ١٤١٧هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
- ١٣٩- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترآبادي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م - طهران.
- ١٤٠- الشرح الكبير، عبد الرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢هـ) الطبعة الجديدة بالأوفست، منشورات دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ١٤١- شرح رسالة الحقوق، السيد حسن القبانجي^(١) منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٤٢- شرح مائة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام، كمال الدين، ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩هـ)، تحقيق مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.
- ١٤٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المرعشي النجفي، انتشارات دار إحياء الكتب العربية.
- ١٤٤- الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محاضرات الشيخ محمد السند، بقلم السيد رياض الموسوي، الطبعة الأولى، منشورات دار الغدير ١٤٢٤هـ، قم المقدسة.

(١) اعقل السيد عليه السلام في إيفاءه التمسك منه عليه السلام بحسن إنه عليه السلام منزهة بحسرة.

١٤٥ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عيَّاض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفكر ١٤٠٩ - ١٩٨٨ م، بيروت - لبنان.

- حرف الصاد -

١٤٦ - صحيح ابن حبان، ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م، منشورات مؤسسة الرسالة.

١٤٧ - صحيح ابن خزيمة، أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٢١١هـ)، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م، منشورات المكتب الإسلامي.

١٤٨ - صحيح البخاري، البخاري، (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م.

١٤٩ - صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان.

- حرف الطاء -

١٥٠ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، المطبعة خيام، قم المقدسة.

- حرف العين -

١٥١ - عدّة الداعي، أحمد بن فهد الحليّ (ت ٨٤١هـ)، تحقيق أحمد الموحّدي القميّ، منشورات مكتبة الوجداني، قم المقدسة.

١٥٢ - العروة الوثقى، السيد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧هـ) تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، قم المقدسة.

١٥٣ - العقلية زينب والفواطم، الحاج حسين الشاكري (ت ١٤٣٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م منشورات المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد، قم المقدسة.

١٥٤ - علل الترمذي، محمد بن سورة (ت ٢٧٩هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، طباعة ونشر دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٥٥ - علل الشرائع، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م، النجف الأشرف.

١٥٦ - عمدة الطالب، جمال الدين، أحمد بن علي المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨هـ)، تحقيق محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ - ١٩٦١ م منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

١٥٧ - عمدة القارئ، العيني، (ت ٨٥٥هـ)، مطبعة ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٥٨ - العمدة، ابن البطريق، يحيى بن الحسن الأسدي (ت ٦٠٠هـ)، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي ١٤٠٧هـ، جماعة المدرّسين، قم المقدسة.

١٥٩ - العوالم، الشيخ عبد الله البحراني (ت ١١٣٠هـ)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، قم المقدسة.

١٦٠ - عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الإحسائي (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق آقا مجتبی العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٦١ - عين الحياة، العلامة المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، ترجمة وتحقيق السيد هاشم الميلاني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

١٦٢ - العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، مؤسسة دار الهجرة.

١٦٣ - عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

١٦٤ - عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الكليني الواسطي، المتوفى في القرن السادس الهجري، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة الأولى منشورات دار الحديث.

١٦٥ - عيون المعجزات، الشيخ حسين بن عبد الوهاب، المتوفى في القرن الخامس هجري، تاريخ النشر ١٣٦٩هـ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

- حرف الغين -

١٦٦ - الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.

١٦٧ - غاية المرام، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق السيد عاشور.

١٦٨ - الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٢هـ)، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٦٩ - غرر الحكم، الشيخ أبو الفتح عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الأمدي الإمامي (ت ٥١٠هـ) مجهولة.

- حرف الفاء -

١٧٠ - الفايق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٧١ - فتح الباري، ابن حجر، شهاب الدين العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الطبعة الثانية، طباعة ونشر دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١٧٢ - فرج المهموم، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، منشورات الشريف الرضي، سنة الطبع ١٣٦٣ ش، قم المقدسة.

١٧٣ - فرحة الغري، السيد عبد الكريم بن طاووس الحسيني، (ت ٦٩٣هـ)، تحقيق السيد تحسين آل

- شبيب الموسوي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
- ١٧٤ - الفصول المختارة، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٤١٣هـ) الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، تحقيق السيد علي مير شريف، منشورات دار المفيد.
- ١٧٥ - الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحرّ العاملي، (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق وإشراف محمد القائيني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام.
- ١٧٦ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصبّاح المالكي (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق الشيخ سامي الغريزي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، منشورات دار الحديث للطباعة والنشر.
- ١٧٧ - فضائل الشيعة، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، منشورات كانون عابدي، طهران - إيران.
- ١٧٨ - فضائل الصحابة، النسائي، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٧٩ - فقه الإمام جعفر الصادق، الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٣٠٨هـ)، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ، دار الجواد، منشورات دار التعارف، بيروت - لبنان.
- ١٨٠ - فقه القرآن (الراوندي) قطب الدين، سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة.
- ١٨١ - فهرست متعجب الدين، الشيخ متعجب الدين ابن بابويه، (ت ٥٨٥هـ)، تحقيق السيد جلال الدين محدث الأرموي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة.
- حرف القاف -
- ١٨٢ - القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) مجهولة.
- ١٨٣ - قرب الإسناد، الحميري، القمي (ت ٣٠٠هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة.
- ١٨٤ - قصص الأنبياء (الجزائري)، السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.
- ١٨٥ - قصص الأنبياء (الراوندي)، قطب الدين، سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق غلام رضا عرفانيان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٣٧٦ش، منشورات الهادي.
- حرف الكاف -
- ١٨٦ - الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة (١٣٦٣ش)، الناشر دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
- ١٨٧ - كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق الشيخ جواد القيومي الطبعة

- الأولى ١٤١٧هـ، جماعة المدرّسين، منشورات مؤسسة الفقاهة.
- ١٨٨ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، منشورات دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ١٨٩ - الكامل، ابن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق يحيى مختار عزوي، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٩٠ - كتاب الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي، المتوفى في القرن الثالث الهجري، تحقيق ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، ١٣٩٩هـ، قم المقدّسة.
- ١٩١ - كتاب الفتوح، ابن أعمش الكوفي، (ت ٣١٤هـ) تحقيق عليّ شيري، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ طباعة ونشر دار الأضواء، بيروت - لبنان.
- ١٩٢ - كتاب سليم بن قيس، أبو صادق، سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ)، تحقيق محمد باقر الأنصاري، غير مؤرّخة.
- ١٩٣ - كشف الخفاء، العجلوني، إسماعيل بن محمّد (ت ١١٦٢هـ) الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٩٤ - كفاية الأثر، الخزّاز القميّ (ت ٤٠٠هـ) تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، المطبعة خيّام، منشورات بيدار - قم المقدّسة.
- ١٩٥ - الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، السيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٣٧هـ)، مطبوعة في دار النعمان في النجف الأشرف في ذيل الفصول المهمة في تأليف الأئمة له عليه السلام.
- ١٩٦ - كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصّدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
- ١٩٧ - كنز الفوائد، أبو الفتح الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، الطبعة الثانية ١٣٦٩ ش، منشورات المكتبة الحيدرية، قم المقدّسة.
- ١٩٨ - كيمياء المحبّة، سيرة رجب علي الخيّاط بقلم الشيخ محمد الريشهري (معاصر).
- حرف اللام -
- ١٩٩ - لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة قم المقدّسة.
- ٢٠٠ - اللهوف، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، منشورات أنوار الهدى، قم المقدّسة.
- ٢٠١ - لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، مطبعة العرفان صيدا ١٣٣١هـ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدّسة.

- حرف الميم -

- ٢٠٢- مثير الأحزان، ابن نفا الحلي، (ت ٦٤٥هـ)، المطبعة الحيدرية ١٣٦٩هـ- ١٩٥٠م، النجف الأشرف.
- ٢٠٣- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية.
- ٢٠٤- مجمع الزوائد، الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ) دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، بيروت- لبنان.
- ٢٠٥- مجمع الشعراء، كامل سليمان الجبوري، منشورات محمد علي بيضون الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- ٢٠٦- مجمع الفائدة والبرهان، المقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣هـ)، تحقيق مجتبی العراقي، الشيخ علي پناه الاشتهاري، حسين اليزدي، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.
- ٢٠٧- مجمع مصائب أهل البيت عليه السلام، الشيخ محمد الهنداوي، معاصر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، إنتشارات المكتبة الحيدرية.
- ٢٠٨- المجموع، محي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، منشورات دار الفكر.
- ٢٠٩- مجموعة رسائل، الشيخ لطف الصافي الكليباگاني، معاصر.
- ٢١٠- مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر)، أبو الحسن ورام بن أبي فراس المالكي الأشثري، (ت ٦٠٥هـ)، منشورات مكتبة الفقيه، قم المقدسة.
- ٢١١- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٤٧هـ)، تحقيق وتعليق السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، الناشر دار الكتب الإسلامية ١٣٧٠هـ، طهران.
- ٢١٢- محاضرات في الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، معاصر، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم المقدسة.
- ٢١٣- المحجة البيضاء، الملا محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.
- ٢١٣- المحلى، ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) منشورات دار الفكر.
- ٢١٤- الإمامة والتبصرة، ابن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق، (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.
- ٢١٤- مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق الشيخ عزة الله الهمداني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة.
- ٢١٥- مرآة العقول، العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ) مجهولة.
- ٢١٦- المزار (ابن المشهدي)، الشيخ محمد بن المشهدي (ت ٦١٠هـ)، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، منشورات القيوم، قم المقدسة.
- ٢١٧- المزار (الشيخ المفيد)، محمد بن النعمان المفيد، (ت ٤١٣هـ)، تحقيق السيد محمد باقر الأبضحي،

- الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.
- ٢١٨ - مسارّ الشيعة، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق الشيخ مهدي نجف، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، منشورات دار المفيد، بيروت - لبنان.
- ٢١٩ - مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، (ت ١٣٢٠ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام، بيروت - لبنان.
- ٢٢٠ - المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق وإشراف يوسف عبد الرحمن المرعشي.
- ٢٢١ - مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلّي (ت ٥٩٨ هـ)، تحقيق ونشر لجنة التحقيق في مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ، قم المقدّسة.
- ٢٢٢ - مستند الشيعة، المولى أحمد النراقي (ت ١٢٤٤ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، مشهد المقدّسة.
- ٢٢٣ - مسکن الفؤاد، الشهيد الثاني (المستشهد سنة ٩٦٦ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى، قم المقدّسة.
- ٢٢٤ - مسند ابن راهويه، إسحاق ابن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحقّ حسين برد البلوسي، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ، مكتبة الإبان، المدينة المنورة.
- ٢٢٥ - مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) دار صادر، بيروت - لبنان.
- ٢٢٦ - مسند الشهاب، ابن سلامة، (ت ٤٥٤ هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٢٢٧ - مسند زيد بن عليّ، زيد بن عليّ عليه السلام (ت ١٢٢ هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
- ٢٢٨ - مشكاة الأنوار، علي الطبرسي، تحقيق مهدي هوشمند، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، منشورات دار الحديث.
- ٢٢٩ - المصباح (الكفعمي)، الشيخ تقي الدين إبراهيم، الكفعمي (ت ٩٠٥ هـ) الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٢٣٠ - مصباح المتهجّد، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م منشورات مؤسسة فقه الشيعة، بيروت - لبنان.
- ٢٣١ - المصنّف، ابن أبي شيبة الكوفي (ت ٢٣٥ هـ) تحقيق سعيد اللحام، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، منشورات دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٣٢ - معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول، الزرندي الشافعي (ت ٧٥٠ هـ)، تحقيق ماجد بن أحمد العطية.

- ٢٣٣- معالي السطين، الشيخ محمد مهدي الحائري (ت ١٣٦٩هـ)، منشورات المكتبة الحيدرية والشريف الرضي، قم المقدسة.
- ٢٣٤- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة ١٣٧٩هـ..
- ٢٣٥- المعجم الأوسط، الحافظ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق ونشر قسم التحقيق بدار الحرمين ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- ٢٣٦- معجم البلدان، ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
- ٢٣٧- المعجم الكبير، الطبراني، (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق وتخريج حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، منشورات دار إحياء التراث العربي، تحقيق السيد أحمد الحسيني.
- ٢٣٨- معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، طبعة منقحة ومزودة.
- ٢٣٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي ١٤٠٤هـ.
- ٢٤٠- معدن الجواهر، أبو الفتح بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
- ٢٤١- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد منشورات مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي ١٤٠٤هـ، قم المقدسة.
- ٢٤٢- المغني، ابن قدامة، عبد الله (ت ٦٢٠هـ)، منشورات دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.
- ٢٤٣- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان.
- ٢٤٤- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، منشورات دفتر نشر الكتاب.
- ٢٤٥- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م، منشورات المكتب الحيدرية ومطبعها، النجف الأشرف.
- ٢٤٦- مقتل الإمام الحسين (أبو مخنف)، لوط بن يحيى، أبو مخنف الأزدي (ت ١٥٧هـ) تحقيق حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم المقدسة.
- ٢٤٧- مقتل الحسين (المقرّم) العلامة السيد عبد الرزاق المقرّم (ت ١٣٩١هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٣٧٢ش، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.

- ٢٤٨ - المقنعة، الشيخ المفيد، محمد بن النعمان البغدادي العكبري (ت ٤١٣هـ)، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
- ٢٤٩ - مكارم الأخلاق، الطبرسي، الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ)، الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة.
- ٢٥٠ - مكارم الأخلاق (ابن أبي الدنيا)، ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، منشورات مكتبة القرآن، القاهرة.
- ٢٥١ - مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، (ت ٥٤٨هـ) الطبعة السادسة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م منشورات الشريف الرضي.
- ٢٥٢ - الملاحم والفتن، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ منشورات صاحب الأمر عليه السلام.
- ٢٥٣ - من أخلاق الإمام الحسين، عبد العظيم المهدي البحراني (معاصر)، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسة.
- ٢٥٤ - من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
- ٢٥٥ - المناقب (مناقب الخوارزمي)، الموفق الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ) تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
- ٢٥٦ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف سنة الطبع ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- ٢٥٧ - مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي من أعلام القرن الثالث، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدّسة.
- ٢٥٨ - المنتخب، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة.
- ٢٥٩ - منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، ترجمة السيد هاشم الميلاني، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، جماعة المدرّسين، قم المقدّسة.
- ٢٦٠ - منتهى المطلب، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدّسة.
- ٢٦١ - منهاج الصالحين، السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، الطبعة الثانية والعشرون ١٤١٠هـ، منشورات مدينة العلم آية الله الخوئي، قم المقدّسة.
- ٢٦٢ - مواقف الشيعة، الأحمدي الميانجي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

٢٦٣ - المواقف، الأيحيى (ت ٧٥٦هـ) تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، منشورات دار الجليل، بيروت - لبنان.

٢٦٤ - موسوعة كلمات الإمام الحسين، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار المعروف للطباعة والنشر.

- حرف النون -

٢٦٥ - النزاع والتخاصم، تقي الدين، أحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق السيد علي عاشور.

٢٦٦ - نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن المتوفى في القرن الخامس الهجري، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، قم المقدسة.

٢٦٨ - النصاريات الكبرى، الشيخ محمد بن نصار، منشورات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة.

٢٦٩ - نظرة إلى حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، انتشارات السيدة المعصومة عليها السلام، قم المقدسة، بدون تاريخ.

٢٧٠ - نظم درر السمطين، جمال الدين الزرندي الحنفي (ت ٧٥٠هـ)، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

٢٧١ - نهاية المرام، السيد محمد العاملي (ت ١٠٠٩هـ)، تحقيق آغا مجتبی العراقي، علي پناه الاشتهادي، آقا حسين اليزدي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، منشورات جماعة المدرسين، قم المقدسة.

٢٧٢ - النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، (ت ٦٠٦هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، الطبعة الرابعة ١٣٦٤ ش، منشورات مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة.

٢٧٣ - نهج الإيمان، ابن جبر، زين الدين، علي بن يوسف بن جبر من أعلام القرن السابع الهجري، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، منشورات مجمع الإمام الهادي عليه السلام، مشهد المقدسة.

٢٧٤ - نهج السعادة، الشيخ المحمودي، معاصر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٢٧٥ - نوادر المعجزات، الشيخ الطبري الإمامي المتوفى في القرن الرابع الهجري الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة.

- حرف الهاء -

٢٧٦ - الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٣٤هـ)، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، منشورات المكتبة الحيدرية، قم المقدسة.

- حرف الواو -

٢٧٧ - الوافي بالوفيات، الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، منشورات دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت - لبنان.

٢٧٨ - وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، المطبعة مهر، قم المقدّسة.

٢٧٩ - وقعة صفّين، ابن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ، منشورات المؤسسة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.

- حرف الباء -

٢٨٠ - يتيمة الدهر، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٨١ - ينابيع المعاجز، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، المطبعة العلميّة، قم المقدّسة.

٢٨٢ - ينابيع المودّة، القندوزي (ت ١٢٩٤هـ) تحقيق السيد علي جمال أشرف، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، منشورات دار الأسوة للطباعة والنشر.

المحتويات

تسلسل المحاضرة	موضوع المجلس	مطلع القصيدة في المجلس	شاعر القصيدة	التعريض والمصيبة	ص
الأولى	تعظيم الشعائر	أطلّ علينا بالخطوب محرم	مجهول	ندبة الزهراء عليها السلام للإمام صاحب الزمان عليه السلام	١٥
الثانية	ثواب الباكين على الحسين عليه السلام	خُذْ بالبكاءِ فقد أناكَ محرمٌ	الشيخ كاظم سبتي رحمته الله	السيد الحميري عند الإمام الصادق عليه السلام	٢٩
الثالثة	نكت العهد	يا وقعة الطفّ كم أوقدت في كبدي	الشيخ عبد الحسين الأعسم رحمته الله	وداع الإمام الحسين عليه السلام لقبر جده عليه السلام	٤١
الرابعة	مكارم الأخلاق	هذه دارهم تهيج شجوني	الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمته الله	تظلم الزهراء عليها السلام وسط المحشر	٥٣
الخامسة	علم الإمام عليه السلام	كم يا هلال محرم تُشجينا	السيد جعفر الحلي رحمته الله	وداع الإمام الحسين عليه السلام لقبر جده عليه السلام	٦٣
السادسة	بين كربلاء والكعبة	إن كنتَ محزوناً فمالك ترقُد	مجهول	خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء	٧٥
السابعة	من مواظب سيّد الشهداء عليه السلام	أأسبلت دمعَ العينِ بالعبراتِ	المرحوم دعبل الخراعي	بين زينب والإمام الحسين عليه السلام	٨٧
الثامنة	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	رحلوا وما رحلوا أهيل ودادي	السيد مهدي الأعرجي رحمته الله	زينب بين الأمس واليوم	٩٩
التاسعة	أقسام العبادة	ولقد وقفتُ فما وقفت مدامعي	السيد رضا الهندي	زينب تندب أخاها عليه السلام	١١١
العاشرة	السفير مسلم بن عقيل عليه السلام	حكّم الإله بما جرى في مُسلم	السيد صالح الحلي رحمته الله	شهادة مسلم عليه السلام	١٢٣

الحادية عشرة	معطيات آية المودة	عين جودي لمسلم بن عقيل	السيد مهدي بحر العلوم	بين مسلم وأولاده	١٣٩
الثانية عشرة	كيفية اختيار الصديق	كيف تصحبوا تقول اللواحي	السيد رضا الهندي	محيي حبيب بن مظاهر لنصرة الحسين	١٥١
الثالثة عشرة	حدود الصداقة	لله أَل الله تسرع بالسرى	السيد صالح القزويني	يوم الأصحاب	١٦١
الرابعة عشرة	الصديقون والشهداء	ما السيِّفُ ما الرمحُ لولا خفقة العلم	مجهول	شهادة أبي الفضل العباس	١٧٣
الخامسة عشرة	الشفاعة	عبست وجوه القوم خوف الموت	السيد جعفر الحلي	شهادة أبي الفضل العباس	١٨٧
السادسة عشرة	تأديب الأولاد	يا دوحة المجد من فهر ومن مضر	السيد صالح الحلي	شهادة القاسم	١٩٩
السابعة عشرة	التفقه في الدين	قسم الإله الرزء بين أعظم	مجهول	شهادة القاسم	٢١٣
الثامنة عشرة	حق الأب	يا نيراً فيه تحلى ظلمة الغسق	السيد صالح الحلي	شهادة علي الأكبر	٢٢٥
التاسعة عشرة	حق الولد	بشبه المصطفى جاؤوا اقتيلاً	الشيخ محمد سعيد المنصوري	شهادة علي الأكبر	٢٣٩
العشرون	إقامة الصلاة	هم فتية خطبوا العلی بسيفهم	السيد جعفر الحلي	شهادة عبد الله الرضيع	٢٥١
الحادية والعشرون	علاج ترك الذنوب والمعاصي	الله أي دم في كربلاء سفكا	السيد جعفر الحلي	حرق الخيام واستغاثة السيدة زينب	٢٦١
الثانية والعشرون	معطيات آية المباهلة	يا ابن النبي المصطفى ووصيه	الشيخ عبد الحسين الأعسم	ما بعد حرق الخيام	٢٧٣
الثالثة والعشرون	العفو	لعمرى لقد سار الزمان بأهله	الشيخ عبد العظيم الربيعي	استغاثة السيد زينب بأبي الفضل	٢٨٣

٢٩٣	جواد الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ محمد بن شريف الكاظمي	قف بالطوف وجد بفيض الأدمع	مَنْ هم أولوا الأمر	الرابعة والعشرون
٣٠٧	السبايا إلى الكوفة	الشيخ حسون الحلي عليه السلام	أبا حسنٍ تغضي وتلتذ بالكرى	الحقّ والباطل	الخامسة والعشرون
٣١٩	السبايا إلى الشام	الشيخ محمد رضا الأزري	أو ما أتاك حديث وقعة كربلا	التوكل	السادسة والعشرون
٣٢٩	الإمام زين العابدين عليه السلام والمنهال	السيد رضا الهندي عليه السلام	حُرِّم السبط من فرات مُباح	الرجاء والخوف	السابعة والعشرون
٣٣٧	شهادة رقية عليها السلام	الشيخ محمد تقي الجواهري	أبا صالح يا مدرك الثار كم ترى	كباثر الذنوب وصغائرها	الثامنة والعشرون
٣٤٧	أيام السبي	المرحوم محمد تهايمي المصري	يابن النبي لنا ببابك وقفة	الرسالة السماوية	التاسعة والعشرون
٣٦١	يوم الأربعين ورجوع السبايا	السيد هاشم الستري البحراني	قم جدد الحزن في العشرين من صفر	علامات المؤمن	الثلاثون
٣٧٣	الإمام السجاد عليه السلام مع أبي حمزة الثمالي	السيد صالح الحلي عليه السلام	كلّما تعذّلان زدت نحيبا	المصائب من آثار الأعمال	الحادية والثلاثون
٣٨٥	يوم جرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام	السيد جعفر الحلي عليه السلام	أدرك تراتك أيّها الموتور	الشجاعة	الثانية والثلاثون
٣٩٩	يوم توديع الإمام أهله وعياله	السيد جعفر الحلي عليه السلام	لبس الإسلام أبراد السواد	آية الولاية	الثالثة والثلاثون
٤٠٩	شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام	مجهول	ألا من هدّ ركن المسلمينا	آية التطهير	الرابعة والثلاثون
٤١٩	المهجوم على دار فاطمة عليها السلام	الشيخ محمد حسن سميسم	مَنْ مُبلغ عتيّ الزمان عتابا	فضائل أهل البيت عليهم السلام	الخامسة والثلاثون
٤٣١	سقوط الجنين	الشيخ محسن أبو الحب عليه السلام	إن قيل حوّا قلت فاطم فخرها	الاصطفاء	السادسة والثلاثون

٤٤٣	شهادة فاطمة عليها السلام	السيد عباس البغدادي رحمته الله	أيا راكباً مهربية شأت الصبا	الشكر	السابعة والثلاثون
٤٥٥	مصائب فاطمة عليها السلام	الشيخ محمد حسن المرائطي الكاظمي	يا خليلي خبران بصدق	معطيات آية القريبى	الثامنة والثلاثون
٤٦٧	وفاة السيد زينب عليها السلام	الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمته الله	اليوم يومٌ حزنه لا يذهب	شذرات من حياة العقيلة زينب عليها السلام	التاسعة والثلاثون
٤٧٩	وفاة السيدة المعصومة عليها السلام	الشيخ محمد سعيد المنصوري رحمته الله	لطف نفسي لبنت موسى شجاها	شذرات من حياة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام	الأربعون